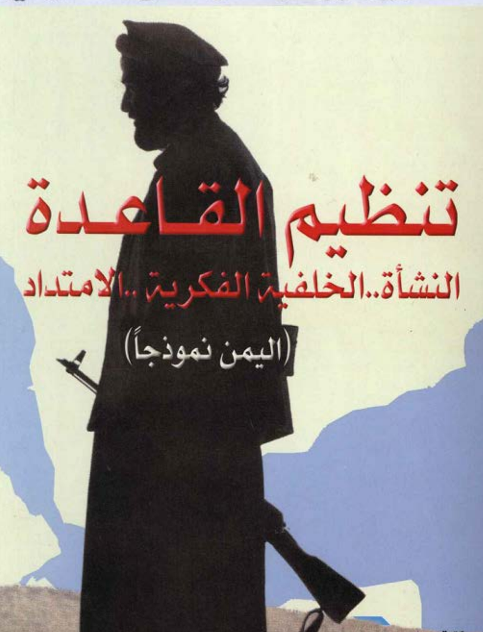
سعيد علي عبيد الجمحي



تنظيم القاعدة

النشأة.. الخلفية الفكرية.. الامتداد

(اليمن نموذجاً)

مكتبة مدبولي

الكتاب : **تنظيم القاعدة**

النشأة - الخلفية الفكرية - الامتداد

الكاتب : سعيد علي عبيد

الطبعة : الأولى عام ٢٠٠٨

الناشر : مكتبة مدبولى ٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة

تليفون : ٢٥٧٥٦٤٢١ - فاكس : ٢٥٧٥٢٨٥٤

البريد الإلكتروني : **www.madboulybooks.com**

Info@madboulybooks.com

رقم الإيداع : ٢٠٠٧/٢٢١١٤

الترقيم الدولي : 977-208-708-1

دراسة فى الحركات الإسلامية المعاصرة (١)

تنظيم القاعدة

النشأة - الخلفية الفكرية - الامتداد

تأليف
سعيد على عبيد

الناشر
مكتبة مدبولى
2008

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم / د. فارس السقاف

أسامة بن لادن هذا الاسم الذي دوّى في مختلف أنحاء العالم ومدنها وقراها، وكسب حامله محبة البعض وكراهية بعض وتأييد فئات وعداوة فئات أخرى.. وأوجد جدلاً حاداً ومؤلماً في أوساط أخرى.

من أسرة حضرمية هاجرت في بداية الثلاثينات من القرن الماضي إلى المملكة العربية السعودية تعود أصول هذه الشخصية الكاريزمية.. واستطاع أبوه عوض بن لادن أن يؤسس ثروة هائلة من شركة مقاولات، الأمر الذي ضمن له حياة رفاهيةٍ ورخاءٍ وثراء واسعاً، وتلقى تعليمه في مدارس النخبة في السعودية وعاش متنقلاً بين السعودية وبلاد الشام مسقط رأس والدته السورية الأصل.

وعلى غير عادة العائلات الحضرمية الوديعة التي اشتهرت بأعمال التجارة في معظم البلاد التي هاجرت إليها في جنوب شرق أفريقيا ودول الخليج والهند وجنوب شرق آسيا، ورغم عزوف هذه العائلات عن السياسة وما يتصل بها، قفز بن لادن إلى قلب الحدث العالمي مؤثراً أساسياً في صنع السياسات والأحداث العالمية، وربما لم يكن يتخيل حتى ابن لادن نفسه أن يصل إلى هذا المدى .

من رحلة بسيطة إلى كراتشي ثم إلى مدينة بيشاور المدينة الباكستانية المحاذية للجمهورية الوليدة (أفغانستان) إثر انقلاب شيوعي مدعوم من اتحاد الجمهوريات السوفيتية ضد نظام الملك محمد ظاهر شاه، ولد تاريخ أسامة الجديد في واحدة من أكثر الملاحم الدرامية في العصر الحديث قوة وصخباً .

سافر أسامة بن لادن لزيارة اللاجئين الأفغان والاطلاع على أحوالهم وتكررت الزيارات مرة بعد أخرى واتسعت لتتجاوز باكستان إلى داخل الأراضي الأفغانية، وشاهد ولامس الأعمال العسكرية نواة ما عرف فيما بعد بالجهاد الأفغاني، وشارك في بعض العمليات العسكرية الرمزية.

البداية الحقيقية لابن لادن هي حينما التقى بشيخه وقائده الشيخ عبدالله عزام، فهو كما يُطلق عليه البعض المرشد الروحي لابن لادن، والذي كان لشخصيته الأثر العظيم في تشكيل الروح الجهادية والمسار الثوري لابن لادن.

تُرى هل كان بن لادن في تلك اللحظات يرى في أفغانستان يمناً جنوبياً آخر يحكمه الشيوعيون ويشعر بحرمانه من زيارة بلاده مع ما عرف عن الحضارم من حب لبلدهم وقراهم مهما طالت بهم سنون الاغتراب؟ هل كان العقل الباطن لابن لادن يحارب النظام الاشتراكي في جنوب اليمن تلك الفترة وشخوص النظام الشيوعي الوليد في أفغانستان؟ أسئلة تبدو مشروعة خصوصاً ونحن نعلم بأن بن لادن بعد انتهاء المعارك في أفغانستان بدأ التفكير بمحاربة الشيوعيين فيما كان يعرف بجنوب اليمن. وإثر قيام الوحدة ثبت تورط بعض أتباعه في أعمال جهادية ضد قيادات إشتراكية فضلاً عن مشاركتهم في حرب صيف 1994م.

والتساؤل الأكثر مشروعية هو حول ماهية تنظيم القاعدة؟ وقصة هذه الجماعة التي شغلت الرأي العام العالمي وما زالت؟ وماهي الأصول النظرية لهذا التنظيم؟ وما هي استراتيجياته؟ وماهي أنظمته ولوائحه؟

ربما لم تُثر قضية فكرية جدلاً حولها مثل قضية علاقة الإسلام بالشأن العام، وما يترتب عن ذلك من قضايا كالدولة الإسلامية، ونظام الحكم في الإسلام، ووسائل

وآليات تأسيس هذه الدولة، والعلاقة مع الآخر.

منذ بداية ما سمي بعصر النهضة في الفكر العربي المعاصر وتــصدر الأفغــاني والكواكبي ومحمد عبده وأمثالهم، بدأ النقاش حول ماهية الدولة الإسلامية ودورها فــي عملية التحديث، وحول تخلف المسلمين وأسبابه. وكان السؤال المركزي الذي شغل بال المفكرين في تلك المرحلة هو: لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟

وكانت الاجتهادات في الإجابة عن هذا السؤال وما زالت هــي الــشغل الــشاغل للنخب المثقفة وأصحاب مشاريع التحديث من العلمانيين العــرب، ويقــابلهم فــي ذات المسار أصحاب المشاريع الإسلامية، وما زالت أصداء معارك الإسلاميين والليبراليين حول كتاب علي عبدالرازق (الإسلام وأصول الحكم) تتجدد في كل الحوارات الفكريــة في الساحة الفكرية إلى الآن.

غير أن حدثاً هاماً تمثل في إلغاء الخلافة العثمانية سنة 1924م كان بداية الظهور لما بات يعرف بالجماعات الإسلامية، إذ تأسست جماعة الإخوان المسلمين فــي ذلــك الوقت كرد فعل لانهيار دولة الخلافة جاعلة هدفها هو إقامة الدولة الإسلامية ثم الخلافة الإسلامية، وتأسيس نظام الحكم الإسلامي.. ومن هنا بدأت قصة جماعــات الإســلام السياسي والحركات الإسلامية المعاصرة وكان السؤال حول آلية قيام الدولة الإســلامية وتحكيم الشريعة هو أكثر الأمور جدلاً في أوساط الــدعاة الإســلاميين وخــصومهم، والسبب الرئيس في ظهور الفرق والتيارات الإسلامية السياسية.

لقد رافق إلغاء نظام الخلافة سقوط معظم البلــدان العربيــة والإســلامية تحــت الاحتلال العسكري المباشر للقوة الإستعمارية الكبرى بريطانيا وفرنسا وتم تقاســم مــا عرف بتركة (الرجل المريض) واتفاقية سايكس بيكو، فتم احتلال بلاد الشام والعــراق

ومنطقة الخليج، وقبلها كانت فرنسا قد احتلت دول المغرب العربي، فيما سيطرت إيطاليا على ليبيا.

واحتلت القارة الهندية التي صارت درة التاج البريطاني، فضلاً عن الاحتلال الهولندي اندونيسيا، وسقوط البلدان الإسلامية في آسيا الوسطى تحت الاحتلال الروسي.

هكذا بدأ حال العالم الإسلامي مطلع القرن العشرين الأمر الذي استدعى ضرورة الجهاد وتحرير الأرض، وإذا كانت هذه القضية لم تثر جدلاً يذكر في بداياتها، حيث كان العلماء هم من قاد حركات التحرر أمثال الخطابي وعمر المختار والسنوسي والمهدي والقسام، إلا أن حركة الاستقلال جاءت بالنخب الليبرالية لقيادة البلدان المستقلة لتبدأ مشكلة أخرى في حياة المنطقة العربية. فقد أصبح هناك لحظتين تاريخيتين متغايرتين، وإذا كانت الأولى أنتجت فكر الجامعة الإسلامية عند الأفغاني ومحمد عبده، أو الدستور عند خير الدين التونسي في ظل دولة خلافة تستمد شرعيتها من الإسلام، فإن اللحظة التاريخية الثانية التي أعقبت حركة التحرر العربي أوجدت نخبة كانت قد حسمت موقفها الفلسفي مع التراث الإسلامي باعتباره عائقاً لأي عملية تحديث، واختارت العلمانية كخيار لتأسيس أنظمة حكمها ومشروعها التحديثي، وهكذا بدأت حلقة المواجهة بين النخب الحاكمة الجديدة وبين الجماعات الإسلامية.

لقد كانت حركة الإخوان المسلمين هي أولى الجماعات الإسلامية تأسيساً وأكثرها اتساعاً وأتباعاً وشمولاً، ثم ظهرت لاحقاً معظم الجماعات الإسلامية السياسية والجهادية، والتي انشق أكثرها من الجماعة الأولى. وكما حددت جماعة الإخوان غايتها بإقامة دولة الخلافة الإسلامية كهدف استراتيجي، فإنها في ذات الوقت رسمت لنفسها

معالم نظرية لتحقيق هذه الغاية بإصلاح الفرد ثم الأسرة ثم المجتمع ثم الدولة ثم الخلافة، وذلك من خلال التعريف والتبليغ ثم التكوين ثم التمكين والجهاد. لكن الجماعات الأخرى اختلفت مع الإخوان في الوسائل والآليات وإن اتفقت معها في الأصول والمنطلقات والغايات، كما هي الحال عند جماعات الجهاد والتكفير والهجرة وحزب التحرير..

وبعد مضي عشرات السنين من إنشاء جماعة الإخوان وبالتحديد في السبعينيات من القرن الماضي وما بعدها نشأ جيل جديد شديد الحماسة والانطلاق، وتفتحت آفاق جديدة للصحوة، ونشأت تساؤلات جديدة لم تستطع الجماعة الأم احتوائها، فضلاً عن التحالفات والمواقع السياسية والاجتماعية التي وصلت إليها الجماعة جعلها أكثر حذراً في مواقفها السياسية وأكثر تأنياً.. الأمر الذي شكّل مناخاً لجيل جديد من أبناء التيارات الإسلامية الذي بدأ بالتشكل في الجامعات والمساجد، فضلاً عن الدور السعودي في تغذية المدارس الوهابية والاتجاهات السلفية، التي اتخذت منحى آخر يختلف عن الاتجاهات والأساليب الإخوانية.

وهكذا لم تكد قضية أفغانستان تظهر مع كل ما دار حولها من جدل وحسابات دولية وإقليمية آنذاك، حتى ظهرت التربة المناسبة لبزوغ وانتشار الإتجاهات الجهادية القتالية، وهناك التقت مصالح وأطماع الدول والأفراد، فبعض الدول كانت تضيق ذرعاً بالشباب الغاضب، ووجدت في أفغانستان منفى طوعيا لهم، في ظل التشجيع الغربي التي رأت في المقاومة الأفغانية الفرصة لإنهاك الدب الروسي، وتقويض دعائمه، وحشدت الجهود والإمكانات لذلك. وتم توظيف هذه العاطفة الدينية والإتجاهات القتالية حتى تحقق فعلاً الهدف المرجو، وانهار الإتحاد السوفيتي. حينها تحققت الأهداف الغربية ولم يعد هناك أي غرض هام في من قاموا بالجهاد، بل في أفغانستان كلها.

وهكذا وجد الأفغان العرب -كما سُموا بذلك - أنفسهم في حيرة بالغة، وفي فراغ كبير، ورافق ذلك الملاحقات والمعتقلات التي كانت تنتظر العائدين إلى بلدانهم، باعتبار هؤلاء يمثلون خطراً مستقبلياً على الأنظمة الحاكمة، ولو كانت هذه الأنظمة تستشف المستقبل لقامت بكل جهدٍ ممكن لاستيعاب هؤلاء وتوظيفهم في المجتمع. حينها برز دور رجل المرحلة أسامة بن لادن وكانت بداية تنظيم القاعدة.

ونشأت أجيال من الشباب تم صياغتها في ميادين القتال ومعسكرات التدريب ومخيمات الإعداد، وكان العدو هذه المرة هو حليف الأمس (الولايات المتحدة الأمريكية)، وانتهت الهدنة المؤقتة بين هؤلاء وبين الأنظمة التي دعمتهم أو حتى سكتت عنهم، وبدأت المواجهات في التصاعد حتى بلغت قمة الحدث الدرامي في هذه العلاقة، وهو هجوم الحادي عشر من سبتمبر.. ولا تزال القصة مستمرة.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا يفسر هذه الظاهرة في أصولها الفكرية، ويقدم رؤية موضوعية تعتمد على المصادر الأساسية والنصوص التأسيسية المرجعية لهذا التنظيم.

وتأتي أهمية هذه الدراسة كونها الوحيدة تقريباً التي حاولت أن تقدم الأصول النظرية أو المعالم الفكرية لجماعة القاعدة بأسلوب هادئ، وعرض تحليلي مستند على واقع هذا التنظيم وتاريخه منذ البداية حتى الآن..

وسوف يجد القارئ إجابات عديدة لكثير من الإشكالات والأسئلة، سواء في فهم بعض الأحداث والوقائع، أو الإتجاهات والتصورات التي ترافقت مع نشوء تنظيم القاعدة ومسيرتها القصيرة وتأثيرها في التاريخ المعاصر.

كما أن أهمية هذه الدراسة تظهر أيضاً في طبيعة المرحلة التي شهدت هذا الظهور القوي لجماعة القاعدة مع خلو المكتبة من أي دراسة موضوعية فكرية عن هذا التنظيم.

وربما يستغرب القارئ عندما يجد المؤلف قد تناول بتوسع واستطراد التيـــار الـــسلفي وخصوصاً في اليمن، لكن سرعان مايتلاشى الاستغراب من خلال تأكيد المؤلف مــن خلال الدراسة على أن جماعات الجهاد أو القاعدة هي جماعة ســلفية فـــي أصـــولها ومصادرها، غير أنه يفرق بين السلفية الجهادية والسلفية غير الجهادية، فالثانيـــة هـــي مصدر الأولى وأساسها، مع بيان أن هناك اختلافات أخرى خــصوصاً فيمـــا يتعلـــق بالموقف من الحكام وفي وسائل تحقيق الأهداف. وهكذا فإن الكتاب لـــم يقـــم بتحليـــل ودراسة لتنظيم القاعدة فقط بل لفكر وواقع الجماعات الـــسلفية فـــي الـــيمن بـــصورة تفصيلية، وشبه الجزيرة العربية، ومصر، وبلاد الشام، وبعض دول المغرب العربـــي بصورة عامة.

كلمة لابد منها

يُعد الحديث عن تنظيمات الجهاد الإسلامية من أصعب وأهم الموضوعات المطروحة في الساحة اليوم، وذلك لما أحاط بهذه التنظيمات من السرية واكتنفها من الغموض، ولقلة المصادر والمراجع، بل لانعدامها – أحياناً – مما يشكل صعوبة أمام الباحث. وأما أهميتها فلكون هذه التنظيمات الجهادية قد شغلت الرأي العام المحلي والعالمي فصارت معرفتها والإطلاع على حقيقتها مطلباً عاماً لقطاعات كبيرة من الناس بمختلف أديانهم وأوطانهم وثقافاتهم.

وقد تقدمت لتحمل مسئولية الكتابة في هذا المجال – رغم صعوبتها – راجياً أن يكون في جهدي المتواضع فائدة للدارسين والباحثين في هذا الموضوع.

في هذه الدراسة المتواضعة محاولة لتسليط الأضواء على أهم جماعة إسلامية في زمننا الحاضر، وليست هذه الأهمية تأتي باعتبار الأقدمية التاريخية أو الكثرة العددية أو المكانة العلمية أو الاعتبارية، بل لكون هذه الجماعة قد برزت في الواقع وأثرت فيه تأثيراً لم تسبقها إليه جماعة إسلامية رغم قصر الفترة الزمنية التي استغرقتها منذ التكوين حتى الآن، مقارنة بغيرها من الجماعات والتنظيمات الإسلامية، ثم لأنها انفردت بأسلوب مواجهة مع خصومها غير مسبوق أيضاً، كما لم تفرق بين أعدائها، فواجهت العدو الداخلي – حكام المسلمين[2] – والعدو الخارجي – الكفار والمشركين – في وقت واحد دون الأخذ بأي اعتبارات وأوليات لا يخلو تنظيم أو جماعة من مراعاتها أثناء الاصطدام بخصومه لضمان النتائج المطلوبة وتحقيق الأهداف المرجوة!!!

علماً بأن رأس التنظيم يراعي الأولويات لكن بعض الشباب المتحمس دفع التنظيم إلى المواجهة والصدام في بدايتها

تلك هي جماعة الجهاد أو تنظيم القاعدة – كما عرفت فيما بعد – بقيادة أسامة بن محمد بن عوض بن لادن.

وقد حرصتُ على أن تكون معلومات هذه الرسالة صحيحة دون مبالغة أو نقصان أو تفخيم أو تحقير، بل دراسة موضوعية، بعيدة عن أي تأثير أو هوى شخصي، ومتجردة عن أي عاطفة أو خضوع لأي ضغط من أي نوع كان نفسياً أم مادياً.. الخ.. إنها دراسة لواقع قائم وظاهرة تهم الجميع وتؤثر في الجميع، كما أنها لا تعكس أو تعني موقفاً شخصياً أو رأياً خاصاً لكاتبها، بل اعتمدتُ على تقديم الفكر الجهادي المعاصر من خلال قراءة نصه الذي أعلن اعتماده عليه كنهج وأساس فكري تقوم عليه جماعة أو تنظيم القاعدة، ومن خلال رؤية مؤسس هذا الفكر وعقيدته. ولعل هذه الميزة الفريدة هي التي أكسبت هذه الدراسة أهمية؛ كونها اعتمدت على المنهج الذي ظهر على هيئة رسالة، تحت عنوان: (العمدة في إعداد العدة للجهاد في سبيل الله)، وتتكون الرسالة من (406 صفحة)، وذيلت باسم مؤلفها وهو: (عبد القادر بن عبد العزيز)[1]، وسأذكر تفصيلاً عن هذا المنهج من خلال استعراض كثير من نصوصه تحت عناوين مختلفة في هذه الدراسة.

ورسالة (العمدة) هي المنهج الفكري لتنظيم القاعدة كما جاء على لسان زعيم هذا التنظيم في شريط بعنوان الجهاد هو الطريق.

---

(1) الاسم الحقيقي للمؤلف هو سيد إمام عبد العزيز إمام الشريف. مصري، تخرج من كلية طب القاهرة عام 1974م بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف، متزوج سيدة فلسطينية وله أربعة أولاد وبنت، ثم تزوج سيدة يمانية من مدينة إب وأنجب منها بنتاً واحدة. غادر باكستان عام 1993م متوجهاً إلى السودان، ثم توجه إلى اليمن أواخر عام 1994م وعمل طبيباً في متشفى الثورة العام في مدينة إب، أُلقي القبض عليه عقب أحداث 11سبتمبر في 2001/11/28، ومكث في السجن عامين وخمسة أشهر ثم سلمته اليمن إلى مصر في 2004/2/28م، ولا يزال معتقلاً في مصر وله عدة مؤلفات أهمها: (العمدة) وكتاب (الإرهاب من الإسلام ومن أنكر ذلك فقد كفر).

والميزة الأخرى لهذه الدراسة تظهر من خلال تقديم المعلومة والفكرة التي تم الحصول عليها من خلال حاملي هذا الفكر الجهادي مشافهة، مع كون هؤلاء منهم من قضى في أفغانستان ومنهم من قطع صِلاته بالتنظيم في مرحلة مبكرة أو متأخرة، وحرصت على الحياد والموضوعية عند نقل النصوص وعرض الأفكار، لأن الهدف الرئيس من هذه الدراسة هو تقديم فكرة حقيقية وواقعية عن هذا الفكر الجهادي وأصحابه ومعتنقيه.

ولا يمكنني أن أقول بأني أحطت بكل شيء، بل لابد من المتابعة والاستقصاء لتكتمل الحقيقة وتتضح الصورة، لكني لا أشك أن هذه الصفحات لها أهمية وأنها ستكون مرجعاً جيداً وضرورياً، لا يمكن إهمالها عند الخوض في قضايا القاعدة، كما أن هذه الدراسة مساهمة متواضعة نحو الوصول إلى حلول سليمة ومعالجات منصفة ومتوازنة، بعيداً عن الإفراط أو التفريط.

كما أني أرجو من القارئ أن يلتمس لي عذراً لما سيجده من تكرار لبعض الأفكار والمعلومات، وذلك نتيجة لما تقتضيه بعض الموضوعات من إعادة لبعض عناصرها وتكرار ما يلزم تكراره لأسباب مختلفة، كالارتباط أو التأكيد أو زيادة الموضوع توضيحاً أو غير ذلك.. كما أن هذه الدراسة لم تكتب دفعة واحدة، بل كتبت على فترات زمنية متقطعة نتيجة العجز – أحياناً – عن توفير المعلومة والحصول عليها من مصادرها المباشرة والمعتمدة لكون بعض المعلومات تستدعي التأني وتحتاج إلى أكثر من مصدر لتأكيدها واعتمادها.

مــدخل

إن جماعة الجهاد الإسلامي (القاعدة) رغم كونها لا تختلف كثيراً عن غيرها من الجماعات الإسلامية، إلا أنه يمكن أن نشير إلى بعض جوانب الاختلاف – أي عدم التوافق وليس الاختلاف بمعنى التضاد – وهذا الاختلاف نجده في طبيعة منشأ هذه الجماعة وظهورها في الساحة المحلية والعالمية، كما أن ثمة لختلاف – أو فرق – آخر ميّزها عن غيرها وهو الاختلاف في الأسلوب أو الوسائل الموصلة للأهداف وتحقيق الغايات، رغم أن لختلاف أسلوبها لا يبتعد كثيراً عن أساليب جماعات الجهاد التي سبقت ظهور جماعة القاعدة.

ولعل هناك من يقول: إن منهج القاعدة يختلف عن مناهج غيرها من الجماعات!! فلماذا لم تجعله أحد وجوه الاختلاف، بل وأكبرها؟! وربما وضع هذا التساؤل من باحث أو متخصص، وربما قيل من قيادات إسلامية، بل وعلماء، ليثبتوا بذلك أن منهج القاعدة وتفكيرها لا يتفق مطلقاً مع مناهج سائر الجماعات المعتدلة، والتي استطاعت أن تتعايش مع الواقع ورفضت العنف والاصطدام بالآخرين.. وجعلت الحوار وسيلة أساسية في منهجها.. وغير ذلك، مما يقال.

إن منهج القاعدة حسب ما يراه منظروّها الذي أعلنته وسارت عليه هو المنهج الإسلامي القائم على القرآن الكريم والسنة النبوية كمصدرين أساسين في التشريع، ثم بقية المصادر التي أجمعت عليها الأمة وهي الإجماع والقياس والمصالح المرسلة والاستحسان. وغيرها من المصادر على تفاصيل وشروط وضعها علماء أصول الفقه الإسلامي كضوابط لهذه المصادر واعتمادها وقبولها – غير الكتاب والسنة طبعاً – ولا نحتاج إلى أن ندلل على هذا الآن لكننا سنجد في مباحث لاحقة ضمن هذه الدراسة، كيف جعلت

(العمدة)[1] هذه المصادر أدلته على صحة آراءه الفقهية واجتهاداته[2].. ومهما قيل أو سيقال من اتهامات ومآخذ وملاحظات على القاعدة ومنهجها، إلا أن ذلك كله لا يخرج منهجها عن دائرة المنهج الإسلامي فالقاعدة سلفية التفكير والميلاد والقيادة والمنهج، رغم تجاوزاتها وشططها.. احياناً الخ مما يقال عنها، إلا أننا سنجدها معتدلة في أصول منهجها إذا ما قورنت مع غيرها من الجماعات السلفية، كجماعة السلفيين المنتسبين إلى مدرسة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي – رحمه الله – وهذا الاعتدال ليس على إطلاقه بل خاص في جوانب محددة. ويصعب أن انتقل إلى هذه المقارنة في هذا المدخل، ولكنني سأدلل عليه بعشرات الأدلة التي سيجدها القارئ منثورة فيما سيأتي بإذن الله تعالى.

إن الاختلاف بين القاعدة وغيرها من الجماعات الإسلامية ليس اختلاف تضاد وتناقض ولهذا فإننا سنجد أكثرية الأعضاء المنتمين إلى القاعدة منذ منشأتها حتى اليوم كانوا في الغالب منتمين إلى جماعة من الجماعات الإسلامية المعروفة.

إن سائر الجماعات الإسلامية لم تهمل قضية الجهاد ولم تلغه من برامجها ولم تنكر أنه من وسائلها، بل من أعظم وسائلها. لكن الفرق أن القاعدة جعلت الجهاد وسيلتها الأولى والأخيرة، وأن كل الوسائل الأخرى لا يمكن أن تحقق ما يحققه الجهاد، فالتغيير للوصول إلى دولة الخلافة الإسلامية عن طريق القتال والمواجهات وسحق الخصوم وإبادة الأعداء هو الأسلوب الأوحد الذي تتبناه القاعدة، وقد أعلن بن لادن هذا الأمر في كل محاضراته وندواته، سواءً في المملكة العربية السعودية أم أفغانستان، وقد حضر هذه اللقاءات مئات

(1) المنهج المعتمد الذي ذكرناه، وقلنا إن أسامة بن لادن أعلن أنه المنهج النظري المعتمد لدى القاعدة، كما جاء في محاضرته (الجهاد هو الطريق).

(2) وجاء في مقدمة العمدة أنه قد التزم الا ينكر قولاً أو حكماً إلا مقترناً بالأدلة الشرعية صفحة 5.

من الناس، بل بعض هذه المحاضرات كانت في أماكن تابعة للدولة، كالحرس الوطني[1] وتحت رعاية الشئون الدينية.

كما جاءت في العمدة نصوص كثيرة جداً مؤكدة لهذه القناعة، فعند (معالم أساسية في الجهاد) قال: "وسأذكر هنا إن شاء الله تعالى معالماً لما تتناول دوافع الجهاد وغايته وأهميته في قيام هذا الدين. وبعض هذه المعالم هي في حقيقتها جزء من عقيدة المسلمين تتعلق بقضاء الله تعالى وقدره، وهي معالم لابد أن يلم المسلم بها ليدرك أساس صراعه مع الكافرين، والغاية من جهاده. ويمكننا أن نسمي هذه المعالم بالعقيدة الجهادية للمسلمين.." [صفحة 253].

إن الجهاد في العقيدة الجهادية عند القاعدة – كما سماها – هو أفضل من جميع القربات والطاعات. فجاء: "والتدريب والجهاد من أفضل القربات إلى الله، وأفضل من جميع النوافل.." [صفحة 11]. ولا يفوق الجهاد سوى توحيد الله عز وجل.

أما الجهاد ومعناه عند الجماعات الإسلامية – غير الجهادية – فهو هام وضروري، وهو أحد الأساليب الهامة لنشر الدعوة.. ولكن ليس له الأولوية!!

فأمام عشرات الآيات القرآنية وعشرات الأحاديث النبوية ومئات الصفحات من التاريخ الإسلامي منذ الهجرة حتى سقوط دولة الخلافة العثمانية نجد أغلب هذه الجماعات الإسلامية تضطر إلى إضفاء معنى أو معان أخرى للجهاد حسب رأيها، فهناك الجهاد التربوي والجهاد العلمي والجهاد السياسي.. بل هناك الجهاد الفني، وكل هذه التسميات تعني جهاداً دون سلاح أو دون قتال ودماء.. بل جهاد بناء وحوار!!

(1) تحت عنوان (واقعنا المعاصر) في جدة وقصدت من هذا أن بن لادن لم يُخفِ أهدافه منذ بداية الطريق.

ولهذا فإننا نجد هذه الجماعات قد اهتمت بالجهاد، ونظرت له في كتبها تنظيراً يفوق كثيراً ما قدمته الجماعات الجهادية وبما فيها القاعدة نفسها.

فجماعة الإخوان المسلمين والتي يمكن اعتبارها أمّ الجماعات الإسلامية – الجهادية وغير الجهادية – نجدها قدمت مكتبة ضخمة اهتمت من خلالها بقضية الجهاد، فمنذ مؤسس الجماعة الإمام حسن البنا حتى يومنا يؤكد الإخوان في كتبهم أن الجهاد فرض من فرائض الإسلام وهو ذروة سنام الإسلام، وهو ماض لا يتوقف إلى يوم القيامة. وقد جعل حسن البنا الجهاد ركناً من أركان دعوته الحركية، وتمت الممارسة العملية للجهاد القتالي على أرض فلسطين في 1948م والتي شاركت فيها كتائب الإخوان المسلمين. وجاء في (مذكرات الدعوة والداعية) للشيخ حسن البنا – رحمه الله – : "والإسلام عبادة وقيادة، ودين ودولة، وروحانية وعمل، وصلاة وجهاد، وطاعة وحكم، ومصحف وسيف، لا ينفك واحد من هذين عن الآخر" [صفحة 141]، لكن هذه الجماعة قدمت معان أخرى للجهاد غير المعنى القتالي الذي لا ينفك عن حقيقة لفظ الجهاد. "ولا يحسبن أحدٌ أن الجهاد في الإسلام قاصر على الحرب والقتال، فما هذه إلا صورة من صور الجهاد العديدة – وإن كانت أوضحها وأعلاها مكانة ورتبة – بيد أنها آخر هذه الصور تحقيقاً وتنفيذاً". [الجهاد في سبيل الله لحسن البنا صفحة 5].

وقد خاطب البنا أبناء الحركة الإخوانية فقال: "أيها الإخوان أعلن لكم هذه الخطوة على صفحات جريدتكم هذه لأول عدد منها، وأدعوكم إلى الجهاد العملي بعد الدعوة القولية، والجهاد بثمن، وفيه تضحيات، وسيكون من نتائج جهادكم هذا في سبيل الله والإسلام أن يتعرض الموظفون منكم للاضطهاد وما فوق الاضطهاد، وأن يتعرض الأحرار للمعاكسة وأكثر من المعاكسة، وأن يدعى المترفون المترفهون منكم إلى السجون، وما هو أشق من السجون" [المذكرات صفحة 143].

كما أن الدكتور عبد الله عزام والذي غير قناعاته - بعد ذلك - يؤكد بأن بناء الأجيال على العقيدة والالتزام بالمنهج الرباني في بناء النفس البشرية وتربيتها تربية صالحة تبدأ بترسيخ العقيدة أولاً لتتحصل معرفة الله ويتحقق جوهر التوحيد بمعرفة حقيقة الألوهية وكذلك الصبر وتدعيم معانيه في النفوس لتقوى صلة العبد بربه.. وأنه بغير ذ لك لا تتحقق ولا تقوم دعائم الدين. وكتب أيضاً الشيخ محمد الغزالي ومصطفى مشهور وسعيد حوى وآخرون من جهابذة هذه الجماعة كتابات عديدة، داعية إلى المنهج الصحيح الذي يبدأ ببناء العقيدة وترسيخها في النفوس في كل نواحي الحياة، وأنه لا ينبغي أن تنشغل الجماعة بغير ذلك، لأنه المنهج الكفيل لقيام المجتمع المسلم. ومن هنا كان التركيز على تربية الإنسان بالدرجة الأولى روحاً وعقلاً وجسداً، ولبناء ذاته عقيدة وأخلاقاً[1]. ويمكن أن نلخص النظرية الإخوانية للتغيير بأنها دعوة إلى صياغة المسلم من خلال تحصينه بالتربية والعلم، وتقوية إيمانه بالله، وتزكية نفسه وتنقية أخلاقه... ولذلك يمكن أن نقول إن عناية هذه الجماعة بالجهاد التربوي والثقافي والعلمي والرياضي... الخ، جعلهم يؤسسون نظرية أو منهجاً خاصاً لا بد من الالتزام به والسير عليه ليصل العضو إلى الغايات ويحقق الأهداف، وليحصل التغيير السلمي الذي به تعود دولة الخلافة الإسلامية؟!

ورغم هذا التاريخ الطويل والتراث الكبير لهذه الحركة أو الجماعة والتي اهتمت بالتربية وتزكية النفوس، أقول: رغم ذلك تجد وللأسف - أن الانسحاب من صفوفها ليس على مستوى الأعضاء البسطاء - وهو كثير - بل ترى الانسحاب من قياداتها، والتنكر لها من كبارها قبل صغارها، سواءً في مصر أو بلاد الشام أو اليمن أو غيرها. وإنك عندما تتصفح كتاباً مثل (المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين) للشيخ سعيد حوى - رحمه الله -

---

(1) وكَتبَ الأستاذ سعيد حوى كتاب (جند الله ثقافة وأخلاقاً) !!

أو كتاب (فقه الدعوة إلى الله) للشيخ الدكتور علي عبد الحليم محمود [وهو مجلدان ويتكون من ألف وسبعين صفحة.]، ستخرج بقناعة لا تردد فيها بأن هذه الجماعة قد بنت الأفراد فضلاً عن القادة، وحصنتهم بحصون منيعة، كما أن الإرتقاء إلى درجة (عريف) في صفوف هذه الجماعة لايقل صعوبة عن الحصول على رتبة (جنرال) في أحد الجيوش الكبيرة التابعة لدولة من دول أوروبا!!

ولتلخيص النظرية التغييرية عند الإخوان فإننا نجدها مراحل[1]:

- المرحلة الأولى يبدأ بها العضو وتسمى (مرحلة التعريف أو التبليغ).
- ثم (مرحلة التكوين أو الإعداد والتربية).
- ثم (مرحلة الجهاد) ثم (التمكين).

ولا يمكن تجاوز مرحلة إلى مرحلة أخرى، ولكل مرحلة خصائصها وطبيعتها ومتطلباتها ووسائلها، ومداها الزمني، كما أن لكل مرحلة من هذه المراحل أولويات وبرامج!!

ولنتأمل في (مرحلة الجهاد) فهي: "حصيلة لمرحلة التكوين والإعداد، لأن الأفراد الذين أُعدوا في مرحلة التكوين وفق برنامج معين يُدخل من أُصطفي منهم هذه المرحلة للممارسة العملية والتنفيذ" فتأمل: (الذين اصطفوا) وليس الذين عاشوا وأعدوا في المرحلة السابقة، بل الذين تم اصطفاؤهم منهم.

ولهذه المرحلة الجهادية أربعة أبعاد:

- أولها: بلوغ عدد من أفراد هذه المرحلة درجة النظر (فقيه).

---

(1) من كتاب (فقه الدعوة إلى الله) للدكتور علي عبد الحليم محمود.

- وثانيها: تكوين الأفراد المتخصصين في كل مجالات العمل الإسلامي.
- وثالثها: عمق الانتماء للإسلام.
- وآخرها: الإسلام العملي.

وطبيعة هذه المرحلة الجهادية: (الجهاد – الصبر – الإصرار – كمال الطاعة – عقد البيعة بشروطها).

ومتطلبات هذه المرحلة متعددة، ومنها: في الأفراد وحركية الأفراد والخطة والمنهج وآخرها متطلبات في التنظيم.

أما وسائل هذه المرحلة: المخيم – الدورة – الكتيبة – الرحلة – الندوة. و(الكتيبة) كوسيلة من وسائل المرحلة الجهادية تعني: "تعميق الصفاء الروحي للمشاركين، وترويض هذه الأرواح المجاهدة للتخلص من الشوائب والأوضار التي تعوقها عن التقرب إلى الله" إنها كتيبة صفاء وترويض روحي وليست كتيبة عسكرية!!

والأهداف التي يتم تحقيقها في هذه المرحلة الجهادية هي:

1- تطبيق قيم الإسلام ومبادئه عملياً.
2- تعميق الروابط بين المشاركين.
3- تعميق الصفاء الروحي بين المشاركين.
4- تقوية الجوانب البدنية في الأفراد.
5- الاستمرارية في العطاء.
6- العمل على تلبية حاجات المجتمع.
7- استشراف مرحلة التمكين.

والمدى الزمني لهذه المرحلة الجهادية هو عبارة عن: عمق الإنتماء للدين وإعداد المتخصصين وسد الثغرات وبلوغ الأفراد درجة النظر. أما محتوى برنامج التنفيذ فهو: حضور كل فرد مخيماً شهرياً وحضور كل فرد عدداً من الدورات.. وهذه الدورات والمخيمات تقام لتعميق الروابط الأخوية، وللتعريف بالدورتين السابقتين، كما لها دور في المجالات الخدمية التي تقدم للمجتمع، ودورات لمعرفة طبيعة العمل في المرحلة ومتطلبات المرحلة، ودورة لتأهيل الصاعدين إلى مرحلة التمكين، ودورة رياضية لتقوية الأجسام، وللدراسة الموضوعية العلمية لأثر الرياضة في حياة الناس، على أن يتم التركيز في مرحلة الجهاد العملي على الناحية الروحية أكثر من غيرها، وكذلك دراسة فقهية مكثفة لتدريب كل عضو على كيفية استنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة النبوية.

تلك كانت ماهية الجهاد عند الإخوان المسلمين، تربية روحية، وبناء أجسام، ودراسة فقهية، وفهم الواقع، واستيعاب لمتطلبات كل مرحلة ولوازمها..

ثم تأتي مرحلة التمكين بعد تلك المراحل الثلاث: (التعريف – التكوين – الجهاد)، وهي كما عرفها الدكتور علي عبد الحليم: "تعد مرحلة التمكين ذؤابة العمل الإسلامي المنظم الهادف.. إنها المرحلة التي تمثل الثمرة الناضجة.. غير أن الجهد الذي يوصل إلى هذه المرحلة ليس بشرياً كله، وإنما يستطيع المؤمن الذي ينظر بنور الله أن يلمس أثر الله سبحانه في الوصول إلى مرحلة التمكين لدينه في الأرض.." [صفحة 705].

ولكي تتضح الصورة أكثر، قال الدكتور علي: " فالله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وهو يحب المتقين، ويحب المحسنين، ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص، ولقد وعد الله سبحانه بأن ينصر رسله، والذين آمنوا في الحياة الدنيا وفي الآخرة، أقول هذا حتى لا يغتر بعض العاملين في الحقل الإسلامي إذا وصلوا

إلى مرحلة التمكين، فيتصورون أن هذا هو ثمرة جهدهم وجهادهم، إذ الحق أن مع هذا الجهد والجهاد إرادة الله وتوفيقه.."[صفحة 705].

هذه المرحلة – التمكين – حيث يحكم الإسلام ويسود، إنها زمن دولة الخلافة الإسلامية، وتحقيق حلم المسلمين الضائع وعودة الفريضة الغائبة.

وفي إيجاز: "إن مرحلة التمكين، هي المرحلة التي يصبح فيها دين الله الإسلام مُمكناً في البشرية، تتقاضى إلى منهجه ونظامه في كل شيء" [صفحة 715 فقه الدعوة]، هكذا هي النظرية الإخوانية لكيفية الجهاد ثم الوصول إلى الدولة الإسلامية التي تحكم الناس – بل البشرية كما ذكر الدكتور – بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؟!!

بل إنها عقيدة وليست نظرية، "أما الذين يرونها بعيدة المنال، فهم على صواب طالما بقي المسلمون غير محققين لشرطي الإيمان والعمل الصالح.. وأما الذين يرونها مستحيلة ثم يأخذون في تثبيط الهمم، وفت العزائم، فهم مع حسن الظن بهم، جهلة بالإسلام، جهلة بسنن الله سبحانه في حياة البشر" [صفحة 716].

وهذه النظرية التربوية الإخوانية لا تختلف كثيراً عن رأي الجماعة السلفية لقيام الدولة الإسلامية "فلو اتجهت الأحزاب الإسلامية في خلال المدة الطويلة الضائعة لتربية الناس على الإسلام، وإقامة الدعوة إلى التوحيد، والعقيدة الصحيحة والمنهج الذي وضعه الله، وسار عليه سلف الأمة، لكانوا قد نفعوا المسلمين، وأوجدوا رجالاً مؤهلين لإقامة حكم الله في الأرض"[1].

---

(1) (تنوير الظلمات لكشف مفاسد وشبهات الانتخابات) محمد بن عبدالله الإمام.

إنها التربية والعقيدة، ولكن التربية السلفية تقوم على العقيدة السلفية ودعوة التوحيد الصحيح، وليس كتربية الإخوان المسلمين الذين يسميهم مؤسس الدعوة السلفية في اليمن، الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، (الإخوان المفلسون)[1] فلن تتحقق دولة الخلافة ولن يصل المسلمون إلى مرحلة التمكين إلا أذا كان ذلك عن طريق المنهج السلفي المعصوم.

"وأعتقد أن العصمة والأمان في المنهج السلفي، وأن أي سبيل لا يقوم على الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة، ففيه من الإنحراف بقدر بعده عن منهج السلف، وما فيه من الصواب فبقدر قربه من منهج السلف، ولو التزم بهذه المناهج أتباعها حرفاً حرفاً ما حققوا العبودية – كما يجب – لله رب العالمين، ما داموا عن منهج السلف نافرين، ولو ملكوا زمام الأمور بغير هذا المنهاج القويم، فلا أغتر بما هم عليه، لأن التمكين الذي بشر به رسول الله لا يكون إلا لمن كان على منهاج النبوة.." [صفحة 85 – من كتاب: السراج الوهاج].

وقد تناولت الرؤية السلفية للجهاد تحت عناوين لاحقة، فلا داعي للتفصيل ها هنا. وإنما أردت أن ألخص ماهيّة الجهاد، وكيفية إقامة الدولة الإسلامية عند الإخوان المسلمين، وأشرت إشارة عارضة للموقف السلفي، والذي يتفق مع رأي الإخوان من حيث التربية على الكتاب والسنة، لكن بالطريقة السلفية وليس الإخوانية؟! بالإضافة إلى الاختلاف بين معنى حقيقة الجهاد عند الإخوان وعند السلفيين، سواء الجهاديين أم غير الجهاديين.

والنظرة الإخوانية للجهاد متفق عليها، سواءٌ في بلد منشأ الدعوة الإخوانية – مصر – أو غيرها من البلدان التي انتشرت فيها دعوة الإخوان المسلمين. ولهذا تجد الأستاذ سيد قطب – رحمه الله – والذي يُنسب إليه بأنه أحد الذين أشعلوا فتيل الجهاد عند الجماعات

---

(1) انظر رسالة (البيان المفهم بالموقف السلفي من ولي الأمر المسلم) لحسن الريمي السلفي.

المتشددة، وذلك من خلال كتاباته عن الحاكمية والجاهلية والمفاصلة وغيرها من المصطلحات التي أقامت الدنيا في كتابه (معالم في الطريق) خاصة. ومع ذلك فسيد قطب يرى: "أن المسلم قبل أن ينطلق للجهاد في المعركة يكون قد خاض معركة الجهاد الأكبر في نفسه مع شيطانه.. مع هواه وشهواته.. مع مطامعه ورغباته.."[1]. [صفحة 75].

كما جاء في كتاب (الإصلاح الفكرة والمسار): "الجهاد الشرعي هو ذروة سنام هذا الدين الحنيف الخاتم. فالجهاد كلمة موجزة في مبناها، جليلة القدر في معناها، وأعلاها جهاد المرء نفسه في الله عز وجل، وحملها على الاستقامة على صراط الله العزيز الحميد.."[2]. [صفحة 141].

وقد جاء في كتاب (الإصلاح) تأكيد بأن القرآن والسنة لم يحصرا وصف الجهاد على وصف معين يمنع سواه من الأوصاف، وأن الجهاد لا يقتصر على (الجهاد الحربي)، بل هناك أنواع أخرى من الجهاد: كالجهاد السياسي، وجهاد البلاغ الدعوي، والجهاد التعليمي، والجهاد المالي والتنموي والاقتصادي، بل والجهاد الفني كذلك.

ونتيجة لهذه المنهجية في التغيير عند الإخوان المسلمين، والتي جعلت الحركة توصف بأنها: (دعوة سلفية، وطريقة سنية، وحقيقة صوفية، وهيئة سياسية، وجماعة رياضية، ورابطة علمية وثقافية، وشركة اقتصادية وفكرة اجتماعية)[3]، ولكنها ليست جماعة جهادية، بل للجهاد معان أخرى، لها الأولوية في تحقيق التمكين، لكن الغريب أن هذه الجماعة رغم منهجها التربوي العلمي الروحاني، نجدها تشارك في خوض معارك طاحنة تحتاج إلى

---

(1) (معالم في الطريق) سيد قطب.

(2) الإصلاح.. التجمع اليمني للإصلاح – الأمانة العامة. (التجمع اليمني هو امتداد لدعوة الإخوان).

(3) (مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا).

خبرات عسكرية وقتالية فائقة؛ "فكان لرجال الحركة دورهم في مؤازرة أبناء فلسطين، قبل النكبة وبعدها، وما زالت الحركة تحمل بشرف راية الإستمساك بالجهاد سبيلاً وحيداً لتحرير الأرض،كل الأرض، وإزالة الرجس عن بيت المقدس"[1].[صفحة 25].

ومن خلال حركة حماس – حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين، التابعة لجماعة الإخوان – يُمارس الجهاد القتالي ضد العدو الصهيوني لما فرضه الواقع الخاص بذلك.

كما شارك الإخوان المسلمون في عدة لقاءات حربية، من بينها المعارك التي دارت في اليمن عام 1994م، وخرجوا منتصرين بالتحالف مع الحزب الحاكم – حزب المؤتمر – وكذلك كان للإخوان في المناطق الوسطى في اليمن مواجهات عسكرية قتالية ضد الجبهة الوطنية المدعومة من السلطة الحاكمة في جنوب اليمن – قبل الوحدة اليمنية – وليس المراد جدولة المعارك الحربية لجماعة الإخوان المسلمين في اليمن أو مصر أو غيرها. فجماعة الإخوان المسلمين خاضت حروباً في اليمن وفلسطين وأفغانستان[2]، ولكنا لا نجد في منهجها وبرامجها بنوداً عن الجاهزية الحربية والتدريب العسكري، بل نجد العكس – كما ذكرنا – وبعكس جماعة بن لادن التي أعلنت الجهاد والقتال وسيلتها الكبرى والأولى لتحقيق غاياتها وأهدافها.

وإذا انتقلنا إلى مدلول الجهاد عند جماعات إسلامية أخرى ليتضح الفرق بين منهج

---

(1) (الإصلاح الفكرة والمسار)

(2) وإن كانت الجماعة قد خاضت حروبها وقامت بالجهاد، تحت مظلة السلطة الحاكمة في البلد الذي تنتمي إليه، ولم يشارك أبناء حركة الإخوان في معركة حربية في الداخل – البلدان العربية – أو الخارج – البلدان الإسلامية – إلا ضمن ما عرف بـــ (الشرعية)، أي شرعية الأنظمة الحاكمة والتي لايكفرونها كما فعل السلفيون الجهاديون وصرحوا بذلك، ولا يكفرون وسائلها ونظامها كما فعل السلفيون التابعون لجماعة الوادعي – ما خلا الأحداث الدامية التي قامت في سوريا بين السلطة الحاكمة وبين جامعة الإخوان المسلمين في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينات من القرن الماضي.

القاعدة الإسلامية وبين المناهج التي اعتمدتها هذه الجماعات وللإجابة عن: لماذا لم أجعل منهج القاعدة أحد وجوه الاختلاف بينها وبين سائر الجماعات الأخرى؟..

صحيح أن القاعدة – كما ذكرت – تختلف عن غيرها بكونها اعتمدت الجهاد وسيلتها الكبرى ولكن هذا لا يعني أننا نجعل منهجها الإسلامي مختلفاً عن مناهج غيرها من الجماعات. إننا يمكن أن نقول: تختلف القاعدة في وسائلها التي اعتمدتها للتغيير، لكن لا يجوز أن نعتبر الاختلاف في الوسيلة اختلافاً في المنهج.

إن العلماء وأئمة الإسلام يرون أن الإسلام جعل الجهاد فرضاً من فرائضه التي لا خلاف عليها، وأنه ذروة سنام الإسلام، وهو ماض ولا يمكن أن يتوقف، حتى أن الشيخ اسعد التميمي يقول: "ومن ألغى فرضية الجهاد فقد ألغى الدعوة الإسلامية، ومن أنكرها فقد كفر"[1].

وعند تتبع الكتابات الإسلامية عند سائر الجماعات الإسلامية، تقتنع بأن النظرة للجهاد ومنزلته لا تنحصر بوصفه ذروة سنام الإسلام، بل تتعدى إلى كونه حرباً عسكرية حتمية لا تزول ولا تنتهي بين المسلمين وأعدائهم، مما يفرض ويرسخ بقاء الجهاد الحربي حياً في ضمير كل مسلم باعتباره ضرورة حياتية للمسلمين. وإذا كان هناك من يئول معنى الجهاد ويصرفه عن المعنى الأصلي والحقيقي، فذلك لأسباب منها أسباب سياسية أو أسباب تكتيكية أو مصلحية.. أو غير ذلك، لكنه لا يمكن أن يلغي المعنى القتالي للجهاد.

وحتى جماعة الإخوان والتي – كما رأينا – صرفت الجهاد إلى معان أخرى، غير المعنى القتالي، لكنها لم تحذفه، بل إن بعض قادة الجماعة، في ظل الظروف العالمية الجديدة تراهم أعادوا معنى اللفظ إلى حقيقته المباشرة، فالأستاذ مصطفى مشهور في كتاباته

---

(1) انظر كتاب (زوال إسرائيل حتمية تاريخية) لأسعد بيوض التميمي، والشيخ التميمي من مؤسسي (حزب التحرير)، توفي في التسعينيات الميلادية من القرن الماضي، وهو من مواليد مدينة الخليل.

المتأخرة حول الجهاد يشير إلى أن الجهاد سيكون هو السمة الغالبة في العمل الإسلامي في الفترة القادمة من عمر الدعوة الإسلامية والتي سيعاصرها شباب الإخوان – مع الاستمرار في التربية والدعوة – وكما دعا الشباب إلى التدريب على فنون القتال وتعلم فقه الجهاد في الإسلام[1].

ونجد (الجماعة الإسلامية) في الباكستان – لاهور – عام 1941م. ومؤسسها هو الشخصية الإسلامية المعروفة الأستاذ أبو الأعلى المودودي، والذي يقول: "فالجهاد كلمة جامعة تشمل جميع أنواع السعي وبذل الجهد.. وإذا عرفت هذا فلا يعجبك إذا قلت إن تغيير وجهات أنظار الناس وتبديل ميولهم ونزعاتهم وإحداث إنقلاب عقلي وفكري بواسطة مرهفات الأقلام نوع من أنواع الجهاد، كما أن القضاء على نظم الحياة العتيقة الجائرة بحدِّ السيوف وتأسيس نظام جديد على قواعد العدل والنصفة – أيضاً – من أصناف الجهاد)[2].

وفي كتابه (منهاج الإنقلاب الإسلامي) يجعل التغيير حصيلة تفاعل عدة أسباب أخلاقية ونفسية وعمرانية وتاريخية.. ورغم أن المودودي وجماعته الإسلامية يقوم برنامجها الإصلاحي التغييري على إصلاح الأفكار وتزكية النفوس وإصلاح المجتمع وإصلاح نظام الحكم المعتمد على التبليغ دون العنف، لكنها دعوة أشبه بالتعبئة العامة للمسلمين في كل الميادين، كما أن غايتها الكبرى هي إقامة الدولة الإسلامية ولذا رأينا فصائل من أتباع هذه الجماعة الباكستانية دخلت في صراعات ومصادمات، وهم الذين عناهم مؤسس الجماعة بقوله "إن من السهل عليهم أن يتقبلوا الرصاص في صدورهم من أجل أي عمل فوضوي، إلا أنهم ليسوا على استعداد للقيام بعمل يستلزم الصبر[3]. كما

---

(1) انظر (الجهاد هو السبيل – مصطفى مشهور).

(2) انظر (الجهاد في سبيل الله – للمودودي).

(3) انظر كتاب (أبو الأعلى المودودي – فكره – ودعوته) أسعد جيلاني.

يجب ألاّننسى أن جماعات الجهاد المصرية قد اعتمدت على كتابات سيد قطب وأبي الأعلى المودودي كمراجع فكرية لتأصيل فكرة المواجهة والمصادمة مع الأنظمة الحاكمة.

وكذلك لو انتقلنا إلى (حزب التحرير الإسلامي) والذي أسسه الشيخ تقي الدين النبهاني[1]. نجد أنه حزب إسلامي سياسي يسعى نحو التغيير وإقامة الدولة الإسلامية ولكن بأسلوب يختلف عما سبق – منهج الإخوان ومنهج الجماعة الباكستانية – فالتغيير لا يحصل بإصلاح الفرد، ولكن بإصلاح أفكاره ومشاعره، فهو يعتمد (إصلاح الفكر) وذلك أن الفكر هو (الجدار الخارجي) الحائل دون حصول التغيير الإسلامي، فإذا صلح الفكر، يحصل عندئذ (صراع فكري) يؤدي إلى إحداث (انقلاب فكري) ثم (انقلاب سياسي)، فتتسلم الأمة الإسلامية زمام الحكم بقيام الدولة الإسلامية!! إن أسلوب هذه الجماعة يذكرني بالمنهجية الماركسية – رغم اختلاف العقائد – والقائمة على مبدأ (الحتمية التاريخية) وفكرة الديالكتيك في التغيير.

إن منهجية هذه الجماعة رغم اعتمادها على التثقيف والعمل الثقافي والصراع الفكري، لكن هذا لا يبعدها عن جوهر المعنى القتالي الذي تعنيه كلمة (جهاد) فهي كغيرها[2] لقيت أذى شديداً ومواجهة عنيفة من حكام البلدان التي تتواجد فيها، بل وقد حُكم بالإعدام على بعض قياداتها كالشيخ أحمد الداعور[3] الذي كان أميراً للجماعة في الأردن إثر محاولة انقلابية للاستيلاء على الحكم، كما تمت محاكمة عددٍ من أعضاء هذه الجماعة

(2) الشيخ تقي الدين النبهاني ولد في بلدة اجزم من أعمال حيفا أعلن عن إنشاء الحزب عام 1953م. توفى في بيروت عام 1972م.

(2) وقبلها جماعة الإخوان الذين تعرضوا للاضطهاد والتعذيب والمعتقلات رغم تبنيهم النظرية التربوية وإعادة صياغة الإنسان والمجتمع صياغة إسلامية شاملة والمشاركة في الانتخابات النيابية والعمل الاجتماعي.

(3) عملياً لم ينفذ حكم الإعدام بالشيخ الداعور.

في مصر بتهمة العمل على محاولة قلب نظام الحكم، وحكم بالإعدام فعلياً على عدد كبير من أعضاء حزب التحرير في ليبيا في الثمانينات من القرن الماضي.. فكل تلك المنهجية الثقافية والفكرية التي أعلنتها الجماعة لم تلبث أن تحولت في وقت قصير إلى جهاد قتالي وصراع دموي!!

إن هناك الكثير من الجماعات والحركات التي تختلف آراؤها في عملية التغيير، فمن دعوة إلى أولوية العمل الثقافي وأخرى تعتمد العمل السياسي وغير ذلك من الوسائل السلمية والمشروعة، وكلها تعلن استبعاد العنف وعدم مصادمة السلطات الحاكمة – عدا جماعات الجهاد – لكنها جميعاً بما فيها الجهاد – بالطبع – ترفع راية إقامة الدولة الإسلامية وبالتالي تبدو للآخرين كثورات تغييرية وحركات انقلابية كونها تعتبر نفسها بدائل جديرة بقيادة الأمة وباستلامها للقيادة لتسود عدالة السماء، وتتحقق المساواة بين بني البشر لأنها تحكم بشريعة الله إذن فلا يمكن اعتبار منهج القاعدة أحد الفروق بينها وبين الجماعات الإسلامية الأخرى، لأن مناهج كل الجماعات والحركات الإسلامية – بما فيها القاعدة – هي واحدة ومشتركة عند الجميع.

وإذا عدنا إلى نقطة البداية، حيث ذكرت أن القاعدة تختلف عن غيرها من الجماعات الإسلامية من حيث طبيعة المنشأ وكيفية ظهورها في الساحة المحلية والدولية، وذلك لأن الجماعات الإسلامية نراها قد انبثق بعضها من بعض، وتفرع اللاحق عن السابق.

إن جماعة الإخوان المسلمين تمثل منبعاً أساسياً لكثير من الجماعات في الساحة العربية والإسلامية، بما فيها جماعات الجهاد المصرية وغير المصرية، بل وجماعة التكفير والهجرة – المسلمون، كما سمُّوا أنفسهم – فجماعة الجهاد المصرية[1] التي قادها

---

(1) وهي جماعة (شباب محمد) كما عُرفت إعلامياً باسم (الفنية العسكرية) بسبب قيامها في 1974م بالهجوم على الفنية=

الدكتور صالح سرية (الفلسطيني الأصل) الذي كان عضواً في تنظيم الإخوان المسلمين في الأردن، وجماعة التكفير والهجرة أو (المسلمون) مؤسسها وأميرها شكري مصطفى الذي كان عضواً في جماعة الإخوان المسلمين أيضاً.

إن التفرع أو التوالد الذي أعنيه لا يقتضي أن تكون جماعة الإخوان المسلمين هي الحاضن لهذه الأفكار والجماعات التي تفرعت عنها، بل المقصود هو أن هذه الجماعة (الإخوان المسلمون) هي القنطرة التي عبر من خلالها مؤسسو تلك الجماعات والأحزاب[1]. كما أنها الأرضية التي قام على أساس تجربتها، ونبتت في تربتها التنظيمات الأخرى، ثم تبنت قناعات تصادم على أساسها المجتمعات والحكومات، بل والجماعات الإسلامية الأخرى وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين خاصة لعدم تبنيها مبدأ العنف والمواجهات الصدامية وكذلك لقبول جماعة الإخوان مبدأ العمل السياسي من خلال القنوات القانونية والتعددية الحزبية.

فالخلفية التاريخية التي نشأت عليها جماعة الإخوان المسلمين في مصر، هي المنطلق الذي قامت على أساس تجربتها وأفكارها التنظيمات الأولى للحركات الإسلامية المعاصرة في المغرب العربي ومنها: (الشبيبة الإسلامية) في المغرب و(الجماعة الإسلامية التونسية) و(الجماعة الإسلامية) في الجزائر. وبصفة عامة، لا يمكن الفصل بين ظهور هذه الحركات الإسلامية وبين تجربة الحركات الإسلامية خاصة تنظيم الإخوان المسلمين[2].

ومن مسلسل هذه التفريعات في الجماعات الإسلامية، رأينا الجماعة الإسلامية والتي

=العسكرية في مصر.

(1) ومن هؤلاء الشيخ محمد سرور زين العابدين والذي أسس جماعة سلفية سياسية وسميت (السرورية) ويطلقون على أنفسهم أهل السنة والجماعة.

(2) راجع ما كتبه الأستاذ فتحي يكن عن الحركات الإسلامية المعاصرة في المغرب العربي.

أسسها راشد الغنوشي وعبد الفتاح مورو تفرع عنها (حركة الإتجاه الإسلامي) ثم تحول هذا الكيان الجديد إلى ما عرف بـــ (حركة النهضة التونسية) في عام 1988م ثم شهدت هذه الحركة انقسامات سياسية وتنظيمية. كما تفرع عن (الجماعة الإسلامية) تنظيم آخر عرف بـــ (الإسلاميون التقدميون).

وفي الجزائر كانت (الجبهة الإسلامية للإنقاذ)،: والذي يمثلها الشيخ عباس مدني، ونائبه الشيخ علي بلحاج ، والثاني الذي تزعمه عبد القادر المغني تحت اسم (جند الله) وهو تيار تبنى دعوة العنف السياسي لتحقيق الدولة الإسلامية.

وهناك إتجاه آخر الذي قاده الشيخ عبد القادر حشاني. كما تعتبر (حركة المجتمع الإسلامي) الجزائرية أو(حماس) هي امتداد لحركة الإخوان المسلمين والذي كان يقودها الشيخ محفوظ النحناح رحمه الله. وكذلك (حركة النهضة الإسلامية) الجزائرية، وتعود أصول هذه الحركة إلى (الجماعة الإسلامية) التي تأسست عام 1974م في قسنطينة، وفي ديسمبر 1988م تحولت الجماعة الإسلامية إلى (حركة النهضة والإصلاح) بزعامة الشيخ عبد الله جاب الله. وكذلك (جماعة الجهاد الإسلامي) الجزائرية تشكلت على نمط حركة الجهاد المصرية وتبنت نفس أفكارها، وبعد مصادمات هذه الجماعة مع السلطة الجزائرية وفي عام 1988م تحول أكثر أعضاءها إلى إطار (الجبهة الإسلامية للإنقاذ).

وفي المغرب: نجد (حركة الإصلاح والتجديد [حاتم])، تعتبر إحدى انشقاقات (منظمة الشبيبة الإسلامية)، والتي أسسها عبد الكريم مطيع عام 1969م بصفتها (جمعية دينية خيرية)، ثم تحولت إلى منظمة صادمت السلطة المغربية. وكذلك خرجت عدة مجموعات إسلامية من تحت عباءة (جماعة العدل والإحسان) التي تزعمها الشيخ عبد السلام ياسين في المغرب.

وكذلك الحال في كثير من بلدان العالم العربي والإسلامي حيث تتوالد الجماعات وتحصل الانشقاقات والتفرعات، فتظهر تنظيمات وتنشأ حركات.. بل أن الجماعة السلفية في اليمن والتي استنكرت على غيرها ما يحصل من انشقاقات قد ابتليت هي الأخرى بما عابته على غيرها. فالجماعة السلفية التي أسسها الشيخ مقبل بن هادي الوادعي تفرع عنها بعد خلاف فقهي اتجاه أنشأ ما عرف بـــ (جمعية الحكمة اليمانية) والتي تضم أكبر العناصر السلفية المعروفة في الساحة اليمنية، ثم تفرع عن ما بقي من الجماعة السلفية فرع آخر وهي الجماعة التي تزعمها الشيخ أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني، والذي جعل من مدينة مأرب مقراً لدعوته وجماعته، حيث أسس فيها دار الحديث على غرار الدار التي أسسها الوادعي في قريته (دماج)، واعتبر الشيخ يحيى الحجوري ومحمد بن عبد الوهاب الوصابي ومحمد الإمام وعبد العزيز البرعي وغيرهم يمثلون الجماعة السلفية التي بقيت على آثار وطريقة الشيخ الوادعي، وحملوا رايته بعد وفاته، ودارت بين هذه المجموعات والتيارات السلفية حروباً فكرية طاحنة، وقد ذكرت شيئاً من ذلك في مبحث (السلفيون بين المعارك الفكرية والمعارك القتالية) في هذه الرسالة.

وجماعة الإخوان المسلمين والتي أسسها الشيخ حسن البنا – رحمه الله – والذي أثَّر بدعوته ليس على العرب من المسلمين بل وغير العرب، وأكاد أجزم أنَّ على فكره وخطه تأسست أغلب التنظيمات والجماعات الإسلامية في العالم كله – سواءً قربت أم بعدت من حقيقة فكره – فقد كتب الأستاذ محمد الحسني رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي بالهند: (حسن البنا في محراب التاريخ الإسلامي): "هذا الاسم الذي دوى في بلاد العجم وعواصمها، كما دوى في القاهرة الزاهرة، ودمشق الفيحاء. واعترف بلمعانه الأصدقاء والأعداء على السواء. هذا الاسم الذي كسب حامله ود الشبان والشيوخ، والرجال والنساء

في العالم الإسلامي كله من غير استثناء"[1]. وإذا أردنا الاستشهاد على ذلك لنقلنا عشرات النصوص والشواهد التي امتلأت بها مؤلفات وإصدارات قادة ومؤسسي الجماعات الإسلامية ولكن أكتفي بما سبق كشواهد على ما نحن بصدده.

أما طبيعة منشأ جماعة الجهاد – القاعدة – فإنها تختلف عن تلك الصور التي عرفناها في سائر الجماعات والتنظيمات الإسلامية، فالقاعدة لم تتفرع عن غيرها، لا من خلال انتماء مسبق لقائدها لإحدى الجماعات، ولا من خلال انفصال فصيل أو مجموعة من الأعضاء عن جماعة وتكوين تنظيم آخر.. كما رأينا عند انفصال بعض أعضاء الإخوان المسلمين وتكوين تنظيم مستقل كتنظيم الجهاد الإسلامي في مصر، وكحالات التفرعات والتوالد التي جرت في تونس والجزائر والمغرب وغيرها من البلدان.

فقائد القاعدة ومؤسسها أسامة بن محمد عوض بن لادن، والذي نشأ في ظل أسرة محافظة وملتزمة بتطبيق التكاليف الشرعية والأخلاقية، كما أنها أسرة عظيمة الثراء وقد أكمل أسامة دراسته الابتدائية والثانوية والجامعية في المملكة العربية السعودية، وقد عايش وأطلع على أنشطة التيارات الإسلامية، وتعرف على كثير من كبار علماء العالم الإسلامي، لكنه مع ذلك لم يعرف عنه أي انتماء إلى أي تنظيم أو جماعة!!

فجماعة الإخوان المسلمين كانت – ولا زالت – متواجدة في المملكة وإن كانت تعمل بسرية شديدة، إذ لا يعرف لها نشاط علني كما هو الحال في مصر والأردن. أما السلفيون فهم لا يؤمنون أصلاً بشرعية التنظيمات والجماعات، خاصة في المملكة العربية السعودية واليمن. وأما جماعة جهيمان فلم تكن جماعة بما تعني الكلمة، أي أنها ليست تنظيماً، فليس

(1) (الإسلام الممتحن) للشيخ محمد الحسني – ابن أخ العلامة أبي الحسن الندوي – صفحة 250.

عندها بيعة ولا أمير مطاع ولا برامج[1]، وليس عندها أي مقوم من مقومات التنظيمات والجماعات، وقد أفردت هذه الجماعة بدراسة في هذه الرسالة، وستأتي في موضعها إن شاء الله تعالى وقد عرف – أيضاً – عن الذين نجو من التورط في أحداث الحرم كالشيخ مقبل الوادعي الذي أخرجته المملكة إلى اليمن قبل الأحداث، عُرف عنه معارضته لأي نوع من أنواع التنظيمات أو الجماعات، بل حتى الجمعيات الإسلامية، فهو لايرى مشروعية العمل تحت بيعة وأمير وبرنامج، ويحكم ببدعية مثل هذه التجمعات، وسوف تتضح الصورة أكثر في صفحات لاحقة من هذه الدراسة عند تناول الاتجاه السلفي بالدراسة والبحث أكثر.

ورغم كل تلك الظروف التي أحاطت بأسامة منذ نعومة أظفاره، نجده لم يُعرف عنه انتماء لأي جماعة من الجماعات الإسلامية، وإن كانت له علاقات طيبة مع قادة تلك الجماعات الإسلامية وأتباعها.

وثمة فرق آخر ضمن طبيعة المنشأ، إذ سائر الجماعات والتنظيمات تتصف بالطابع المحلي من حيث جنسيات الأعضاء، فأعضاء أي جماعة تكون جنسياتهم متفقة غالباً حسب البلد الذي توجد فيه الجماعة، فجماعة الإخوان في مصر أعضاؤها مصريون، وفي الشام شاميون – وهكذا – ولا اعتبار لعدد قليل من جنسيات أخرى في بلد لا ينتمون إليه نشأةً وأصولاً، أما جماعة القاعدة فهي منذ بداياتها حتى يومنا تجد أعضاءها وقياداتها من شتى أقطار العالم، ففيهم السعودي والمصري واليمني والجزائري واللبناني والعراقي والليبي والباكستاني والأندنوسي.. وغيرها من جنسيات العالم، سواء العربي أم غير العربي، إنها

---

(1) أما قيادة جهيمان للجماعة عند دخول الحرم، فهي لكونه أكثرهم أهلية وحماساً.. ولهذا أعلن جهيمان بعد احتلال الحرم أن البيعة للمهدي محمد بن عبد الله القحطاني – صهره – هي اختيارية وليس إجبارية، ولم تكن للجماعة بيعة من قبل.

أكبر خليط من جنسيات العالم تجمعت ولأول مرة تحت قيادة واحدة، وجماعة واحدة، وإن اختلفت النسبة العددية من بلد إلى آخر.. تلك حقيقة تؤكدها الأحداث ويؤيدها الواقع، فصفة الشمولية[1] والعالمية من أبرز ملامح هذه الجماعة، حيث توافر لها من الأسباب ما لم تتوافر لغيرها، لكونها قامت وتكونت نتيجة تدفق أعداد كبيرة من أغلب بلدان العالم – تقريباً – لتجتمع على طريق واحد وهو (الجهاد) ولتحقق هدفاً واحداً وهو (نصرة الدين وإخراج العدو الكافر من الأراضي الإسلامية)، وعاشت فوق أرضية مشتركة واحدة، فتجمع لها من أسباب القوة والتماسك والموالاة ما لم يكن يحلم به مؤسسوها.. إنها – القاعدة – صنيعة العالم بأسره، حيث أسهم أكثر بلدان العالم في خلق هذا المولود، وكانت معاناة ومتاعب كل بلد من البلدان، بمقدار مساهمته في الدعم والتأييد سواء المباشر أم غير المباشر.

فالولايات المتحدة الأمريكية ساهمت بشكل أو بآخر في التعجيل في ولادة هذا الكيان، فكان نصيبها منه الحظ الوافر!! وكذلك بريطانيا، والبلدان العربية والإسلامية أيضاً!! فتأمل هل نصيب السعودية واليمن ومصر – مثلاً – كنصيب غيرها من البلدان العربية؟! وهل ما أصاب دولة الباكستان كالذي أصاب إيران.. الخ. فبمقدار المساهمة كانت النتيجة والمعاناة.

صحيح أن الجنسيات العربية هي الأكثر في هذا التنظيم – وهذا شيء طبيعي – ولهذا فإن الأعمال الكبرى والتكاليف الأخطر يقوم بها العنصر العربي، كما رأينا في الحادي عشر من سبتمبر جنسيات عربية من عدة دول مختلفة.

إن هذا التنوع والاختلاف في جنسيات الأعضاء أعطى للتنظيم من الحصانة والمناعة

---

(1) وليست الشمولية التي تعرف بها التنظيمات الديكتاتورية.. بل ما تحمله الكلمة من معنى جامع.

ما أهله للصمود في أصعب الظروف، ومما جعل مسألة محاصرته والقضاء عليه قضية صعبة المنال. فإذا كان العالم قد انقسم في الحرب العالمية الأولى والثانية إلى معسكرين متقاتلين، فإن العالم بأسره ولأول مرة يقف صفاً واحداً ومعسكراً واحداً وقوة واحدة، وبقيادة أكبر قوة عسكرية وتكنولوجية في العالم وهي الولايات المتحدة الأمريكية، ويحشد إمكانياته وطاقاته البشرية والعلمية.. الخ كل ذلك لمحاربة هذا التنظيم والقضاء عليه!! ولم يستطع فعل ذلك حتى ساعتنا هذه. فزعيم القاعدة يخرج إلى العالم مع شريكه ونائبه – الظواهري – وهما يخطران بخطى ثابتة، متحديان الدنيا بأسرها، وليقولا للعالم كله نحن هنا؟!!

إن عالمية القاعدة من حيث المنشأ جعلها كالأب الروحي والمظلة لكل التنظيمات الجهادية، التي جعلت القاعدة مرجعيتها وملاذها. فليس مستغرباً أن يعلن زعيم لتنظيم جهادي في العراق أو الشام أو مصر أو السعودية أو غيرها ولاءه ومبايعته وطاعته لقائد تنظيم القاعدة. بل حتى الذين لم يعلنوا بيعتهم للقاعدة متمثلة بقائدها ابن لادن، فإن أعمالهم ونشاطاتهم تدخل في الإطار العام للقاعدة، وتسجل تلك الأنشطة في حسابات القاعدة ضمن أعمالها وإنجازاتها. وإن لم تكن القاعدة قد نفذتها. وقد رأينا كثيراً من الأحداث كالتي حصلت في الصومال والإنفجار في الرياض، وكالانفجارات التي هزت مدينة الخبر السعودية في يونيو عام 1996م، والتي أودت بحياة عشرين عسكرياً أمريكياً وجرح المئات، حيث لم يعلن أسامة بن لادن أي مسئولية له عن هذه الأحداث، لكنه استخدم أسلوباً يكشف من خلاله تأييده وسعادته بتلك الأنشطة والتفجيرات، وإن لم يؤكد تبنيه لها مباشرة.

وكذلك هناك اختلاف – أو فرق – يمكن أن نرصده ضمن الاختلاف في طبيعة المنشأ بين القاعدة وبين الجماعات الجهادية، ذلك أن تنظيم القاعدة دخل غمار المعركة مع أعداءه منذ الأيام الأولى من نشأته، بل يمكننا القول إن مواجهة القاعدة لأعدائها سبق تكوينها، ذلك أن الأعضاء على كافة مستوياتهم، قادة وقواعد، تم استقطابهم وتكونت

خلاياهم الأولى من خلال ميادين المعارك ومواقع القتال، الأمر الذي لم يُتحْ لأي جماعة جهادية من قبل، إذ أن كل الجماعات الجهادية التي تشكلت في العالم العربي والإسلامي، إنما تم فرزها واستقطابها من واقع يختلف عما أتيح للقاعدة فأي جماعة جهادية لابد أن يكون أعضاؤها، بل وقادتها – أيضاً – قد عاشوا فترة زمنية – طالت أم قصرت – يتربون ويتهيئون في برامج تربوية وتعليمية وأخلاقية.. يتم فيها تقوية العقائد الإيمانية وغرسها في النفوس لتتهيأ لمراحل أكبر – كما رأينا فيما ذكرته عن جماعة الإخوان المسلمين سابقاً – وقد يقال وكذلك أعضاء القاعدة أو أغلبهم لابد أنهم عايشوا جماعات إسلامية تربوا في أحضانها ثم انتقلوا إلى تنظيم القاعدة!! هذا صحيح. ولكن يختلف الأمر بأن هؤلاء تغيرت أحوالهم وانضموا لتنظيم لا صلة لهم به من قبل، إذ لم يكن موجوداً أصلاً. ثم إن الذين ينتقلون إلى أي جماعة جهادية بعد قضاء فترة في جماعة لا تتبنى الجهاد القتالي والعنف منهجاً أساسياً، تجد تحولهم وانتقالهم إلى الجهاد نتيجة ظروف مرت بهم وغيرت قناعاتهم كما حصل مع بعض أعضاء الإخوان المسلمين الذين أدخلوا السجون والمعتقلات فخرجوا ليؤسسوا جماعات عنف وربما تكفير.. أما القاعدة فالتجربة التي مر بها أتباعها فهي تختلف تماماً عن هذا الحال من عدة جوانب، منها: الحالة المشار إليها وهي المعاناة والتجربة القاسية من التعذيب والتنكيل الجسدي والنفسي، وكذلك ردة الفعل لهذه المعاناة لم تكن لتدفعهم إلى عدم الاتزان والعشوائية كما حصل في جماعات الجهاد التي قامت بالمواجهة مع الحكام دون الإعداد والاستعداد المطلوب لهذه المواجهات، وقامت أيضاً بعمليات اغتيال لشخصيات لها ثقلها في المجتمعات العربية والإسلامية، كاغتيال الدكتور رفعت المحجوب 1990م، والدكتور فرج فودة 1992م، وقبل ذلك اغتالت الرئيس المصري أنور السادات في 1981م، والأغرب من ذلك أن يتم اختطاف العالم الدكتور الشيخ محمد حسين الذهبي وقتله – وكان وزيراً للأوقاف في مصر – من قِبَل جماعة

شكري مصطفى والمعروفة بجماعة التكفير والهجرة، أو جماعة (المسلمين) كما يطلقون على تنظيمهم. وغير ذلك مع الأعمال والتصرفات التي واجهوا بها المجتمع المسلم كله، قبل مواجهة أعداءهم وهم الحكام والسلطة الحاكمة الذين حكموا بكفرهم، لأنهم بدلوا شرع الله وخرجوا عن ملة الإسلام. ولم يواجهوا السلطات الحاكمة وحسب بل شنوا حملات عنيفة على الجماعات الإسلامية العاملة في الساحة، وعلى رأسهم جماعة الإخوان المسلمين. لكن جماعة القاعدة لم تقع في هذه المزالق، فهي لم تواجه الحكام والسلطات العربية والإسلامية إلا بعد أن اشتد عودها وقويت شوكتها. صحيح أن بن لادن كان يهاجم دولاً عربية وإسلامية. لكن هذا الهجوم كان شفوياً، ويقال في المحاضرات بتصريح أحياناً وتلميح أحياناً، فمثلاً:

كما كان يعلن كفر وارتداد الحكومات البعثية في العراق وسورية، لأنها جعلت البعثية ديناً لها بديلاً عن الإسلام – كما قال – وكان يعلن كفر وارتداد السلطة الحاكمة في اليمن الجنوبي قبل الوحدة اليمنية في 1990م.

وكذلك حكم بكفر دولة لبنان التي يحكمها النصارى، وأيضاً كفر جمهورية إيران الإسلامية لأنهم روافض[1]. وقد جاء ذلك في محاضرته بعنوان: (واقعنا المعاصر) والتي أقيمت في المملكة العربية السعودية، وتحت إشراف ورعاية الشئون الدينية في الحرس الوطني. فيذكر أسامة بن لادن أنه قد حصلت ردة في عصرنا الحاضر لم تحصل من قبل، حتى بعد وفاة النبي ﷺ كذلك (.. لكن ردة اليوم أكبر وأوسع. لأنهم خططوا لذلك... خطط لها الكفر العالمي منذ عشرات السنين، الكفر العالمي شرقيِّه وغربيِّه، حتى أنهم ذكروا في

---

(1) هذا الحكم بتكفير الشعية وتسميتهم رافضة، تتجلى فيه التربية السلفية عند ابن لادن ومجموعاته. إذ أن تيار السلفية بشكل عام يغلب عليهم تكفير الشيعة الاثنى عشرية .

مذكراتهم أن آخر ما يغزون بلاد الحرمين. أحاطت اليوم الردة ببلاد الحرمين إحاطة السوار بالمعصم.. في شرقكم كفر بواح يريدون الحكم بالرافضية – يعني شيعة إيران – ثم الذي يلونهم، شعاراتهم: أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة. وحدة، حرية، اشتراكية. كفر بواح، يصرحون بكفرهم ويطمعون في أن يحكموا بلاد الحرمين!! البعثيون الغادرون لا يوفون بعهودهم – ويعني حكومة صدام – ثم الذين يلونهم على شاكلتهم – يعني سورية – ثم الذين يلونهم نصارى يريدون حكم بلاد الإسلام – يعني دولة لبنان – ثم الذين يلونهم يهود، لا يخفاكم تهديدهم بالاعتداء على هذه البلاد. وفي جنوب الجزيرة كفر بواح – يعني اليمن الجنوبي – حكموهم بالشيوعية، وكتبوا على الجبال [لا صوت يعلو فوق صوت الحزب]).

فلم تخرج ولم تتعد هذه القناعات مستوى اللسان والإعلان. ولم تشهد البلاد العربية والإسلامية أعمالاً جهادية بمختلف أشكالها إلا في وقت متأخر، ولكن الجماعات الجهادية الأخرى أعلنت وواجهت في وقت واحد، وكذلك لم يواجه تنظيم القاعدة غيره من الجماعات الإسلامية، ولم يحكم ببطلان بيعتها وعدم مشروعية الطاعة والالتزام لأمراء هذه الجماعات. بل كان له موقف يختلف تماماً عن جماعات الجهاد المتسرعة. كما كان موقفه – أيضا – أحد الملامح التي ميزت هذا التنظيم الجهادي السلفي الأساس والتأسيس عن الجماعات السلفية قاطبة، والتي نالت من انتقاداتها ومحاربتها الجماعات الإسلامية أكثر مما نالته غيرها من التنظيمات – غير الإسلامية – ولذلك فصل مستقل إن شاء الله.

ثم إن هذه الجماعات الجهادية لم يكفر كل تنظيم منها السلطة التي يواجهها فحسب؛ بل حكم بعضهم بردة الجميع[1]، لكن بن لادن وجماعته لم تكفر – كما ذكرت – إلا القليل

---

(1) جاء في نشرات المجاهدين في مصر: (حال مصر يتخلص في أربع عبارات: حكومة كافرة، وطائفة مرتدة، وشعب

من الحكومات، أما أكثر الدول العربية والإسلامية فلم يتعرض لها التنظيم – في بدايته – بخير أو شر، بل لقد عرض بن لادن مساعدته ودعمه للحكومة السعودية بعد دخول القوات العراقية واجتياحها لدولة الكويت، حيث أبدى استعداده لاستقدام المجاهدين الذين خاض معهم الجهاد في بلاد الأفغان، للدفاع عن أرض الحرمين وإخراج المعتدي – الكافر – من بلاد المسلمين.

إن تنظيم القاعدة تدرّج وتسلسل في الكشف عن عداواته ومواجهاته، فانتقل من مواجهة دولة عظمى – الاتحاد السوفيتي – شكلت أحد قطبي القوى العالمية مع أمريكا سابقاً إلى مواجهات الحكام المحليين – عرباً ومسلمين – كما جاء في (العمدة)، ما يؤكد ما يعلنه بن لادن، حيث يقول: "وكون جهاد هؤلاء الطواغيت فرض عين، هو من العلم الواجب إشاعته في عموم المسلمين، ليعلم كل مسلم أنه مأمور شخصياً من ربه سبحانه بقتال هؤلاء.." [صفحة 279].

"وقتال المرتدين الممتنعين مقدم على قتال الكفار الأصليين، لأن المرتد أعظم جناية في الدين وأشد خطراً.. وهذا كشأن الحكام الذين يحكمون بغير شريعة الإسلام، فهؤلاء كفار.." [صفحة 276].

فتأمل! رغم كونه حكم بوجوب جهاد الحكام، وأن قتالهم مقدم على غيرهم، لكن الجماعة تعاملت مع هذا الاجتهاد المتفق عليه بينهم بمرونة وحصافة، مراعية أولويات الواقع!! بعكس غيرها من الجماعات الجهادية التي تعاملت مع النصوص والأدلة التي استنتجت منها فقه الجهاد بصورة جامدة، وتقوقعت في اجتهادها ولم تستطع تجاوزه، فحُكمهم بجاهلية المجتمعات وكفر الحكام وتعطيل الشريعة وغيرها، دفعهم للمواجهة وإباحة

تائه، وشباب مسلم حائر).

دم كل حاكم يحكم بغير شرع الله. فكان من الذين واجهوهم: العلماء المسلمون، الذين أنكروا عليهم ما يرونه وما يدعون إليه من الإصلاح، الذي يبدأ بضرب الحاكم وتغيير أجهزة الحكم، لأن الإصلاح والتغيير يجب أن يبدأ في البيت والشارع والمدرسة.. وكتب العلماء والدعاة كتابات عديدة يستنكرون فيها سلوك سبيل الانقلابات والاستيلاء على السلطة بالقوة، وسردوا مخاطر إتباع هذه الطريق على الحركة الإسلامية خاصة والمسلمين عامة.

لقد واجهت الجماعات الجهادية الحكام والعلماء والمجتمعات الإسلامية معاً، أما زعيم القاعدة فإنه يلجأ إلى استخراج الفتاوى الشرعية من العلماء لتأييد مساعيه، فعندما رفضت الحكومة السعودية مساعدته وجماعته في حرب الخليج، واستعانت بالقوات الأجنبية، لم يفقد أسامة توازنه ليعلن مواجهة الحاكم المرتد كما هي عقيدته في موضوع الاستعانة بالمشركين وموالاة الكفار، لكنه سارع إلى استخراج فتوى من العلماء، وعلى رأسهم الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ليتمكن من خلالها من إعلان النفير العام لكل مجاهد ليذهب إلى أفغانستان لينال التدريب العسكري، ويعيد لملمة فلول جماعته التي تفرقت بعد خروج الروس، وعادت إلى مواطنها وبلدانها التي جاءت منها. فلو فقد بن لادن توازنه وانجر خلف غضبه وشَغَلَهُ حماسه، وقام بالمواجهة في المملكة منتهزاً الفرصة التي بدت ملائمة، ومناسبة حيث انشغال الحاكم بما يحدث متمثلاً بالخطر العراقي، لو حصل ذلك لما كان اليوم تنظيم القاعدة كياناً شغل العالم، وأقلق قادة الدول الكبرى وزعماءها!!

لقد ابتدأ تكوين هذه الجماعة بشرعية وإجماع علماء المسلمين، حيث كان التوافد إلى أفغانستان لقتال الكفار متفق عليه، ثم أعاد لملمة صفوف الجماعة بفتوى عالم كبير من علماء المسلمين – الشيخ ابن عثيمين – وفي نهاية عام 1997م نجح في الحصول على فتوى من أكثر من أربعين عالماً من علماء باكستان وأفغانستان، ليستعيد نشاط جماعته

وتأكيد شرعيتها في قتالها ضد القوات الكافرة التي دخلت جزيرة العرب، وبهذا استطاع أن يقوم بتجييش أبناء البلدان العربية والإسلامية، بل وتجييش عدد من علماء المسلمين ضد الوجود الأمريكي في جزيرة العرب. وحتى عندما أعلن عن (الجبهة الإسلامية العالمية) كان هذا الإعلان مبنياً على فتوى شرعية وقَّع عليها عدد من قيادات الجماعات الإسلامية من البلدان العربية والإسلامية.

ولكن بعد تطور المواجهة واكتمال بنيان القاعدة[1]، أعلن زعيم القاعدة أن العالم قد أنقسم إلى فسطاطين لا ثالث لهما: فسطاط إيمان لا كفر فيه، وفسطاط كفر ونفاق. إذ المواجهة والجهاد بعد غزو الأمريكان للعراق وأفغانستان ليست بحاجة إلى فتوى من العلماء، وشرعيتها لا يجهلها عوام المسلمين، وتأييدها لا خلاف حوله.

وثمة فرق آخر بين القاعدة وسائر الجماعات الجهادية، وهو فرق له أهميته. بل لعله من أهم الفروق التي هيأت للقاعدة من أسباب التماسك والصلابة والاستمرارية ما لم تستطع غيرها من الجماعات التي سبقتها توفيرها.

إنها حصانة المنهج ومرونته في نفس الوقت[2]، وتتمثل بما يلي[3]:

1- ضبط مدلول الطاعة للأمير.

2- النهي عن الجدال والمراء والاختلاف، ومنع حصوله في الجماعة.

ولو رجعنا إلى المنهج النظري لتنظيم القاعدة فسنجد مسألة طاعة الأمير أكثر ضبطاً في هذا التنظيم من أي جماعة أخرى – في نظري – :

---

(1) أما تلك التنظيمات الجهادية فأغلبها أو ما بقي منها فلم تقم لها قائمة، ثم أصبحت جزءاً من كيان القاعدة في الأخير.

(2) ذكرت سابقاً المرونة في فهم المنهج والتعامل مع نصوصه.

(3) على سبيل الاستشهاد وليس الحصر. وسيأتي لاحقاً مزيداً من ذلك.

ففي (العمدة) تحت عنوان: "ما يلزم الأعضاء في حق الأمير عليهم، يُلزِمُهم:

- أولاً: السمع والطاعة للأمير في غير معصية.
- ثانياً: النصح للأمير.
- ثالثاً: توقير الأمير". [صفحة 355].

وربما يقال إن هذا نفسه موجود عند سائر الجماعات الإسلامية والجهادية خاصة، وهذا صحيح. لكن الفرق في تفاصيل هذه النقاط الثلاث وتطبيقاتها عند هؤلاء وأولئك. وسيتضح الفرق حالماً نتعرض لهذه التفاصيل.

"السمع والطاعة لولاة الأمور عبادة، إذ أن طاعتهم من طاعة الله عز وجل، والسمع والطاعة من أهم أسباب اجتماع كلمة المسلمين ووحدتهم، ففي طاعتهم حسم لاختلاف الآراء التي تؤدي إلى التنازع والشقاق وذهاب الشوكة" [صفحة 355].

وبعد أن ساق الأدلة الموجبة لطاعة الأمير على ألا تكون في معصية. قال: "وأقول: المعصية – ما دل عليها حكم شرعي صريح، أما إذا كان فعل الأمير أو قوله يحتمل عدة أوجه فلا ينبغي الإنكار عليه إلا بعد التبين"، وأقول – أيضاً – يستثنى من المعاصي أمران:

الأول: أن يمنع الأمير رعيته بعض حقوقهم.

والثاني: أن يستأثر بحظ دنيوي دونهم – فتجب الطاعة وإن وقع الأمير في هذا فينصح.." [صفحة 357].

سنلاحظ أن تلك الاستثناءات قد حصنت مدلول الطاعة ومنعت وسدت طرقاً كثيرة من طرائق الخروج عن طاعة الأمير وعدم تنفيذ أوامره. فبعد أن جعل لها حكم العبادة كأي عبادة من العبادات، فأضفى على الطاعة القدسية والهيبة، وحببها إلى النفس كما تحمله

وتقتضيه العبادات. ثم ذكر الاستثناء (في غير معصية) ثم استخرج استثناءات ثلاث تمنع وقوع أي تمرد أو عصيان محتمل.

إن أغلب الانقسامات والاختلافات التي تقع في الجماعات الإسلامية – الجهادية خاصة – تأتي نتيجة هذا الباب: (الطاعة للأمير في غير معصية لله) إذ يظن العضو أن الأمير قد خرج بفعله أو قوله، ووقع في معصية، وبذلك لا تجوز طاعته. بل يجب نبذ أوامره والإعراض عنها. مما يعني الخلخلة في مسألة الوحدة الفكرية للجماعة في أهم قضاياها، وقد يلتقي الأتباع حول الإطار العام لكنهم سيتفرقون في أخطر قضية تحافظ على وحدة الجماعة وتماسكها.

ولنعد النظر في قوله: ".. أما إذا كان فعل الأمير أو قوله يحتمل عدة أوجه فلا ينبغي الإنكار عليه.."، في هذا الاستثناء وحده ما يمنع العصيان والتمرد بنسبة كبيرة جداً.. فأي فعل أو قول أو أمر.. الخ. يأتي به الأمير ويُحتمل به أن يكون قد وقع في معصية، فسيقال للعضو: هناك عدة وجوه واحتمالات يحتملها هذا الفعل أو القول أو الأمر. ولم تفهمها!! وقبل ذلك يقال له: لم يرد في الشرع حكم شرعي صريح بذلك. لأنك فهمت إن فعل الأمير أو أمره معصية. وهو ليس بمعصية، إذ لم يرد نهي صريح بذلك، لأن المعصية: ما دل عليها حكم شرعي صريح!!

وبإضافة الأمرين الآخرين اللذين استثنيا من المعاصي، كما ذكرها منهج القاعدة، وهما: أن يمنع الأمير رعيته بعض حقوقهم، وأن يستأثر الأمير بحظ دنيوي دون الأعضاء. فإن باب التمرد ورفض الطاعة يغلق نهائياً. فعدم السمع والطاعة وتشتت وحدة الجماعة وتفرقها إنما يقع غالباً حالما يرى الأتباع أميرهم فضّل نفسه وقدّمها على الآخرين

في شيء من الأمور المادية[1]، أو منع عنهم شيئاً مما يستحقونه ولم يعطه لهم، فيعتبرون الأمير قد ارتكب معصية الله بذلك. فلا سمع له و لا طاعة.

أما منهج القاعدة فقد سد أبواب التمرد والانقسام، ولم يترك ثغرة يلج منها العضو ويتخذها ذريعة لعدم طاعة الأمير. ولهذا قُلتُ بحصانة المنهج النظري للقاعدة، ولهذا لم يشهد هذا التنظيم أي انقسامات داخلية، بل تلاحمت معه فصائل أخرى، وصارت جزءاً من كيانه.

وبعد أن يذكر الأدلة الشرعية على السمع والطاعة، يقول: "قلت: ولعل الحكمة في أمر النبي ﷺ بالسمع والطاعة للأمراء وإن منعوا الناس حقوقهم، أو استأثروا بحظوظ الدنيا دونهم، هو ارتكاب أخف الضررين. فإن تضرر الرعية بهذا المنع والأثر الذي يلحقه أخف من ضرر الخروج على الأمراء، وما يتبع ذلك من الاختلال الاختلاف والتفرق و هذا بالإضافة إلى أنه قد يظن أثرة ما ليس بأثرة، فأمَرَ النبي ﷺ بالطاعة ههنا سداً للذرائع، وحتى لا يعلل أحد بالظنون لشق عصا الطاعة.." [صفحة 357].

لقد أضاف كتاب (العمدة) سوراً أو حصناً آخر إلى بند الطاعة الواجبة على الأعضاء، ومنع التمرد والانقسام، فجعل تلك الاستثناءات حكمة نبوية لا يدركها إلا العلماء!! وهي تدخل في إطار قواعد الدين الكلية مثل: (ارتكاب أخف الضررين) و(سد الذرائع)!! ثم ذكر (العمدة):

"الطاعة واجبة في المنشط والمكره، وليس في المنشط فقط. بل يمكن القول بأن الاختبار الحقيقي لصدق الطاعة لا يكون إلا في المكره، فالكل يطيع في المنشط.." **[صفحة 358]**.

(1) وربما يحصل الخلاف في بعض القضايا الفكرية أو الشرعية.

".. فمن قعد عن الطاعة في المكره، كان فيه من النفاق بحسب قعوده، ما لم يكن معذوراً." [صفحة 359].

"السمع والطاعة حق وإن ارتكب الأمير بعض الأخطاء الشرعية، تطيعه في طاعة الله، ولا تتابعه في خطأ إن أخطأ، والمقصد من هذا: أن ارتكاب الأمير لبعض الأخطاء ليس مبرراً للخروج عليه، والسعي في خلعه عن إمرته، فكل ابن آدم خطاء.." **[صفحة 360]**.

"السمع والطاعة حق وإن كان الأمير حقير الحسب أو النسب، أو كان قبيح المنظر أو كان صغير السن.." [صفحة 361].

"السمع والطاعة حق، وإن ساس الأمير رعيته بالأمر المفضول ديناً، طالما كان في العمل بالمفضول مصلحة عامة. والأمر المفضول هو: الأقل في الأجر والثواب وليس فيه إثم أو معصية. ولا يجوز لآحاد الرعية مخالفة الأمير في هذا تورعاً، فيعمل بالأمر الأفضل حرصاً على مزيد الأجر والثواب، فإن ما يقع فيه من الإثم بمعصية الأمير وشق وحدة الصف أعظم مما يرجوه من ثواب.." [صفحة 361].

"تفويض الأمور المباحة والفنية إلى رأي الأمير وتدبيره حتى لا تختلف آراءهم.." [صفحة 362].

"ويدخل في الطاعة ألا ينصرف أحد من عمل أو مكان إلا بإذن أميره أو حسب التعليمات المسبقة، وكذلك لا يغادر المعسكر إلا بإذن، ولا يؤدي تدريباً لم يحدد له إلا بإذن.. ويدخل في الطاعة أن يقبل كل أخ العمل المكلف به من قبل الأمير، وإن كان لا يحبه، ولا يأنف من عمل في سبيل الله ولو كان حقيراً.." [صفحة 362].

"فلا ينبغي لأحد أن يستهين بإذن الأمير وأمره ونهيه حتى لا يختل النظام العام" [صفحة 363] .

"ويدخل في الطاعة: طاعة أمر الأمير المكتوب تماماً كالأمر الشفهي، ويدخل في الأوامر المكتوبة والرسائل.." [ص363].

ومن حصانة المنهج، ما جاء في (العمدة) من حلول لحل النزاعات. إذ قال: "ويجدر بنا هنا التنبيه على التصرف الواجب فيما إذا نشأ نزاع بين الأمير وبين أحد من أتباعه، ويختلف التصرف حسب ما إذا كان الأمير له أميرٌ أعلى منه أم لا؟

فإذا كان هذا الأمير له أميرٌ أعلى منه، فيشتكي الأتباع أميرهم إلى أميره الأعلى.. أما إذا لم يكن للأمير أميرٌ أعلى منه، فتؤول الخصومات بينه وبين أتباعه إلى التحكيم، يتراضيان على رجل يحكم بينهما.." [صفحة 364].

والمعروف بأن هذا الأسلوب لحل النزاعات غير موجود ولا معترف به في أي جماعة أخرى، ومسألة فض النزاع متروك لحكم أمير الجماعة ليقدّر فيه ما يشاء، أما لو كانت النزاعات بين الأمير وعضو من الأعضاء فإنها غالباً ما تنتهي بفصل ذلك العضو إذا لم يمتثل لرأي الأمير. وهذا ما يفسر كثيراً من حركات التمرد والانفصال التي وجدت في كثير من الجماعات الإسلامية. لكن القاعدة حصنت نفسها بمنهج يتحاكم فيه الأمير والأعضاء إلى طرف ثالث، يرتضيه الطرفان ليحكم بينهما بالعدل، فسلطة الأمير ليست مطلقة في جماعة القاعدة، بعكس الجماعات الأخرى؛ كجماعة الإخوان التي جعلت (الطاعة العمياء) للأمير حقاً ثابتاً لا نقاش ولا حوار حولها، وهذا ما أقر به قادة الإخوان واعترفوا به كخلل أصاب تماسك الجماعة [1].

ويختم الموضوع بـ (خاتمة ونصيحة) [صفحة 365] فيتناول قضايا حب الإمارة والحرص عليها وأنها مرض لا ينجو منه إلا من رحم الله، ثم يذكر صوراً من هذا

---

(1) انظر (قطوف شائكة) لفتحي يكن .

المرض (الحرص) وعرّج إلى قضايا تاريخية مستشهداً للاستدلال أن بين التنافس والاقتتال درجات من التحزبات والدسائس والفتن، وقد اقترنت النزاعات بتسلط العدو الكافر على المسلمين، كالنزاع بين أمراء الشام الذي أعقب الحملات الصليبية الأولى، والنزاعات بين ملوك الطوائف بالأندلس أبّان الحملات الصليبية التي انتهت بضياع الأندلس –وإلى اليوم..

ثم قال:

"وهذه النماذج وأكثر موجودة فعلاً في التجمعات الإسلامية،وتسبب فساداً لا يخفى.." ويقصد الذين يتظاهرون بالطاعة للأمير أو يدخلون في التنظيم ثم يأنفون السمع والطاعة للأمير.

ويؤكد ما سبق من أهمية طاعة الأمير وتحريم عصيانه فيقول:

".. ذلك لأنها الركن الركين في سياسة الجيوش وتنفيذ المهام، والتفريط فيها قد يدمر الجيش كله.. وأذكر الأخوة المسلمين بأن الطاعة هي التي جعلت من جيوش الكفرة قوة متسلطة على رقاب المسلمين في أنحاء الأرض.. إن طاعة الأمير من طاعة الرسول ﷺ، وطاعة الرسول ﷺ من طاعة الله عز وجل. وكذلك معصية الأمير.." [صفحة 367].

ولعل مرونة المنهج عند القاعدة يظهر بشكل غير مسبوق عند غيرهم من الجماعات الإسلامية حالما يقرر (أن العدالة ليست شرطاً لوجوب الجهاد والقيام به، كما أنها ليست شرطاً لابد من توافره في الأمير أو قائد المجاهدين)!!

وقبل أن أفسر ما يعني وما يترتب عليه ذلك الرأي أذكر أقوالاً للعمدة في ذلك: "العدالة ليست من شروط وجوب الجهاد، ويجوز للفاسق أن يخرج للجهاد تابعاً (جندياً).." [صفحة 338] وهذا في الأعضاء. أما في القيادة فقد ذكر قبل ذلك:

"إن الجهاد مع الفاسق متبوعاً كان أم تابعاً جائزٌ إجماعاً" وقد يجب إذا لم يمكن دفع

الكفار إلا بالجهاد مع الفساق.

إن تنظيم القاعدة لم يشترط كغيره في قيادته أو في أعضاءه أن يكونوا قد استكملوا معاني (العدالة) بل يجوز أن يجاهد المسلم ولو كان فاسقاً، ويجوز أن يتبع المسلم قائده في الجهاد ولو كان القائد فاسقاً[1]!!

وتتضح الصورة أكثر عندما يفسر لنا معنى العدالة: "هي استواء أحواله في دينه. وقيل من لم تظهر منه الريبة.. ويعتبر لها شيئان:

1- الصلاح في الدين وهو أداء الفرائض برواتبها، واجتناب المحرم بأن لا يأتي كبيرة ولا يدمن على صغيرة.

2- استعمال المروءة بفعل ما يجمله ويزينه وترك ما يدنسه ويشينه" [صفحة 333].

إن جماعة بن لادن إذن لا تشترط في أعضائها الصلاح والالتزام والتقوى والورع[2] لأداء وممارسة الجهاد، سواء في الأفراد التابعين أو القادة المتبوعين، بل ونَفَتْ أي سبب يمكن اعتباره مانعاً شرعياً للجهاد سوى: "من فيه تخذيل أو إفساد للصف أو خيانة".

لقد أدركت قيادة هذه الجماعة أهمية العنصر البشري: "القوة الإسلامية هي رجال ومال وسلاح، والبدء يكون بالرجال بتجميعهم وتحريضهم على الجهاد والقتال، والرجال

---

(1) بل يجب تنفيذ أوامر الأمير –ولو كان فاسقاً –وطاعته واجبة. (راجع: العمدة صفحة 338).

(2) تأمل ما جاء في (فقه الدعوة) حين يصف (مرحلة الجهاد) كما تريدها جماعة الإخوان المسلمين فيتحدث عن متطلبات المرحلة في الأفراد: "وهي متطلبات ضرورية، نستطيع أن نسميها شروطاً في أهلية من ينضمون إلى هذه المرحلة.. وفي تصوري أن عناصر ثلاثة لابد أن تتوفر فيهم هي: الاصطفاء، والاختبار، والتوثيق". ويلخص أسس الاصطفاء بثلاثة أسس (الصلاح والتقوى، والعقل والذكاء، والقوة والأمانة). كما أن هناك أنواعاً من الاختبارات النظرية والعملية والعلمية والفنية اللازم أداؤها، بالإضافة إلى متطلبات مرحلة الجهاد في حركية الأفراد وتفرعاتها وشروطها: كالفهم = = والإخلاص والعمل والجهاد والطاعة.. الخ . راجع: طبيعة مرحلة التنفيذ ومتطلباتها من (فقه الدعوة) من صفحة 531 حتى 673.

هم الذين يأتون بالمال والسلاح.." [1].

ثم نظروا إلى واقع المسلمين فوجدوا الذين يتصفون بالفسق والمعصية يشكلون الغالبية العظمى، ولايمكن استثناؤهم وغض النظر عما يمكن أن يحدثوه لتحقيق النصر، فقالوا: إن اجتماع الطاعة والمعصية في الإنسان شيء طبيعي، إذ الخطأ والمعصية صفات لاتنفك عن البشر، بل إن زيادة الإيمان بالطاعة ونقصانه بالمعصية هي عقيدة أهل السنة والجماعة، بل المسلم الفاسق له نفع خاص يتحقق له من خلال ممارسته للجهاد، فالجهاد وسيلة لتكفير ذنوبه وتطهيره من المعاصي وتبديل سيئاته حسنات.

وقبول عدم الالتزام والفسق في الأفراد والقيادات، لاشك أنه يعني بالضرورة الموافقة على فكرة (الجماعة الجهادية) التي يغلب عليها صفة الفسوق والمعصية، وهذا ما صرح به منهج القاعدة: "فإذا عدمت مثل هذه الطائفة، وهي الطائفة الصالحة التي تضم بعض العصاة، ولم يمكن الجهاد إلا مع أمير فاجر أو مع عسكر كثير الفجور، فالجهاد معهم واجب، لدفع أعظم المفسدتين وهي مفسدة الكافرين"[2].

ولكي لاتختلط علينا الأمور فنذهب بعيداً، ينبغي أن نفهم ما نحن بصدده، فهذه الجماعة الجهادية هي جماعة سلفية التفكير، وقبولها لانضمام المسلم الفاسق في صفوفها وقيادة الفاسق لجماعتها، لايعني تنازلها عن سلفيتها، فقد أيدت واستدلت على ذلك بأقوال علماء الأمة كابن تيمية، وابن قدامة الحنبلي، وابن حجر العسقلاني، وغيرهم.

والفسوق الذي قبلت به هذه الجماعة منحصر في التقصير في أداء الواجبات والفرائض الشرعية، وكذلك منحصر في الوقوع في النواهي والمحرمات (الصغائر

---

(1) خاتمة منهج القاعدة (صفحة 396).

(2) المصدر السابق (صفحة 397).

والكبائر)، ورغم اتساع مجالات الفسق والفجور، لكنها لاتصل إلى مستوى العقائد والولاءات، لذلك نجدهم يقولون: "إن راية الجهاد ينبغي أن تكون إسلامية خالصة، غير مختلطة بأي من الأهواء والآراء البشرية، كالإشتراكية، والديمقراطية، والقومية، ونحوها.. فهذه مفاصلة تامة لاخلط فيها، وتبرؤٌ صريحٌ لامداهنة فيه. وكما أن راية الجهاد ينبغي أن تكون إسلامية خالصة، فكذلك قيادة الجهاد يجب أن تكون إسلامية خالصة"[1].

وإذا أعدنا قراءة قولهم السابق نجد حكم الوجوب لإسلامية القيادة، إسلامية خالصة قضية قطعية لايمكن التنازل عنها رغم الموافقة على قيادة الفاسق والفاجر وإقراره كما هو مقرر من كلام السلف الصالح، ولذلك نجد منهجهم يقول: إن مسيرة الجهاد يمكن أن تنحرف إذا تصدر لقيادتها فرد أو فئة قليلة من ذوي الفهم المختلط، من الذين يرتدون ثياب الإسلام على عقول وقلوب جاهلية – علمانية – ومن هؤلاء من يكون له بلاء حسن في نصرة الدين والدفاع عن أهله، وهذا كله لايشفع له في تسليمه زمام المسيرة الجهادية مالم يكن إسلامي الفهم والسلوك معلوماً لأهل الإيمان والجهاد"[2].

ولهذا فإن التنازل عن بعض صفات الأهلية الجهادية في الأفراد سنجد له أمثلة حية في تاريخ هذه الجماعة، لكننا لم نجد فيها تنازلاً في مواصفات القيادة!! وهذا ما ختم به منهج القاعدة، حيث كانت آخر عبارة قالها: "قلت: فلابد أن تكون القيادة في العمل الإسلامي إسلامية من الجلد إلى النخاع".

وربما يقال إن هذا يتناقض مع ما ذكرته عنهم سابقاً: ".. ولم يمكن الجهاد إلا مع أمير فاجر أو مع عسكر كثير الفجور، فالجهاد معهم واجب".

---

(1) المصدر السابق (صفحة 396).

(2) المصدر السابق (صفحة 398).

لكن من يدرك واقع تنظيم القاعدة ويمعن النظر في منهجهم، يجد أنهم إنما قالوا بوجوب الجهاد مع الأمير لو كان فاجراً أو فاسقاً، لكي لايخرجوا عما قرره علماء السلف في هذه المسألة، لكنهم قيدوا هذه الحالة بـــ (الضرورة وعدم وجود البديل للقيادة الإسلامية من الجلد إلى النخاع)، ولكي لاتنطمس العملية الجهادية وتسقط رايتها، فلا يكون هناك جهاد في سبيل الله. كما أنهم يقصدون بهذه القيادة الفاجرة التي يوجبون الجهاد معها، أنها القيادات التي تكون دون القيادة العامة، أي (الأمير القائد)، كأمراء الفصائل أو المعسكرات الذي يكلفون بأعمال قيادية من الأمير العام، فهؤلاء يمكن أن يتصف بعضهم بالفسق وعدم الالتزام الكامل، وقد تم اختيارهم لتلك الأدوار القيادية الفرعية نتيجة لما يتصفون به وما يملكونه من مواهب ومواصفات تؤهلهم للقيادة. ولهذا رأينا أن بعض الذين قادوا الخلايا الجهادية التي نفذت أعمالاً ميدانية لم يكونوا على الالتزام الإسلامي الخالص، ومن استشهد منهم فقد حقق رغبته، ومن نجا فإن حياة الجهاد ومخالطة إخوانه المجاهدين كفيلة بتخليصه من الفسوق والتقصير.

ولعل ما شوهد من أحوال بعض أعضاء تنظيم القاعدة من الذين نفذوا تفجيرات (11 سبتمبر) أو غيرهم، وكونهم ظهروا يخالطون النساء ويراقصونهم، أو الأفعال التي تنسب إلى بعضهم وفيها مآخذ، فيسارع البعض بنفيها عنهم، أو تفسير حصولها بأنه نوع من المراوغة والتستر والتلبيس على الأعداء!! لكننا حالما نقرأ هذا المنهج ونرى معنى العدالة فيه، وأنه ليس في انعدامها ما يمنع القيام بالجهاد. إننا بهذا نستطيع تفسير الأمور والوقائع بأحكام أصح وأكثر واقعية بما يطابق منهج القاعدة النظري.

إن تلك (المرونة) لا تجعل القاعدة بعيدة عن تشدد وجمود مناهج الجماعات الجهادية فحسب؛ بل وعن المنهج السلفي الذي نبتت فيه القاعدة وأغلب أتباعها، ذلك أن السلفيين يرون تجريم حلق اللحى مثلاً، وألفوا المؤلفات في (تحريم حلق اللحى) و(وجوب إعفاء

اللحية) وبالتالي فإن حالق اللحية فاسق لكونه خالف الأحاديث النبوية الصريحة، والتي جاءت على صيغ تفيد الوجوب وتقتضي تحريم المنهي عنه. حتى أن هذا يعد إجماع بين السلفيين عربهم وعجمهم. فقد ذكر الشيخ محمد زكريا في رسالته (وجوب إعفاء اللحية):

"أما بعد، فإن حلق اللحية منكر فظيع وذنب شنيع كما هو مصرح في الأحاديث الصحيحة وكتب المذاهب الأربعة.. ولقد فشا هذا الذنب حتى في بعض العلماء والمشائخ، وأصحاب دراسات التفسير والحديث، وطلبة العلوم الإسلامية، تراهم مثل طلبة العلوم العصرية حُلاَّق اللحى ومقصريها. وإنا لله وإنا إليه رلجعون، وهذا طامة عظمى يجب أن يتنبه لها أهل الشأن، ولا ريب أنهم مذنبون ومقصرون، وفي جنب الله مفرطون، وأمامه مسئولون.."[1].

فالتيار – السلفي – يجمع أصحابه على تحريم حلق اللحية، وكون حالق اللحية عاصياً ومتشبهاً بالنساء ومتشبهاً بالكفار. "والمشابهة في الظاهر تورث مودة ومحبة وموالاة في الباطن، ومشابهتهم في الظاهر سبب لمشابهتهم في الأخلاق والأفعال المذمومة، بل في نفس الاعتقادات، وتأثير ذلك لا ينضبط، ونفس الفساد الحاصل في المشابهة قد يظهر، وقد يتعسر أو يتعذر زواله، وكل ما كان سبباً إلى الفساد فالشارع يحرمه" كما جاء في رسالة (تحريم حلق اللحى) للشيخ عبد الرحمن بن محمد العاصمي الحنبلي، وصحح الرسالة وعلق عليها الشيخ إسماعيل الأنصاري[2]. وقد ألفّ أحدهم مجلداً كاملاً تحت عنوان (الجامع في أحكام اللحية) ويقع في ثلاثمائة وأربع وثمانين صفحة، لمؤلفه علي بن أحمد حسن الرازحي.

---

(1) رسالة (وجوب إعفاء اللحية) الناشر المكتبة الإمدادية – باب العمرة – مكة المكرمة، وجاء في المقدمة التي كتبها الشيخ عبد العزيز بن باز، الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء في المملكة (قد أذنا بطبعها لعظم فائدتها).

(2) وهي أيضاً نشر وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية بالمملكة.

إن سلفية تنظيم القاعدة مسألة لاجدال حولها، وقد جاء في مقدمة (العمدة) شرح للمنهجية الفكرية لهذا الكتاب، حيث ذكر أنه قد التزم ألا يذكر قولاً ولا حكماً إلا مقترناً بأدلته الشرعية من الكتاب والسنة، حتى يترسخ هذا المنهج في نفوس العاملين لنصرة دين الله.

"فلا يقبل قولاً في دين الله من أحد إلا إذا كان مستنداً إلى نص من كتاب أو سنة.." [صفحة 5]. ولقد بلغ من شدة حرص مؤلف (العمدة) أنه يلتزم بطريقة السلف ولو بالأمور الشكلية – ولم أجد شيئاً من هذا عند غيره من السلفيين – فقال:

"وأنبه القارئ إلى أني لجأت إلى تقطيع الحديث للاستدلال ببعضه في مواضع من هذه الرسالة، آخذاً بمذهب من يُجيز ذلك من أهل العلم، كالبخاري رحمه الله وغيره. كما أنبه إلى أن الخط الذي يوضع للتنبيه على الكلام المهم، قد جعلته أعلى الكلام جرياً على طريقة السلف.." [صفحة 6].

ومن له دراية بحقيقة المنهج السلفي وأساليب السلفيين وطرائقهم، سيؤكد سلفية المنهج. ولكن هذه الجماعة الجهادية السلفية استطاعت أن تخترق أموراً عديدة وتتجاوزها، رغم أهميتها وخطورتها عند السلفيين قاطبة، وبذلك تكون أول جماعة سلفية استطاعت أن تتجاوز ما يمكن تسميته الجمود في التعامل مع النصوص الشرعية عند كثير من المنتمين إلى السلفية – وسأذكر نماذج من ذلك لاحقاً.

لقد أدركت قيادة القاعدة[1] أنه لا بد أن تتجاوز القوقعة السلفية، إذا أرادت تحقيق

(1) أعني أسامة بن لادن الذي استطاع أن يتعايش مع قادة طالبان في عملهم الجهادي، فبدأ كأنه وجماعته جزءاً من الحركة الطالبانية ثم استطاع في الأخير – كما سنرى – أن يجعل طالبان جزءاً من تنظيمه – القاعدة – وذلك بعكس موقف أبي مصعب الزرقاوي الذي رفض العمل والانضمام إلى طالبان بحجة تعارض عقيدتهم الأشعرية مع العقيدة السلفية التي يعتقدها، أما بن لادن فقد تجاوز هذا الفرق، وكان يرى أن الحركة الطالبانية هي من (أهل السنة والجماعة) والتحالف معها لا يتعارض مع العقيدة السلفية التي يعتقدها.

غاياتها، فحالق اللحية وإن كان فاسقاً بارتكابه ما يخل بالعدالة – سبق تعريف العدالة – لكن لا مانع من انضمامه إلى صفوف المجاهدين، وحلق اللحية معصية لكن: "لا يعيب طائفة من المسلمين أن يكون بين صفوفها بعض العصاة، إنما يعيبها أن تقرَّهم على المعاصي، ولا تأخذهم بطاعة الله تعالى أمراً ونهياً، إذ أن الخطأ والمعصية لا تنفك عن الإنسان".

"والمقصد من هذا أنه إذا وجد بعض العصاة في طائفة مجاهدة قائمة بأمر الله فإن هذا ليس بمبرر لترك الجهاد معها بحجة أن بها بعض العصاة".

ومنهج القاعدة عندما يقرر جواز الجهاد مع الأمير الفاجر وجعل المسألة مبنية على عدد من النصوص والقواعد الشرعية مثل (الضرر الأشد بالضرر الأخف).

"ومعلوم بداهه أنه إذا لم يتيسر إلا هكذا فالعدو الكافر وهو الضرر الأشد، يدفع بالأمير المسلم الفاجر وهو الضرر الأخف.." [صفحة 63].

والمهم صلاح النية: "فإذا كانت نيتك صالحة وهي أن تجاهد لتكون كلمة الله هي العليا، فلا يضرك أن تكون نية الأمير فاسدة، فلكل نيته وأجره بحسبها" [صفحة 63]. والمقصود بالفاجر: "من فجوره في نفسه ولا يمكن الغزو إلا معه، وليس الذي فيه خيانة أو ضرر للإسلام".

وبذلك تأمل سعة الاستقطاب وجذب الأتباع من خلال تلك المرونة التي لم تُخرج القاعدة عن قاعدتها السلفية.

إن جماعة القاعدة قد تهيأ لها من الأسباب والظروف ما لم يُتح لأي جماعة إسلامية – جهادية أم غير جهادية – واستطاعت أن تستفيد من تجارب الآخرين، كما استطاعت أن تتحاشى الأخطاء التي وقع فيها غيرها، ثم إنها بعد هذا وذاك، بدأت مسيرة جهادية في ظل

شرعية وإجماع عالمي، لكونها تقاتل عدواً معتدياً[1] أراد اغتصاب بلدٍ آمنٍ، وقتلَ أبناءه وشرّد ضعفاءه واستباح الحرمات.. ومن هنا اُكتسبت شرعية المقاومة والجهاد ضد المعتدين، ثم إن المعتدي كافر لا شك في كفره، وملحد لا شك في إلحاده، ومن هنا جاءت الشرعية الإسلامية لهذه المقاومة، وصارت القضية إسلامية خالصة، ولا يمكن أن يرمى المقاومون – المجاهدون – بأي وصف من الأوصاف التي ترمى بها الجماعات الإسلامية التي تسعى لتحقيق أغراض مادية، أوالوصول إلى كراسي الحكم وغيرها من القضايا التي يستطيع بواسطتها الحكام سحب الثقة من هذه الجماعات عند اللزوم، ويسهل بعد ذلك القضاء على هذه الجماعات أو تشتيتها.

لقد أدرك بعض الحذاق من الناس حقيقة ما يجري من جهادٍ في بلاد الأفغان، وما اجتمع من ظروف غير مسبوقة في أي قطر من أقطار العالم، فقال أحدهم:

"وقد كان في حسي منذ دخل العدو الكافر المعركة بنفسه، وقامت الأمة مجتمعة للجهاد أن الله يريد بهذا الجهاد أمراً، وأنه نقطة تحول تاريخية لها ما بعدها".

ولقد صدقت تلك النبوءات!! فأصبح الجهاد الأفغاني نقطة تحول تاريخية لها ما بعدها.. وقد رأى العالم كله ما بعدها. إنها القاعدة؟!

إنه ميلاد كيان جديد، كانت أفغانستان له (دولة المركز) التي كان يحلم بها، وحققها له أعداؤه قبل مؤيديه وأتباعه.

ولعل اعتراضاً يبرز، واستنكاراً يأتي ليقول: كيف تصف منهج القاعدة بالمرونة وهي جماعة يقوم أسلوبها في تغيير الواقع على العنف والمواجهة، وقد فعلت وفعلت

---

(1) وهو الاتحاد السوفيتي (سابقاً).

وفعلت؟!

وهو تساؤل طبيعي لمن لم يدرك المراد بالمرونة، إذ أعني بها أن هذا المنهج قد لحتوى جوانب مرنة في نظريته وأفكاره ليتمكن بها من تحقيق أهدافه وغاياته، فهي مرونة في النظرية وليست مرونة في الأداء.

فنظرية القاعدة في مسألة الطاعة وتعدد الجماعات والبيعة مثلاً هي بين بين، فليست قائمة على التفريط والرفض، كما هو حاصل عند الجماعات السلفية، التي ترفض رفضاً قاطعاً الجماعات الإسلامية، وتنتقد البيعات التي تقوم عليها، وتعتبرها بدعة مرفوضة، ولا ترى استحقاق الطاعة لأمراء هذه الجماعات، مما جعل هذه الجماعات- نتيجة هذه القناعات وغيرها – محصورة، وأقرب إلى اعتبارها طائفة متعصبة وليست حركة إصلاحية تنويرية، خاصة أنها دخلت في معارك فكرية مع خصومها، ثم أصابها ما رَمت به خصومها من الانقسامات والانغماس في الكيد والتشهير لبعضهم بعضاً. ومن جهة أخرى تجد الإفراط في مسألة الطاعة والبيعة والسرية[1] ومحاولة الإنفراد بالعمل الإسلامي، مثل ما نراه عند جماعة الإخوان المسلمين، حيث تصبح مفاهيم الجماعة قوالب صارمة وجامدة غير قابلة للمناقشة والمراجعة، وتكاد تبدو الجماعة بذلك أقرب إلى الفكر الديكتاتوري المتسلط!!

وقد ظهرت كتابات لمجموعة من المفكرين والعلماء الإسلاميين تدعو إلى المراجعة وإعادة النظر فيما يمكن أن يعتبر خللاً في تجربة العمل الإسلامي بقصد التقويم والتصويب للحركة الإسلامية. ومن ذلك ما جاء في كتاب (الفكر الحركي بين الأصالة والتطرف)[2]،

---

(1) سأتعرض لموضوع السرية عند القاعدة تحت عنوان مستقل.

(2) للأستاذ: مصطفى محمد الطحان.

حيث أشار إلى مشكلة بدء شيوع روح الحزبية في صفوف الإسلاميين، كما أشار إلى ثلاثة خطوط فكرية نشأت داخل خط الدعوة الذي أكده مؤسس الحركة الشيخ حسن البنا والشيخ الهضيبي، وهي:

1- خط يسيء الظن بكل المسلمين، ولا يوثق أحداً ما لم يكن من أبناء الحركة.
2- خط يعتبر معظم المسلمين كفاراً ومرتدين أو ملبس عليهم.
3- خط يعتبر حركة الإخوان المسلمين هي (جماعة المسلمين).

ثم ذكر أن حركة الإخوان (تحتاج إلى بعض التجديد في الوسائل، وبعض الإبداع في المواقف، وبعض المرونة في الأداء) وأن ذلك ممكن بتوفيق من الله عز وجل، كما دعا جماعة الإخوان إلى توسيع صدرها تجاه ما يوجه إليها من تهجم ونقد، إذ هي الحركة الجديرة والمؤهلة لخدمة المسلمين وإنقاذهم من الأوضاع المتردية التي وصلوا إليها.

فالمرونة التي وصفت القاعدة بها استحقتها –في نظري –لكونها استطاعت التخلص مما أصاب السلفيين من التفريط المتمثل برفض كل أساليب وطرائق العمل التنظيمي، وكذلك مما عند الإخوان المسلمين من إفراط، والمتمثل بالإلتزام المطلق بالعمل الحزبي، الحال الذي أدى إلى حصول (ظاهرة التآكل) في الحركة الإسلامية[1]، كما سماها الأستاذ فتحي يكن في كتابه: (نحو حركة إسلامية عالمية). حيث دعا إلى وجوب أن تعيد الحركة الإسلامية النظر في منطلقاتها الأساسية وفي تنظيماتها الداخلية، وفي مناهجها التربوية، وخط سيرها، ووسائلها، وأسلوب مواجهتها، كما على الحركة الإسلامية أن تعرف ما هو دورها في المجتمع، وما هي مبررات وجودها!!.

---

(1) أي حركة الإخوان المسلمين. وهذا التآكل أصاب السلفيين كما أصاب الإخوان أيضاً.

كذلك أحتواء منهج الحركة الإسلامية – الإخوان المسلمين[1] – قصوراً شديداً يتطلب المراجعة والتصويب في كافة جوانب العمل الإسلامي، ولذلك شدد الأستاذ فتحي يكن على ذلك ولو أدى إلى أن تعود الحركة إلى (نقطة الصفر) لتبدأ من جديد؟!

إن جماعة القاعدة رغم حداثة تكوينها مقارنة بجماعة الإخوان المسلمين التي مرت عليها عشرات السنين، والتي تمتلك – أيضاً – من التجارب والوسائل والقدرات والكفاءات العلمية والتربوية والسياسية والاقتصادية وغيرها، ما لا يمكن مقارنته بما عند القاعدة في هذه المجالات.. أقول: رغم ذلك كله، استطاعت القاعدة أن تتفوق منهجاً على غيرها من الجماعات الإسلامية بشتى توجهاتها ونظرياتها، فنظرية السمع والطاعة في القاعدة كان من نتيجتها ما رأيناه من تماسك والتحام بين القيادة والأفراد من خلال الأدوار والتكاليف الرهيبة التي نفذتها القواعد استجابة لأوامر القيادات[2]. ولكن في المقابل تجد نظرية السمع والطاعة عند الإخوان – مثلاً – أدت إلى بروز مدرسة تقوم على تبرير الأخطاء، وتلمُّس الأعذار والتستر على المخطئين، فضلاً عن الخطيئة، وهي (المدرسة الميكيافيلية) كما سماها رائد الحركة الإسلامية وصاحب أكبر عدد من المؤلفات الإسلامية الحركية وهو الأستاذ فتحي يكن، والذي ذكر بروز مدرستين متناقضتين حيال تعثر العمل الإسلامي، وتكاثر الأخطاء في الساحة الإسلامية:

الأولى: المدرسة الميكيافيلية التي ذكرناها:".. ما دام هؤلاء يظهرون الطاعة لأصحاب هذه المدرسة، ويقدمون مراسم الخضوع والولاء!! إنها أشبه بالمدرسة

---

(1) وتعرضت لحركة الإخوان أكثر من السلفيين لكون السلفيين لا يشكلون حركة أو جماعة، ولكون عدم المرونة عندهم حقيقة لا تحتاج إلى أدلة. وقد تناولت كثيراً من جوانب الفكر السلفي المعاصر فيما سيأتي من هذه الدراسة.

(2) كثيراً هي الأمثلة لذلك.

(الميكيافيلية) ولكن باسم الإسلام[1]!! والنتيجة: تفاقم الأخطاء وتعاظم التعثر، وعدم الاستفادة من التجارب". [صفحة 7].

"**والمدرسة الأخرى** هي التي تعتمد النقد الذاتي البناء، ووضع الأصابع على العلل والمشكلات، وأصحاب هذه المدرسة – الثانية – متهمون ملاحقون محاصرون ومحاربون – دائماً – من اصحاب المدرسة (الميكيافيلية)، والتي يتمترس أصحابها – عادة – وراء المواقع التنظيمية ويستقوون بالمواد القانونية.."[2] [صفحة 8].

فتأمل ما أدت إليه نظرية الطاعة من انقسام خطير عند الإخوان، وما أدت إليه عند القاعدة من التحام!!

إن مفهوم الطاعة عند كثير من الجماعات – الحركية خاصة – يحتاج إلى تقويم (كما دعا الأستاذ فتحي يكن في كتابه المذكور آنفاً)، والأغرب من ذلك كله أننا نجد مرونة في مفهوم الطاعة عند تنظيم القاعدة وهو تنظيم قتالي عسكري، يتطلب انضباطاً والتزاماً أكبر مما عند الجماعات الإسلامية الحركية البعيدة عن العنف والقتال. لكن الحاصل هو العكس!! إذ ليس في تنظيم القاعدة الجهادي ما يسمى (الطاعة العمياء) كما رأينا من خلال ما نقلناه من نصوص رسالة (العمدة). فالعضو له الحق في نصح الأمير، بل ومحاكمته عند اختلاف وجهات النظر، أما الأفراد والأعضاء في الجماعات الأخرى فلا يملكون ذلك، ولا يتجراون على المطالبة به، بل بعض هذه الجماعات لا يكاد العضو فيها يعرف شخصية الأمير[3]!؟

ولذلك وجدنا الأستاذ فتحي يكن يقول: "وحق الدعوة علينا كقيادات أن نصدق القواعد، كما

---

(1) (قطوف شائكة في حقل التجارب الإسلامية – رؤى إسلامية من عام 2000م) فتحي يكن.

(2) قطوف شائكة.

(3) وهذا ما يعرف بـ (البيعة للمجهول) والتي اعتبرها السلفيون من أسباب بطلان بيعة الإخوان المسلمين. ولكن السلفية الجهادية اعتبرت البيعة لمجهول شرعية صحيحة، مستدلين بما قال الإمامان (الماوردي) و(أبو يعلي) في كتابيهما (الأحكام السلطانية). انظر: (العمدة) صفحة 162 (مسألة البيعة للمجهول).

أن واجب القواعد أن تكون في مستوى الطاعة المبصرة لا الطاعة العمياء"[1]. [صفحة 25].

"فالقياديون يعتبرون كل من خالفهم – ولو بالرأي – هدّاماً خارجاً عن التنظيم، صابئاً عن النهج المعتمد والطريق المستقيم. أما الأفراد فإنهم ينظرون إلى القيادة نظرة أقران وأمثال لا تفضلهم في شيء". [صفحة 38].

وقد ذكر أن هذه المشكلة تكبر وتتعاظم مخلفة أقبح الآثار وأبلغ الأضرار فعنها[2]:

" تنشب الصراعات، وتصفى الحسابات بين أبناء الصف الواحد والمدرسة الواحدة، ويصبح هم كل فريق التخلص من الفريق الآخر، ليتم تكريس المثل الشائع: (قم لأجلس مكانك)، وفي هذا السياق يُكرم الموالون ويقرّبون، وإن لم يكونوا على فهم وولاء لشرع الله. كما يصل إلى مواقع التشريع والتنفيذ من ليسوا أهلاً للأمرين معاً، بينما يحارب المعارضون والناصحون ويهمشون ويبعدون"[3] [صفحة 38-39].

لقد أدى اختلال مفهوم الطاعة إلى صراعات وتصفية حسابات وخصومات بين صفوف هذه الجماعة[4]، بينما أدى إلى تلاحم وتضحيات واستبسال في صفوف القاعدة. أليس مفهوم القاعدة في الطاعة أكثر مرونة وحصانة من غيرها[5]؟!

إنني أتحدث عن المفاهيم والنظريات والمناهج، وليس عن الأفضلية أو الأصلح.

---

(1) المرجع السابق.

(2) قطوف شائكة.

(3) المرجع السابق.

(4) ولعل هذا ما جعل المؤلف يقول في الخاتمة: (إن ما جاء في هذا الكتاب قد يغضب الكثيرين، وقد لا يرضي إلا القليل القليل) المرجع السابق: (صفحة 244).

(5) وسأتناول بالدراسة والمقارنة بين منهج القاعدة وبين غيرها من الجماعات الإسلامية من وجوه أخرى إن شاء الله.

أسباب وعوامل نشوء الحركات الجهادية

لا شك أن عدة عوامل وأسباب تتفاوت قوة وتأثيراً، اجتمعت فأدت إلى حدوث وقيام التنظيمات الجهادية. ومنها:

1- **تربي الشباب المسلم على عقائد الإسلام وواجباته التي لا ينبغي لمسلم التهاون بها أو التنازل عنها.** فواجب نشر الدعوة الإسلامية وتبليغ الحق للناس هو واجب كل مسلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من تلك الواجبات المفروضة على كل ملسم ومسلمة!! والتغيير يكون باليد أو اللسان أو القلب، حسب الاستطاعة وقوة الإيمان. وقام العلماء بشرح طرق أداء هذا الواجب، ومتى يكون باليد ومتى يكون باللسان وكيف يكون بالقلب، مع تأكيدهم على قاعدة (دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح). فحيث يكون تغيير المنكرات سبباً لحصول مفسدة فالأولى تركه – ضمن ضوابط معينة – وكذلك الأمر بالمعروف إذا كان سيتسبب بحصول منكر أو مفسدة أكبر، فلا يجب عندئذ... تلك قضية!!

والإسلام دين صالح لكل مكان ولكل زمان ولكل البشرية، فهو الدين الخاتم، ويدعو إلى الاجتهاد وإعمال العقل والتفكير في النصوص، واستنباط الأحكام، وفهم المقاصد الشرعية، والإجابة عن المشكلات المعاصرة، وطرح الحلول الإسلامية للأزمات والعوائق التي تعترض الحياة البشرية المعاصرة. وهذه مسألة!!

تلك القضية وأخواتها، وتلك المسألة أو الحقيقة ومثيلاتها، عرفها المسلمون وتربي عليها الشباب في المدرسة والمعهد والجامعة، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب ديني، وعموم الشريعة وصلاحيتها عقيدة لا جدال حولها، وكذلك تربية المسلمين على الولاء للإسلام، والبراء من الشرك والكفر وأهله، ونصرة الدين، وتحكيم الشريعة في كل

شؤون الحياة، والعمل على إعادة قيام دولة الخلافة الإسلامية.. مسائل وقضايا متفق عليها.

ولكن تلك القضايا والمسائل والقواعد لم ينضج فهمها عند البعض، فرغم الاتفاق على صحتها ووجوبها لكن اختلفت العقول في كيفية تحقيقها وتطبيقها في الواقع العملي، وهذا الاختلاف طبيعي في الناس. وقد قال علماء الاجتماع: يختلف فكرٌ عن فكر آخر باختلاف المنشأ والبيئة والعادة والعلم والغاية..

والمشكلة أن اختلاف أفهام العقول رغم كونه محموداً، لكنه أفضى عند بعض أصحاب هذه العقول إلى خلق سلسلة من التداعيات الخاطئة، كاتهام المخالفين بالجهل والسطحية والضلال، وربما الكفر والمروق من الدين والارتداد عنه. فقد نظرت بعض تلك العقول إلى النصوص الشرعية بظاهرية مفرطة، ثم التفتت إلى الواقع الإجتماعي والسياسي والإقتصادي فوجدته على النقيض من تلك النصوص، فاستنتجت تلك الأحكام، حيث دفعتها غفلة المجتمعات الإسلامية وانتشار المنكرات والمخالفات إلى فقدان البصيرة وانعدام الرؤية.

2- الحكام (الملوك والرؤساء والأمراء):

لا شك أن لهؤلاء الحكام دور مباشر لظهور ظاهرة العنف، وبروز جماعات لا ترى حلاً سوى المواجهة والتغيير بالقوة، فالفساد في سائر المجالات والأوضاع التي تعيشها شعوبهم، والتخلف المادي، وفشو الفقر، وأنظمة الاستبداد، وارتفاع أعداد المضطهدين والمظلومين، والفشل في السياسات، والعجز عن تنفيذ الوعود التي خدِّرت بها الشعوب فترات من الزمن، وانكشاف التدليس، وامتلاء السجون بالمعتقلين لتثبيت كراسي الحكام، والمحاكمات الصورية، والمحاكم الاستثنائية، والأحكام السرية الصادرة من مراكز القوى، ووسائل التعذيب البربرية التي لم يعرفها إلا النازيُّون والفاشيُّون والأنظمة الديكتاتورية..

كل ذلك وأكثر مما عرفته الشعوب العربية والإسلامية، من سياسات الفساد وحكومات الإرهاب؟! هي التي خلقت ردات الفعل الطبيعية عند أولئك، وهم أول من اصطلى بنارها وذاق مرارتها. وجاء في (العمدة): "بل إن جهادهم مقدم على جهاد اليهود.. بل أن اليهود لا يستقر لهم مقام بفلسطين إلا في كنف هؤلاء الحكام الطواغيت المرتدين"[1].

3- قضية القضايا: القضية الفلسطينية:

لقد وجدت الجماعات الجهادية في قضية فلسطين دليلاً لا يقبل الشك لتؤكد أنه لا مجال للاستماع لما يزعمه المتخاذلون والمثبطون عن الجهاد، وما يشيعونه عن ضرورة الأخذ بالحلول السلمية والحوار أو غير ذلك، مما ثبت فشله وكذبه، وثبت أنه جزء من المؤامرة اليهودية النصرانية أو الصهيونية الصليبية، التي حيكت في حين غفلة من المسلمين، وتآمر فيها حكامهم مع الأعداء!! ولا غرابة أن نجد مؤسسي الجماعات الجهادية وقاداتها من الشخصيات الفلسطينية الأصل، فالشيخ عبدالله عزام، وصالح سرية، وعبد القديم زلوم ومحمد سالم الرحال[2] وغيرهم من الذين قادوا حركات إسلامية جهادية أثرّت في الواقع الإسلامي، ولا شك أن لها دورها في خلق قناعات مؤثرة، كانت بمثابة مقدمات وإرهاصات لما صارت إليه حركة الجهاد بالصورة التي نراها اليوم.

---

(1) العمدة صفحة 297.

(2) الدكتور عبد الله عزام غني عن التعريف، والدكتور صالح سرية مؤسس أول جماعة جهادية في مصر، والأستاذ عبد القديم زلوم هو خليفة الشيخ تقي الدين النبهاني في رئاسة حزب التحرير والذي يحكم على المجتمعات العربية والإسلامية بالكفر ويسميها (دار الكفر). والأستاذ عبد القديم هو مؤلف كتاب (هكذا هدمت الخلافة). والأستاذ محمد سالم الرحال الرجل الثاني الذي شكل (جماعة الفنية العسكرية) مع حسن حلوى وجماعة الفنية هي نواة تنظيم الجهاد والذي أسسه محمد عبد السلام فرج.

إن القضية الفلسطينية، والشعب العربي الفلسطيني المسلم، والمسجد الأقصى، ثوابت لا يمكن أن تتمحي من قلب كل مسلم، مهما بُذلت من محاولات وجهود. فالمسجد الأقصى لن تنتهي الأشواق إليه، وسيظل القرآن الكريم يتلى بقوله: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: 1].

وزادت السيرة النبوية تهييجاً للمشاعر وإلهاباً للقلوب، بما أكدته من خلال حادثة الإسراء، وما جرت فيها من أحداث لا تنسى. فالدين والشعائر الإسلامية لا يمكن اجتثاثها ولو اجتمع أهل الأرض وتظاهروا على ذلك؟!

والإسلام لا يعد المسلمين باجتثاث أهل الكتاب، ومحوهم من الدنيا، بل على العكس من ذلك، فإن رسول الإسلام ﷺ يؤكد في أحاديثه التعامل الحسن مع اهل الكتاب ورغم حتمية الصراع وسنة التدافع بين بني البشر، لكن ذلك لا يقتضي إنهاء الخصوم ومحوهم مهما إمتلك الأقوياء من قوة مادية وقدرات تمكنهم من فرض سيطرتهم على الضعفاء فالأيام دول والقوة لا تدوم....

إن القرآن الكريم الذي حُفرت آياته في قلوب ملايين البشر، لا يمكن محوه أو تحريفه أو النيل منه من أي جهة مهما علت أو تجبرت. ويجب على غير المسلمين أن يعوا ذلك، وأن يعلموا أن عقيدة المسلمين وثوابتهم ومقدساتهم دونها خرط القتاد. ومن خلال هذا سيجدون المعاملة الحسنة من المسلمين، وسيحسنون إلى أنفسهم قبل غيرهم.

ذلك أن الإسلام، كما ربى أتباعه على الجهاد: ﴿فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾، ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ..﴾ [النساء: 74، 75].

ربى أتباعه – أيضاً – على احترام الأديان الأخرى، واحترام الحياة الإنسانية، والنفس

البشرية، وأنه لاينبغي الاعتداء على الغير، وأن التدين والالتزام بالدين لا يعني العداء والكراهية، بل هو الحب والخير للجميع، والعدالة بمعانيها الحقة. قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ .. ﴾ [الشورى: 13].

والسيرة الإسلامية تثبت أن حياة رسول الإسلام ﷺ ليس غزواته وسراياه ومقاتلته للأعداء فحسب؛ بل كذلك رحمته ورأفته وإنسانيته وبشريته وحكمته وعدله. والتاريخ الإسلامي يؤكد أن النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة أقام معاهدة مع اليهود، أكد أن للمسلمين دينهم ولليهود دينهم، وكفل الحريات بأنواعها في معاهدة عادلة رضي بها الجميع، فقد نظمت تلك المعاهدة قضية (الدفاع المشترك) عن المدينة التي يعيش في ظلها الجميع، ويجب أن يحميها الجميع من كل عدو خارجي، معاهدة جعلت حماية المدينة المنورة قضية متفق عليها لتحقيق ما يسعى إلى تحقيقه الجميع من الأمن والاستقرار، والتاريخ حكى أيضاً عن الطرف الذي نقض المعاهدة ونكث بوعوده وخالف ما تم الاتفاق عليه، كما أن تاريخ المسلمين في الشام وغيرها خير شاهد على كيفية معاملة المسلمين لسكان البلاد المفتوحة وكيف أشاعوا العدل فيها، وكيف عامل المسلمون غيرهم حالما دخلوا هذه البلدان مبشرين بالدين الجديد.

إن المسلمين لن ينسوا أن أول هجرة إسلامية قد كانت إلى أرض مسيحية، وقد حصلت بموافقة ومشورة من رسول الإسلام ﷺ وتوجيهه، وقد سبقت هذه الهجرة تلك الكلمات النبوية الخالدة التي أشادت بالحاكم العادل، الذي لا يُظلم عنده أحد!! وهنا الحاكم لم يكن مسلماً، ولم يبلغه الإسلام حتى!! كان نصرانياً، ولكن أعطيت له أعظم شهادة لا يمكن مقارنتها بكل شهادات العالم اليوم، شهادة العدل الحقيقي من خاتم الأنبياء والمرسلين.

فليجسن أهل الكتاب معرفة الإسلام إن أرادوا فهم المسلمين!! فالإسلام لم يجعل الجهاد وسيلة للموت، بل للحياة!! ويأمر بالقصاص وهو موت في نظر الناس، لكنه حياة في نظر الإسلام!؟

4- **تطاول المعارك الفكرية في ميدان المواجهات بين المسلمين وأهل الكتاب.** لذلك يمكن اعتبار تطاول معركة التحديات التي يشنها اليهود ودول الغرب النصرانية على الفكر الإسلامي، والحياة العامة والشخصية في المجتمعات الإسلامية، بأنها إحدى الأسباب التي أثارت النزعات الدينية، وأيقظت الغيرة عند المسلمين، وأججت مشاعر الكراهية والعداء لمن جاءوا يريدون القضاء على عقيدة الإسلام والمسلمين، واستعبادهم، وقهرهم!!

لقد قال خصوم المسلمين عن دينهم وعقيدتهم شيئاً كثيراً:

قالوا إن الإسلام هو السبب في تخلف المسلمين وانحطاطهم وسقوطهم الحضاري ولن يحققوا تقدماً ما داموا متمسكين به، والإسلام لم يعط المرأة حقوقها كاملة، والإسلام نظام إقطاعي، والإسلام يتعارض مع العلم.. سيل من الاتهامات والشبهات أثارت معارك وصراعات، فلما تطاولت ولم تحسم!! حسمتها الأسلحة والمواجهات في ميادين القتال.

5- **يتطلع المسلمون إلى العدل والمساواة، ويجزمون أنهما لن يتحققا إلا بتطبيق شريعة الإسلام..**

لكن آمالهم تكاد تكون قد انقطعت في إمكانية الوصول إلى تحقيق العدل والمساواة من خلال ما يعيشه العالم اليوم من ظلم القوي للضعيف، واستقواء القوى المتجبر على الضعيف العاجز.. فسادت في المسلمين عقيدة رسخها الواقع، هي (ما أخذ بالقوة لايسترد إلا بالقوة) وهي ليست جديدة على مجتمعات الشرق التي سادتها – كغيرها – وتحكمت بعقول أبناءها مبادئ القوة وشرائع الأقوياء، فسادت هذه القناعات عند أبناء المسلمين. إنه

قانون الطبيعة (لكل فعل ردة فعل مضادة له في الإتجاه ومساوية له في القوة).

المسلمون الفلسطينيون يُقتلون، وتغتصب أراضيهم وتنتهك أعراضهم، وهم كذلك في العراق والبوسنة والهرسك وكذلك في الشيشان، وغيرها، وغيرها كثير. وهم ممنوعون بقرار من مجلس الأمن الدولي من حمل السلاح والدفاع عن حقوقهم المسلوبة، وتداعت الأمم على التهام المسلمين، كما جاء في الحديث النبوي: [يوشك أن تداعى عليكم الأمم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها..]، ولئن كان الأمر كذلك، فلا أقل من أن يكون المسلمون شوكاً وعلقماً في حلوق آكليهم، إنه الشعور بالظلم الذي عمّقه الواقع؟! والمدافع عن نفسه لا يفرق بين وسيلة وأخرى ما دامت إحداهما ستوصله للغاية، وستحقق له الحياة؟! إنها ليست فلسفة خيالية بل الحقيقة التي غابت عن الباحثين عن الأسباب والدوافع والخلفيات، والتي أوجدها من يصطلون بنيرانها، لأنهم هم الذين أوقدوها، فأحرقتهم؟! ويخطئ البعض فيذهبون إلى أسباب نفسية أو إجتماعية أو إقتصادية كردات فعل – وإن كان لها دورها – لكنهم يتناسون أن المسلمين لا يقعدون إذا هوجمت عقيدتهم وأريد زحزحتها عن واقع الحياة.

جاء في (العمدة): "وكيف يتسلط شعب لا يزيد عن المليونين، ضُربت عليهم الذلة والمسكنة والغضب واللعنة قدراً، وهو الشعب اليهودي. كيف يتسلط على مائة مليون مسلم عربي[1]؟ وكيف يوجد لنفسه دولة من العدم في قلب بلاد المسلمين، ولا أقول (ديار المسلمين)!" [صفحة 201].

6- الدعوات القومية:

نشأت في مطلع القرن العشرين الحركات القومية، والتي شهدت تقلبات وتناقضات عديدة، وعجزت عن صياغة عقيدة – إيديولوجية – ثابتة وواضحة ومتجذرة من خلال

---

(1) هكذا ورد، ولا شك أن العدد أكثر من هذا بكثير.

الفكر الإسلامي، ولذلك بدت كحركات عنصرية عصبية، واستغلت بعض الحركات الإسلامية ذلك العجز، وعمقت الكتابات الإسلامية الكراهية والرفض للحركة القومية، لاسيما أن كبار رواد هذا الفكر القومي الأوائل، كانوا عرباً لكنهم مسيحيون؟!!

وقد ظهرت هذه الدعوة إلى القومية – كحركة القوميين العرب – كرد فعل لانتكاسة الجيوش العربية في حرب 1948م، وقاد تلك الحركة جورج حبش، ووديع حداد، ونايف حواتمة، وجهاد ضاحي – وهم عرب مسيحيون.. ورفع القوميون العرب شعار القومية العربية، والدعوة إلى توحيدها وتحريرها من التبعية والهيمنة الإمبريالية والشيوعية والصهيونية والرجعية، ثم ما لبثت أن شهدت انقسامات، فتفرعت إلى تيارات قومية مختلفة الأيديولوجيات، لكن أغلب التيارات القومية تبنت الأيدلوجية الماركسية ، فاشتدت المواجهة بينها وبين الاتجاهات الإسلامية، وبدت المواجهات بصورة معارك فكرية بين الإسلام وبين الكفرة، وقد كان للحركات الإسلامية تأثير في الساحة العربية والإسلامية، خاصة بعد أن شهدت الساحة هزيمة الجيوش العربية في حرب1967م التي وقعت على يد دعاة القومية، وكذلك كسبت الحركة الإسلامية – الإخوان المسلمون – تعاطفاً كبيراً نتيجة ما وقع لدعاتها وقادتها من سجون واعتقالات، وتعذيب وقتل باسم حماية الوطن، وفي الوقت نفسه ظهر الفكر القومي بصورة نخبوية حصرته في دائرة ضيقة بين المفكرين والمثقفين والساسة، ولم يستطع النفاذ إلى قلوب الشعوب العربية ليشكل قاعدة عقائد قوية، ورؤية موحدة واعية، بل على العكس من ذلك فقد اعتُبرت العلمانية هي القاسم المشترك الذي تجتمع حوله فصائل الحركة القومية العربية ولا تراجع عنها. وبهذا كانت الشعوب العربية والإسلامية هي العدو الأول الذي رفض تلك الأيديولوجية التي فُسِّرت بأنها ارتداد عن الدين، لأنها تعني فصل الدين عن النظام السياسي والإقتصادي والإجتماعي والقيمي وغيرها من المجالات. وقد أكدت أغلب التيارات القومية تمسكها بمبدأ (العلمانية) وتبنيها

لها كقاعدة أصيلة لا تراجع عنها بغض النظر عن موافقتها لعقيدة الشعوب العربية أو مخالفتها، أما الرسالة الحضارية والتوجهات الفكرية الإسلامية فهي عبارة عن نوافل – في نظر الفكر القومي – يمكن أن تأتي على أي معنى وعلى أي قيمة؟! وبذلك أصبح مفهوم القومية الذي دعت إليه أغلب التيارات والأحزاب العلمانية مفهوماً مفرَّغاً من العقيدة الإسلامية وجوهر الشريعة. وقد نشطت شخصيات إسلامية وتفرغت للدفاع عن مفهوم الإسلام، باعتباره دين ودولة، ونظام مجتمع، ومنهج حياة.

وتجذَّر في نفوس كثير من الشباب المسلم المنتمي للحركات الإسلامية – وغير المنتمي – عداءً شديداً للحركة القومية، والتي وصفت بأنها (دعوة جاهلية) يقودها النصارى لهدم الدين ومحو معالمه، وهذه الدعوة القومية – في نظر كثير من الشباب – وإن بدت بثوب العروبة، ورفعت شعارات الحرية والعدالة الإجتماعية، لكنها لا تختلف عن الشيوعية الملحدة بمبادئها الماركسية لأنها الديانة المعاصرة للنظام الغربي الذي يقوم على الإلتزام بالديمقراطية، التي تجسد قرارات المجالس النيابية المنتخبة من أبناء الدول المسيحية. وهذه الدول النصرانية الآخذة بمبدأ العلمانية قد أزاحت الدين عن سائر مجالات حياتها، ولم يبق إلا في الكنسية. وهؤلاء القوميون يريدون أن تكون البلدان الإسلامية كتلك البلدان الكافرة... تلك هي قناعات كثير من أبناء الحركات الإسلامية.

ولاشك أن السلفيين ورغم عنايتهم ودعوتهم إلى العلم الشرعي لكنهم قليلو الخبرة في مجال السياسية، وبضاعتهم مزجاة في ميدان التيارات الفكرية ومشكلات القومية[1]. فالقضايا المعاصرة والغزو الفكري والتغريب، ومعركة التبعية الثقافية والاستبداد السياسي،

---

(1) انظر كتبهم تجدها خالية من أي مواجهة حقيقية للحركات القومية، وما وجد من ذلك فإنه لا يتعدي الاستنكار والتجهيل بل والتكفير لهذه التيارات دون تفريق بينها، وبأسلوب هزيل لا يتجاوز الخطابة والحماسة، دون سبر أغوار حقيقة المواجهة، كما هو الحال عند جماعة الإخوان المسلمين الذين تصدوا للفكر المخالف بوعي ودراية تامة.

وغيرها من الإشكاليات والتحديات لم يكن لأتباع التيارات السلفية فيها دور حقيقي فاعل. وقد اكتفى العلماء السلفيون بالدعوة لمواجهة هذه الدعوات والحركات.

"وأن نكون يداً واحدة في وجه الشيوعية والبعثيين والناصريين، الذين – لا مكّنهم الله – يريدون أن يلحقوا بلدنا بلبنان أو بغيرها من البلاد التي قد أصبحت خراباً.."[1].

"أنا أسألكم – أخواني في الله – العامة أكثر أم أهل العلم؟ العامة، فلماذا نفرط في الكثرة الكاثرة ونتركهم فريسة للشيوعية وفريسة للبعثية والناصرية ولأعداء الإسلام؟ لماذا.."[2].

وتأمل في (نصيحتة للمسلمين بأن لا يتعلقوا بأعداء الإسلام) والتي يختمها العالم السلفي الكبير بالدعاء: "... ونسأل الله أن يقطع دابر الشيوعيين والبعثيين والناصريين، اللهم طهر بلدنا، وطهر دوائر حكومتنا، وطهر محافظات حكومتنا من الشيوعيين والبعثيين والناصريين.. نسألك يا الله أن تطهر مجتمعنا من الأرجاس الأنجاس الذي دنسوا بلادنا وأذلوا العباد.."[3].

وبهذا ترسخ في عقول ووجدان كثير من السلفيين كفر القوميين وعداءهم للإسلام، دون تفريق بينها، ودون إدراك ووعي. فالشيوعيون كالبعثيين والناصريين سواء بسواء؟! ولا شك أن الحركة الناصرية – كدعوة قومية – لا يمكن مقارنتها بالشيوعيين أو بالتيار البعثي، لأن الناصرية حركة أدركت مدى عمق وأصالة وتجذر الإسلام والعقيدة في ضمير الشعب العربي، ولذلك أعلنت أن الفصل بين العرب والمسلمين الذي برز في المراحل الأولى للحركة كان مخططاً استعمارياً، أريد به إضعاف الرابطة العقائدية القومية للأمة. وقد انطلقت

---

(1) (الفواكه الجنية) صفحة 24، محاضرة للوادعي بعنوان (شرح الدعوة).

(2) المقترح في أجوبة بعض أسئلة المصطلح – للوادعي صفحة 145.

(3) (الفواكه الجنية) للوادعي صفحة 149.

الناصرية من اعتبار الإسلام هو المحور الأساس الذي تنطلق منه كل الأطروحات التنفيذية، وأعلنت أن الإسلام هو الحقيقة التاريخية الكبرى في حياة العرب، لذا فالإسلام وحده هو الأحق بأن يكون الميزان والمقياس.. وقد لقيت الحركة الناصرية من الاستجابة والتجاوب الشعبي الواسع في البلدان العربية ما لم تجده أي دعوة قومية أخرى، وبغض النظر عن الأخطاء والممارسات الخاطئة التي وقعت الناصرية فيها – كغيرها من الحركات والدعوات – لكننا لا يمكننا أن نعتبر من لا يقر بوحدانية الله وبرسالات السماء ودعوات الأنبياء وبالكتب السماوية كالذي يعلن وحدانية الله عز وجل، ويؤدي شعائر الدين وواجباته.

إن هذا الخلط والخبط العشوائي الذي وقع فيه بعض حملة العلم والدعاة خلق ردة فعل عنيفة، لا تفرق بين العدو وبين غير العدو!؟ ردة فعل اتسعت لتُدخل كل فكر في دائرة الكفر، والحُكم على أنصار كل دعوة أو جماعة بـــ (المخالفين)، ولو كانوا مسلمين[1].

7-الدور الأمريكي:

لا يخفى على المتابع لأحداث وتطورات القضية الأفغانية أن للولايات المتحدة الأمريكية دوراً هاماً في دعم المجاهدين الأفغان والعرب في حربهم ضد القوات الروسية والحكومة الأفغانية الشيوعية الموالية لها.

---

(1) لا تكاد تخلو جملة من الجمل التي ذكر فيها الشيخ مقبل الوادعي الشيوعيين والبعثيين من اقتران الناصريين وذكرهم كرديف تحت مظلة (أعداء الإسلام) وصرح الوادعي بكفر الأحزاب غير الإسلامية وذكر أن (الشيوعي والبعثي والناصري يقول: الله خرافة) [في كتابه قمع المعاند]. ولكن منهج القاعدة والذي تمثل منهج بن لادن وفكره لم يذكر الناصرية، وغيرها من الدعوات القومية بالتعيين والاسم ولكن بالذكر العام. كقول العمدة: (ترى أحدهم يزعم أنه مسلم. ثم ينادي بالمبادئ الكفرية كالاشتراكية والديمقراطية والقومية..) صفحة 260 وهذه الجملة فيها حذر ذكي، فلا يمكن الجزم بأنهم يكفّرون الدعوات القومية كلها، ولو صح هذا الجزم وتأكد لكان من لوازمه تكفير بعض الحركات والجماعات الإسلامية المنادية –

والدور الأمريكي لا يمكن تجاهله، ولا أريد المبالغة فيه حتى أصل إلى حد يتجاوز الحقيقة. كما وقع في هذا الكثيرون – بقصد أو دون قصد – ولكني سأحاول تحديد هذا الدور بما يوافق الواقع، دون إفراط أو تفريط.

الحقيقة أن الدور الأمريكي له أهميته من حيث أنه أضفى على القضية الأفغانية صفة الشرعية الدولية، وهذه أهم المكاسب التي استفاد منها المجاهدون، إذ لم تلق حركة المجاهدين أي صعوبات تقف عائقاً أمام الالتحاق بالمعسكرات والمشاركة في ميادين القتال واكتساب الخبرات القتالية، ورفع الجاهزية، لدى الآلاف من القاصدين لأفغانستان. وهذا الموقف الأمريكي شجع حكام العرب والمسلمين نحو اتخاذ مواقف مؤيدة للجهاد والمجاهدين، فدولة باكستان وهي الظهير الاستراتيجي لعبت دوراً هاماً في دعم الجهاد، ففيها يحل القادمون من شتى دول العالم، ليتم تجهيزهم وإعدادهم، كما أن الحكام في البلاد العربية على اختلاف أنظمتهم وجدوا في الجهاد الأفغاني فرصة لإثبات توافق مواقفهم مع موقف الدولة العظمى – أمريكا – ولكسب مودتها[1]، هذا من جهة، ومن ناحية أخرى أراد الحكام أن يثبتوا لشعوبهم الإسلامية عدم تخليهم عن مبدأ الجهاد، ومقاومة الإلحاد وتأكيد هويتهم الإسلامية، التي كادت تختل عند شعوبهم. فلم يبخل هؤلاء الحكام في دعم المجاهدين العرب من خلال تسهيل إجراءات سفرهم إلى باكستان، كما قدم كثير منهم دعماً مادياً للمجاهدين، ودعماً معنوياً من خلال الاهتمام بقضية الشعب الأفغاني المسلم والمضطهد.. من خلال الخطب والتصريحات التي يعلنها هؤلاء الحكام.

= بالديمقراطية، وهذا مالم يقل به بن لادن، ثم إن قائد القاعدة لم ينكر ردة الحكام المعتنقين للناصرية، كما أعلن حربه على الحكام البعثيين والاشتراكيين.

(1) وقد أعلن أحد قادة الدول العربية الإسلامية بصراحة أن الدعم للمجاهدين لم يكن إلا بموافقة من الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت أول الداعمين للمجاهدين وقضيتهم، وذلك حينما أراد الأمريكان توزيع التهم على الدول العربية والإسلامية لكونها دعمت المجاهدين العرب، وأصبح الأمريكيون وجهاً لوجه مع الإرهاب.

ولا شك أن الدعم الأمريكي لقضية الجهاد الأفغاني لم يكن حباً في الإسلام أو رحمة بالمسلمين المضطهدين، وإنما كان الهدف الأمريكي الأكبر هو انتهاز الفرصة لاستنزاف طاقات العدو الحقيقي لأمريكا، وهو الاتحاد السوفيتي. فقد كانت أرض أفغانستان فرصة ذهبية تمكن الأمريكيين من هدر الطاقات الروسية العسكرية والإقتصادية والمعنوية، وقد جعلت أفغانستان ورقة رابحة تتاجر بها الولايات المتحدة أمام الأمم المتحدة ومجلس الأمن، ولإثارة الدول الغربية ضد الروس. لقد خطط الأمريكيون لجعل أفغانستان نقطة سوداء ووصمة عار في التاريخ الروسي المعاصر، كما كانت فيتنام – ولا زالت – نقطة سوداء في التاريخ الأمريكي الحديث.

لقد استسهل الأمريكيون أمر المجاهدين العرب – يسميهم البعض المجاهدين العرب الأفغان – لكنهم لم يغفلوا أو يتساهلوا عن البحث عن قيادات أفغانية طيعة لتكون عميلة لهم، ولتسهل السيطرة والتحكم على كل المستجدات في الساحة الأفغانية، ولتتمكن الولايات المتحدة من الهيمنة على القضية الأفغانية، وتوجيهها كما يريد الأمريكان بعد الفراغ من الروس وعملائهم، ولكن السياسة الأمريكية لم تنجح في ذلك كما أثبتت الأيام، بعد انتهاء الحرب مع الروس.

أما مسألة المجاهدين العرب وغير العرب من القادمين من الدول العربية والإسلامية، فإن الإدارة الأمريكية ظنت أن حلفاءها وأصدقائها من الحكام في هذه الدول سوف يكفونهم عناء الاشتغال بالمجاهدين، ولهذا لم ينشغلوا بهم كثيراً، فهؤلاء الحكام لن يتوانوا عن تنفيذ الرغبات الأمريكية، ولهم سابق خبرات وتجارب مع القيادات الإسلامية والعناصر المتحمسة والجماعات الإسلامية، حيث أثبت حكام الدول العربية والإسلامية مقدرتهم الفائقة في قمع وتشتيت الإسلاميين والقضاء عليهم في السجون والمعتقلات.

إن الدور الداعم للجهاد والمجاهدين الذي لعبته الولايات المتحدة الأمريكية، كان يكفي ثلثه أو ربعه أن يكون دليل إدانة على دعم الإرهاب، ودخول القائمة السوداء لو قامت به أي دولة من دول العالم، وخاصة الدول الإسلامية، وبالأخص الدول العربية المستضعفة؟!

ورغم الموقف الأمريكي – الغربي – العربي من القضية الأفغانية والمجاهدين، لكن المجاهدين كانوا يعلنون عداءهم السافر لكل أعداء الإسلام أينما كانوا، ومن كانوا؟! فالمحاضرات التي كان يلقيها بن لادن تؤكد المواجهة مع دول الكفر كلها، عربية أم أجنبية، وكانت الجملة الشهيرة: (الكفر ملة واحدة) هي المفضلة لدى بن لادن في ندواته ولقاءاته دون خوف أو تردد. وقد أعلن بن لادن في إحدى محاضراته في مسجد جامع من مساجد مدينة جدة. (لا ينبغي ولا يجوز التفريق بين أمريكا وإسرائيل، فهم عدو واحد للأمة الإسلامية) وكان يحث الحاضرين على مقاطعة البضائع الأمريكية بشتى أنواعها، ويعتبر هذه المقاطعة نوعاً من الحرب ضد الأمريكيين. (.. ومن وسائلنا لمحاربة الأمريكان أن نشن الحرب الإقتصادية على أمريكا وعلى كل من يعاون اليهود.. يجب ألاّ نشتري السيارات الأمريكية، أو البضائع الأمريكية، ولا المكيفات الأمريكية، ولا الأقلام الأمريكية، ولا الحلوى الأمريكية.. لا أي شيء يخص الأمريكان. نصرة لله ونصرة لإخواننا الفلسطينيين، وحتى تزيد البطالة في الشعب الأمريكي، وتكسد عندهم البضائع..) ولطالما ذكر الأعداء وخططهم وردد: (خطّطَ الكفار الصليبيون وغيرهم للسيطرة على بلاد المسلمين..)[1].

وجاء في كتاب (أفغانستان مقبرة الغزاة) تحت عنوان: "المجاهدون الأفغان يواجهون العالم بأسره وحدهم، المعركة الدائرة اليوم في بلاد الأفغان ليست بين المسلمين الأفغان المجاهدين والسوفييت فحسب.. إنما هي معركة شرسة بين المجاهدين الأفغان من جانب

(1) أشرطة صوتية بعنوان (الجهاد هو الطريق) و (الطريق إلى القدس).

والعالم بأسره من جانب آخر. المعسكر الشيوعي كله ابتداءً من الاتحاد السوفيتي ومروراً بدول أوروبا الشرقية (ألمانيا الشرقية، وتشيكوسلوفاكيا، وبلغاريا) والدول التي تدور في فلك السوفييت مثل كوبا وفيتنام وإثيوبيا، وينضم إليهم بعض الدول الأسيوية والأفريقية الواقعة تحت قهر الحكومات العميلة للشيوعية، ثم المعسكر الرأسمالي كله، وعلى رأسه الولايات المتحدة، وبما فيه دول غرب أوروبا كلها، والدول التي تدور في فلك المعسكر الرأسمالي، سواء العربية أو الإسلامية أو غير ذلك. أضف إلى ذلك المعسكرات الصليبية والصهيونية والوثنية (الهندوكية والبوذية في الهند) والشيوعية الصينية. فماذا بقي من دول العالم؟ إن المعسكر الكافر قد جمع بين أطرافه.."[1].

وهكذا نرى المجاهدين يعلنون حربهم على جميع دول الكفر في العالم، ولايستثنون!! وظن الأمريكيون أنهم يسيطرون على كل شيء، فخابت ظنونهم، وفشلت مخططاتهم وسقط في أيديهم. وعلى نفسها جنت براقش.

ونتيجة للسياسة الفوقية وهيمنة البطش الأمريكي في العراق وأفغانستان؛ توحدت العناصر الجهادية وتلاحمت لتواجه أمريكا وحلفاءها، ومن هذا ما أعلنه زعيم جماعة (التوحيد والجهاد في بلاد الرافدين) أحمد فضيل نزال الخلايلة المشهور (بأبي مصعب الزرقاوي)، من مبايعته لقائد القاعدة أسامة بن لادن، وقد كان الأمريكيون يعتبرون جماعة الزرقاوي فصيلاً من فصائل القاعدة قبل إعلان الزرقاوي للبيعة والطاعة، وهو هدف طالما كان يحلم به بن لادن.

---

(1) أفغانستان مقبرة الغزاة، صفحة 104- 105 (تأليف أم القعقاع).

البدايات - الصورة العامة

كانت بدايات المشاركة في الجهاد، عبارة عن حركة فردية أو جماعية – مصغرة – ثم تحولت إلى حركة منظمة وسلوكاً جماعياً، كما كانت البدايات تأخذ طابعاً خدمياً ودعماً معنوياً، ثم تطورت إلى صور مختلفة من الدعم وتقديم المعونة، حتى صارت قناعات لا تراجُع عنها. ويمكن أن نوجز البدايات بما يلي:

1- كانت مشاركات العرب في الجهاد عبارة عن تضامن إيماني لأداء الواجب الديني والقيام بحق الأخوّة الإسلامية تجاه مسلمين مستضعفين، أوجبت العقيدة الإسلامية مناصرتهم.

2- بدأ بعض علماء المسلمين وبعض القيادات الحركية والزعامات في الجماعات الإسلامية بزيارات استطلاعية للتعرف على أحوال المجاهدين، ومدى تمسكهم بدينهم والتزامهم بواجباتهم، ومدى صفاء عقيدتهم، وللتعرف على حقيقة ما يجري خلف تلك الجبال الشاهقة، فرجع هؤلاء وقد تأثروا تأثراً كبيراً بواقع المجاهدين وأحوالهم، وعادت إلى ذاكرتهم تلك الأمجاد التي سطّرها المسلمون الأوائل، وشعروا أنها ستُحقق وتعود على أيدي هؤلاء العجم الصادقين..

وعادوا لينقلوا كل ذلك إلى بلدانهم وأتباعهم وجماعاتهم.

3- بدأت حركة تسليم المساعدات والمعونات المادية والعينية والتي كانت بسيطة في هذه المرحلة. وتسلّم المجاهدون هذه المساعدات وارتفعت معنوياتهم وازداد حماسهم، وازدادت التضحيات في المعارك غير المتكافئة بين المجاهدين بوسائل دفاعية بسيطة وبين القوات الروسية المدججة بأحدث أنواع الأسلحة وأفتكها. وقد أثرت هذه المعونات القادمة من البلاد العربية في نفوس المجاهدين، لاسيما أنها جاءت من إخوانهم العرب المسلمين الذين لهم مكانة عظيمة في نفوس المجاهدين الأفغان، الذين كانوا يعتبرون

هؤلاء القادمين العرب هم من أبناء أصحاب الرسول ﷺ وحملة الإسلام إلى العالم أجمع.

4- بدأت أفواج من الشباب المسلم الذهاب إلى باكستان للانتقال إلى أرض الجهاد في بلاد الأفغان، لتقديم واجب النصرة والدفاع عن أراضي المسلمين ورد العدوان وإثبات عقيدة الولاء للمؤمنين، والبراء من الكافرين.

5- نشطت حركة دعائية واسعة في كثير من بلدان العرب والمسلمين ورفعت رايات مناصرة مسلمي أفغانستان من خلال المحاضرات والندوات والخطب والأشرطة والكتب، ولم تلق هذه الحركة الدعائية معارضة من أي جهة من الجهات الحكومية أو الحزبية، بل لقيت دعماً مادياً ومعنوياً واسعاً، فأدت دوراً كبيراً في جذب قلوب الشباب المسلم وتعميق الحب للجهاد ومناصرة المجاهدين.

6- عاد كثير من أولئك الشباب المجاهدين من أفغانستان وهم دعاة متحمسين لتوسيع قاعدة المشاركة الشبابية في الجهاد، ولرفع مستوى الدعم المادي والمعنوي للجهاد في أفغانستان، كما أخذ هؤلاء الشباب العائدون يحكون قصص الكرامات الربانية والتأييد الإلهي للمجاهدين المخلصين، فازدادت حركة الشباب وتوسعت المشاركات، وتسابق الجميع للوصول إلى أرض الكرامات والبشارات الربانية. ولم تستطع قيادات الجماعات الحركية وغير الحركية أن تقف عائقاً أمام حماس الشباب ورغبته الأكيدة في المشاركة في ميادين القتال، فذهب الإخوان المسلمون، والسلفيون، والصوفيون، والسنيون، والمبتدعون، والمتمذهبون، والعامة وبعض أبناء الخاصة، وغيرهم، وفي مقدمتهم أتباع الحركات الجهادية.. فالتقى الجميع في أفغانستان ليقاتلوا عدواً لا خلاف بينهم على كفره وضرره ووجوب مواجهته وصد عدوانه.

استراتيجيات ومنطلقات القاعدة

إن استراتيجية القاعدة تقوم على قاعدة الاجتهاد وتتلخص في سطور يتكرر ذكرها في ثنايا الموضوعات التي تناولتها رسالة (العمدة في إعداد العدة) وهي:

"إن هذا الدين لن يقوم إلا بالجهاد. وإن الجهاد لن يقوم إلا بالجماعة – عصابة من المسلمين – وإن الجماعة لا تتكون إلا بالدعوة. وإن الدعوة تعتمد على الثقة في الداعي وصدقه.."

"الاعتصام بالكتاب والسنة من أهم معالم الإعداد الإيماني للجهاد، فهو الذي يوجه سير الحركة الجهادية إلى غايتها الشرعية، ويعصمها من الزلل والانحراف الذي آلت إليه كثير من الحركات ذات الراية الإسلامية، والتهاون فيه – أي الإعداد الإيماني – يعصف بالحركة الجهادية ككل، ويحولها إلى مسخ مشوه.."

"فلا يجوز استبدال الأوضاع البشرية بالإسلام ولا يجوز خلطه بها" [صفحة 221].

"والأمة المسلمة أمة مجاهدة، فيجب أن تصاغ سياستها وفقاً لهذه الصفة.. إن الأمة الإسلامية أمة مجاهدة في المقام الأول، وحتى تتمكن من أداء هذه الواجبات ينبغي أن تصاغ سياساتها الخارجية والداخلية لتحقيق هذه الواجبات، فالسياسة التعليمية، والصناعة والزراعة والتجارة والإسكان وغيرها، كل هذا ينبغي أن يخطط ويسخر لخدمة الجهاد.."

"ولا يمنع المسلمين من الجهاد إلا العجز.. فما دامت بالمسلمين قوة وكانوا أعلى من عدوهم فلا سلم ولا هدنة ولا صلح، بل القتال حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.. إن الأصل في العلاقة بين المسلين والكافرين هو القتال، وإن الاستثناء منه هو السلم في صورة هدنة أو صلح.."

"ويجب البدء بقتال العدو الأقرب"

"وقتال هؤلاء الحكام المرتدين – يعني حكام العرب والمسلمين – مقدم على قتال غيرهم من الكفار الأصليين من يهود ونصارى ووثنيين.."

"فطريق الخلاص من كفر الحكام هو الخروج عليهم بالسلاح، وهذا واجبٌ إجماعاً عند القدرة، وليس طريق الخلاص مجرد التربية"

"والانقلاب العسكري إنما هو نوع من أنواع الخروج المسلح على الطواغيت، وهو واجب.."

"الطواغيت الأحياء أشد خطراً وأعظم فتنة من الطواغيت الأموات"

"كما إننا نرى أن شَغْلَ المسلمين بأي أمر سوى الجهاد في سبيل الله في هذا الزمان، كما تفعله كثير من الجماعات الإسلامية هو خيانة لله ولرسوله ﷺ وخيانة لهذا الدين وتضييع له.. إن الجهاد اليوم فرض عين على المسلمين في معظم أقطار الأرض.. إن أي جهد يبذل في غير سبيل الجهاد هو جهد ضائع، وإن أي مال ينفق في غير هذا السبيل هو مال ضائع، يجب حشد الجهود والأموال لدفع عجلة الجهاد الذي تعين كطريق شرعي وحيد للخلاص في هذا الزمان.."

ومما سبق نستخلص الاستراتيجيات والمنطلقات كالتالي:

1- لن يقوم الدين إلا بالجهاد.
2- الأمة الإسلامية أمة مجاهدة في الأصل.
3- لا يمنع المسلمين عن الجهاد إلا العجز، وعدم اكتمال الإعداد المادي لذلك.
4- ليست التربية والإعداد الإيماني من شروط وجوب الجهاد، بل هما واجب قبل ذلك قدر الإمكان، ويمكن تحصيلها حال ممارسة الجهاد في ميادين القتال.
5- الأصل في العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين هو القتال لا السلم.

6- وجوب قتال حكام العرب والمسلمين بسبب كفرهم وارتدادهم عن الإسلام.
7- الانشغال عن الجهاد والقتال تحت أي مبرر كان، هو خيانة عظمى.
8- الجهاد والقتال هو الطريق الوحيد للخلاص مما لحق بالمسلمين من ذل ومهانة في هذا الزمان، ولا طريق سواه.
9- الفساد إذا كان من خارج الأمة الإسلامية فلا يندفع إلا بالجهاد والقتال، وأما إذا كان من داخل الأمة فيندفع بالجرح والتعديل والقيام على المبتدعين.
10- مواجهة الطواغيت الأحياء أهم من مواجهة الطواغيت الأموات، وكلاهما جهاد.

إن تنظيم القاعدة اعتمد في استراتيجيته على الممارسة العملية والميدانية للجهاد، ولم يعتمد على المرحلية كما هو عند سائر الجماعات الإسلامية. فلا يمنع عن القيام بالجهاد سوى العجز وعدم الإعداد المادي الكافي للمواجهة، أما إستراتيجية المرحلية فلا مكان لها في هذا التنظيم، حيث تكون مرحلة التكوين العقائدي ومرحلة التربية ومرحلة الترابط الأخوي ثم مرحلة السياسة، وبذلك يكون العمل التغييري هو نضال من أجل تحقيق الحريات ومن أجل تحقيق العدالة الاجتماعية ومن أجل الاستقلال عن الهيمنة الخارجية[1]. ولا تأجيل للجهاد المسلح حتى يتم تحقيق مقومات العودة الذاتية إلى الإسلام بأساليب الدعوة الفردية أو الجماعية، وخلق تيار فكري مستكمل لعناصر الانتصار وضرورات المواجهة بالتربية الإيمانية والعلم.. الخ. لكن تلك أعمال ضائعة وجهد لا ينفع إذا لم يكن ثمة جهاد وقتال، كما رأت القاعدة.

إن السياسة التغييرية عند القاعدة هي:

---

(1) هذه الخطوات المرحلية المأخوذ بها عند غير جماعة القاعدة، مع اختلاف التسميات أحياناً.

......"ويلزمنا للتغيير والإصلاح لأمور ثلاثة: منهج صواب، وصدق في أتباع هذا المنهج، وإخلاص النية في كل ذلك".

وهي استراتيجية تنطلق على أساس أن العدو الداخلي والعدو الخارجي لا ينفك أحدهما عن الآخر من حيث ضرورة وجوب مواجهتهم وقتالهم، دون تفريق بينهما مرحلياً بل هما عملية واحدة، وإن كانت مواجهة العدو الأقرب أكثر وجوباً وأهم مرحلياً إذا أتيحت فرصة الاختيار، لكونه أشد خطراً، ليتحقق إيجاد أرض إسلامية ودولة للانطلاق منها، لتكون ظهيراً للطائفة المجاهدة، وليتم عندئذ استقدام أفواج المجاهدين وتمايز الصفوف، ويصل الحال إلى أن يكون الناس فسطاطين؛ فسطاط إيمان، وفسطاط كفر ونفاق.

إن الإعداد والتربية يتمان تحت راية الجهاد ومن واقع المعركة لا قبله، وبالجهاد وحده تستطيع الأمة المسلمة أن تتخلص من أعداءها وأمراضها في وقت واحد. "والإعداد الإيماني تجب ممارسته في كل المراحل قبل الشروع في الجهاد وخلاله".

"إن الجهاد لا يؤجل من أجل الإعداد الإيماني، وإن كان يؤجل من أجل الاستعداد المادي عند العجز.. فمن قال بتأجيل جهاد هؤلاء حتى يتسنى تربية من يرغب في الجهاد، فصاحب هذه المقولة لا يدرك أن عوامل الهدم أضعاف عوامل البناء..".

"وخير أنواع التربية تلك التي تمارس أثناء الجهاد حيث يغلب على الناس القرب من الله تعالى في هذه الحالة".

وتذهب هذه الجماعة إلى: (أن التدريب ليس بشرط لوجوب الجهاد) ونجد لهذه الجماعة تصوراً خاصاً حول مسألة الإعداد الإيماني والتي يقصد بها (التربية).

"فالتربية للأفراد والقيادة معاً لابد منها ولها أثر مباشر في الانتصار على الأعداء أو الخذلان والهزيمة. ومع ذلك فيجب ألاّ تتخذ التربية ذريعة للقعود عن الجهاد، فالذين

يقولون: لا نجاهد حتى نستوفي التربية الإيمانية. نسألهم سؤالين:

السؤال الأول: هل الغرض من هذه التربية الوصول بالفرد المسلم إلى مرتبة العدالة الشرعية أم إلى مرتبة أعلى؟

السؤال الثاني: هل العدالة من شروط وجوب الجهاد؟ بمعنى أنه هل لا يجوز للمسلم أن يجاهد حتى يكون عدلاً؟ وهل يسقط وجوب الجهاد عن الفاسق؟".

ولأن العدالة ليست من شروط وجوب الجهاد – كما يرى منهج القاعدة – "سقط قول من يقول لا بد من التربية للوصول بالمسلم إلى مرتبة العدالة قبل أن يجاهد، وبالتالي يسقط قول من يشترط رتبة أعلى من العدالة".

"ولا نقول يؤجل الجهاد حتى ننتهي من التربية الإيمانية، فهذه لا نهاية لها إلا بالموت.. وقد يحين الأجل ولم يحصّل العبد إلا قدراً يسيراً من هذه التربية".

ترى القاعدة أن تأجيل الجهاد حتى يتم تحصيل المسألة التربوية يؤدي إلى ضرر وفساد وفتنة أعظم، وإن كان طلب العلم وتحصيله والتربية أمر مطلوب والجماعة تدعو إليهما، لكن بشرط ألا تكون هذه مبررات للقعود عن الجهاد وتأجيله، بل يتم ذلك أثناء الجهاد، فتمارس التربية عملياً في ساحات القتال والمعسكرات لأنه في هذه الحالة يكون الناس أقرب إلى الله.

"والرسول ﷺ كان دائم التوجيه لأصحابه مع قيامهم بالجهاد، وما قال أحد نؤجل الجهاد حتى تكتمل التربية".

فالتربية الإيمانية أثناء الجهاد، ولا يؤجل الجهاد لأجلها، لأنها عملية متواصلة لا

تنتهي إلا إذا مات الإنسان المسلم.

ومعروف أن الجماعات الإسلامية التي تتبنى تأجيل الجهاد حتى تتحقق التربية الكاملة والاستعداد الإيماني وتأتي في مقدمة هذه الجماعات، جماعة الإخوان المسلمين، والتي قطعت مراحل طويلة في عمليات التربية والدعوة والإعداد النفسي..ولا زالت!! ورغم ذلك فإن قادة الحركة الإخوانية يرون عدم صلاحية تلك النظرية التربوية وضرورة تطورها لتواكب تطورات العصر، ولتكون على مستوى التحديات ومشكلات المرحلة.

"كانت النظرية التربوية في مرحلة سابقة لا تتعدى التكوين الشخصي صلاحاً وإصلاحاً[1] لذا فإن النظرية التربوية للمشروع الإسلامي يجب أن ترتقي من إطار تربية الشريحة إلى مساحة تربية الأمة"[2].

ولابد من إعادة النظر في النظرية التربوية التي دامت ما يقارب ثلاثة أرباع قرن من الزمان؟! فيعاد النظر تربيةً وخطاباً وأداءً ونهجاً ووسائل وآليات، لتتجاوز حدود الشريحة الإسلامية المحدودة ولتبلغ الأمة الإسلامية كلها. وهنا تأتي الأسئلة التي طرحتها القاعدة ولكن بصياغة أخرى وهي: إذا كانت تربية الشريحة الإسلامية قد أخذت ذلك الزمن – أكثر من جيلين – ولم تصل بعد هذه الشريحة إلى ممارسة الجهاد – بل حصلت انتكاسات خطيرة – فمتى تنتهي هذه العملية التربوية وهي لا تنتهي إلا بالموت كما قالوا؟! وكم يلزم من الزمن لتربية الأمة لتصل إلى ميادين القتال، إذا استغرقت الشريحة كل هذا الوقت؟!

قلنا إن منهج القاعدة يعتمد على التغيير الذي يتم تحصيله أثناء ممارسة الجهاد، فهو لا يفرق بين كون المنهج الإسلامي منهج تغييري في الأصل في مراميه وأهدافه وبين كونه

---

(1) قطوف شائكة.

(2) المصدر السابق.

منهجاً إصلاحياً يعتمد على المرحلية لتحصيل الأهداف البعيدة، فالإصلاح والتغيير – عند القاعدة – هما شيء واحد، فيكفي أن يكون المنهج صواباً ويصدق أتباع هذا المنهج في تطبيقه ويخلصون النية لتحصيل ما يسعون إلى تحقيقه، ثم إن كل إصلاح يمكن تحصيله أثناء الممارسة العملية لذلك المنهج الصائب. أما جماعة الإخوان المسلمين فهم يرون أن الإسلام منهج تغييري في مراميه وأهدافه الإستراتيجية، لكنه – أي الإسلام – إصلاحي في خطواته المرحلية. والفرق واضح بين هؤلاء وأولئك!

ولهذا نرى الأستاذ فتحي يكن يشير إلى ذلك تحت عنوان: (الحركة الإسلامية.. بين النهجين الإصلاحي والتغييري)[1] ويعتبر أن (من أعظم الأخطار على العمل الإسلامي أن لا يعرف العاملون منهجية عملهم، فيتخبطون خبط عشواء، ويسيئون وهم يحسبون أنهم يحسنون)، ويشير إلى الأخلاط في المنهجيات. (فهنا استغراق في صلاح دون إصلاح) ويعني بهم الحركات والجماعات غير الجهادية، كالسلفيين والتبليغ والمتصوفة. (وهناك قفز إلى سلطة بدون إعداد)، ويقصد جماعات الجهاد عامة والقاعدة خاصة. وقد اختار الأستاذ يكن تسميات غير مسبوقة ليصف بها جماعات الجهاد. فقال: (**المستعجلة:** التي تريد أن تقفز فوق السنن الإلهية لبلوغ أهدافها).

(**الجزارة:** التي تتعطش لسفك الدماء بزعمها أنه طريق الجهاد والشهادة، مخالفة بذلك منهج الإسلام جملة وتفصيلاً الذي يقوم على الرحمة والحكمة والرفق)[2].

واعتماد منهج الإخوان المسلمين الإصلاحي على التغيير والمرحلية، استراتيجية أكدها الإمام المؤسس لحركة الإخوان حسن البناء ويؤكده رواد هذه الحركة حتى يومنا هذا.

---

(1) قطوف شائكة (صفحة 77).

(2) المرجع السابق (صفحة 69).

فالمرحلة الأولى: هي للدعوة العامة، تربية وتزكية للنفوس.

والمرحلة الثانية: هي الدعوة الخاصة "إيصال الدعوة إلى المسئولين من قادة البلد وزعمائه ووزرائه وشيوخه وحكامه ونوابه وأحزابه، ودعوتهم إلى مناهج الجماعة، ووضع برنامجها بين أيديهم ومطالبتهم بأن يسيروا في طريق الإسلام.."[1].

أما المرحلة الثالثة: فهي إقامة الدولة.

والمرحلة الرابعة: هي إعادة الخلافة. ويعتمد منهج الإخوان على وسيلة النضال الدستوري "بأن يتقدم مرشحو الجماعة لتمثيل الأمة في الهيئات النيابية، فيرتفع صوت الدعوة في الأندية الرسمية وتناصرها، وتنحاز إليها القوة التنفيذية[2] أما وسيلة (الثورة) فهي ليست من وسائل الإخوان، ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها"[3].

وعند استخدام القوة: "والجماعة لا تلجأ إلى القوة إلا مضطرة، وإنما تستخدم القوة العملية حيث لا يجدي غيرها، وبعد أن تثق أنها استكملت عدة الإيمان والوحدة.."[4].

وأنها تعتمد (النضال الدستوري) أي التغيير من خلال المؤسسات الدستورية كالبرلمانات والحكومات وكل مؤسسات المجتمع المدني[4].

وهنا تلتقي – أو تكاد – جموع السلفيين، سواء التيار الجهادي، أم العقائدي المسالم، ليحكموا على تلك الوسائل التي يعتمدها منهج الإخوان المسلمين للتغيير بأنها وسائل كفرية محرمة ضالة مضلة.

فقد جاء في كتاب (تنوير الظلمات لكشف مفاسد وشبهات الانتخابات) لمؤلفه: محمد ابن عبدالله الإمام، أحد القيادات السلفية التابعة لمدرسة الشيخ مقبل الوادعي، إذ يقول:

---

(1) قطوف شائكة (صفحة 69).

(2) المرجع السابق (صفحة 82) عن رسالة المؤتمر والرسائل والأصول للإمام البنا.

(3) المرجع السابق (صفحة 82)، عن رسالة المؤتمر والرسائل والأصول للإمام البنا وبهذا يتفقون مع ما يراه السلفيون غير الجهاديين، في رفض استخدام القوة والعنف مع الحكام.

(4) المرجع السابق (صفحة 83 و 84).

"الانتخابات داخلة في الإشراك بالله، وذلك في شرك الطاعة، حيث أن الانتخابات جزء من النظام الديمقراطي، وهذا النظام من وضع أعداء الإسلام، ليصرفوا المسلمين عن دينهم، فمن قَبِله راضياً به، مروِّجاً له، معتقداً صحته، فقد أطاع أعداء الإسلام في مخالفة أمر الله عز وجل، وهذا عين الشرك في الطاعة" [صفحة 38].

"فالذي نعتقده وندين الله به أن الانتخابات طاغوتية وأن الديمقراطية نظام كفري" [صفحة 64].

"ولا يستقيم دين المسلم، ويكون مخلصاً لله في عبوديته له إلا بالكفر بالديموقراطية" [صفحة 202].

وعن أعضاء مجلس النواب: "وأما أصحاب مجلس النواب، فلن يكلهم الله لأنفسهم فقط، وإنما سيحاربهم الله، لأنهم صاروا حرباً على الله، وعلى دينه وأوليائه، وذلك بأنهم رضوا بأن يكونوا مشرعيِّن من دون الله عز وجل، إلا أن يتوبوا إلى الله" [صفحة 122].
والنصوص في هذا المعنى عديدة.

"فالمشرِّع في النظام الديمقراطي هو الشعب ممثلاً في أغلبية نوابه بالبرلمان، وما يشرِّعونه يصبح تشريعاً ملزماً لجميع الشعب، ولذلك فالديمقراطية شرك وكفر أكبر صريح.. ويكفي كفر الديمقراطية أن قرارات البرلمان تخرج مصدرة (باسم الشعب) وليس (باسم الله) فقد وضعوا الشعب موضع الله، ولهذا فإن الديمقراطية هي من صور تأليه البشر من دون الله، وقد حرمها الله.." [صفحة 103 من العمدة].

".. ومثله في الكفر من أدعى حاجة المسلمين إلى الديمقراطية أو الإشتراكية أو غيرها من المذاهب الكفرية.." [صفحة 220 – العمدة].

".ومن الصور القبيحة لتحكُّم الناس في الشريعة الإلهية – في زمننا هذا – استفتاء

الشعب مباشرة أو عن طريق نوابه (البرلمان) حول تطبيق الشريعة، وذلك باسم الديمقراطية.." [صفحة 231 – العمدة].

فالبرلمانات التي تسعى إليها جماعة الإخوان المسلمين وتدفع بأتباعها للمشاركة فيها وممارسة النضال الدستوري في الهيئات النيابية وغيرها من أشكال المشاركة السياسية؛ ليست لا تصلح ولا تنفع أن تكون وسائل وطرائق للإصلاح والتغيير فحسب، بل هي كفر وشرك أكبر في رأي التيار السلفي. وفي نفس الوقت يرى الإخوان أن لا حرج من اعتمادها كخطى إصلاحية طالما أنها تؤدي إلى تحقيق التغيير المنشود، وهي لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية.

"إن الإعلام والسياسة الإعلامية، هي من صلب عمل السياسيين والبرلمانيين والوزراء وهي مدخل من مداخل الدعوة لا يضاهى.."[1].

وتلك أيضاً لا جدوى منها ولا فائدة في نظر السلفيين: "ونرى إعلاماً ونشاطاً علمياً إسلامياً واسعاً، بلا أثر في واقع المسلمين.." [صفحة 202 – العمدة].

ذلك لأن هذا الإعلام إنما يهدف إلى تثبيت أوتاد الكفار وزيادة الفساد والباطل. فلا فائدة منه في اعتماده كوسيلة للتغيير طالما كان في أيدي الطواغيت ويعمل لدعم وتأييد أباطيلهم، وكذا السلفية العقائدية المسالمة ترفض استغلال الإعلام بأنواعه لكونه ينشر الأباطيل والمحرمات والفساد، ولو لم يكن في الإعلام إلا مسألة الصور المحرمة لكان – في نظرهم – سبباً كافياً للمنع وعدم استخدامه لنشر الدين.

إنهما طريقان لا يمكن أن يلتقيا فضلاً عن اتحادهما!! وكلاهما سائران. لكن الغريب أن ينشأ في صفوف جماعة الإخوان من ينادي بوقف العمل السياسي، والانسحاب من

---

(1) فتحي يكن – (صفحة 54) المصدر السابق.

ميدان العمل السياسي والدستوري، حتى بعد أن وصلت حركة أخوان إلى تحت قبة البرلمان.

"ولم تكد هذه الحركة تصل إلى البرلمان حتى تعالت أصوات من داخلها، ومن قلب قواعدها منددة مستنكرة، بعضها ينادي بوقف العمل السياسي والانسحاب من الميدان البرلماني.."(1).

وبذلك تكون القناعات قد اهتزت أو تبدلت عند البعض، في تنظيم الإخوان، أما السلفيون فتظل قناعاتهم – في رفض تلك الوسائل وتحريمها – لا تزال ثابتة كما هي.

وتفسر قيادة الإخوان أسباب ظهور هذه المشكلة نتيجة اقتحام الحياة السياسية قبل الأوان، أو بسبب سوء اختيار الشخص المناسب لعضوية البرلمان، أو لعدم متابعة الجماعة لمن اختارتهم لعضوية البرلمانات، أو لسبب عدم وجود مشروع سياسي واضح للعمل النيابي، أو نتيجة عدم تبين الضوابط الشرعية الواجب التزامها من قبل الأعضاء النواب..

وإذا كانت جماعة القاعدة تحكم – كما ذكرنا – على كل من يشغل المسلمين اليوم بغير الجهاد ونصرة المجاهدين بالخيانة لله وللرسول وللدين، فإن جماعة الإخوان المسلمين ترى أن هذا الجهاد بهذا الشكل قد أساء إلى الإسلام والمسلمين؟!

"ولكم سحقت حركات إسلامية بسبب تصرفات صبيانية ومغامرات طائشة، لا تمتُّ إلى مقاصد الشريعة بشيء! لكم وقعت عمليات انتحارية باسم الإسلام لا تتصل بمعاني الشهادة بأدنى صلة.. لقد استساغ البعض قتل الناس، وبقر بطونهم، وتفجير جماجمهم، وإحراق جثثهم بذريعة إرباك الدولة، وإسقاط النظام وإحياء فريضة الجهاد!! فأي جهاد

---

(1) فتحي يكن – (صفحة 53 المصدر السابق.

هذا.."[1].

وإذا كانت استراتيجية القاعدة ووسائلها واضحة ظاهرة لا لبس فيها – بغض النظر عن الحكم عليها وموافقتها أو رفضها – لكن مفهوم الجهاد عند الإخوان كوسيلة للتغيير فيه غموض وضبابية، إذ أن من الشعارات الكبرى لهذه الجماعة، والتي يتفاخرون بها هي (الجهاد سبيلنا) وهو شعار – كما قيل – يحدد مسار الحركة ومنهجيتها وآليتها.

"فهي ليست جماعة نظرية تكتفي بعرض الآراء ونشر الأفكار – وإن كان ذلك من وسائلها – وإنما تعمل على ترجمتها وتحقيقها في واقع الحياة عبر حركة جهادية يومية على كافة الأصعدة"[2].

ومن شعاراتها – أيضاً – (الموت في سبيل الله أسمى أمانينا)!! ونجد أن في (مرحلة التمكين)، والتي وصفت بأنها ذؤابة العمل الإسلامي والنتيجة الطيبة للمقدمات الجيدة، وأنها مرحلة الثمرة الناضجة، وإنها مرحلة تمكين دين الله في الأرض.

كما ترى الجماعة أن من أهداف هذه المرحلة: "إلزام الناس بمنهج الإسلام في الحياة في الكلام والسكوت، والعمل والمطعم والمشرب، والمنكح والمسكن، والتعامل كله، وفي كل مجال له علاقة بحياة الإنسان، أي إلزامه بمنهج الإسلام، وجميع مقرارته"[3].

وأنه في هذه المرحلة تعتبر الحكومة مسئولة عن إلزام الناس بمنهج الإسلام ولها أن تأطرهم عليه أطراً، ولو أدى إلزامهم بمنهج الإسلام إلى الحرب، فإنها حرب مشروعة.

كما أن الهدف السادس في هذه المرحلة هو: وضع نظام للجهاد في سبيل الله، لتكون

---

(1) فتحي يكن – (صفحة 96) المصدر السابق.

(2) فتحي يكن – (صفحة 92) المصدر السابق.

(3) (فقه الدعوة) د. علي عبد الحليم محمود (صفحة 742).

كلمة الله هي العليا "ولا أقل – في هذا المجال – والحكومة إسلامية من أن تعدّل أسماء وزارات الحرب أو الدفاع إلى التسمية الإسلامية الدالة المعبرة الهادفة الخادمة لأغراض الدين وهي (وزارة الجهاد في سبيل الله)"[1].

"إن الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، تأكيد لمرحلة التمكين، ودعم لاستمرارية التمكين لدين الله في الأرض، ولو قعدت الدولة عن الجهاد في سبيل الله لانتكست وضعفت وأصبحت نهبة لكل معتد.."[2].

– **والتساؤل هنا:** أنه إذا كانت هذه المرحلة هي النتيجة لتلك المراحل السابقة – التي ذكرتها في مدخل الدراسة – وأنها مرحلة سيادة منهج الله على الحياة والإحياء. فكيف تحققت؟ وبم تحققت؟! وكيف صار الإسلام منهج حياة الناس؟!

بالحوار؟ بالبرلمانات والانتخابات؟! بالصبر والتربية والدعوة؟!! أم بماذا؟! ولماذا تلزم الحكومة الناس وتجبرهم – ولو بالحرب – على الالتزام بمنهج الإسلام في جميع مقرراته؟! ولماذا أُعلن الجهاد الحربي في هذه المرحلة وليس قبلها؟! عشرات الأسئلة تبرز، وتحتاج إلى أجوبة من هذا المنهج الذي بدأ بالوسائل السلمية والتربية والنضال الدستوري وانتهى بإلزام الناس بالمنهج ولو بالحرب؟!

وهل يمكن أن يصدق عاقل أن بالجهاد التربوي يتكون جيل مسلم ملتزم بالشرع، وبالجهاد الإقتصادي تتحقق العدالة الإجتماعية، وبالجهاد السياسي تُحتل مواقع القرار وستقوم دولة الإسلام وتعود الخلافة الإسلامية؟!! وبدون قتال وتضحيات ودماء وأشلاء وشهداء!! وهل ثبت في تاريخ البشرية حالة كهذه أو ما يشابهها؟! وهل هذه الطرائق

---

(1) علي عبد الحليم (صفحة 744).

(2) علي عبد الحليم (صفحة 749).

تطابق مراد الشرع؟! وهل هذا يوافق السنة النبوية في بناء المجتمع الإسلامي وإقامة دولة الإسلام كما سار على ذلك السلف الصالح من الصحابة رضوان الله عليهم ومن تبعهم بإحسان؟! أم هي أوهام ومداهنة بل وخيانة – كما رأت القاعدة خاصة والسلفيون عامة – وانحرافات وقعت فيها الجماعات الإسلامية؟![1]

لقد ذكرت في البداية أن هذه الإستراتيجيات اعتمدتها القاعدة كأساس تنطلق من خلاله إلى ميادين العمل والتنفيذ بمقتضى ما توجبه وتطالب كل مسلم به.

فلو أعدنا النظر فيما نقلته من النصوص السابقة نجد:

".. فيجب أن تصاغ سياستها.." ".. لتحقيق هذه الواجبات.." "..ويجب البدء بقتال العدو.." "..فطريق الخلاص.. وهذا واجب إجماعاً.." "..والانقلاب العسكري.. وهو واجب".

فنرى الحكم بالوجوب على تلك القضايا متكرراً، والوجوب في أي مسألة من المسائل الشرعية يتم التوصل إليه بطريق الاجتهاد[2]، وهي طريق تقتضي وجود ملكة عند من يجتهد ليتمكن بواسطتها من استنباط الأحكام الشرعية العملية من الأدلة الشرعية وإطلاق حكم الوجوب في مسألة من المسائل الشرعية تعني الثواب على الفعل والعقاب على الترك، لأن (الواجب)[3] هو ما طلب الشارع – أي المشرع – من المكلف فعله على وجه الإلزام.

والسلفيون، يعتمدون في إحياء دعوتهم على (الاجتهاد)، وتتكرر في مؤلفاتهم الدعوة إلى الاجتهاد، والاستنكار الشديد على دعوى إغلاق باب الاجتهاد. لكن الإشكال في هذا

---

(1) كل تلك التساؤلات يضعها السلفيون سواء الجهاديين أم غير الجهاديين.

(2) الاجتهاد كما عرّفه الإمام الغزالي بأنه بذل المجتهد وسعه في طلب العلم بأحكام الشريعة.

(3) (أصول الفقه الإسلامي) للدكتور: زكريا البري.

الاجتهاد السلفي أنه ينتهي إلى أحكام قطعية لا يمكن قبول لحتمال وقوعها في الخطأ، أو قبول اجتهاد آخر يمكن اعتماده.

وجاء في منهج تنظيم القاعدة – العمدة – : "ونرى أن الاجتهاد ماضٍ لا ينقطع، ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجة".

وبعد أن ذكر الأحاديث الدالة على ذلك، ذكر العلة والسبب: "ومن المعلوم أن النصوص متناهية، وأن الأحداث تتجدد، منها ما بحثه السلف في الوقائع المفترضة، ومنها ما لم يبحثوه، فلابد من وجود المجتهد الذي يستنبط أحكام هذه الأحداث المتجددة، وإلا تخبط الناس في الجهل وانقطعت حجة الله على خلقه"[1].

ويستنكر على من قال بإغلاق باب الاجتهاد: ".. فهذا لا يجوز لا شرعاً – لوجود النصوص المثبتة لذلك كما سبق – ولا عقلاً لتجدد الحوادث، خاصة مع تطور المخترعات الحديثة التي تستلزم وجود مجتهد يفتي الناس في النوازل، أضف إلى ذلك حسم الخلاف الفقهي في كثير من المسائل، ونحو ذلك"[2].

وعن ضوابط الاستدلال. قال: "والضابط في الاستدلال بالنصوص هو فهم السلف الصالح من الصحابة فمن بعدهم لها، وقواعد اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة، وقواعد أصول الفقه. حتى لا يحرَّف الكلم عن مواضعه"[1].

وعند حديثه عن المنهج السلفي في التعامل مع النصوص ومعرفة مراتب الأدلة الشرعية قال: "تقتضي معرفة مراتب الأدلة الشرعية التي يُستدل بها على الأحكام حتى لا يقدَّم دليل أدنى على دليل أعلى في القوة والحجية، فإن هذا حرام، لأنه يدخل في التقديم بين

---

(1) العمدة (صفحة 250).

(2) العمدة (صفحة 252).

يدي الله ورسوله ﷺ ومن هنا قال العلماء (لا اجتهاد مع النص)"[1].

"ومما يتعلق بمعرفة الأدلة الشرعية ومراتبها ثلاثة أمور:

<u>الأمر الأول</u>: أن هذه الأدلة ترجع إلى أصلين، هما الكتاب والسنة، ونصوصها ينبغي أن تُفهم كما فهمها الصحابة والتابعون لهم بإحسان، فإنهم أعلم بالمراد منها فعليهم أنزلت، وفي هذا سدّ لباب التأويل والتلاعب بالأدلة الشرعية.

وكل من سلك غير مسلك السلف الصالح في فهم النصوص، لابد أن يحيد عن جادة الصواب.. وعلوم اللغة العربية وأصول الفقه هي من الوسائل المؤدية إلى فهم النصوص كما فهمها الصحابة ومن بعدهم..

<u>الأمر الثاني</u>: أنه لا يجوز تقديم دليل على آخر أقوى منه، فضلاً عما هو ليس بدليل، وهذا هو أساس الأقوال المرجوحة في المذاهب الفقهية، كما أنه أساس الخلط الموجود بساحة العمل الإسلامي المعاصر.. فبعض الناس يخالفون الكتاب والسنة إلى قول فلان من الفقهاء إذا وافق هذا القول هواهم أو هوى من يفتونه، وكذلك لا يعارض كتابٌ أو حديثٌ صحيح بحديث ضعيف، ولا يعارض النص بالقياس أو بالقول بالمصلحة ونحوه..

<u>الأمر الثالث</u>: إن هناك أموراً يعتبرها بعض الناس حجة، ويستدلون بها على التحليل والتحريم أو الحق والباطل، وهذه الأمور ليست ضمن الأدلة الشرعية المعتبرة، وبالتالي فهي ليست بحجة في الفعل أو الترك، ومنها: الرؤيا، والكشف، وخرق العادة (الكرامة)، وحديث النفس وما يقع في القلب (الإلهام)، واستحسان العقل أو استقباحه لشيء، والاحتجاج بعمل الكثرة لمخالفة ما تقرر بالشرع، وتقليد الآباء والأسلاف من غير دليل ولا برهان، ومن ذلك – أيضاً – أعمال الناس خاصة العلماء، فكثير من العامة يحتجون على جواز

---

(1) العمدة (صفحة 223).

الشيء بهذا، ويقولون: لو كان حراماً أو مكروهاً لامتنع منه العالم.."[1].

"إن الطاعة واجبة في كل ما أمر الله به ورسوله ﷺ ، وهذا هو الانقياد الكامل، والتقصير فيه ينشأ عنه البدع والضلالات والمعاصي بأنواعها **والتقصير فيه ينشأ عن أسباب كثيرة منها:**

1- تأويل النصوص، والتأويل المقصود هو الفاسد، وهو مراتب أشدها التفسيرات الباطنية للنصوص.

2- الأخذ ببعض النصوص دون البعض الآخر. وله صور منها:

-كالاستدلال بالعام والأعراض عما يخصصه، أو تقديم العام على الخاص عند التعارض.

-والأخذ بالمطلق وإغفال المقيد مع اتحاد السبب والحكم.

-والأخذ بالمجمل وترك ما يبينه.

-والعمل بالمنسوخ مع وجود ناسخه.

-والاستدلال بالمتشابه وترك المحكم.

-أو رد بعض النصوص والأحكام بالقواعد الكلية، كالترخيص مطلقاً بحجة (إن الدين يسر).

-أو العمل بالقول المرجوح في المسألة باعتبار أن فيها خلافاً، وأن الخلاف يرفع الجرح"[2].

واستكمالاً لمنهجية القاعدة وضوابط اجتهادهم. قالوا: "إنه لا أحد معصوم من هذه الأمة بعد النبي ﷺ "[3] ومن الأصول المعتمدة "رد وإبطال ما خالف الشريعة"[2].

ومما يتعلق بهذا أيضاً مسألة حديث الآحاد وكونه حجة في العقائد والأحكام، وهي

---

(1) العمدة (صفحة 224- 227).

(2) العمدة (صفحة 228 – 229).

(3) العمدة (صفحة 231).

مسألة تعتبر من المعالم المتفق عليها والهامة في المنهج السلفي. وأما مسألة التقليد المذهبي فإن منهج القاعدة يخالف ما يراه السلفيون المتشددون المعاصرون، حيث ترى القاعدة:

"التقليد المذهبي جائز وليس بواجب على كل أحد. والتقليد هو العمل بقول الغير من غير حجة. وكونه جائزاً في حق العامي الذي لا يمكنه فهم الدليل"[1].

وقد رأي السلفيون غير الجهاديين عدم جواز التقليد مطلقاً وأفتوا بوجوب معرفة الدليل على كل الأحوال، كما أفتى مؤسس الحركة السلفية في اليمن الشيخ الوادعي أن (حكم الإسلام في المذاهب الأربعة أنها بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، ونقل عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنه اعتبر التقليد أصلاً من أصول الكفر)[2].

وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب حنبلياً على مذهب أحمد بن حنبل، فلا يسع العامة من الناس إلا أن تقلدوا مذهبياً، والسلفية أيضاً مذهب، فكيف يسع فلان أن يكون سلفياً ولا يسع علان أن يكون شافعياً أو حنفياً أو ......

---

(1) العمدة (صفحة 247).

(2) (قمع المعاند وزجر الحاقد الفاسد) للوادعي.

وبعــــد .. أهم القضايا وأخطرها

فإن تلك هي أبرز المعالم في قضية الاجتهاد التي احتواها منهج القاعدة. وسأذكر تطبيقات ونماذج لاجتهادات القاعدة في هذا المنهج. اجتهادات التزمت القاعدة بها ودافعت عنها، بل ورفضت – أحياناً – الاجتهادات الأخرى، ولو كانت من لجتهادات وآراء كبار العلماء السلفيين، والذين يستشهد بآرائهم وأقوالهم، كالشيخ محمد ناصر الدين الألباني، والشيخ مقبل بن هادي الوادعي والعالم السلفي علي بن حسن عبد الحميد.. ورغم أن الاجتهاد جاء كضرورة لحل قضايا العصر الراهن، ومن أجل إعطاء إجابات إسلامية مناسبة للمشكلات المستجدة في الواقع، لكن برزت أثناء ذلك إشكالات وتناقضات خطيرة. إذ احتوت الإجابات والاجتهادات وتضمنت نقاطاً خلافية وآراءً متناقضة واتجاهات مختلفة، أدت إلى ازدياد التنازع وبُعد القائمين بالاجتهاد عن بعضهم في المسألة الواحدة، وأوجدت تمزقات جديدة بالإضافة إلى ما كان موجوداً من قبل، وكل فريق يعلن استناده إلى النصوص الشرعية وفهمه الأمثل لها، كمرجع ودليل اجتهاد قويم مناسب لحل معضلات الواقع، ومشكلات العصر!!

وكدليل على ما ذكرت فإنني استشهد بمسألة أو قضية من أخطر وأكبر القضايا المعاصرة. فحيث نجد جماعة القاعدة ترى "أن جهاد الحكام المرتدين الحاكمين بغير شريعة الإسلام هو جهاد متعين على المسلمين في هذا الزمان، وهو مقدم على غيره من جهاد الكفار الأصليين كاليهود والنصارى والوثنيين"[1].

بينما يرى السلفيون غير الجهاديين "ولا أرى الخروج على الحكام – ما داموا مسلمين – وإن جاروا بل يجب نصحهم وتذكيرهم..".

---

(1) العمدة (صفحة 394).

"وأرى السمع والطاعة للحاكم المسلم، ولا أرى شق عصا المسلمين"[1].

".. ومن أولئك الأشخاص ولاة الأمور فإنهم يدينون الله تعالى بطاعتهم – أي أهل السنة والجماعة – في طاعة الله ولا يرون الخروج عليهم.. والذي حملهم على ذلك كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وسيَّر السلف الصالح من الصحابة الكرام وتابعيهم بإحسان"[2].

"وقد سئل المحدث العلامة مقبل بن هادي الوادعي حول الخروج على الحكام، فقال السائل: هل الخروج ضد الحكام مسموح؟

فأجاب رحمه الله بقوله: الخروج ضد الحكام بلية من البلايا التي ابتلي بها المسلمون من زمن قديم، وأهل السنة بحمد الله لا يرون الخروج على الحاكم المسلم". [تحفة المجيب صفحة 227][2].

فهذه مشكلة، تعرض لها المجتهدون الإسلاميون، وخرجوا بفتاوى وحلول مختلفة بل ومتناقضة، وكل يزعم بأنه اجتهد، واستنتج الحكم من مصادره الشرعية التي لا خلاف عليها (الكتاب والسنة النبوية)!!؟ وأكثر من ذلك، وفوقه، أن هؤلاء الذين تضاربت حلولهم واستنتاجاتهم ينتمون إلى مدرسة واحدة هي المدرسة السلفية.

إن تنظيم القاعدة حكم بكفر وارتداد الحكام المسلمين[3]، فأوجب قتالهم وسلبْ السلطة منهم، في الوقت نفسه حكم السلفيون غير الجهاديين بإسلام الحاكم وأوجبوا طاعته. بل تأمل ما نقلته سابقاً – وهناك الكثير مثله – حيث قالوا: "فإنهم يدينون الله تعالى بطاعتهم..".

---

(1) السراج الوهاج (صفحة 55 – 56).

(2) رسالة البيان المفهم بالموقف السلفي من ولي الأمر المسلم. حسن بن قاسم الريمي السلفي، (صفحة 8).

(3) أي الذين كانوا يُسمُّون مسلمين في عُرف المجتمع المسلم، وهم كفار بارتدادهم في نظر القاعدة.

فهؤلاء السلفيون لم يحكموا بطاعة الحاكم، بل هم يعتبرون طاعتهم للحاكم ديناً وعبادة أوجبها الله عليهم وسيثيبهم عليها بالثواب الجزيل يوم القيامة، حيث يكون الثواب والأجر، والعمل الصالح من موجبات وأسباب دخول الجنة واستحقاق النعيم.

فتأمل!! هؤلاء يتعبدون الله ويطيعونه بطاعتهم للحاكم، وأولئك يتعبدون الله ويطيعونه بقتل الحاكم وإنهاء حكمه؟!

وهذا، وأنا لم أنقل الاجتهادات الأخرى التي جرت في نفس المسألة من تيارات وجماعات إسلامية أخرى؟! ولكني سأكتفي بذكر لجتهاد آخر، وفي نفس المسألة ومن نفس التيار السلفي – أيضاً – إنها جماعة الحرم أو جماعة جهيمان، ورغم أني سأتناول هذه الجماعة بدارسة تفصيلية – من النشأة حتى نهايتها والقضاء عليها – ولكن لاستكمال الصورة سأنقل رأي هذه الجماعة باختصار.

جاء في رسائل جهيمان بن سيف العتيبي قائد الجماعة وزعيمهم الروحي، وبعد أن ساق الأحاديث النبوية كشواهد على صحة اجتهاده ورأيه. قال: "مسألة خطيرة: قدمنا لك وجوب طاعة الحكام الذي ثبت لهم الإسلام ما داموا يقيمون الصلاة، وإن أظهروا الفسق والفجور. لكن يجب التنبيه إلى الموقف الذي أمرنا النبي ﷺ أن نتخذه منهم وهو الإنكار عليهم فيما يفعلون من الباطل على مراتب الإنكار الثلاث، والواردة في صحيح مسلم من قول الرسول ﷺ : [من رأى منكم منكراً فليغيره بيده..]. الخ الحديث..

وهؤلاء الحكام الذين ينصرون وينشرون المنكرات، وهم مع ذلك يقيمون الصلاة فقد ذكر صفتهم النبي ﷺ ، وأن الموقف الذي يجب اتخاذه معهم هو مجاهدتهم على تغيير المنكر.. وذكر الأحاديث.. ثم قال: فهذه المنابذة ليست المنابذة بالسيف، بل هي المجاهدة بالإنكار.."[1].

---

(1) رسائل جهيمان العتيبي – دكتور: رفعت سيد أحمد (صفحة 148).

فهذا الاجتهاد السلفي – أيضاً – حكم بوجوب طاعة الحكام وإن كانوا فساقاً وعصاة، مع مجاهدتهم. وهذه المجاهدة هي ضمن مراتب تغيير المنكر التي أمر بها المسلمون عند حصول المنكرات، وتكون باليد ثم باللسان وأخيراً بالقلب.

ولكن هذا الحكم ما لبث أن تغير عند نفس المجتهد في رسالة أخرى، حيث قال: "الخلاصة مما تقدم ومجمل ما نعتقده في حكام المسلمين:

وبعد هذا كله والذي نعتقده في حكام المسلمين اليوم، والذي يظهر من الأدلة المتقدمة إن هؤلاء ينطبق على كثير منهم ما ذكره ووصفه النبي ﷺ في الأحاديث التي في الفصل السابق. وإنه ليس لهم على المسلمين بيعة، ولا تجب لهم طاعة. ومع ذلك لا يُلزم من هذا كله تكفيرهم. بل من أظهر منهم الإسلام حكمنا له به حتى تثبت ردته، فنحكم عليه بالكفر مع اعتقادنا إن بقاءهم اليوم هدم لدين الله عز وجل، ولو كانوا يدَّعون الإسلام. نسأل الله أن يريحنا منهم أجمعين"[1].

وبهذا حكم بعدم شرعية سلطة الحاكم من خلال سقوط البيعة التي أخذها من المحكومين، كما حكم بعدم وجوب طاعتهم بعد أن حكم سابقاً بوجوب الطاعة لهم. ومع ذلك فإنه لم يتجاوز إلى الحكم بتكفير الحاكم وردته عن الدين، فبقي حكمه السابق، كون هؤلاء الحكام فاسقون!! ثم إن هذا الشيخ السلفي وجماعته قاموا بالخروج على الحاكم الذي فسَّقوه ولم يحكموا بكفره!!

إننا رأينا حُكمين متناقضين، حكماً يكفِّر الحاكم ويوجب قتاله، وآخر يوجب طاعة الحاكم ويحكم بإسلامه. كما رأينا حكماً ثالثاً يرى فسق الحاكم وفجوره ويعتبره منافقاً – كما جاء في رسالة أخرى من رسائل جهيمان – ويدعو الله أن يخلص المسلمين منه ويسقط

---

(1) رسائل جهيمان العتيبي – دكتور رفعت سيد أحمد (صفحة 82).

طاعته، ولكن لا يكفره، ثم يخرج عليه!!

وكل تلك الاجتهادات سلفية المنهج والتفكير، ومختلفة الأحكام والفتاوى؟! ولأن جماعة القاعدة هي محور دراستي وهي المقصد الأول، فإنني سأنقل الأسلوب والمنهج الذي اتبعته في اجتهادها في هذه المسألة وأوصلها إلى ذلك الحكم، وسأكتفي بماله علاقة بجوهر الحكم، وسأترك متعلقات أخرى بهذه المسألة لأتناولها تحت عناوين أخرى في هذه الدراسة إن شاء الله.

قال في (العمدة): "والسلطان إذا كفر وكان ممتنعاً وجب قتاله فرض عين، ويقدم على غيره: وهذا كشأن الحكام الذين يحكمون بغير شريعة الإسلام في كثير من بلدان المسلمين، فهؤلاء كفار، لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: 44]. ولقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: 1]، وغيرها من الأدلة ومعظم هؤلاء يدَّعون الإسلام فهم بالكفر صاروا مرتدين".

"والحق أن هؤلاء الحكام مع حكمهم بغير ما أنزل الله يشرِّعون للناس ما يشاؤون من أحكام، فهم قد نصَّبوا أنفسهم أرباباً وآلهة للناس من دون الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: 21]، وقال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 31]، فكفرهم كفر مزيد مركب مع صدهم عن سبيل الله"[1].

".. أجبت عن الاعتراضات الواردة على آية المائدة ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ

(1) العمدة (صفحة 284).

﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾ وبينت أنه نص عام من أوجه كثيرة، وأن الكفر في الآية هو الكفر الأكبر، وأنه إذا اختلفت أقوال الصحابة في تفسير آية لخترنا من أقوالهم ما يؤيده الكتاب والسنة كما هو مقرر في الأصول، وبينتُ كذلك أن ما يحدث في كثير من بلدان المسلمين الآن هو صورة سبب نزول الآية، وهو تعطيل حكم الشريعة واختراع حكم جديد وجعله تشريعاً ملزماً، كما عطل اليهود حكم التوارة برجم الزاني، ولخترعوا تشريعاً بديلاً. وأن صورة سبب النزول قطعية الدخول في النص، كما هو مقرر في الأصول. وهو ما أشار إليه إسماعيل القاضي كما نقل ابن حجر (وقال إسماعيل القاضي في [أحكام القرآن] بعد أن حكي الخلاف في ذلك: ظاهر الآيات يدل على أن من فعل مثل ما فعلوا واخترع حكماً يخالف به حكم الله وجعله ديناً يُعمل به، فقد لزمه مثل ما لزمهم من الوعيد المذكور حاكماً كان أو غيره) [فتح الباري 130/13]. فكل من شارك في وضع القوانين الوضعية أو حكم بها، فهو كافر كفراً أكبر مخرجاً من ملة الإسلام، وإن أتى بأركان الإسلام الخمسة وغيرها. وهذا هو ما قرره كثير من أهل العلم المعاصرين، كما نقلته في الباب الثالث من هذه الرسالة عن أحمد شاكر، ومحمد حامد الفقي، ومحمد بن إبراهيم آل الشيخ"[1].

أما دليل وجوب الخروج على الحاكم إذا كفر، فهو حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: [دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، ويسرنا وعسرنا، وأثرةٍ علينا، وأن لاننازع الأمر أهله، قال: إلا أن تروا كفراً بولحاً عندكم من الله فيه برهان] متفق عليه، واللفظ لمسلم.

قال النووي: "قال القاضي عياض: أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر،

---

(1) العمدة (صفحة 276 – 277).

وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل – إلى قوله – فلو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة خروج عن حكم الولاية سقطت طاعته، ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك، فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر، ولا يجب في المبتدع إلا إذا ظنوا القدرة عليه، فإن تحققوا العجز لم يجب القيام، وليهاجر المسلم عن أرضه إلى غيرها ويفر بدينه". صحيح مسلم بشرح النووي [229/12].

قلت: وهذا الإجماع الذي ذكره القاضي عياض نقله ابن حجر عن ابن بطال [فتح الباري 7/13]، عن ابن التين عن الداودي [فتح الباري 8/13]، وعن ابن التين [فتح الباري 116/13]، وقرره ابن حجر نفسه [فتح الباري 123/13].

ومما سبق تعلم أن واجب المسلمين تجاه هؤلاء الطواغيت مقرر بالنص الشرعي الذي لا يجوز لمسلم أن يخرج عليه، وهو "ألا ننازع الأمر أهله، قال: إلا أن تروا كفراً بواحاً..".

وقد انعقد الإجماع على وجوب الخروج عليهم كما ذكرته آنفاً، ولذلك فلا يجوز الاجتهاد مع وجود النص والإجماع، وأن من يجتهد مع وجود النص والإجماع في هذا المورد فقد ضل ضلالاً مبيناً، كمن يسعى لتطبيق حكم الإسلام عن طريق "البرلمانات" الشركية ونحو ذلك.."[1].

"وليكن معلوماً أنه لا شرعية لهذه الحكومات الطاغوتية ولا لقوانينها، فقد قال ﷺ [من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد]"[2] رواه مسلم.

"ومسألة الحاكم المرتد فيها نص مستقل وهو حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه

---

(1) العمدة (صفحة 278).

(2) العمدة (صفحة 280).

[وألا ننازع الأمر أهله..] إن هذا الحديث مقيد لجميع الأحاديث الواردة بالصبر على أئمة الجور، كأحاديث ابن عباس: [من رأى من السلطان شيئاً يكرهه فليصبر]. وحديث عوف بن مالك [لا: ما أقاموا فيكم الصلاة] ونحوها. ولهذا فقد أورد البخاري حديث عبادة عقب أحاديث ابن عباس في الباب الثاني من كتاب الفتن من صحيحه إشارة منه إلى هذا القيد. وهذا يكفي لمن كان له قلب أو السمع وهو شهيد في وجوب الخروج على هؤلاء الحكام. أما هذه الأوجه الثلاثة وغيرها فنحن نذكرها لا لبيان شرعية الخروج عليهم. فهذا ثابت في حديث عبادة ولكن لبيان فوائد أخرى، كتوكيد هذا الخروج وتقديمه على غيره من أنواع الجهاد"[1].

وفي رده على شبهة وهي قول بعضهم: إن توصيف هؤلاء المرتدين الحاكمين لبلاد المسلمين بأنهم كالعدو الكافر إذا حل ببلاد المسلمين غير صحيح، لأن هذا في العدو الأجنبي عن بلد الإسلام، أما هؤلاء الحكام فمن أهل البلد نفسه. فهناك فرق؟!

يجيب: "لم نسمع بأن الشريعة وردت بالتفريق بين الكافر الأجنبي والكافر الوطني فيما يترتب على الكفر من أحكام، قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ..﴾ [هود: 46]، هو. وقال تعالى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ..﴾ [الممتحنة: 4]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: 101]، الغرض من هذه الآيات بيان أن العداوة بين المؤمن والكافر متعلقة بوصف الكفر، هذا هو مناط الحكم لا بوصف آخر، ككون الكافر أجنبياً أو وطنياً، لأن العداوة واجبة وإن كان الكافر هو ابنك أو قومك وعشيرتك، فمناط الحكم هو صفة الكفر لا غير، وما قيل في العداوة يقال في العقوبة، فعقوبة الكافر متعلقة بكفره أي بقيام صفة الكفر به لا بسبب وصف آخر، وهذا هو مناط الحكم، كقول النبي ﷺ: (من بدل دينه فاقتلوه) [متفق عليه]، فجعل علة القتل هي تبديل الدين أي الكفر بعد الإسلام،

---

(1) العمدة (صفحة 281).

هذا هو مناط الحكم. إذا تبين هذا فنقول إن وصف الكفر الذي تترتب عليه العقوبة [قتل المقدور عليه وقتال الممتنع] هذا الوصف قائم بالكافر الأجنبي والوطني على السواء..".

"فالذي يقول بالتفريق بين الكافر الوطني في الأحكام هو كالذي يقول بالتفريق بين الخمر المستورد والخمر المحلي، فتأمل هذا"[1].

"وقد خرج جماعة من المسلمين على الحكام المرتدين في حياة النبي ﷺ ومن بعده.."[1].

فيذكر مثالين كخروج فيروز الديلمي في اليمن على الأسود العنسي الكذاب مدعي النبوة. وخرج يزيد بن الوليد وطائفة معه على الخليفة الوليد بن يزيد لما أتهم بالانحلال في الدين وقتلوه.

ويقرر وجوب الخروج على الحكام وأنه لا يشترط أن يكون هناك تميز الدارين. "أما من الناحية الشرعية فنحن نقول أنه لا يشترط لوجوب الخروج على الحاكم إلا القدرة من عدد وعدة"[1].

ويرد على شبهة: إن النبي ﷺ لم يشرع القتال إلا بعد الهجرة. حيث أصبح للمسلمين دار مستقلة تميزوا فيها عن عدوهم. فيقول: "وهذا القول ليس بحجة إذ ليس فيه حصر، بمعنى إنه لم يرد نص شرعي يمنع القتال إلا في مثل هذه الحالة، وهذا واضح. ثم إن هذا الزمان كان زمان تشريع، أما الآن ومنذ وفاة النبي ﷺ فقد اكتملت الشريعة وأحكامها"[2].

ويرد على من استدل بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الفتح: 25]، وكون هذه الآية تشير إلى رجال ونساء

---

(1) العمدة (صفحة 282 - 283) (الأسود العنسي لم يكن حاكماً إنما كان سيد قومه، وعندما ارتد بادعائه النبوة قُتلَ على ذلك).
(2) العمدة (صفحة 284).

في مكة وهم مؤمنون، وإذا قاتل المسلمون أهل مكة يوم الحديبية لحصل القتل على هؤلاء أيضاً لمخالطتهم للكفار فيحصل للمقاتلين (معرة) أي إثم وعيب، ولكن (لو تزيلوا) أي تميزوا، لعذب الله الكافرين..

فأجاب: "وكما لا يخفى، فهذا القول يفضي إلى تعطيل الجهاد بنوعيه (قتال الطلب وقتال الدفع) فما من بلد الآن إلا به مسلمون مخالطون للكفار بنسب مختلفة، يوجد مسلمون بالصين والهند وروسيا وأمريكا وغيرها وكلها ديار كفر[1]، أفيمنع هذا من جهادهم عند الاستطاعة؟

والجواب عن هذه الشبهة من وجهين:

الأول: أن المنع من القتال يوم الحديبية كان منعاً قدرياً، ولا يجوز الاحتجاج بالقدر" ثم يشرح ذلك من خلال أحداث الحديبية، ولإثبات أنها حكم قدري لا يجوز الاحتجاج به.

الثاني: الخصوصية، وهو أن هذا المنع من القتال لاختلاط المؤمنين بالكفار في مكة كان خاصاً بقصة الحديبية دون غيرها. ولا يستدل به على ما شابهها. وهذا القول بالخصوصية إن شاء الله تعالى هو الصواب، والله تعالى أعلم"[2].

"قلت: القول بالخصوصية ليس معناه أن المؤمن المخالف للكافرين لا حرمة له أو أنه

---

(1) هذا الكلام فيه رد كافٍ على من أنكر قيام القاعدة بأي أعمال تغييرية كالتفجيرات والاغتيالات وغيرها إذا كان هناك إمكانية لوقوع ضحايا وقتلى من المسلمين أنفسهم. فعقيدة القاعدة تقوم على أساس جواز هذه الأعمال واعتبارها من الجهاد في سبيل الله ولو كان هناك ضحايا من المسلمين ولكن أكدت هذه الجماعة بأنها تحاول تجنب إحداث ضحايا من المسلمين قدر استطاعتها كما رأينا في التحذيرات التي تحذر فيها المسلمين المقيمين في البلدان الأوروبية بعد أحداث (الحادي عشر من سبتمبر). ولاشك أن خصوم هذه الجماعة قد استفادوا كثيراً من هذه القناعة التي طبقتها القاعدة في عدة أماكن، فقام هؤلاء الخصوم بأعمالٍ من جنس أعمال القاعدة، فتخلصوا بذلك من كثير من المسلمين – كما في العراق وأفغانستان وغيرها – وفي نفس الوقت استطاعوا تعميق الكراهية والسخط على هذه الجماعة في نفوس الناس.

(2) العمدة (صفحة 287 – 288).

مهدر الدم، لا بل هو معصوم بإيمانه أينما كان، وإنما القول بالخصوصية معناه أن هذه المخالطة ليست بمانعة من قتال الكافرين، وإن تيقن أن بينهم مسلمين سيقتلون ضمناً، وذلك إذا اقتضت المصلحة الشرعية ذلك"[1].

وبعد نقله من تفسير القرطبي لقوله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا..﴾ [الفتح: 25]، قال: "وهذا كلام يشفي العليل ويروي الغليل، فإنه لا خلاف بين الأمة في وجوب حفظ الضروريات الخمس وهي: الدين والنفس والنسل (النسب) والعقل والمال، ولا خلاف في أن حفظ الدين مقدم على حفظ النفس، ولهذا شرع الجهاد لحفظ الدين مع أن فيه ذهاب الأنفس والأموال. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم..﴾ [التوبة: 111]، وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ..﴾ [البقرة: 216]، ولا شك أن الضرر النازل بالمسلمين من تسلط الحكام المرتدين عليهم، وما في ذلك من الفتنة العظيمة، هذا الضرر يفوق أضعافاً مضاعفة قتل بعض المسلمين المكرهين في صف العدو أو المخالطين له عن غير قصد حال القتال. إن كثيراً من بلدان المسلمين تسير في طريق الردة الشاملة من جراء هؤلاء، فأي فتنة أعظم من هذا، هذه فتنة تفوق ما يصيب المسلمين بالجهاد من قتل أو سجن أو تعذيب أو تشريد. قال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة:191]، وقال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة:217].

فيجب "دفع المفسدة العظمى [فتنة الكفر والردة] بتحمل المفسدة الأخف)، وهو ما يترتب على الجهاد من قتل وغيره، وهذا هو المقرر في القواعد الفقهية الخاصة بدفع الضرر كقاعدة [الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف] وقاعدة [إذا تعارض مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً] وقاعدة [يختار أهون الشّرين] وغيرها.

---

(1) العمدة (صفحة 289) - وهذه المسألة تُعرف في كتب الفقه بـــ (التترس) وهي ما أفتى بها أحد علماء حزب التجمع اليمني للإصلاح في حرب الانفصال عام 1994م، وأثارت استياء لطراف سياسية.

ألا ترون إلى ما يجري للمسلمين في كثير من البلدان؟ تستباح دماؤهم وأموالهم بأحكام الكفر، مع إشاعة الفجور والفواحش والتجهيل المتعمد، والاستهزاء بالإسلام وأهله، ليشب النشء على صلة باهتة بدينه، أي فتنة أعظم من هذا؟ وماذا بقي للمسلمين؟ قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ ﴾ [سبأ:33][1].

فمعظم بلدان المسلمين الآن يحكمها ويتسلط عليها الكفار، إما مستعمر أجنبي كافر، وإما حكومة محلية كافرة"..

وعند بحث مسألة وجوب التدريب على الأسلحة يذكر أن التدريب قديماً كان ميسراً لكل مسلم، لأن الأسلحة كانت بسيطة وغير معقدة الاستعمالات. لكن الآن تطورت باكتشاف البارود والأسلحة الفتاكة والثقيلة لكن:

"خشي الحكام الظالمون[2] من محاسبة الشعوب لهم، فقصروا حمل السلاح والتدريب على فئة محدودة موالية لهم من الشعب، وهي الفئة المسماة بالجيش، وظلت بقية الشعب محرومة من ذلك، بل ومقهورة في أغلب الأحيان بالأقلية المسلحة. وحتى لا تشعر الشعوب بالقهر الحقيقي الذي يكتنفها أغرقها الحكام الظالمون في كل ما يلهيها عن ذلك: من صراع على لقمة العيش، إلى ملاهي وطرب، إلى مسرح وسينما، إلى ملاعب ومباريات، إلى أندية ومسابقات، إلى خدع صحفية، إلى أحزاب وانتخابات وبرلمانات،

---

(1) العمدة (صفحة 290).

(2) لبعض المشايخ السلفيين تفسير لهذا الظلم بأن (ظلمهم ابتلاء من الله عز وجل لنا بسبب ذنوبنا)، كما اعتبر ما ينجم من الفتنة عند مواجهة الحكام الظالمين أشد خطراً وأعظم مفسدة من ظلمهم، (وأعتقد أن مفسدة إثارة الفتن والافتئات على ولاة الأمور أكبر من مفسدة المنكر الذي يراد تغييره..) [السراج الوهاج صفحة 56].

وغير ذلك من الأساليب الشيطانية لخداع الشعوب"[1].

وعند الرد على شبهة (لا جهاد بلا إمام) [صفحة 47] يناقشها، ويذكر من الأدلة على سقوط هذه الشبهة حديث عبادة بن الصامت، ثم يقول: "فها هو الخليفة أو الإمام قد كفر وسقطت ولايته. ويجب الخروج عليه وقتاله وعزله ونصب إمام عادل، وهذا واجب بإجماع الفقهاء، كما نقل ذلك النووي وابن حجر. فهل نقول: لانخرج على الحاكم الكافر إذ لا إمام!! ومن أين لنا الإمام وقد كفر ووجب الخروج عليه؟! أم ننتظر إماماً مغيباً[2] ونترك المسلمين لفتنة الكفر وللفساد؟ أيقول بهذا مسلم"؟..

تنبيه....: على أهم واجبات الطائفة المنصورة في هذا الزمان قال: "هذا وإن من أعظم واجبات الطائفة المنصورة في هذا الزمان هو جهاد الحكام المرتدين، المبدلين لشرع الله، الذين يحكمون المسلمين بالقوانين الوضعية الكفرية./ هامش العمدة .." [صفحة80].

ويحكم على كل منتسب إلى العلم الشرعي بحكم شديد قاس إذا لم يتكلم حول كفر الحكام ووجوب مقاتلتهم والتحريض على ذلك فيقول: "وما أرى أحداً من المنتسبين إلى العلم الشرعي في زماننا هذا لم يتكلم في هذه المسألة منكراً ومحرضاً المسلمين على الجهاد ما أرى مثل هذا يلقى الله إلا والله تعالى ساخط عليه. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾

---

(1) وقد أصدر الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز من داخل معتقله في مصر بياناً سماه: (وثيقة ترشيد العمل الجهادي في مصر والعالم)، دعا فيه لترشيد العمليات الجهادية وفق الضوابط الشرعية، معتبراً الإسراف في الإحتجاج بمسألة التترس لتوسيع الجهاد نوعاً من العدوان الذي نهى الله عنه؛ لكنه ترشيد جاء متأخراً وفي ظروف خاصة، بالإضافة إلى كونه يستنكر (الإسراف) في مسألة التترس، وليس تراجعاً عن شرعية التترس نفسها، ولذلك تبقى القناعة كما هي، ولا يبطلها مجرد الترشيد الصادر من السجون.

(2) يشير إلى عقيدة الشيعة في الإمام الغائب المنتظر. ثم صرح بذلك فقال بعدها: "وهذه الشبهة هي من صميم عقيدة الشيعة.. مع أن الشيعة خالفوا هذه العقيدة مع بدء ثورة الخميني فيما عرف بولاية الفقيه وهذا من أظهر الأدلة على فساد هذا الاعتقاد الذي ما زال مدوناً في كتبهم" [صفحة 48 العمدة].

[البقرة:159]، والعالِم مطالبٌ شرعاً ببيان الحق في مثل هذه الأحوال قبل أن يسأله لقوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ .. ﴾ [الأنعام:151]، فالعالِم مطالبٌ بأن يدعوا الناس ﴿تعالوا﴾ ليعرفهم الحق من الباطل" [صفحة 81].

ويشتد على العلماء الذي لا يدعمون الجهاد ولا ينصرون الحق ويؤخرون البيان عن وقت الحاجة "فإن قال العالم: خشيت الناس، فإن الله تعالى يقول: ﴿ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة:13].

هذا فيمن سكت من العلماء، فكيف بمن داهن، فكيف بمن رضي، فكيف بمن عاون؟ قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾" [المائدة:51].

وهذه فتوى واجتهاد خطير، إذ يتضح من خلال الآية المذكورة التي ختم بها كلامه اعتبار هؤلاء العلماء كهؤلاء الحكام حكماً، ورغم أنه لم يصرح بذلك، لكن المقصود واضح ولا يحتاج إلى تصريح. وسنجد هذه الطريقة في تكفيره حيث يسلكها في موضع آخر، حيث قال:

"كذلك من أوجب متابعة إمام معين في كل أمر فقد كفر، لرده لقوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء: 59]، ولم تذكر الآية أحداً بعد الله ورسوله ﷺ[1].

"إن هذه القوانين الطاغوتية هي كفر أكبر مخرج لمن وضعها ولمن حكم بها، ولمن تحاكم إليها راضياً مختاراً من ملة الإسلام، وهي من أنكر المنكرات.."[صفحة 94].

فجعل الحكم قطعياً بكفر واضعي القوانين الوضعية والقضاة والحكام الحاكمين بها، ولكنه قيّد الحكم في حال المتحاكمين بشرطين الرضا والاختيار. فتأمل!!

---

(1) والمقصود هنا متابعة أئمة الفقه والمذاهب الإسلامية، فقد اعتبر من يرون وجوب متابعة هؤلاء الأئمة قد كفروا. فتأمل!

كما نجد مسألة تكفير الحكام ووجوب الخروج عليهم في ثنايا الحديث عن الشورى وغيرها، ثم أنها المسألة الأساسية التي تناولها بالدراسة في خمس وعشرين صفحة [من صفحة 276 حتى 301] كما ذكرناه من قبل.

وقد بدأت بمسألة الموقف من الحكام، وموقعها في استراتيجية القاعدة ومنطلقاتها لكون هذه القضية – كما قلت – هي الأهم والأخطر، رغم أن مباشرة تنظيم القاعدة في تنفيذ تلك الاستراتيجية جاء متأخراً. إذ إن هذا الأمر يعني أن التنظيم له طريقته في التعامل مع الأعداء ومواجهتهم، وفي تبديل الأولويات، حتى لو خالفت تلك الطريقة المنهج الذي أقرته الجماعة واتفقت عليه، وهذا – أيضاً – يكشف مدى سيطرة القيادة على القواعد والأتباع، إذ تأخير المواجهة مع الحكام لم يسبب إرباكاً أو معارضة في التنظيم، بحجة أن ذلك يخالف المنهج، كما يؤكد هذا مدى ثقة المجاهدين بقياداتهم وشدة ولائهم وطاعتهم لهم.

إن النصوص الشرعية والقواعد الأصولية التي اعتمدت عليها القاعدة في مسألة الحكم على (الكافر الوطني) – أي حكام المسلمين – ووجوب الخروج عليهم، هي ذاتها التي استخدمتها الجماعة في إثبات شرعية جهادها ضد العدو الأجنبي، ولهذا فإننا سننقل أدلة وجوب الجهاد وضرورته وأهميته، ليس من رسالة العمدة فقط بل من خلال ما كانت قيادة التنظيم تردده وتستشهد به، وذلك من خلال الندوات والمحاضرات التي كان يلقيها أسامة بن لادن أمام المئات من الناس في المساجد والأماكن العامة.

وقبل ذلك، أشير إلى أن هذه الأفكار والآراء التي كان يرددها بن لادن في لقاءاته وندواته هي نفسها الأفكار والمنطلقات والاستراتيجيات التي احتوتها رسالة العمدة، كما أن رد أسامة على ما يطرح من الأسئلة والاستفسارات التي تحصل عادة بعد المحاضرات والندوات هو نفس ما جاء في (العمدة)، بل تجد في إحدى محاضراته وحالما طولب

بإظهار المنهج المعتمد لديه وجماعته قال:

"منهجنا منهج أهل السنة والجماعة جملة وتفصيلاً، وقد جمع منهاج القاعدة في كتاب أسميناه[1]: (العمدة في إعداد العدة للجهاد في سبيل الله).

ولم يعلن قناعاته الموافقة لمنهج (العمدة) في مسألة تكفير الحكام ووجوب الخروج عليهم مطلقاً، بل قيدها بذكر دول معينة، يجب الخروج فيها على حكامها، لأنهم كفروا وبدلوا الشريعة، وحاربوا العقيدة الإسلامية، ولعل في هذا – أيضاً – ما يدل على مقدرة قيادة القاعدة في إعادة ترتيب الأولويات فيما يشبه التكتيك العسكري في تحقيق الأهداف المنشودة!! فمسألة كفر حكام المسلمين وردتهم عن الدين جاءت في المنهج الفكري للقاعدة واضحة لا تحتاج إلى تأويل، ولكن إبن لادن لم يكشف عداوته تلك لكل الحكام، بل واجه البعض واستثنى البعض، وبعد أن صارت القيادة والأتباع في مأمن، وصار للجماعة أرضاً تنطلق منها، وتجمعت الجماعات الجهادية في ظل قيادة موحدة، انطلقت القناعات في تكفير هؤلاء الحكام جميعاً دون استثناء.

ولعل الباعث على تغيير الأوليات وعدم الالتزام الحرفي بالمنهج الجهادي الذي يقرر أن جهاد العدو الوطني – حكام العرب والمسلمين – مقدم على قتال العدو الخارجي – غير المسلمين – هو ما فرضه الواقع على هذا التنظيم، حيث كانت المواجهة المفروضة عليه هي مواجهة العدو الخارجي، المتمثل بالاتحاد السوفيتي الشيوعي، وكذلك إدراك قيادة القاعدة أن مواقف الشعوب العربية والإسلامية من مواجهة حكامهم ستختلف عن مواقفهم

---

(1) وتأمل في قوله: (أسميناه) مما يدل على المشاركة الجماعية في وضع هذا المنهج ووضع تسميته، وبالإضافة إلى ذلك ما نجده في (العمدة) من الألفاظ الدالة على جماعية التأليف كقولهم: (ونرى – وقد أوضحنا..)، ونستغرب ما قاله مؤلف العمدة في بيانه الذي أصدره من معتقله بأن وقوع الصدمات الكثيرة في بلاد المسلمين وبلاد غير المسلمين كان اعتماداً على كتاباته في فقه الجهاد (العمدة والجامع في طلب العلم الشريف)، رغم أنها خالية من التحريض على شيء؟!!

من قتال العدو الخارجي، المتفق على شرعية مواجهته ومقاتلته .

<u>أولاً:</u> النصوص التي يستشهد بها من القرآن الكريم:

1- قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾ [الأنفال:60].

2- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ ﴾ [الأنفال:65].

3- ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ﴾ [الأنفال:39].

4- ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ ﴾ [التوبة:5].

5- ﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ .. ﴾ [التوبة:14].

6- ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ .. ﴾ [التوبة:24].

7- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ ﴾ [التوبة:111].

ثانياً: من السنة النبوية:

1- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (لولا أن اشق على أمتي ما قعدت خلف سرية، ولوددت أن أُقتل في سبيل الله ثم أحيا، ثم أُقتل ثم أحيا، ثم أُقتل) متفق عليه.

2- حديث أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: (لغدوة أو روحة في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما فيها) متفق عليه.

3- وحديثه ﷺ : (إذا تبايعتم بالعينة، واتبعتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً فلا ينزعه حتى تراجعوا دينكم) رواه أحمد وأبو داود عن ابن عمر وصححه الألباني.

ثالثاً: الاستشهاد بالسيرة النبوية، خاصة مرحلة ما بعد الهجرة من أحداث وغزوات، وبعوث وسرايا طيلة عشر سنين.

رابعاً: الاستشهاد بأقوال ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية خاصة، وعلماء السلف الصالح عامة.

خامساً: يرد على الأسئلة والشبهات، ويطمئن قلوب أصحابه بوقوع النصر والتمكين إن سلكوا سبيل الجهاد، والتزموا بأوامر الدين وأخلاق النبي ﷺ .

وسأنقل شيئاً من أقواله كما وردت دون تغيير أو تصحيح لغوي:

1- "ينبغي أن تعد نفسك لتُخرِج الكفار من ديار المسلمين. إن الأزمة ليست أزمة علم، فما أكثر خريجي الجامعات والمعاهد الإسلامية.. ، وإنما الأزمة أزمة العمل بهذا العلم، وهي أن يخرج الناس بأنفسهم لنصرة هذا الدين، فينبغي أن تحرض الناس على القتال، وتعد نفسك لقتال الكفار".

2- "ليس ضرورياً أن يتفرغ كل أبناء الأمة للجهاد، بل من استطاع وقويت الحاجة إليه، أما من له عذر كأمٍ وأب يحتاجان إليه، أو زوجة وأولاد يضيعون بغيابه، فلا بأس أن يحضروا قدر الاستطاعة للتدريب وإعداد العدة المطلوبة من كل مسلم، وإن كان واجباً على الأمة أن تفرغ طليعة من أبنائها وطاقاتها لإقامة الجهاد ومواصلته لإخراج الكفار من بلاد المسلمين. فالذي يمكنه الجهاد ولو لفترة قصيرة فليأت، ومرحباً به، وعندما يرجع يقوم بالتحريض على الجهاد ويغيظ الكفار".

3- النص الذي نقلته في المقدمة وهو عن حصول الردة في بلاد العرب والمسلمين وأنها ردة أكبر وأوسع اليوم من ردة الماضي.. وفيه يذكر كفر الحكومة البعثية في العراق وسوريا، وكفر إيران الرافضية، ولبنان النصرانية وجنوب اليمن – قبل الوحدة – الشيوعية ويذكر (إسرائيل) وتهديدها لبلاد المسلمين. واستكمالاً لهذا النص قال:

"فلو صاحت المرأة المسلمة في هذه البلاد آخر معاقل المسلمين – يعني السعودية – وقالت: وا إسلاماه! فلا مجيب ولا سامع من البلاد التي حولنا، لأنهم هم الذين سيهجمون علينا. فلا يتوهم مسلم أن هذه البلاد – السعودية حفظها الله – لا يوجد فيها من القوة ما يكفي لإرجاع العالم الإسلامي جميعاً إلى دين الله تحت هذه الراية العظيمة، بل والله هم الرجال..".

ويذكر كفر الدول التي ذكرها في البداية ثم يقول: "لا نجوت إن نجوا، حتى نُخرج المشركين ما دام فينا عرق ينبض أو عين تطرف".

وجدير بالذكر أن هذه الكلمات قيلت في الحرس الوطني السعودي وتحت رعاية الشئون الدينية في الحرس الوطني، لهذا لا تجد زعيم القاعدة يكمل جملته المشهورة

"إخراج المشركين من جزيرة العرب"[1] بل يقول "بلاد المسلمين" ثم هو يشيد بالمملكة ورجالها وذلك قبل الموقف الذي حصل بينه وبين حكام المملكة بعد دخول القوات العراقية إلى الكويت، وعرضه المساعدة واستدعاء أتباعه من المجاهدين من بلدان العالم، لكن حكام المملكة لم يقبلوا ذلك ورفضوا عرضه.

4- استشهد بأقوال ابن تيمية – بالمعنى وليس بالنص – في ضرورة الجهاد ووجوبه مهما حصل في المجاهدين قادة وأتباعاً من تقصير أو عدم التزام بالشرع التزاماً كاملاً. فيعترضه سلفيٌّ شديد اللهجة بالمطالبة بالدليل على ما قال؟ ولم يستطع أسامة ذكر الأدلة كما جاءت في أقوال ابن تيمية، ولكنه ذكر أن في كتاب (مجموع الفتاوى) في [28/ 506] جاء كذا.. فلم يقبل المعترض إلا أن يذكر الأدلة. فيعتذر أسامة لعدم تذكره لها. وعند ذلك يقوم أحد أتباع بن لادن ليرد على المعترض رداً تفصيلياً مدعماً بالأدلة والنصوص والوقائع والأحداث التاريخية، وأثناء حديثه وردوده يكبر الحاضرون، ويهللون فرحاً واستبشاراً لإفحام الخصم، ولكن زعيمهم ينهاهم ويأمرهم بالتزام الهدوء والانضباط فيهدأ الجميع.

5- ويأتيه سؤال: "يلاحظ أنكم تقاتلون من أجل اكتساب الخبرة العسكرية في أرض أفغانستان، وليس من أجل إعلاء كلمة الله؟"

وآخر: "ما صلتك بالمخابرات الباكستانية؟"

فيرد على الأول بأن نية المجاهدين يجب أن تكون خالصة لله ولرفع راية الإسلام وإزهاق الكفر.. الخ، وأن التدريب والخبرة مطلوبان أيضاً. ويرد على الآخر رداً عاماً، فيسرد الآيات والأحاديث الآمرة بحسن الظن، واجتناب سوء الظن. وينصح

---

(1) أول بيان أصدره بن لادن في نوفمبر 1996م وفيه أعلن الجهاد لإخراج الكفار من جزيرة العرب.

السائل والسامعين بتزكية الأنفس وعدم ترويج الأكاذيب.

6- وقال: "ونحن بهذا الجهاد لا نبتغي تحرير أفغانستان فقط، فأفغانستان جزء من العالم الإسلامي، وإنما أملنا وهدفنا أن تكون هنا النواة لتجميع طاقات الشباب المسلم والعربي، ولتدريبيهم حتى يكونوا بإذن الله نواة للجيش الإسلامي مع إخوانهم المجاهدين في أفغانستان لتحرير باقي الأراضي الإسلامية".

7- وقال: "لا ينبغي ولا يجوز التفريق بين أمريكا وإسرائيل، فهم عدو واحد للأمة الإسلامية.. ومن وسائلنا لمحاربة الأمريكان أن نشن الحرب الإقتصادية على أمريكا وعلى من يعاون اليهود، كما شنها (فيصل بن عبد العزيز) رحمه الله، وقطع عنهم البترول والقصة معروفة.. يجب ألا نشتري السيارات الأمريكية، أو البضائع الأمريكية ولا المكيفات الأمريكية، ولا الأقلام الأمريكية، و لا الحلوى الأمريكية، ولا الأدوات المكتبية الأمريكية، ولا أي شيء يخص الأمريكان.. نصرة لله ونصرة لإخواننا الفلسطينيين. وحتى تزيد البطالة في الشعب الأمريكي، وتكسد عندهم البضائع، كيف نشتري بضائعهم ونعطيهم أموالنا فيأخذونها ليقتلون بها أبناءنا وإخواننا".

8- وقال: "وستبقى لنا في هذه الأرض أرض أفغانستان معسكرات إن شاء الله كبيرة للتدريب الحي والعملي على الأسلحة الثقيلة، ومواصلة الجهاد. إننا من الفئة أو الطائفة الناجية المنصورة بإذن الله لقول الرسول ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي وعد الله)".

إن قائد القاعدة لم يكتم عداوته للكافر الأجنبي ولم يؤخر البيان عن وقت الطلب، بل أعلن الحرب على أمريكا وإسرائيل وجميع دول الكفر - كما يسميها - فهو لا يخفي تكفيره للحكام الذين لا يحكمون بشريعة الإسلام -في نظره - ولنتأمل!!

حيث قال: "ردة في العالم الإسلامي لم يسبق أن مرت بها، ولم يبق إلا جزء يسير

من بلاد المسلمين[1]، فقد ارتدت العرب والعجم قاطبة إلا من عصم الله. ولا أريد أن أُفصّل، فالأمر أخطر مما أذكر، فلم يبق إلا أنتم؟!".

كما أن قائد القاعدة كان يتحدث عن القاعدة ومعسكراتها بالتفصيل دون تردد، وذلك حين يسئل عن القاعدة ومنهجها وأسلوبها، وإن لم تكن القاعدة قد أخذت الشكل المعروف عنها كتنظيم عالمي يجاهد الكفر والكافرين أينما كانوا، ويسعى لإقامة الدولة الإسلامية التي ستكون نواة انطلاق. تأمل قوله: "ونحن بهذا الجهاد لا نبتغي تحرير أفغانستان فقط، فأفغانستان هي جزء من العالم الإسلامي، وإنما أملنا وهدفنا أن تكون هنا النواة، ولتجميع طاقات الشباب المسلم والعربي ولتدريبهم حتى يكونوا نواة للجيش الإسلامي مع إخوانهم المجاهدين في أفغانستان لتحرير باقي الأراضي الإسلامية".

وفي نفس الشريط نجد محاضرة للدكتور أيمن الظواهري[2]، والذي كان أكثر وضوحاً. إذ قال: "أنتم أيها الأخوة طلائع هذا التكوين، ولتكن نية كل أخ على اللقاء مع أعداء الله وعلى نية نصرة دين الله، وعلى شعور دائم ويقظة دائمة.. لتكن نيتنا لنقيم من خلال هذا الجهاد دولة الإسلام، لتكون هذه الدولة منطلقاً إلى الزحف الإسلامي المبارك، إلى جهات أخرى نعلي فيها راية الحق، ونقيم فيها شرع الله، ليكون الجهاد موصولاً".

إن بروز شخصية بن لادن كقائد لأهم وأكبر وأخطر وأقوى جماعة إسلامية في العالم اليوم، لا شك أنه قد فاجأ كثيراً من الناس، سواء في العالم الإسلامي وغير

---

(1) ومن هذا الجزء واليسير: المملكة العربية السعودية واليمن الشمالي وبعض دول الخليج العربي - وهذا حسب ما صرح به في محاضرات أخرى.

(2) الدكتور أيمن الظواهري وصل إلى بيشاور في باكستان عام 1987م وارتبط بابن لادن بعلاقة حميمة وله تأثير واضح في التغييرات التي حدثت في حياة بن لادن الجهادية ولكنه في هذه الفترة لم يكن قد تحالف مع بن لادن، ليكونا تنظيم القاعدة بصورته المعروفة الآن. وسنتعرض لشيء من ذلك إن شاء الله.

الإسلامي، فهو لم ينشأ في أسرة عسكرية، ولم يرث عن أحد من أسلافه المواهب القتالية، بل نشأ في أحضان أسرة منشغلة بالتجارة وأسواق الأموال والعقارات، فكيف تكونت فيه تلك القدرات القيادية؟! وكيف أستطاع أن يكسب ولاء وثقة كل أولئك الأتباع فسمعوا وأطاعوا؟!.

قيل إن لما يمتلكه بن لادن من ثروة وأموال طائلة دور في جذب النفوس إليه؛ كما لعبت الأموال دوراً في احتلاله لمركز القيادة؟!. ومع الاعتراف بدور المال في جذب النفوس؛ ولكن لا يصل هذا الجذب والبريق إلى حد أن يقدّم الأتباع والمحبون نفوسهم رخيصة لتحقيق الغايات التي يقررها مالك الأموال، بل والتسابق إلى إزهاق نفوسهم التي لا يملكون شيئاً أحب إليهم منها!![1] كما أن هناك من الأغنياء والأثرياء من هم أوسع رزقاً من بن لادن، ولم يستطيعوا أن يحققوا مركزاً قيادياً مثله؛ بل إن هؤلاء الأثرياء لا يمكن أن يجزموا بأنهم يمتلكون من المحبة والولاء والطاعة عُشر ما لهذا الرجل من ذلك، وربما كان ذلك الثراء عند أولئك الأثرياء سبباً في تعاستهم وبغض الآخرين لهم، وقتلهم أحياناً!! بل لعل كثيراً من أهل الثراء لا يحسنون قيادة أبناءهم وزوجاتهم فضلاً عن الأبعدين!!

وقيل إن أسامة بن لادن لديه من العلم والمعرفة ما مكنه من التأثير والسيطرة على الآخرين، خاصة قطاع الشباب الذين تسهّل مسألة استدراجهم والتأثير عليهم!! ومع تأكيدنا لدور العلم في التأثير والسيطرة، لكنه لا يمكن أن يصل إلى حد الهيمنة والتحكم، بحيث يترك أولئك الشباب ملذات الحياة وبهجتها، ويضحون بكل غال ونفيس استجابة وطاعة لابن لادن!! ثم إن هناك من الذين صاروا في صفوف قاعدة بن لادن وهم أكثر علماً منه وأوسع إطلاعاً ومعرفة!! وكم رأينا من العلماء والحكماء من هم أتباع وذيول لمن هم أقل

---

(1) الأصل أن المجاهدين يفعلون هذا طاعة لله ورغبة لما وعدهم به من الثواب، وطاعتهم لأميرهم إنما لكونها طاعة لله.

منهم علماً وفهماً!!

إننا لا نجد لهذا الرجل كتاباً من تأليفه، أو حتى رسالة قصيرة في باب من أبواب العلم!!

ولكن جل ما خلفه قبل اختفاءه عن أعين أعداءه الأقوياء، هي مجموعة من الأشرطة التي احتوت على ندواته ومحاضراته، والتي تؤكد لسامعها بأن هذا الرجل لم يرقَ إلى مرتبة العلماء أو المتخصصين في العلوم الدينية، ولكن صدق العزيمة وروح الإصرار والإخلاص ورباطة الجأش تظهر من كلماته وتعبيراته.

فلا نجد في كلامه تقعراً ولا تلميحات بعيدة المغزى، ولا نجده يستخدم المفردات الصعبة والجمل البلاغية، ولا غرائب الألفاظ، بل لغته سهلة وأسلوبه بسيط جداً. وقد تجد بعض الأخطاء اللغوية في حديثه. لكنه لا يرتبك ولا ينفعل حالماً يلقى عليه سؤال محرج أو يعترضه معترض، بل يبتسم ويجيب، أو يعد بالرجوع إلى الدليل والنص الشرعي، لكونه لا يتذكره، ثم يدعو للسائل أو المعترض بأحسن الدعاء.

ونجده يحفظ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الداعية إلى الجهاد، ولكنه لا يحسن الاستدلال بالقواعد الفقهية، والدلالات اللغوية لتأكيد المعنى الذي يريد تأكيده[1].

ولولا خشية الابتعاد عن الموضوع والهدف الذي نحن بصدده، وكذلك خشية التأويل، لذكرت شيئاً من صفاته ومميزاته التي يلهج بذكرها أتباعه ومحبوه، وشهد بها من جالسه ولو لمرة واحدة فقط.

(1) فقد قيل أن دراسته الجامعية كانت في علم الإدارة العامة. ولا يُعرف عنه تتلمذه على يد شيخ من المشائخ أو العلماء بدراسة العلوم الشرعية دراسة منتظمة، سواء داخل المملكة العربية السعودية أو خارجها.

عودة إلى الاستراتجيات واجتهاد القاعدة

إننا نجد أن منهج القاعدة النظري لم يَزْعُمْ أن كل ما جاء به كان اجتهاداً، فقتال المشركين والأعداء من المخالفين لدين الإسلام أمر لا يحتاج إلى اجتهاد، كما أن الخروج على الحكام المرتدين مسألة لا تحتاج إلى اجتهاد[1]، لأنها مسائل وقضايا جاء الحكم فيها بالنص الصريح، والقاعدة الفقيهة تقول: (لا عبرة للدلالة في مقابلة النص الصريح) فقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ﴾ ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ ﴿وَأَعِدُّواْ﴾ وغيرها من الآيات، بالإضافة إلى الأحاديث الصحيحة التي تحث على الجهاد وتشيد بمنزلة الشهداء عند الله.

كل تلك النصوص جاءت بالتصريح، والتصريح أقوى من الدلالة. كما أن دلالة التصريح يقينية، أما دلالة الحال والقرائن فهي ظنية، واليقيني مقدم على الظني بالإجماع كما هو مقرر عند علماء الأصول. وإن قبول أي قول يعارض هذه الأدلة الصريحة وهذا الفهم، أو تأويل النصوص بتفسير آخر، سيفقد هذه النصوص الشرعية مصداقيتها، ولضاعت دلالاتها التصريحية.

كما اعتمدت هذه الجماعة لإثبات شرعية جهادها على الفتوى الصادرة من دار الإفتاء المصرية، والتي وردت في المجلد السابع. وهي تنص:

"إن الشريعة الإسلامية أوجبت على كل مسلم أن يشارك إخوانه في دفع أي اعتداء يقع على وطنه، أو على أي وطن إسلامي آخر، لأن الأمة الإسلامية أمة واحدة. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:92].

وكل بلد أغلب أهله مسلمون يعتبر بلداً لكل مسلم، فإذا وقع اعتداء من حكومة لأجنبية على أي وطن إسلامي بقصد احتلاله أو احتلال جزء منه، أو بأي سبب آخر، فرض على

---

(1) وذكرت قولهم (ومسألة الحاكم المرتد فيها نص مستقل..) [صفحة 281].

كل مسلمي هذا البلد فرضاً عينياً أن يجاهدوا ويقاتلوا لدفع هذا العدوان، ولا يجوز مطلقاً الرضا إلا بجلاء المعتدي عن جميع الأراضي. وكل من قصر في أداء هذا الواجب يعتبر خائناً لدينه ووطنه، وبالأولى كل من مالأ عدو المسلمين وأيده في عدوانه بأي طريق من طرق التأييد يكون خائناً لدينه، فإن الاعتداء الذي يقع على أي بلد من البلاد الإسلامية اعتداء في الواقع على جميع المسلمين"[1].

فإذا كان لا خلاف في وجوب جهاد المعتدين على البلاد الإسلامية، فإن إثبات خيانة وكفر الحكام الذين ساعدوا المعتدين، وخانوا الدين والوطن، وساسوا البلاد الإسلامية بقوانين الكفر كالديمقراطية مثلاً والتي تعني حاكمية الشعب وأنه المشرع من خلال البرلمانات التي سلبت حق التشريع من الله وجعلته للبشر، وغيرها من الممارسات التي تورد جماعات الجهاد عامة وتنظيم القاعدة خاصة.. ليس من العسير بعدها إثبات كفر الحكام وردتهم عن الدين وبالتالي يجب قتالهم ونزعهم عن السلطة.

(1) الفتاوى الإسلامية (7 /2457-2458).

الدفاع عن هذه القناعات والمنطلقات

لقد دافعت جماعة الجهاد عن قناعاتها بما لا يقل مساحة عن عرضها وشرحها، وإثبات أولوية الجهاد ضد الحكام، من عدة وجوه:

أحدها: "إنه جهاد دفع متعين، وهو مقدم على جهاد الطلب، أما كونه جهاد دفع فهذا لأن هؤلاء الحكام عدو كافر تسلط على بلد المسلمين"..

الثاني: "كونهم مرتدين، وقتال المرتد مقدم على قتال الكافر الأصلي".

الثالث: "كونهم الأقرب إلى المسلمين والأشد خطراً وفتنة"[1].

وعن كونهم مرتدين، وجهاد المرتد مقدم على قتال الكفار الأصليين. لأن المرتد أعظم جناية في الدين وأشد خطراً. قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله – :

"وقد استقرت السنة بأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلي من وجوه متعددة. منها: أن المرتد يُقتل بكل حال، ولا يُضرب عليه جزية، ولا تُعقد له ذمة بخلاف الكافر الأصلي. ومنها: إن المرتد يُقتل وإن كان عاجزاً عن القتال، بخلاف الكافر الأصلي الذي ليس هو من أهل القتال، فإنه لا يُقتل عند أكثر العلماء.. ومنها: أن المرتد لا يرِث ولا يناكح ولا تؤكل ذبيحته، بخلاف الكافر الأصلي.."[2].

"قول البعض أن توصيف هؤلاء المرتدين الحاكمين لبلاد المسلمين بأنهم كالعدو الكافر إذا حل ببلد المسلمين غير صحيح، لأن هذا في العدو الأجنبي عن بلد الإسلام أما هؤلاء الحكام فمن أهل البلد نفسه. فهناك فرق؟!" [صفحة 281].

---

(1) العمدة (صفحة 280- 281).

(2) العمدة (صفحة 276).

"وفي الجواب عن هذا نقول: مسألة الحاكم المرتد فيها نص مستقل وهو حديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه: [وألا ننازع الأمر أهله..] إن هذا الحديث مقيد لجميع الأحاديث الواردة بالصبر على جور الأئمة، كأحاديث ابن عباس: [من رأى من السلطان شيئاً يكرهه فليصبر] وحديث عوف بن مالك: [لا ما أقاموا فيكم الصلاة] ونحوه.. لم نسمع بأن الشريعة وردت بالتفريق بين الكافر الأجنبي والكافر الوطني فيما يترتب على الكفر من أحكام.." إن هؤلاء الحكام المرتدين قد قامت بهم جميع الأوصاف المغلظة، كالردة والمحاربة وموالاة الكفار..

وقد نالت الشبهات الواردة من العلماء السلفيين ردوداً أكثر تفصيلاً من غيرها، فقد ذكر العمدة فصلاً تحت عنوان (الرد على شبهة خطيرة للشيخ الألباني).

"ورد في كتاب (العقيدة الطحاوية) شرح وتعليق الألباني: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم"

قال الشيخ الألباني في الهامش: "قد ذكر الشارح في ذلك أحاديث كثيرة تراها مخرجة في كتابه قال – أي الشارح – وأما لوازم طاعتهم وإن جاروا، فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير للسيئات، فإن الله ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار، والتربية وإصلاح العمل"..

ثم علّق الألباني على كلام الشارح فقال: "وفي هذا بيان لطريق الخلاص من ظلم الحكام الذين هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، وهو أن يتوب المسلمون إلى ربهم، ويصححوا عقيدتهم، ويربُّوا أنفسهم وأهليهم على الإسلام الصحيح.. وليس طريقة الخلاص ما يتوهم بعض الناس، وهو الثورة بالسلاح على الحكام بواسطة الانقلابات العسكرية، فإنها

مع كونها من بدع العصر الحاضر، فهي مخالفة لنصوص الشريعة التي منها الأمر بتغيير ما بالأنفس، وكذلك فلابد من إصلاح القاعدة، وتأسيس البناء عليها"[1].

ولطول الرد فإني سأختصره في أهم ما جاء فيه:

"قلت: وهذا التعليق من الشيخ الألباني فيه مغالطات خطيرة، وتلبيس شديد ولا يليق بالشيخ، ولا بمن هو دونه بالعلم بكثير[2]"

ويذكر بعض العلماء الذين قالوا بكفر الحكام[3]: "ومن المغالطات الخطيرة تنزيل الأحاديث الواردة في حق أئمة المسلمين على هؤلاء الحكام المرتدين، مثل حديث إبن عباس مرفوعاً [من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج عن السلطان شبراً مات ميتة جاهلية] متفق عليه، وحديث عون بن مالك الأشجعي أن رسول الله ﷺ قال: [خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم..] رواه مسلم، وكشفُ هذا التلبيس من وجهين:

<u>**الوجه الأول**</u>: هذه الأحاديث في حق الإمام المسلم لا الحاكم الكافر، ولا يستدل بها في حق الحكام المرتدين لأن هؤلاء:

أ. غير مستوفين لشروط الإمامة (كالعلم الشرعي العدالة ونحوها).

ب. ولم تنعقد لهم بيعه شرعية صحيحة، والبيعة لا تكون صحيحة إلا إذا كانت على شرط الحكم بالكتاب والسنة.. أما هؤلاء المرتدون فيقسمون عند توليهم الحكم على العمل بالدستور، والقانون الوضعي، والديمقراطية، والإشتراكية، وغير ذلك من المصطلحات الكفرية.

---

(1) العمدة (صفحة 290-291)، وقد عُرف عن الألباني تكفيره لنظام الحكم في سورية لحكمهم بنظرية البعث.

(2) المصدر السابق.

(3) وقد ذكرت ذلك عند التنبيه على أهم واجبات الطائفة المنصورة.

ج. لا يقومون بولجبات الأئمة وأولها (حفظ الدين على أصوله المستقرة) ومنها (إقامة الحدود، والجهاد في سبيل الله) فهؤلاء يحفظون الدين أم يضيعونه؟!

مما سبق ترى يا أخي المسلم أن هؤلاء الحكام لا يدخلون في مسمى (أئمة المسلمين)، لا من حيث الشروط، ولا البيعة، ولا الواجبات. وترى أن تنزيل أحاديث الأئمة عليهم فيه مغالطة خطيرة وتلبيس.

الوجه الثاني: أنه لو افترضنا – جدلاً – تنزيل أحاديث الأئمة عليهم، فإن هذه الأحاديث مقيدة بحديث عبادة بن الصامت [.. إلاّ أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان] متفق عليه. فمتى وقع الحاكم في الكفر الصريح كالحكم بغير ما أنزل الله، فقد سقطت طاعته، وخرج عن حكم الولاية، ووجب الخروج عليه.. لا مجال للاستدلال بالأحاديث الواردة في أئمة المسلمين في حق هؤلاء الطواغيت المرتدين، وترى كذلك خطورة التلبيس الناشئ عن هذا الاستدلال الذي يترتب عليه صرف المسلمين عن جهاد الطواغيت عليهم..

وكلام الشارح ابن أبي العز هو في حق الإمام المسلم إن فَسَقَ أو جارَ، وليس في حق الكافر.. والشيخ الألباني يقر بكفر الأنظمة التي تحكم المسلمين بغير شريعة الإسلام، ومن ذلك قوله: "فقد سمعت كثيراً منهم يخطب بكل حماس وغيرة إسلامية محمودة ليقرر أن الحاكمية لله وحده، ويلمز بذلك بعض النظم الحاكمة الكافرة، وهذا شيء جميل، وإن كنا الآن لا نستطيع تغييره". من كتابه [الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، صفحة 96-97] هذا كلام الألباني.

كذلك فإنه سكت عن تعليق الشيخ أحمد شاكر؛ على: "إن الحاكم إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه، أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله، فهذا كفر أكبر".

علق أحمد شاكر على هذا بقوله: "وهذا مثل ما ابتلي به الذين درسوا القوانين الأوروبية من رجال الأمم الإسلامية ونسائها – أيضاً – الذين أُشربُوا في قلوبهم حبها، والشغف بها، والذب عنها وحكموا بها وأذاعوها.."

فيكف يقول الشيخ الألباني أن طريق الخلاص من هؤلاء الكافرين هو الصبر والتربية؟ مخالفاً بذلك جمهور السلف الذين قرروا أن الصبر يكون على الحاكم المسلم إن فسق أو جار، أما إن كفر فيجب الخروج عليه عند القدرة إجماعاً..

فطريق الخلاص من كفر الحكام هو الخروج عليهم بالسلاح، وهذا واجب إجماعاً وما قاله الشيخ الألباني في كتابه [الحديث حجة بنفسه صفحة 97]، من أن ضرب الأنظمة الكافرة لا نستطيعه الآن، فإنه عند العجز عن الجهاد يجب تحصيل الاستطاعة، لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:60].

وقول الشيخ الألباني إن الثورة بالسلاح على الحاكم وهمٌ يتوهمه بعض الناس ليس صحيحاً وليس بوهم، بل هو إتباع لسنة النبي ﷺ .

والإنقلاب العسكري إنما هو نوع من أنواع الخروج المسلح على الطواغيت، وهو واجب – كما سبق – فكيف يسمي الشيخ الواجب الشرعي بدعة؟ وليس الانقلاب العسكري من بدع العصر، فقد حدث في حياة النبي ﷺ ان خرج فيروز الديلمي على الأسود العنسي المتنبئ الكذاب، حتى قتل فيروز ذلك الأسود..

ولم يقل الشيخ أن الخروج المسلح بدعة فقط، بل قال أيضاً إن الخروج المسلح مخالف لنصوص الشريعة الآمرة بتغيير ما بالأنفس، وليس الأمر كما قال، فإن الخروج المسلح (الجهاد في سبيل الله) والقيام به دلخل ضمن تغيير ما بالأنفس، فإن ما أصاب المسلمين من الذل بتسلط الحكام المرتدين عليهم لم يقع إلا بسبب القعود عن الجهاد،

والركون إلى الدنيا وكراهية الموت، ولا خلاص للمسلمين من هذا الذل إلا بتغيير هذا، أي بالجهاد والتجافي عن دار الغرور، وهذا بالنص كما في حديث ثوبان وابن عمر رضي الله عنهم، كذلك فإنه إذا لم يمكن جهاد الكافرين إلا مع قوم من المبتدعة، فالواجب الجهاد معهم[1]، ولا نقول لا نجاهد حتى يتركوا البدع، بل نجاهد مع المبتدعة وندعوهم مع ذلك إلى التزام السنة..

قلت: فنحن نتفق مع الشيخ في أن تسلط الكفار والظلمة علينا إنما هو بمعاصينا لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء:79]، هذه عقوبة قدرية لنا، ولكن نختلف مع الشيخ في أنه قصرَ وسيلة دفعهم على السبب القدري بالتوبة من المعاصي، والإنابة إلى الله، واستنكر الشيخ الوسيلة الشرعية لدفع الكفار كالحكام المرتدين، تلك الوسيلة الشرعية هي الجهاد. ومن التناقضات في كلام الشيخ الألباني أنه يدعو المسلمين للصبر على حكامهم في نفس الوقت الذي يدعوهم لجهاد الكفار المستعمرين حيث قال:

"وأما الكفار المستعمرون فلا طاعة لهم، بل يجب الاستعداد التام مادة ومعنى لطردهم، وتطهير البلاد من رجسهم".

والكافر المستعمر هو الكافر الأجنبي، وقد بينت القاعدة من قبل أنه لا فرق بين أن يكون الكافر المتسلط على المسلمين أجنبياً أم محلياً، إذ أن علة وجوب جهاده قائمة في الحالتين وهو وصف الكفر، كما أن الكافر المحلي صار بكفره أجنبياً عن المسلمين..

ثم إن لنا أن نسأل الشيخ سؤالاً: لماذا قال إن طريق الخلاص من ظلم الحكام هو تغيير ما بالأنفس بالعلم والتربية؟ ثم قال إن طريق الخلاص من اليهود هو طريق الجهاد؟

---

(1) ويضاف هذا إلى ما ذكرناه من المرونة في منهج القاعدة، إذ أن المبتدعة والصوفية هما من أشد أعداء السلفيين فقد هاجمهم السلفيون هجوماً لا يقل عن المقارعة في ساحات القتال. ولكن سلفية القاعدة لانت وقبلت التحالف مع المتبدعة في الجهاد؟!

مع أن كلاً من الحكام المرتدين واليهود كفار تسلطوا – قدراً – على المسلمين بذنوبهم. فلماذا فرق الشيخ بين أسلوبي المواجهة؟..

وما قال الشيخ من ضرورة إصلاح القاعدة لتأسيس البناء عليها، نتفق معه في أنه لابد من الدعوة والتربية لتكوين طائفة تقوم بالجهاد لدفع فتنة الكافرين، أما الدعوة والتربية المطلقة هكذا دون أن نضع نصب الوصول إلى نتيجة مرسومة، إذ إن عوامل الهدم والإفساد تعمل هي الأخرى، وتدعمها وزارات التعليم والإعلام، والأوقاف الحكومية، وتحميها أجهزة القمع البوليسي، كما أعود فأذكر بأن الاقتصار على التربية كوسيلة للإصلاح فيه حيدة عن الواجب الشرعي وهو الجهاد، وفيه مخالفة لهدي النبي ﷺ ، فإنه لم يسلك مسلك التربية المطلقة هكذا..

نعم العلم والتربية حق، وجزء من الإعداد للجهاد من أجل تكوين طائفة ذات شوكة قادرة على التمكين لدين الله تعالى في الأرض، ومع ذلك نقول: إذا اكتملت القوة المادية لطائفة مجاهدة، ولم تكن على المستوى التربوي المرضي، فالواجب شرعاً الجهاد معها..

خاتمة: ومما يزيد من خطورة هذه الشبهة للشيخ الألباني أنها أصبحت مدرسة قائمة بذاتها، لها أتباع يرددونها في كثير من بلدان المسلمين، بل قد صارت هذه الشبهة حجة لكل قاعد عن الجهاد، ولكل راكن إلى الدنيا. ومن هؤلاء الأتباع من يداهن الطواغيت ويشاركهم في برلماناتهم الشركية[1]. أيُّ تربية هذه التي لا تبدأ بالكفر بالطاغوت. قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ **[البقرة:256]**. نفي قبل الإثبات كما في شهادة (لا إله إلا الله)، وأي تربية هذه التي لا تبدأ بالبراءة من الكافرين..

---

(1) يشير إلى جماعة الأخوان المسلمين وغيرها من الجماعات الإسلامية التي دخلت الحياة السياسية، أما السلفيون فهم يرفضون المشاركة في البرلمانات ويحرمونها.

لقد صار للشيخ أتباع مقلدون في هذه الشبهة وغيرها.. ولقد قلت من قبلُ وأكرر هنا، إن هذه الفتنة، فتنة الحكام المرتدين، تفوق فتنة خلق القرآن في خطرها على الأمة[1]، ولا يليق بالشيخ الألباني أن تصدر عنه مغالطات في هذه المسألة.

وإني لأرجو أن يبين الشيخ بنفسه وجه الحق في هذه الشبهة الخطيرة، إبراءً لذمته وحرصاً على أتباعه، ولا ننكر فضله وجهده في خدمة السنة النبوية، ولا تُنقِصُ هذه الشبهة من منزلته، فلكل جواد كبوة.."[2].

ولقد استغرق الرد على شبهة الشيخ الألباني عدة صفحات – كما رأينا – لما للشيخ من منزلة ومكانة لدى السلفيين، وقد رأينا رغم مخالفة الشيخ لمنهج الجماعة في أهم وأخطر مسألة، لكن الرد جاء بعيداً عن التسفيه والإنكار الشديد، كما هي عادة السلفيين في ردودهم – خاصة المنتسبين لمدرسة الشيخ مقبل الوادعي – والمتأخرين منهم.. والأعجب من ذلك أن تعتبر هذه الشبهة كبوة جواد؟!

ولست ضد اللين والحكمة والاعتدال عند الإنكار على الغير، فذلك مطلوب ومحمود، لكني أعجب من هذا الموقف، لأن (العمدة) قد حكم بأحكام أشد عنفاً على آخرين بمجرد عدم تحريضهم على قتال الحكام، فقد اعتبر أن المنتسبين إلى العلم الشرعي في زماننا – أي العلماء وطلبه العلم – إذا لم يتكلموا في هذه المسألة منكرين على الحكام، ومحرضين المسلمين على الجهاد، فإنهم سيلقون الله وهو ساخط عليهم، إذا هذه المسألة تساوي فتنة الردة التي حدثت بعد وفاة النبي ﷺ وتفوق في فتنتها فتنة خلق القرآن. وقد ذكرت نص كلامه سابقاً.

---

(1) الفتنة التي أثارها المعتزلة، وتصدى لها الإمام أحمد بن حنبل.

(2) العمدة (صفحة 290 حتى 299).

وفتوى الشيخ الألباني التي سماها العمدة (شبهة خطيرة) تجاوزت كل ذلك فهو يرى – كما مر بنا – الإنقلاب العسكري والذي يعني الجهاد عند (العمدة) هو من بدع العصر، وأنه مخالف لنصوص الشريعة!! وأن أسلوب الإنقلابات وهْم!! ومع ذلك كله اعتبر كل ذلك من المغالطات كبوة جواد.

إن هذا لايتناسب مع منهج السلفية الجهادية وقناعاتها؟! ولنسأل أنفسنا: أكان هذا اللين مع الألباني لكونه أحد كبار المشايخ والعلماء السلفيين، فاستثناه من الحكم؟! أم أنه بهدف عدم التصادم مع جمهور كبير من السلفيين الذين يمثلون نسبة كبيرة في تنظيم القاعدة؟! أم لأن الألباني اجتهد فأخطأ، فله أجر – كما جاء في الحديث المشهور؟! لكن المسألة ليست محل اجتهاد، ففيها نص – كما نقلنا عن العمدة سابقاً؟!

إن تساهل السلفيين وغض طرفهم عن أخطاء مشايخهم هو جزء من منهجهم، ففي حين يشتد الوادعي على الانتخابات ويكفِّرها، وكذا تلاميذه، نجده يعتبر فتوى الألباني وابن باز في إباحة الانتخابات وجواز المشاركة فيها، يعتبرها من الأخطاء التي يُتجاوز عنها حيث يقول:

"لكن هما مقصدهما حسن، وهب أنهما أخطآ، فأهل العلم يقولون إن العالم الفاضل إذا حصل منه خطأ فهو معذور فيما له من الفضل.."[1]، كما ذكر أن هناك فرق بين خطأ المبتدع وخطأ الشخص السني الذي لابد أن نغض الطرف عنه[2].

إنه نفس الموقف الذي وقفه السلفيون سابقاً وتناقضوا فيه. فقد أنكرت جماعة جهيمان على الحكام واعتبروهم منافقين وفاسدين ولا طاعة لهم..الخ، ثم خرجت هذه الجماعة

---

(1) الرحلة الأخيرة (صفحة 209).

(2) (قمع المعاند) للوادعي.

السلفية وتحصنت بالحرم، وواجهت السلطة، واعتبروا العلماء الذين سكتوا عن الحكام مداهنين وملبسين. فقال:

"ويجدون من مشايخ الضلال من يعطيهم الفتاوي بلا تورع ولا تقوى". "ولا تنخدع بحملة الفقه وبمن يأخذ بجانب واحد من الكتاب والسنة". "ويصفهم بأنهم يسكتون عن الباطل ويظهرون الدين في ثوب المذلة والمهانة"[1]. لكن الموقف يختلف حالماً يتعلق بالشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – والذي يصفه جهيمان بأنه ركن من أركان الدولة وأن له مكانة عند الحكام. فيقول:

"وقد رأينا حينما ننصحهم أنهم يحتجون علينا بالشيخ عبد العزيز بن باز وأمثاله فنقول: المعروف عن الشيخ حفظه الله وعافاه مما هو فيه، أن إنكاره غالباً إنما هو جواب عن السؤال إذا سئل، أما أن يبادر إلى إنكار المنكر مع أنه ركن من أركان الدولة فذلك لو أنهم ابقوا مكانته عالماً يعلم الناس الخير، لكن إنما هو الآن موظف إداري ويخدعونه بـــ (أبونا) و(والدنا) و(شيخنا) وغير ذلك من إطراءات المنافقين. وإنما يأخذون منه ومن علمه ما وافق أهواءهم، فإذا خالفهم بالحق لم يتحرجوا في مخالفته ورد الحق، وهو يعلم ذلك جيداً"[2].

إننا لا نجد الشدة نفسها، ولا الموقف نفسه. فلماذا؟! لماذا اختلفت الأحكام في المسألة الواحدة؟!

إن روح المنهجية السلفية وطابعها المتميز يتجليان في كل صفحة من صفحات (العمدة) فالأسلوب والطريقة التي يتناول بها الموضوعات والمسائل، والتي تبدأ بسرد

---

(1) انظر رسالة جهيمان (الخلاصة ومجمل ما نعتقده في حكام المسلمين) صفحة 82 من كتاب (رسائل جهيمان العتيبي) للدكتور رفعت سيد أحمد.

(2) المصدر السابق (صفحة 76- 77).

النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، مع تحري صحة ما يستشهد به من الأحاديث، لتكون دليلاً كافياً ومقبولاً لإثبات صحة الأحكام، ثم الاستشهاد بأقوال علماء السلف، والترجيح بين الآراء، وعند الانتهاء نجد الرد على الشبهات ودحض مزاعم المخالفين.. كما أننا نجد تلك الجرأة التي اتصف بها السلفيون المعاصرون من خلال حمل النص ما لا يحتمل، والتي تنتهي بتبني أحكام وقضايا، والتعصب لها، مع القطع بخطأ وجهل مخالفيها، وإن كانوا علماء أو فقهاء.

إن منهج القاعدة يعتبر خروجه على الحكام مقرراً بالنص. (ولا اجتهاد مع النص)؟! ويعتبر حديث عبادة بن الصامت [.. إلا أن تروا كفراً بولحاً] مقيداً لغيره من أحاديث السمع والطاعة، واعتبر قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة:44]، إنه نص عام، ويعني الكفر الأكبر.

وهنا تأتي الجرأة السلفية التي ذكرتها، إذ لو كانت المسألة فيها نص قطعي الدلالة لما وردت فيها الآراء والاجتهادات المختلفة، فتقرير العمدة أنه قد انعقد الإجماع على وجوب الخروج على الحكام وأنه لا يجوز الاجتهاد مع وجود النص بالإجماع[1]، والذي يقرأ هذا يظن أن المسألة فعلاً قد ورد فيها نص ويؤكده الإجماع!! والأمر ليس كذلك، فإن الإجماع انعقد على وجوب الخروج على الحاكم عند الكفر البواح، ولمن قدر على ذلك، لكن هذا الخروج أو المعارضة – ولو بالسيف – لا تعني بالضرورة كفر الحاكم كما حاول (العمدة) أن يثبت لنا[2]، الإجماع انعقد فعلاً على أنه لا اجتهاد مع وجود النص، لكن ليس في هذه المسألة نص، بل هو ما افترضه (العمدة) أن يكون نصاً في المسألة، والأمر يختلف. وكيف يكون في المسألة نص قطعي الدلالة ويختلف العلماء في ذلك؟! وقد ذكر (العمدة)

---

(1) العمدة (صفحة 278).

(2) والاقتتال مع الحكام قد حصل كثيراً في التاريخ الإسلامي، ولم يكن المتقاتلون يكفر أحدهما الآخر غالباً.

نفسه أن هناك اختلافاً في ذلك بقوله:

"..إنه إذا اختلفت أقوال الصحابة في تفسير آية اخترنا من أقوالهم ما يؤيده الكتاب والسنة"، والعبارة هذه جاءت بعد ذكره لآية المائدة ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، فهو اعتبرها عامة، والكفر فيها هو الكفر الأكبر، لكن الصحابة والعلماء بعدهم رأوا غير ذلك – ومنهم من رأى رأيه.. إذاً فالمسألة خلافية، تحتاج إلى اجتهاد ونظر، وليس الأمر كما قال: (فيها نص)!!

ولندع الكلمة للعلماء.. قال الإمام الشوكاني، وهو من الذين لا خلاف حولهم، وقد استشهد بآرائه صاحب (العمدة) في عدة مواضع أيضاً عند تفسير هذه الآية:

"لفظ [ومَنْ] مِنْ صيغ العموم، فيفيد أن هذا غير مختص بطائفة معينة، بل بكل من ولي الحكم (وهذا ما تبناه العمدة واعتمده) وقيل إنها مختصة بأهل الكتاب، وقيل بالكفار مطلقاً، لأن المسلم لا يكفَّر بارتكاب الكبيرة، وقيل هو محمول على أن الحكم بغير ما أنزل الله وقع استخفافاً، أو استحلالاً، أو جحداً"(1).

ثم ذكر تفسيره بالرواية فقال: "وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:44]، يقول: من جحد الحكم بما أنزل الله فقد كفر، ومن أقرَّ به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق.

وأخرج الفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ..و ٱلظَّٰلِمُونَ، ..و ٱلْفَٰسِقُونَ . قال: إنه ليس بالكفر الذي تذهبون إليه، وإنه

---

(1) (فتح القدير 42/2). وتأمل ما قيل وقيل تجد آراء وأقوالاً مختلفة تمنع كون المسألة نصية، وتؤكد خطأ ما ذهب إليه (العمدة).

ليس كفر ينقل من الملة، بل دون كفره[1].

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن عطاء بن أبي رباح في قوله:﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم .. ﴾، قال: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق.

وأخرج سعيد بن منصور وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس قال: إنما أنزل الله: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾، في اليهود خاصة. وقد روي نحو هذا عن جماعة من السلف..[2].

أما عن قوله: "إن هؤلاء الحكام مع حكمهم بغير ما أنزل الله يشرِّعون للناس ما يشاءون من أحكام فهم قد نصَّبوا أنفسهم أرباباً وآلهة للناس.."، واستدل بقوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ **[التوبة: 31]**.

فقد جاء عن ابن تيمية وهو أكثر العلماء الذين يستدل بأقوالهم السلفيون، وكذلك الحال في (العمدة). إذ قال:

"وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً حيث أطاعوهم في تحليل ما حرَّم الله، وتحريم ما أحل الله، يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدّلوا دين الله فيتبعوهم على التبديل، فيعتقدوا تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله أتباعاً لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر..

والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتاً، لكنهم أطاعوهم

---

(1) وهذا القول من ابن عباس وهو ترجمان القرآن وهو حبر الأمة، ورغم ذلك فإن (العمدة) يقطع بأن الآية تعني (الكفر الأكبر) المخرج من الملة والموجب للردة.

(2) (فتح القدير 45/2).

في معصية الله، كما يفعل المسلمَ ما يفعله من المعاصي- والتي يعتقد أنها معاص، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب..

ثم ذلك المحرِّم للحلال والمحلل للحرام إن كان مجتهداً قصده اتباع الرسول ﷺ ، لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر، وقد أتقى الله ما استطاع، فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه، بل يثيبه على اجتهاده[1]..

وقد ذكر ابن تيمية في كتابه (الإيمان) أنه قد حصل خلاف في معرفة دلالة الألفاظ في الكتاب والسنة، ومن جملة ذلك ما وقع من خلاف حول أهم لفظين وهما: الإيمان والإسلام:

"فإن النزاع في مسماهما أول اختلاف وقع، افترقت الأمة لأجله، وصاروا مختلفين في الكتاب والسنة، وكفَّر بعضهم بعضاً وقاتل بعضهم بعضاً.."[2].

وعن الإجماع، قال ابن تيمية: "وهذه الآية[3] تدل على إن إجماع المؤمنين حجة من جهة أن مخالفتهم مستلزمة لمخالفة الرسول ﷺ ، وإن كل ما أجمعوا عليه فلابد أن يكون فيه نص عن الرسول ﷺ ، فكل مسألة يُقطع فيها بالإجماع وبانتفاء المنازع من المؤمنين، فإنها مما بيَّن الله فيه الهدى، ومخالف مثل هذا الإجماع يكفُر، كما يكفُر مخالف النص البيِّن، وأما إذا كان يظن الإجماع ولا يقطع به، فهنا قد لا يقطع أيضاً بأنه مما تبيَّن فيه الهدى من جهة الرسول، ومخالف هذا الإجماع قد لا يكفُر، بل قد يكون ظن الإجماع خطأً، والصواب في خلاف هذا القول، وهذا هو فصل الخطاب فيما يكفَّر به من مخالفة

---

(1) الإيمان (صفحة 67).

(2) المصدر السابق (صفحة 161).

(3) يعني قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ ﴾ الآية. [النساء: 115].

الإجماع وما لا يكفَّر به.."[1].

إذاً ليست الآية: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ عامة كما قال (العمدة)، بل هناك من خصصها من كبار علماء السلف، وقبلهم حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنه!! وليس المقصود الكفر الأكبر، بل يمكن أن يكون كذلك، ويمكن أن يكون غير ذلك (كفر دون كفر)!! وليس كل من أطاع غيره ولو في تحريم الحلال وتحليل الحرام كافراً ما لم يستحل ذلك، والمسألة متعلقة بأمور وأعمال قلبية استخفافاً أو استحلالاً أو جحوداً.. الخ، وكفر من أنكر الحكم المجمع عليه إجماعاً يقينياً، ليس باعتبار أنه أنكر الإجماع، بل لأنه أنكر ما ثبت من الدين بالضرورة[2].

أما حديث عبادة بن الصامت فإن دعوى أنه يقيد سائر الأحاديث الصحيحة الواردة في نفس الباب فمسألة فيها نظر تحتاج إلى دليل. ودليل (الكفر البواح) للعلماء فيه حديث طويل جداً وقد جاءت روايات متعددة في هذا الحديث منها رواية البخاري [إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان] ففي رواية (كفراً بواحاً) ورواية (كفراً صراحاً) ورواية (إلا أن تكون معصية لله بواحاً) ورواية (ما لم يأمركم بإثم بواحاً).. ولهذا نجد الإمام ابن حجر العسقلاني بعد ذكره للروايات المتعددة يشرح الحديث ويحدد معنى (برهان) فيقول:

"أي نصِ آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل.." ثم يقول: "والذي يظهر لي حمل رواية الكفر على ما إذا كانت المنازعة في الولاية، فلا ينازعه بما يقدح في الولاية إلا إذا ارتكب الكفر، وحمل رواية المعصية على ما إذا كانت المنازعة فيما عدا الولاية. فإذا لم

---

(1) الإيمان (صفحة 35- 36).

(2) قال ابن حزم: "واتفقوا أن من خالف الإجماع المتيقن بعد علمه بأنه إجماع، فإنه كافر" . فرد عليه ابن تيمية: "في ذلك نزاع مشهور بين الفقهاء". انظر: مراتب الإجماع ونقدها (صفحة 217).

يقدح في الولاية نازعه في المعصية بأن ينكر عليه برفق، ويتوصل إلى تثبيت الحق له بغير عنف. ومحل ذلك إذا كان قادراً – والله أعلم – ونقل ابن التين عن الداودي قال: الذي عليه العلماء في أمراء الجور أنه إن قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجَب، وإلا فالواجب الصبر.."[1].

وألفاظ الحديث (إلا أن تروا كفراً بواحاً) تصدق على رؤية الحاكم كافراً كما يمكن أن تصدق على غيره من المحكومين – أيضاً – أي تنطبق على كفر المحكومين كما تنطبق على كفر النظام نفسه، كما أن الخطاب بـ (تروا) بضمير الجماعة تفيد ما دل عليه الخطاب.. من أن المراد (جماعة). ولكن من هي الجماعة المخاطبة؟ ولمَ رأت تلك الجماعة كونها هي المخاطبة دون غيرها؟! فعدم التعيين أيضاً سيؤدي إلى التنازع، فضلاً عن التنازع والاختلاف في حقيقة ذلك الكفر وحصوله أم لا، وكونه بواحاً أم لا؟!.

إن المسألة تقع ضمن دائرة الخلاف في وجهات النظر، ولاختلاف الأفهام، ولهذا فهي ليست مما جاء فيها نص قطعي الدلالة. وكما قال الإمام الغزالي رحمه الله:

"كل ما هو محل الاجتهاد فلا حسبة فيه".

وإن مسألة الخروج على الحاكم لها في كتب العلماء القدامى والمحدثين عدة مباحث وتفريعات، بل لها عدة تسميات – أيضاً – فمنهم من سماها (الخروج) و(الفتنة) و(القيام على الحكام) و(الخروج المسلح) و(مسألة السيف) و(قتال الظلمة) وغيرها[2].

وفي هذا الباب تحدث أهل العلم عن موجبات الخروج على الحاكم وحدودها، وفرقوا

---

(1) فتح الباري 8/ 13.

(2) وتسمى أحياناً بحروب المصالح، وتختص بجهاد غير المشركين، وجاء عن بعض فقهاء المالكية أن جهاد المحاربين أفضل من جهاد الكفار، لما فيه من رفع للفساد عن المسلمين المؤدي إلى ضعفهم.

بين حالة انحراف الحاكم عند ارتكابه للمعاصي في سلوكه الشخصي ومن ذلك استئثاره بالحظوظ الدنيوية لنفسه وأقاربه وحاشيته دون باقي أفراد الأمة، ومن ذلك انحرافه عن الالتزام بالأحكام الإسلامية في السياسة الداخلية أو الخارجية للبلاد، أو انحرافه في مصادرة الأموال، أو أن يسطو على أفراد من المسلمين بالتعذيب والإيذاء، بل والقتل تحت مسمى حماية الأمة، أو الشرعية، أو سيادة الدولة، أو غير ذلك من المسميات التي يجعلها الحكام ذرائع يبررون بها انحرافاتهم.

إنها المسألة التي أثير حولها جدل واسع، وامتلأت بها كتب الفقه قديمها وحديثها، ولكلٍ رأيه، ولكل أدلته، ولكل فهمه. وما خلا عصر بعد وفاة النبي ﷺ إلا وكانت هذه المسألة محور المشكلات الحاصلة، وبها قامت المعارك، وحصلت المواجهات، وتفرقت الأمة وسالت دماء المسلمين.

إن في المجتمعات الإسلامية انحرافات واختلالات لا شك فيها ولا جدال. ولكن هل هذا يعني أن كل انحراف من الحاكم أو السلطة الحاكمة يقتضي الخروج والقتال، وإسالة الدماء بحجة إقامة الدين!!

إن ابن حزم الأندلسي مؤسس المدرسة الظاهرية، يرى أن أحاديث السمع والطاعة للحاكم الفاسق الجائر منسوخة، وهو الرأي الذي تمسك به منهج القاعدة ولكن المعتزلة يرون وجوب الخروج على الحاكم الفاسق بمقتضى أحاديث الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. وغيرهم يرى أيضاً..؟!

وجاء في (نيل الأوطار) للإمام الشوكاني: "وقد استدل القائلون بوجوب الخروج على الظلمة ومنابذتهم بالسيف، ومكافحتهم بالقتال، بعموميات من الكتاب والسنة في وجوب

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[1].

والمقصود أن أحاديث السمع والطاعة للحاكم الفاجر الجائر هي أحاديث خاصة، وأحاديث إنكار المنكر باليد، أو دفع الظالم بالقتال هي أحاديث عامة، فيعمل بالأحاديث العامة على عمومها فيما عدا الحالات التي أخرجتها عن هذا العموم تلك الأحاديث الخاصة، وهكذا يجري العمل بالأدلة العامة على عمومها، والأدلة الخاصة على خصوصها، ودون تناقض أو تكلف بالنسخ أو التقييد.

إذاً لا بد من الإلمام بطرائق الترجيح والالتزام، وترسيخ قواعد الفهم السليم للنصوص الشرعية ضمن ضوابط وشروط لم يهملها العلماء المجتهدون، حتى لا نقع في أزمة فهم تحت تأثير العقلية الظاهرية الحرفية التي تحكم بالحجية من خلال ظواهر الألفاظ، فتتحول القناعات إلى معارك جدل ومراء، ثم معارك دماء وأشلاء.

ولقد اختلف أصحاب النبي ﷺ في هذه المسألة ذاتها، فمنهم من خرج وواجه بالسيف كعبد الله بن الزبير، والحسين بن علي وأهل المدينة في خروجهم على بني أمية، ومنهم من امتنع وتوقف كعبد الله بن عمر، وفي نفس الوقت لم ينكر على الخارجين، وكذا نجد الأمر نفسه عند التابعين وعلماء السلف الصالح، فمنهم من خرج بالسيف على الحجاج مع ابن الأشعث، ومنهم من لم يفعل.

وأتساءل: لماذا لم تعتبر هذه الجماعة خروجها على الحكام من قبيل (قتال الظلمة) و(قتال البغاة) كما حصل بين المسلمين في مختلف العهود؟! هل التزاماً بما اجتهدت فيه أم لتحقيق أهداف وغايات بعيدة؟!

والحقيقة أن منهج القاعدة لم يرد الخروج عن قاعدته السلفية، فقرر فيه أن الخروج

---

(1) نيل الأوطار 175/7.

على الحاكم الفاسق أو الظالم قد حصل فيه خلاف بين سلف الأمة، فمنهم من أوجب الخروج، ومنهم من نهى عنه، ثم استقر رأي جمهور أهل السنة بمنع الخروج، والالتزام بالصبر على الحاكم الظالم أو الفاسق.

قال الإمام الشوكاني: "لا ينبغي لمسلم أن يحط على من خرج من السلف الصالح من العترة وغيرهم على أئمة الجور، فإنهم فعلوا ذلك باجتهاد منهم وهم أتقى لله وأطوع لسنة رسول الله من جماعة ممن جاء بعدهم من أهل العلم.."[1].

لقد خرج كثيرون ونابذوا بالسيف، ولكن لم يكفِّروا[2]، ولم يطوعوا الأحاديث النبوية لإثبات كفر خصومهم. وقد ذكر الإمام الشوكاني حديث عبادة بن الصامت الذي اعتبرتهُ (العمدة) مقيداً لغيره من أحاديث الطاعة، ذكره وعلق عليه فقال: "فيه دليل على أنها لا تجوز المنابذة إلا عند ظهور الكفر البواح".

"وعند أبن أبي شيبة من حديث عبادة: [سيكون عليكم أمراء يأمرونكم بما لا تعرفون ويفعلون ما تنكرون فليس لأولئك طاعة]، وقوله: [فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً عن طاعة] فيه دليل على أن من كره بقلبه ما يفعله السلطان من المعاصي كفاه ذلك ولا يجب عليه زيادة. وفي الصحيح: [فمن رأي منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه] ويمكن حمل حديث الباب وما ورد في معناه على عدم القدرة على التغيير باليد واللسان، ويمكن أن يجعل مختصاً بالأمراء إذا فعلوا منكراً.. لما في

(1) نيل الأوطار 176/7.

(2) جاء في كتاب (منهاج أهل الحق والأتباع) لمؤلفه الشيخ سليمان بن سحمان: "فاعلم أن الكفر الذي يُخرج من الإسلام ويصير به الإنسان كافراً، هو أن يكفر بما عُلم أن الرسول ﷺ جاء به من عند الله جحوداً وعناداً من أسماء الرب وصفاته وأحكامه. وإنما قدمت لك هذه المقدمة لتعلم أن كثيراً من المتدينين في هذا الزمان لا يعرفون الكفر الذي يخرج من الملة والكفر الذي لا يخرج من الملة" [صفحة 4].

الأحاديث الصحيحة من تحريم معصيتهم ومنابذتهم، فكفى في الإنكار عليهم مجرد الكراهة بالقلب لأن الإنكار عليهم باليد واللسان تظهراً بالعصيان، وربما كان ذلك وسيلة إلى المنابذة بالسيف"[1].

لقد ناقش العلماء هذا الحديث (إلا أن تروا كفراً بواحاً) في باب (الحث على بذل الطاعة للأمراء ما لم تكن معصية). ولم يزعم أحد منهم مطلقاً أن لفظ الكفر يقتضي تكفير وردة الأمير أو الحاكم، فقالوا:

"وقد أجمع العلماء على وجوب طاعة السلطان ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح، فلا تجوز طاعته في ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها".. تلك العبارة وما في معناها تجدها واردة في كتب الفقهاء والعلماء المجتهدين.

ولا نجد من الذين خرجوا على الحكام في البلاد الإسلامية من السلف أو الخلف من اعتبر خروجه على الحاكم المسلم خروجاً على كافر مرتد، إلا ما حصل من جماعة الجهاد المصرية وما شابهها من الجماعات الجهادية في العصر الحاضر.. ثم ما وجدناه في منهج القاعدة من تكفير للحاكم وارتداده[2].

إن الحكام المسلمين قد أعلنوا شهادتهم بأن (لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله)، فكيف يرمى بالكفر من شهد شهادة التوحيد ولم يأت بناقض من نواقضها؟! وقد عصمت هذه الكلمة دماءهم وأموالهم وأعراضهم – كغيرهم من المسلمين – ولا يجهل أحد تلك الحادثة التي حصلت أيام النبي ﷺ وقد جاءه أسامة بن زيد يخبره بأنه

---

(1) نيل الأوطار 174/7.

(2) وذكر بعض مشايخ السلفية الجهادية: (قد كفَّر بعض أكابر السلف من لم يبلغ ما بلغه اليوم من حارب شريعة الرحمن..) مستشهداً بتكفير الحجاج من بعض علماء التابعين كطاووس والشعبي. كما جاء في عقيدة أدعياء السلفية [صفحة 15]، وحتى لو ثبت ذلك فإن جمهور العلماء وأصحاب النبي ﷺ الذين أدركوا الحجاج لم يكفروه!!

قتل أحد المشركين في المعركة، ولكن هذا المشرك قال – وأسامة يرفع عليه سيفه – كلمة التوحيد، فأنكر عليه النبي ﷺ إنكاراً شديداً: "أقتلته وقد قالها يا أسامة"!.

ولا يخفي على كل مسلم ما للصلاة من مكانة عظيمة في الإسلام، وكونها الركن الثاني من أركانه الخمسة. وقد جاء الحديث الصحيح: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)!! هذا نص صريح بكفر تارك الصلاة. لكن العلماء والفقهاء لم يزعموا الإجماع على ذلك، واختلفت أقوالهم بين قائل بكفر تارك الصلاة، وآخر بعدم كفره، وآخر بكفره إذا كان جاحداً منكراً لوجوبها.. والمسألة مشهورة في كتب الفقه والحديث. ولكني سأذكر ما قاله الشيخ الألباني: – فقط حول هذه المسألة – وهو العالم المحدث السلفي بإجماع السلفيين.

جاء في سلسلة الأحاديث الصحيحة: [الحديث النبوي برقم 87] (يدرس[1] الإسلام كما يدرس وشيء الثوب، حتى لا يُدرى ما صيام ولا صلاة، ولا نسك ولا صدقة، وليسري على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة (لا إله إلا الله) فنحن نقولها، [أخرجه ابن ماجه 4049، والحاكم 473/4 من طريق أبي معاوية عن أبي مالك الأشجعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان مرفوعاً به].

وزاد: (قال صلة بن زفر لحذيفة: ما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم رددها عليه ثلاثاً، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال: يا صلة! تنجيهم من النار. ثلاثاً). وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

---

(1) يقال: درس الرسم: أي عفا، ودَرَسَ الثوبُ: إذا أخلق وبلي.

قلت – أي الألباني – "وهو كما قالا.." ثم شرح الألباني الحديث فقال:

"وفي هذا الحديث نبأ خطير، وهو أنه سوف يأتي يوم على الإسلام يُمحى أثره، وعلى القرآن فيرفع فلا يبقي منه ولا آية واحدة.."، ثم جاء على مسألة (حكم تارك الصلاة): هذا وفي الحديث فائدة فقهية هامة، وهي أن شهادة ألا إله إلا الله تنجي قائلها من الخلود في النار يوم القيامة ولو كان لا يقوم بشيء من أركان الإسلام الخمسة الأخرى، مع إيمانه بمشروعيتها، فالجمهور على أنه لا يكفر بذلك، بل يفسق، وذهب أحمد إلى أنه يكفّر وأنه يقتل ردة لا حداً، وقد صح عن الصحابة أنهم كانوا لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة. [رواه الترمذي الحاكم]، وأنا أرى أن الصواب رأي الجمهور، وأن ما ورد عن الصحابة ليس نصاً على أنهم كانوا يريدون بـ (الكفر) هنا الكفر الذي يخلد صاحبه في النار ولا يحتمل أن يغفره الله له.."[1].

ولقد رفضت السلفية الجهادية تلك الفتوى السلفية التي قال بها المحدث الشيخ الألباني، بل واعتبر السلفيون الجهاديون أن إصدار مثل تلك الفتاوى التي تشترط الاستحلال القلبي للتكفير وكذا عدم التكفير مطلقاً بالأعمال المجردة التي أطلق عليها الشرع الإسلامي لفظ الكفر كترك الصلاة، وعدم الحكم بما أنزل الله، اعتبروا القائلين بهذا قد انحرفوا عن مذهب السلف الصالح، وأطلقوا عليهم (أدعياء السلفية)[2].

وقد فسَّر السلفيون الجهاديون الحديث النبوي [العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر] بأنه يشتمل على تكفير تارك الصلاة سواء تركها كسلاً، أو تركها جحوداً، فقالوا:

---

(1) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني 1/ 127- 130.

(2) ومنهم الشيخ الألباني، والأستاذ علي حسن عبد الحميد، والشيخ محمد أبو شقرة، والشيخ ربيع بن هادي المدخلي.. كل أولئك يمثلون قيادات ومرجعيات سلفية كبرى.

"وينبغي هنا التنبيه إلى أن تارك الصلاة بالكلية لاينبغي أن يُختلف في كفره، فإنه إنما وقع الغلط لبعض من المتأخرين، حيث خلطوا بين الأحاديث الواردة في كفر تارك الصلاة والأحاديث التي جاءت في حق المتهاون بها التارك للمحافظة عليها، فقيدوا هاتك بهذه، وحملوا الكفر على الكفر الأصغر، والصحيح أن يُعمل كل قسم من النصوص في مقامه، وأوضح من مثال الصلاة: ترك الحكم بما أنزل الله، فإنه يكون كذلك متضمناً الكفرين الأكبر والأصغر بحسب حال التارك، ولكنه يُسمى في الحالين كافراً .. "[1] .

رأينا الانقسام السلفي في مسألة حكم تارك الصلاة؛ فالشيخ الألباني الذي يُعتبر أكبر القيادات السلفية المسالمة لا يعتبر تارك الصلاة كافراً كفراً مخرجاً من الإسلام، لأنه يرى عدم اشتراط فعل المأمور به لصحة الإيمان، وبذلك فترك الصلاة لا يُخرج المسلم من إسلامه إلا إذا صاحب ذلك الترك الجحود والاستحلال القلبي لذلك. وأما القسم الآخر من السلفيين، وهم الذين يمثلون السلفية الجهادية وبعض أتباع السلفية غير الجهادية يرون كفر تارك الصلاة، وهذا الأمر مشهور عند الحنابلة عموماً قديماً وحديثاً، إذ يرون أن الإنسان كما يكفّر من خلال الاعتقاد القلبي كذلك يكفّر من خلال الأعمال التي أطلق عليها الشرع الإسلامي صفة الكفر بغض النظر عن اعتقاد التحريم لتلك الأعمال أو عدمه.

ولكن هذا الانقسام بين السلفيين ليس انقساماً مُطرداً[2]، إذ نجد من مشايخ السلفية غير الجهادية من يرى كفرَ تارك الصلاة مطلقاً، ومن هؤلاء: الشيخ مقبل الوادعي، والذي أفتى بكفر تارك الصلاة دون التفريق بين الترك تكاسلاً أو جحوداً. وظلت تلك قناعته حتى وفاته، ففي أثناء رحلة علاجه الأخيرة في الولايات المتحدة الأمريكية، أجاب عن سؤال:

---

(1) ألف باء الحاكمية والإرجاء (صفحة 44).

(2) أعني ليس كل سلفي مسالم (غير جهادي) يرى ما يراه الشيخ الألباني في هذا الصدد، كما أن تنظيم القاعدة والذي يمثل واجهة السلفية الجهادية وقيادتها لم يتضح موقفه في مسألة التكفير بالأعمال كما سنرى.

امرأة زوجها لايصلي؟ فقال:

"إذا كان لايصلي فهو كافر ولاتحل له.."[1]. وكذلك نجد الشيخ عبدالعزيز بن باز – ومكانته بين السلفيين معلومة – يقول: "أما تركها بالكلية ولو في بعض الأوقات فكفر أكبر، وإن لم يجحدوا وجوبها في أصح قولي العلماء، سواء كان التارك رجلاً أو امرأة"[2].

ولكن المشايخ والعلماء السلفيين الذين توافقت آراؤهم في مسألة كفر تارك الصلاة مع ما قالت به السلفية الجهادية، نجدهم حين لايشترطون توافر الجحود القلبي للحكم بكفر تارك الصلاة، نجدهم في نفس الوقت يعتبرون توافر الجحود القلبي – الاعتقادي – شرطاً في إطلاق الكفر على الحاكم إذا لم يحكم بما أنزل الله.. وفي هذه المسألة ومنها وبها انقسمت السلفية إلى مجاهدة تحكم بكفر الحكام ومسالمة لا ترى جهاد حكام المسلمين، بل الجهاد هو جهاد الكفار والمشركين تحت راية ولي الأمر.

وتشتد المنازعة بين هؤلاء وأولئك، فنجد السلفية الجهادية تعتبر أختها غير الجهادية، قد وقعت في أخطاء علمية وشرعية فاحشة حين حصرت وجوه تكفير الحاكم في الجحود، ومن ذلك:

"**أولاً**: لأن الكفر عند أهل السنة لا ينحصر في الجحد، بل يكون في العناد، والتكذيب، والإعراض، ويكون أيضاً في ترك العمل مطلقاً..

ثانياً: أن الجحود غير مخصوص بمسألة الحكم، فمن المعلوم بداهة أن جاحد أي واجب من الدين، بل من أنكر سنة صحيحة، كفر لمجرد جحوده..

ثالثاً: أن قولهم هذا من شأنه أن يفتح باب التهاون والاجتراء على الشرع على مصراعيه،

---

(1) الرحلة الأخيرة لإمام الجزيرة – لأم سلمة السلفية (صفحة 214).

(2) تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام (صفحة 72).

ليلج منه كل متلاعب أو زنديق، حاملاً حصانة لا تكلفه إلا الإقرار بالأحكام، ثم ليعبث بها كيف يشاء.. "[1].

ويتسائل السلفيون الجهاديون: "ألا يدل حال حكامنا على أنهم أكثر من جاحدين؟". ثم يخاطبون إخوانهم بما تم الاتفاق عليه: "وإذا كنا نحكم بالبدعة على من يحدث في الشعائر ونحوها أمراً ولو قليلاً، فكيف يتفق أن نهون من انحراف من يحدث في شرائع الله كل هذا الهول الذي نراه من تغيير وتبديل، بل وتنحية كاملة للشرع وإحلال للقوانين الوضعية محله؟!"[2]. كما يحكمون على مهادنة الحكام أنه "تغرير بالدهماء وحملهم على إطاعة السلطة فيما تحلُّ وتحرمُ من دون الله، تألهاً على الله، ودفعاً بالمسلمين إلى اتخاذ الحكام أرباباً مع الله.."[3].

إننا لا نعجب حينما نرى تكفير بعض السلفية غير الجهادية لتارك الصلاة، وعدم تكفيرها للحكام، كما لا نعجب من تكفير السلفية الجهادية لتارك الصلاة والحكام، ورفضهم لأي تأويل يؤدي إلى استثناء الحكام من صفة الكفر التي أطلقوها على من هم دون الحكام في استحقاق صفة الكفر. ولكن نعجب من عدم تناول منهاج القاعدة لمسألة حكم تارك الصلاة، رغم خوضه لقضايا ومسائل كثيرة، واكتفائه بالإشارة العابرة لأهمية إقامة الصلاة، واعتبار ذلك من الواجبات التي تلزم الأمير تجاه أعضاء الجماعة وأتباعه، ويدخل في هذه المسئولية:

إقامة الصلاة بنفسه أو من ينيبه.. وكذلك كان عمر بن الخطاب يكتب إلى عُماله (إن أهم أموركم عندي الصلاة، فمن حافظ عليها وحفظها حفظ دينه، ومن ضيعها كان لما

---

(1) ألف باء الحاكمية والإرجاء (صفحة 60- 61).

(2) المصدر السابق (صفحة 91).

(3) المصدر السابق (صفحة 68).

سواها من عمله أشد إضاعة) ثم ساق الحديث النبوي: [الصلاة عماد الدين]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ [البقرة: 45]، ثم ذكر شيئاً من فضائل وثواب المحافظة على الصلاة..

إن موقف تنظيم القاعدة وحكمه في مسألة تارك الصلاة له أهمية بالغة في سبيل تحقيق فهم صحيح لهذه الجماعة، ولمعرفة أولوياتها ومدى قدرة منهجها في التعامل مع القضايا الشرعية بطريقة لاتقدح في انتساب التنظيم إلى قاعدته السلفية، كما لا تصرفه عن تحقيق الأهداف والغايات التي يسعى لتحقيقها كتنظيم جهادي يعتمد المواجهة المسلحة قبل أي شيء آخر .

فالتنظيم القاعدة هو جماعة عسكرية تحرص على استكمال القوة المادية التي تلزمها لتحقيق النصر على الأعداء، وهذا هو الشرط الخاص كما أسمته القاعدة:

"الشرط الخاص: فهو الإعداد المادي للجهاد بجمع السلاح، وتحريض المؤمنين على القتال والبذل والنفقة.. ومما يدخل في الإعداد المادي توحيد صفوف المسلمين لمواجهة أعدائهم.."[1].

وقد وجد المنظرون لهذا التنظيم أن أعداداً كبيرة جداً من المسلمين ليسوا على المستوى الشرعي المطلوب، فكثيرون منهم لايؤدون الصلوات المفروضة، وآخرون يؤدونها حيناً ويقطعونها حيناً آخر، وآخرون يؤدونها في المواسم – كشهر رمضان – ..

ولا شك أن الجزم بتكفير كل أولئك سيدخل التنظيم في عداء وكراهية، ورفض شديد مع ملايين المسلمين الذين قصروا في أداء الواجبات الدينية؟! كما أن الواقع والتجربة يشهد بأن كثيراً من الملتزمين بالشعائر الدينية؛ بل ومن المجتهدين في الطاعات والعبادات

---

(1) العمدة (صفحة 196).

يرفضون الانضمام إلى جماعة تتبنى خيار القتال والمواجهة – كما هو حال القاعدة – وفي نفس الوقت يؤكد الواقع أن كثيراً من الذين صاروا أبطالاً وشهداء في ساحات القتال، بل وربما صاروا قيادات يُشار إليها ويُعتمد عليها، لم يكونوا من قبل انضمامهم لجماعات الجهاد – ومنها القاعدة – ملتزمين بأداء الواجبات الدينية؟!

ولهذا – حسب تقديري – لم ترد جماعة القاعدة التورط في مسألة تكفير تارك الصلاة، كما أن القاعدة لها نظريتها الخاصة في مسائل شرعية أخرى، ولايمكنها أن تجمع بين الإقرار بكفر تارك الصلاة، وبين ما رأته في تلك المسائل الشرعية وجزمت به.

لقد خالفت القاعدة غيرها من الجماعات الإسلامية سواء الحركية كجماعة الإخوان المسلمين وأشباهها، أو غير الحركية كالسلفية المسالمة، وذلك حين قرر منهج القاعدة الجهادي أن ما وضعته تلك الجماعات الإسلامية من شروط ومواصفات خاصة يجب أن تتوافر في الأفراد الذين سيشاركون في الجهاد القتالي في ميادين القتال، كشرط العدالة، وتحصيل العلم الشرعي اللازم، وكذلك اشتراط التربية وتزكية النفس، ليكون الأفراد المجاهدين مؤهلون للنصر على الأعداء.. لكن منهج القاعدة رغم إقراره بضرورة الإعداد الإيماني وأهمية العلم والتربية – كما رأينا – إلا أنه لا يرى أن عدم توافر تلك الشروط في الأفراد قبل انخراطهم في الجهاد الميداني حُجة كافية لمنع مشاركتهم العملية في القتال.

ونظرية القاعدة في هذا المجال تتلخص في أن الجهاد فرض عين على كل مسلم في زمننا، وأنه لا يمنع من أداء الجهاد إلا العجز وعدم توافر القدرات المادية اللازمة[1] للجهاد، أما طلب العلم وتحصيل العلوم الشرعية فليس من شروط وجوب الجهاد. "حتى لو قصَّر أحد في طلب العلم الواجب المتعين عليه فلا يكون تقصيره هذا مانعاً له من

(1) وهذا ما يسمونه بالشرط الخاص ويعنون به الإعداد المادي كالأسلحة والنفقة المالية والتدريب العسكري.. الخ.

الجهاد"[1]. وكذلك التربية الإيمانية: "لانقول يؤجل الجهاد حتى ننتهي من التربية الإيمانية، فهذه لانهاية لها إلا بالموت".

بل إن العدالة ليست من شروط الجهاد: "الجهاد مع الفاسق متبوعاً كان أم تابعاً جائز شرعاً، وقد يجب إذا لم يمكن دفع الكفار إلا بالجهاد مع الفساق". ولهذا "فإذا ثبت أن العدالة ليست شرطاً لوجوب الجهاد، سقط قول من يقول لا بد من التربية للوصول بالمسلم إلى رتبة العدالة قبل أن يجاهد".

وخلاصة ذلك أن القاعدة ترى أن كل صفة حميدة؛ وكل عمل أو واجب من الواجبات الشرعية يمكن تحقيقه من خلال ممارسة الجهاد، إذ أن ساحات الجهاد ومعسكرات التدريب لو أُحسن رعايتها؛ فستكون خير مكان لتربية الرجال، حيث: "تشكل المعسكرات الإسلامية بوجه عام ومعسكرات التدريب على وجه الخصوص؛ ساحة خصبة للتربية الإيمانية بما توفره من توجيه وتقويم من الإخوة بعضهم لبعض، وممارسة للسلوك الجماعي".

وإذا تأملنا تعريف العدالة ومفهومها في منهج القاعدة، سيتأكد لنا ما ذكرته من تفسير لعدم تصريح القاعدة بكفر تارك الصلاة، فقد عُرِّفت العدالة: "استواء أحوال العبد في دينه، وقيل من لم تظهر منه ريبة".. والمعتبر هو:

الصلاح في الدين: "وهو أداء الفرائض برواتبها، واجتناب المُحرم بفعل ما يجمّله ويزينه، وترك مايدنسه ويشينه" [صفحة 333].

---

(1) كما جاء في منهج القاعدة: "ومنه علم التوحيد ونواقضه، وأركان الإسلام، والمحرمات ونحو ذلك، وهذا يمكن تحصيله أثناء الجهاد وليس بشرط لوجوبه". إلا أنهم يستثنون قادة الجهاد الذين يجب أن يتوافر فيهم قدر من العلم ليتمكنوا من ضبط الأعمال والحفاظ على مسيرة الجهاد من الانحراف. (صفحة 329).

ولهذا فإن عدم تعرض منهج القاعدة لمسألة تارك الصلاة كان أمراً طبيعياً، إذ لو قيل: إنه كافر لتعارض هذا مع اعتبار عدم العدالة ليس مانعاً من الجهاد، ولأن عدم أداء الفرائض والذي يعني عدم الصلاح في الدين هو صورة من صور فقدان العدالة، فتارك الصلاة يجوز أن يكون عضواً في هذا التنظيم، وهو مطالب بأداء الجهاد ومقاتلة الأعداء، وسوف تتكفل ساحات القتال ومعسكرات التدريب باستكماله لما نقص من عدالته وانضباطه، والتزامه بالشعائر الدينية والأخلاقية.

فلسفة الجهاد لدى تنظيم القاعدة

لدى تنظيم القاعدة نظرة فلسفية للجهاد[1]، وهي تقوم على اعتبار أن الجهاد هو الغاية من الوجود، وأنه سنة ربانية لا تكتمل الحياة إلا به. وبانقسام الناس بقدر الله إلى مؤمن وكافر بعد أن اختلفوا في الاستجابة لأمر الله الشرعي بعبادته؛ بين مستجيب للأمر الشرعي وهو المؤمن، ورافض وجاحد وهو الكافر، حصل بموجب ذلك أن سلط الله كل فريق منهما على الآخر، فهما يتصارعان إلى يوم القيامة، ولا مهرب من حصول هذا النزاع والصراع الذي خُلق الناس لأجله.

"إن الله جل شأنه خلق الخلق، وأمرهم جميعاً بعبادته أمراً شرعياً على ألسنة رسله فمنهم من آمن ومنهم من كفر، وهكذا شاء الله سبحانه قدراً أن ينقسم خلقه إلى مؤمن به وكافر، ثم سلط الله سبحانه الفريقين بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾ [الفرقان:20].

فسلط سبحانه الكافرين على المؤمنين بالأمر القدري يفتنونهم ويقاتلوهم، وسلط سبحانه المؤمنين على الكافرين بالأمر الشرعي يدعونهم إلى الهدى، فمن أبى قوتل على هذا، لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله، وحتى لا يعبد في الأرض إلا الله وحده لا شريك له، فصراع المؤمن ضد الكافر إنما هو لتحقيق (لا إله إلا الله) كما قال رسول الله ﷺ [أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله] متفق عليه، وقال ﷺ : [بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له] رواه أحمد عن ابن عمر.

---

(1) وإن كانت كلمة فلسفة لم ترد في منهج القاعدة، وهي – أيضاً – من المحظورات عند السلفيين لكن هذه الكلمة – فلسفة – هي التعبير المناسب في نظري في هذا الفصل.

فالجهاد وسيلة لتحقيق التوحيد، وهكذا أراد المولى سبحانه أن تكون هذه الدنيا دار ابتلاء يختبر فيها خلقه ليجازيهم بأعمالهم[1].

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ [هود 118- 119].

أي خلقهم للاختلاف في أديانهم واعتقاداتهم وآرائهم. وبانقسام الخلق إلى مؤمن وكافر انعقدت العداوة بينهما. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [النمل:45]، وقال تعالى: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [الحج:19][2]، وقال تعالى: ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ [النساء:89].

فالكافر يعادي المؤمن لإيمانه، وكلما ازداد الإيمان كلما ازداد نصيبه من عداء الكافرين. ولهذا قال رسول الله ﷺ : [أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل حسب دينه] الحديث رواه الترمذي وصححه. وهذا يدركه العبد من نفسه كلما زاد إيمانه زاد بغضه للكافرين والعصاة، فيشرع في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر فيعادونه، وكلما نقص إيمانه كلما نقصت عداوتهم له، ومع ذلك فمعاداة الكافرين للمؤمنين لا تنقطع بالكلية طالما كان المؤمنون على إيمانهم ولو مع التقصير. قال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة:120]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ [البقرة: 217].

---

(1) العمدة (صفحة 253- 154).

(2) المصدر السابق (صفحة 255- 256).

والله يأمر المؤمنين شرعاً بدفع الكافرين المتسلطين قدراً على المؤمنين.."[1].

ويتضح لنا أن القناعة العملية والممارسة الجهادية لم تكن وليدة اجتهاد في النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، والتي استنتج منها وجوب المواجهة والقتال والعنف، فحسب؛ بل إن ممارسة الجهاد القتالي في هذا التنظيم قائم على فلسفة أكثر شمولية وأوسع من مجرد اجتهاد في النصوص.

فمن خلال ما سبق نجد للقاعدة نظرتها الفلسفية المتميزة، إذ هي لا تعتبر الجهاد وسيلة لتحصيل غاية التمكين وإعادة الحاكمية للإسلام فحسب؛ بل إن الجهاد هو الغاية ذاتها التي لا تقوم الحياة بدونها، لأنها ممارسة وتطبيق، واستجابة لسنة الله التي قضى بها أن يواجه المؤمنون الكافرين، وتلك سنة الله في خلقه بعد انقسامهم إلى مصدق ومكذب، حيث سلط بعضهم على بعض، ولتصبح الحياة حلبة صراع لا تنتهي إلا بانتهاء الحياة.

ولذلك رأينا (العمدة) يستعرض بعد تلك القضية صوراً من الممارسات العملية التي يواجه بها كل فريق الفريق الآخر. فذكر صوراً كثيرة من صور معاداة الكافرين للمؤمنين، والأهم من ذلك هو أن نمعن النظر فيما ذكره من المراحل التي يسلكها المؤمنون تجاه الكافرين. وهي أربعة مراحل:

أما الأولى: وهي الدعوة إلى الإسلام، فلا شك أن التنظيم قد انتهى وفرغ منها ولم تصبح محلاً للممارسة إلا في حالات نادرة.

وأما الثانية: وهي البراءة من الكافرين[2].

---

(1) العمدة (صفحة 258- 259).

(2) المقصود بالكفار كل الذين هم محل جهاد، من حكام العرب والمسلمين وحلفاءهم وأعوانهم، وأما اليهود والنصارى والوثنيين وكل من لا بدين الإسلام، فإن مراحل دعوتهم سنذكرها لاحقاً.

وأما الثالثة: وهي الاعتزال والهجرة.

والأخيرة: هي الجهاد في سبيل الله.

فهي وإن كانت مراحل؛ لكن التعامل بها عند أتباع هذه الجماعة يتم بأسلوب مختلف، إذ أن واقع هذا التنظيم وسلوكيات أعضاءه هي التي تترجم هذه المراحل حسب الظروف، فنجدها تبدأ بالجهاد العملي كمرحلة أولى، ويتم تحصيل البراءة من الكافرين من خلالها، هذا في حال توافر الإعداد المادي وعدم العجز أما لو عجز المسلم عن أداء الجهاد والمواجهة – ولو منفرداً[1] – فإن الهجرة والاعتزال ومفارقة الكافرين هي الحل الأول، ويتم تحصيل البراءة من الكافرين خلالها، وأحياناً تُلغى مرحلة الهجرة والاعتزال الحقيقي ولا تبقى إلا البراءة والاعتزال الشعوري، ويتم تطبيق مرحلة الدعوة ليس بالمفهوم الشائع لها، وإنما هي نوع من الجهاد الدعوي ونصرة قضايا المجاهدين، وهكذا فإن التعامل مع هذه المراحل له تفسير يختلف عما عند غير هذه الجماعة الجهادية.

---

(1) يرى تنظيم القاعدة جواز أن يخرج المسلم ولو منفرداً – على الحكام الطواغيت (وجهاد هؤلاء الطواغيت فرض عين، فللمرء أن يفعله وحده إن أراد، خاصة إذا لمكنته الفرصة من لحد هؤلاء. ولما الواجب فهو قتالهم في جماعة، إذ المطلوب إظهار الدين وهذا لا يأتي منفرداً) [صفحة 283].

الطرق والأساليب التي يستخدمها الكافرون

يرى تنظيم القاعدة أن هناك صور متنوعة من معاداة الكفار للمؤمنين فمنها:

الاستهزاء والسخرية، ورمي المؤمنين بالقصور والتخلف عن ركب العلم والمعرفة، وكذلك الإدعاء بأن المسلمين فاسدون اجتماعياً، وأن دينهم سبب فقرهم وضعفهم، ولهذا تقوم سياسات الدول الكافرة على تجويع المسلمين، وتحطيم اقتصادياتهم، وتهديدهم بالحصارات الاقتصادية والقتل والتعذيب. ولا يتوانى الكفار عن استخدام كافة وسائل المكر والخداع ليردوا المسلمين عن دينهم إن استطاعوا.. ولن تنقطع تلك المعاداة بكافة صورها، إذ هي من سنن الله تعالى.. حيث سلطهم الله على المؤمنين لحكمة أرادها سبحانه.

وفي المقابل يأتي تسليط المؤمنين على الكافرين بالشرع الموافق للقدر، وهو مراحل أربع[1]:

أولاً: الدعوة إلى الإسلام.. وبعد الدعوة تتخذ علاقة المؤمن بالكافر صوراً أخرى.

ثانياً: التبرؤ من الكافرين أحياءً وأمواتاً.. ويكون بإظهار العداوة والبغضاء لهم، ولكفرهم، وعدم اتباع أهواءهم ومناهجهم، واعتزالهم وعدم مخالطتهم.

ثالثاً: الاعتزال والهجرة، بعد الدعوة والبراءة من الكافرين يجب اعتزالهم وكفرهم، والهجرة من أرضهم إن أمكن ذلك[2].

رابعاً: الجهاد في سبيل الله لمن عاند وأبى قبول دعوة الإسلام. قال تعالى: ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة:5]. ولذلك قال رسول الله ﷺ : [أمرت أن أقاتل

---

(1) وهي في الكفار الأصليين.

(2) البلدان غير الإسلامية الأصل عندهم عدم الإقامة فيها إلا في حالات خاصة تقتضي المصلحة والضرورة إليها.

الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن هم فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى] متفق عليه.

إننا عندما نقرأ هذه المراحل الأربع في كتب الفقه الإسلامي فإننا نجد أن الترتيب هو أحد أركانها حيث تأتي معاملة غير المسلمين بالدعوة إلى الإسلام، فمن رغب عن الإسلام وظل متمسكاً بدينه فلا إكراه في الدين، لأن الإسلام لا يكره الآخرين الذين اختاروا طرائق أخرى وارتضوها لأنفسهم، إذ لهم الخيار في أن يدينوا بما شاؤوا، ولهم الحرية التامة، لكن الإسلام ضبط العلاقات مع غير المسلمين بضوابط شرعية، فالبدء بالدعوة إلى الله وبيان محاسن الإسلام هي المرحلة الأولى بالاتفاق عند جميع المسلمين سلفاً وخلفاً، وقد كان الرسول ﷺ يوصي أصحابه إذا بعثهم أن يبدعوا بالدعوة قبل القتال، ثم تأتي البراءة من الكفار والمشركين وعدم موالاتهم، وقد ذكرت في آيات قرآنية كثيرة، حددت معانيها والمقصود بها وحدودها كقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة:22]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:51]. وهذه المسألة– أيضاً –اوضحتها كثير من كتب التفسير والمباحث الاصولية.

وجاء من حديث عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ جهاراً غير سر يقول: [إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين، ولكن رحم أبلها ببلاها – يعني أصلها بصلتها..]الحديث.. متفق عليه.

ثم تأتي مرحلة الهجرة إذا كان المسلم بأرض لا يمكنه فيها أن يقيم شعائر دينه وكان محارباً مضطهداً لأجل كونه متمسكاً بدينه، عندها يترك أرض الكفر، ويتوجه إلى أي أرض يقام فيها شرع الله، حيث يعمل بمقتضى ما أمره الله ورسوله ﷺ .

ثم تأتي مرحلة الجهاد في سبيل الله في ظل ضوابط وشروط معلومة عند أهل العلم،

إن هذه المرحلية هي التي تطابق ما كانت عليه سيرة النبي ﷺ ، حيث بدأ بالدعوة في مكة وهي ما تعرف بالمرحلة المكية، وقدرها ثلاث عشرة سنة، ثم الهجرة ثم الجهاد في سبيل الله وهي المرحلة المدنية، وقد كانت قضية الولاء والبراء قد تحصلت بمجرد افتراق الناس إلى مؤمن وكافر، وعمقّها القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ في نفوس أتباعه.

منهج القاعدة لا يأخذ بمبدأ المرحلية، على اعتبار أن تلك المرحلية كانت تشريعاً اقتضت به الحاجة، لكن بعد اكتمال الشريعة وإتمام تعاليم الدين فلا حاجة للتقيد بتلك المرحلية، ولا حاجة للتدرج.

فإذا كانت مرحلة الدعوة قضية معلومة، والبراء من الكفار وموالاة المؤمنين مسألة محسومة، والجهاد هو قاعدة القاعدة. فما المقصود بالهجرة عند هذه الجماعة؟! وما هي الأسباب الموجبة للهجرة؟!

إن للهجرة أهمية كبرى في هذه الجماعة، إذ تعتبرها كمقدمة للجهاد. "والهجرة كمقدمة للجهاد إما أن تكون بغرض نصرة المسلمين المجاهدين في بلد آخر، وإما أن تكون بغرض الاستعداد وجمع الأعوان ليعود المسلم للجهاد في بلده" [العمدة: صفحة 271].

ورغم أن الهجرة بمفهومها العام تعني الفرار بالدين بمفارقة المشركين خشية الفتنة، وهي الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام أو إلى الأمن لمن استطاع ذلك، وهذه القضية لا تنكرها (العمدة) لكنه خرج إلى مفهوم أكثر خصوصية، وهو الهجرة للانضمام إلى المجاهدين حيث تجمعوا، والاستعداد ليكتمل بنيان الجماعة وأركانها، وبذلك يمكن للمهاجر أن يعود إلى بلده مجاهداً فاتحاً مع إخوانه، فتأمل كيف سخر مفهوم الهجرة إلى ما يسعى التنظيم إليه، وبذكاء شديد ودون أن يخرج عن المفهوم الحقيقي للهجرة!!

أما عن أقسام الناس عامة في الهجرة فهم ثلاثة أضرب[1]:

"**الأول:** من تجب عليه الهجرة وهو من يقدر عليها، ولا يمكنه إظهار دينه ولا يمكنه إقامة واجبات دينه مع المقام بين الكافرين، فهذا تجب عليه الهجرة.. ولأن القيام بواجب دينه واجب على من قدر عليه، والهجرة من ضرورة الواجب وتتمته، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

الثاني: من لا هجرة عليه وهو من يعجز عنها، إما لمرض أو إكراه على الإقامة.

الثالث: من تُستحب له ولا تجب عليه، وهو من يقدر عليها لكنه يتمكن من إظهار دينه وإقامته في دار الكفر، فتستحب له ليتمكن من جهادهم وتكثير المسلمين ومعونتهم، ويتخلص من تكثير الكفار ومخالطتهم ورؤية المنكر بينهم، ولا تجب عليه لإمكان إقامة واجب دينه بدون الهجرة".

ومن هذا تتضح قضية لم تزل الإجابة عنها تقلق كثيراً من المتسائلين، وهي: هل يمكن أن يقيم المجاهدون في دول الكفر؟! ذلك لأننا نرى من يقيم في دول أوروبا، كبريطانيا وفرنسا وغيرها. ويجاهر بعداوته للمخالفين[2]، ويتحمس كثيراً بالدعوة إلى الجهاد ونصرة المجاهدين فهو إذاً لا يبتعد عن المنهج الجهادي، بل ويؤدي دوراً هاماً، ربما لا يقل أهمية عن دور المجاهد بالسلاح.

إن ما ذكرته حول مفهوم الهجرة ومتعلقات هذه المسألة ومدلولاتها، كل ذلك لا يعني إشارة من قريب أو بعيد إلى حالات وشخوص معينة؛ لها قناعاتها في دعم الجهاد الإسلامي خاصة والدعوة الإسلامية عامة. وهؤلاء – أعني المقيمين في البلدان غير

---

(1) كما جاء في العمدة (صفحة 272)، وأضرب: جمع ضرب أي نوع.

(2) أي الذي يقيم بينهم من غير المسلمين أو المسلمين الذين يخالفونهم في الرأي.

الإسلامية – يمكن الاستفادة من تواجدهم لو أحسن التعامل معهم، من خلال محاورتهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن، خاصة الذين لم تثبت ارتباطاتهم بتنظيمات متطرفة أو دعمهم المادي لها. أما استفزازهم بأنواع مختلفة من ردات الفعل المتطرفة أيضاً فإن كل ذلك لن يزيدهم إلا إصراراً، كما سيؤدي إلى تكثير أتباعهم وأنصارهم الذين سيتأكد لهم أنهم على الحق وأن غيرهم على الباطل. بل ربما كان أغلب الذين تتم مواجهتهم ومحاصرتهم ليسوا مقتنعين بكل الفكر الجهادي – كما تطرحه القاعدة – ولكن تلك المواجهات أهلتهم وأكملت قناعاتهم بضرورة الانضمام المباشر أو غير المباشر لجماعة الجهاد، إذ وجدوا أنفسهم متهمين ومدانين. فلا ضير عليهم لو كانوا كما يقال عنهم؟!

وكذلك الحال بالنسبة للذين يتم إعتقالهم في كثير من البلدان العربية والإسلامية بتهمة الانتماء للقاعدة، وهم لا صلة لهم بالقاعدة.. لكن ظروف الاعتقال، وشدة المعاناة، وعدم محاكمتهم بإنصاف، أو رفض إطلاق سراحهم بعد تبرئة القضاء لهم.. كل ذلك يؤهلهم ليكونوا أعضاء فاعلين وانتحاريين سابقين.. وهم في الحقيقة لم تجندهم القاعدة وإنما جندهم أعداء القاعدة؟!!

السلفية الجهادية المصرية (1)

إن الحديث عن السلفية الجهادية في مصر ذو شجون، وله أهمية كبيرة، ولا يمكن تجاهله أو إهماله لمن يبحث فيما نحن في صدده. ولكني سأقتصر على الإشارة لما له علاقة بموضوع دراستي وتدعو الحاجة إليه.

في مصر وحدها حصل خلط ومزج في مفهوم السلفية، فأدخلت بعض التيارات الإسلامية التي تتشابه أفكارها تحت مسمى الجماعات السلفية، بينما هي بعيدة عن مدلول السلفية الذي تحدثنا عنه في دراستنا هذه وعرفناه من خلال المؤلفات التي وضعها العلماء الذين اتفق السلفيون على ريادتهم وقيادتهم، لا سيما الشيخ محمد بن عبدالوهاب التميمي، ومن قبله شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية، فلا يمكن أن نعتبر المجموعات الطلابية التي انطلقت من جامعة الأزهر واهتمت بقضايا العقيدة ودعت إلى التمسك بظواهر النصوص الشرعية ولم تهتم بفهم الواقع ومشكلاته، كما لم تعلن مواجهتها للنظام السياسي.. لا يمكن اعتبارها جماعات سلفية لمجرد اتصافها بتلك الأفكار والمواقف، بل لا بد مع كل ذلك أن تكون محاربة للبدع بشتى أنواعها، وداعية إلى ترك التقليد للأئمة ونبذ المذهبية، وكما تدعو إلى فتح باب الاجتهاد، بالإضافة إلى مقارعة المخالفين واعتبارهم على باطل، ثم اعتبار جماعتهم هي أهل السنة والجماعة والطائفة المنصورة والفرقة الناجية.. الخ، لهذا فالسلفيون الذين يمثلهم اتجاه مدرسي لا يذهب إلى الاجتهاد، ويعتمد التقليد أداءه، ويدرس المذاهب الفقهية، كما كان الأزهر يدرسها[2]، هؤلاء لا يمثلون الاتجاه السلفي، ولا يعدون جزءاً منه.

---

(1) شكلت تنظيمات الجهاد المصرية رافداً كبيراً من روافد القاعدة بعد توقيع قياداتها على بيان الجبهة الإسلامية العالمية في فبراير 1998م، على رأس هؤلاء الدكتور أيمن الظواهري، والأستاذ رفاعي طه، لينضم الجميع تحت مظلة تنظيم موحد.

(2) كما وصفهم الأستاذ كمال السعيد في كتابه (الحركة الإسلامية ..) [صفحة 34].

وكذلك الحال بالنسبة للدعوة الإصلاحية التي أقامها الشيخ الإمام محمد عبده في مصر، فإنها لا تدخل ضمن الفكر السلفي وتياراته المعاصرة، رغم أن بعض الدارسين والباحثين اعتبروها سلفية، نتيجة لوجود بعض وجوه الشبه بين دعوة الإمام محمد عبده وبين دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب، فكلاهما كانت دعوته حركة تجديدية للفكر الديني الذي أصابه الجمود والتقليد، فدعا الإمامان إلى فتح باب الاجتهاد ومنع التقليد المذهبي ومحاربته، كما تشابهت الدعوتان باعتبار الأساس الذي قامتا عليه وهو الأساس العلمي القائم على التوحيد وتنقية العقيدة مما لحق بها من شوائب الشرك والخرافات التي كانت سائدة في زمن الإمامين، كما تشابه الإمامان في اتصافهما بعزة النفس والإباء وعلو الهمة والشجاعة في الصدع بالحق في سبيل إصلاح أحوال المسلمين، كما تعرضا أيضاً للنفي والتشريد وسخط الحكام وأعوانهم، فلم تفتر هممهما رغم كل المتاعب والشدائد..

ومع ذلك فإن هناك وجوهاً كثيرة لاختلاف دعوة الإمام المصري عن دعوة الإمام النجدي، حسب قناعات مشايخ وعلماء وأتباع الفكر السلفي المعاصر، ولا يتسع المجال للاستشهاد بما كتبه هؤلاء عن الشيخ محمد عبده ودعوته، التي وصفت بأشنع الأوصاف، كما وصف مؤسسها بالمروق عن الدين والضلال المبين.

فقد قال الشيخ الوادعي وهو يفسر قول الله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَوٰٓا أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ [آل عمران: 133]، ".. وليس كما فهمه الضليل الأكبر محمد عبده المصري، الذي يلقبه بعض الجاهلين وبعض الملحدين بالمجدد! نعم إنه مجدد، ولكن للضلال، ناصر للمذهب المعتزلي، وللمذاهب الرديئة، فإنه أجاز التعامل بالربا القليل.."[1] وقالت عنه أم سلمة السلفية زوج الشيخ الوادعي:

---

(1) قمع المعاند (صفحة 277).

".. هذا رجل زائغ عن الحق ضال مضل، يدعو إلى وحدة الأديان، ومع هذا فهو قاطع للصلاة.."[1].

إن الفكر السلفي – الجهادي المصري – قد تميز بمميزات انفرد من خلالها عن غيره، ففي حين نجد الجماعات الجهادية في البلدان الإسلامية انطلقت من بين ثنايا القاعدة السلفية، كما رأينا في السعودية واليمن والجزائر وغيرها من البلدان، ولكننا نجد الجماعات الجهادية في مصر بالرغم من أخذ بعضها لتلك الصورة التقليدية، إلا أن بعض هذه الجماعات الجهادية لم تمر بفترة السلفية المسالمة، بل كان ميلادها من رحم جماعة إسلامية لم تجعل الفكر السلفي قاعدتها الأولى؛ وهي جماعة الإخوان المسلمين.

ولهذا فإن الجماعات السلفية في مصر قد واكبها ظهور الجماعات الجهادية، وتعايش الجميع، واتحدوا تارة، وافترقوا تارة أخرى.. وربما كان ميلاد هذه الجماعات الجهادية السلفية من إطار جماعة ضمت كثيراً من فصائل الحركة الإسلامية، كما حصل حين انبعثت الجماعة السلفية كفصيل مستقل عن الجماعة الإسلامية، وكذلك انبثقت عنها جماعة الجهاد الإسلامي في نهاية السبعينات.

وكذلك نجد ظهور الفكر السلفي الجهادي على هيئة جماعات منظمة في مصر، قد سبق غيره، ففي حين لم تتشكل الجماعة السلفية في السعودية إلا في أواخر السبعينات[2]، وكذلك في اليمن لم تعرف الجماعة السلفية إلا بعد قدوم الشيخ الوادعي من السعودية بعدة سنوات، لكن الجماعات السلفية والجهادية في مصر قد ظهرت قبل ذلك بكثير، فقد أنشأ الشيخ السلفي محمد حامد الفقي أول جماعة سلفية في مصر في عام 1926م بمدينة

---

(1) تحذير الفتاة العفيفة (صفحة 52).

(2) أعني جماعة الحرم أو ما عرفت بجماعة جهيمان .

القاهرة، وسميت بـــ (جماعة أنصار السنة المحمدية)، وتولى الشيخ الفقي رئاسة هذه الجماعة حتى وفاته.[1]، أما جماعة الجهاد فقد كان أول تعبير حركي وميداني لها، عندما حاول بعض أعضاء الجماعة أن يسيطروا على اللجنة المركزية التي كان يخطب فيها الرئيس أنور السادات، ليتمكنوا بعد ذلك من إرغامه على إعلان تنازله عن حكم مصر، لكن هذه المحاولة التي اشتهرت بعملية (الفنية العسكرية) باءت بالفشل، وتعتبر هذه المحاولة أول محاولة انقلابية منظمة ضد السلطة السياسية المصرية في عام 1974م.

ولا شك أن مصر تحتل المركز الثاني بعد السعودية ودول الخليج من الانتشار والأتباع للفكر السلفي[2]، لكنها الأولى بين الدول العربية في انتشار الفكر الجهادي، وكثرة أتباعه وأنصاره، ويضاف إلى ذلك أن للسلفيين المصريين دور هام ومؤثر على إخوانهم السلفيين الذين اقتحموا الحرم المكي، في أول عملية مواجهة بين النظام السياسي السعودي وبين ما عرفت بجماعة جهيمان، حيث ثبت أن العناصر المصرية لعبت دوراً في تأكيد القناعات بضرورة ووجوب اقتحام الحرم المكي لإعلان المتابعة والمبايعة للمهدي الذي بشرت بظهوره الأحاديث النبوية الصحيحة، ففي حين شكك بعض أتباع هذه الجماعة في صحة وشرعية الاعتماد على مجموعة من الرؤى والأحلام المنامية التي رآها عدد من شباب الجماعة، وتشابهت وتطابقت، مؤكدة بأن محمد بن عبدالله القحطاني هو المهدي المنتظر، كان أكثر المتحمسين لهذا هم العناصر السلفية المصرية، الذين استطاعوا أن يؤثروا على قائد الجماعة جهيمان العتيبي، كما اعتبروا المعارضين لفكرة الاقتحام وإعلان

---

(1) كانت هذه الجماعة تمول وتأتيها المساعدات من الهيئات الدينية في المملكة في اواسط القرن الماضي هي التي تربى فيها كبار قادة الفكر السلفي الجهادي: كالدكتور أيمن الظواهري، وعصام القمري، ومحمد الشرقاوي، ونبيل البرعي، وغيرهم.

(2) موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية (صفحة 246).

المهدي، بأنهم مخذّولون وعاجزون عن الصدع بالحق في وجه الباطل، ولم يكتفِ السلفيون المصريون بالتحريض والدفع بالجماعة إلى ميدان المواجهة، بل شاركوا في عملية الاقتحام واحتلال الحرم المكي لمدة لا تقل عن عشرين يوماً، دارت خلالها مناوشات قتالية بين المقتحمين وبين قوات الأمن السعودي داخل الحرم، والتي لنتهت بقتل أعداد من المقتحمين وأسر أعداد أخرى بعد استسلامهم للسلطات السعودية. (ومن الأمور الهامة هنا أن نذكر أن 9 مصريين قد تم الإفراج عنهم عام 1986م بعد الحادث بسبع سنوات)[1].

وكما لعب السلفيون المصريون دوراً في السعودية التي تعتبر منبع السلفية والدولة المركزية الأولى لنشر الفكر السلفي، كذلك نجد السلفيين المصرين هم أول الوافدين إلى قرية الشيخ مقبل الوادعي بعد أن تم ترحيله من السعودية بحجة أنه هو الذي كتب الرسائل السلفية التي نشرها جهيمان العتيبي، وقد أشاد الشيخ الوادعي بالمصريين الذي دعموه وتتلمذوا على يديه بعد أن خذله الكثيرون، فقال: "وما هي إلا أيام فإذا بعض الأخوة المصريين، وفتحنا دروساً في بعض كتب الحديث وبعض كتب اللغة، وبعد هذا ما زال طلبة العلم يوفدون من مصر، ومن الكويت.."[2].

وعندما نتأمل في جنسيات تلاميذ الوادعي سنجد أن المصريين يأتون في المركز الثاني بعد اليمنيين من حيث العدد، أما من حيث الأهمية والتأثير، فإن إشادة الوادعي بالعنصر السلفي المصري لا تقل عن افتخاره وإشادته بكبار مشايخ السلفيين اليمنيين من تلاميذه، فنجد الوادعي يصف أحدهم بأنه: "قائم بالدعوة بمصر، بصيراً بالرواية والدراية"[3]، ويتضح مدى تأثير السلفيين المصريين على السلفية في اليمن، حالما نجد

---

(1) (رسائل جهيمان) للدكتور رفعت سيد (صفحة 44).

(2) ترجمة الوادعي (صفحة 29).

(3) ترجمة الوادعي (تلميذه رقم 38).

بعض الذين قدموا لطلب العلم على يد الوادعي لم يقبلوا أن يكونوا أتباعاً لمن جعله الوادعي خليفة له بعد وفاته، وهذا ما جاء في وصية الشيخ الوادعي: ".. وأوصيهم بالشيخ الفاضل يحيى بن علي الحجوري خيراً، وألا يرضوا بنزوله عن الكرسي، فهو ناصح أمين.."[1]، وقد ذكرت هذا بتفصيل أكثر في موضع آخر من هذه الدراسة.. وبذلك يكون العنصر السلفي المصري هو من قاد أول تمرد عن الجماعة السلفية بعد وفاة الوادعي، داخل اليمن. كما أن هناك من طلاب العلم المصريين من آثر الخروج من اليمن إلى بعض دول الخليج العربي ليقود حركة سلفية متميزة عن الفكر السلفي الذي أقام الوادعي جماعته عليه، ومن هؤلاء الشيخ مصطفى بن العدوي، والذي أشاد به شيخه الوادعي وأوصى باقتناء مؤلفاته، التي وصف بعضها بأنها فريدة في موضوعها ولم يؤلف مثلها، فقال الوادعي: "وكتبُ أخينا مصطفى بن العدوي حفظه الله ينبغي أن تقتنى، مثل الصحيح المسند.. والجامع لأحكام النساء ولعله كتاب لم يؤلف مثله.."[2].

إن الجامعات المصرية كانت هي المراكز الأولى والكبرى، التي فيها تشكلت الأفكار السلفية؛ ومنها – أيضاً – انطلقت جموع السلفيين لنشرها في أنحاء مصر، كما أن أغلب الزعامات السلفية المصرية كانوا من أساتذة الجامعات، ومن حملة الشهادات العليا، ولهذا لم يظهر السلفيون المصريون بالصورة التي ظهر فيها السلفيون في اليمن الذين اعتبروا الجامعات مؤسسات جاهلية لا يجوز الالتحاق بها، كما لم تظهر مؤلفات القيادات السلفية في مصر بالهيئة التي ظهرت فيها مؤلفات مشايخ السلفية في اليمن، والتي يسيطر عليها

---

(1) وصية الوادعي كما جاءت في (الرحلة الأخيرة لإمام الجزيرة) [صفحة 41]. وهذا الشيخ السلفي المصري الذي رفض الالتزام بوصية الوادعي هو أبو الحسن مصطفى المأربي، وقد جعله الشيخ الوادعي من أولي الحل والعقد الذين تؤخذ مشورتهم إذا نزلت بهم نازلة.

(2) قمع المعاند (صفحة 506).

ركاكة الأساليب وعشوائية العرض، وتناقض الأفكار، بالإضافة إلى روح التعالي، وفرض القناعات ورفض الآخر، والتقليل من شأنه.

إن كل تلك المميزات ساعدت على انتشار الفكر السلفي في مصر بصورة كبيرة حتى أصبحت المدرسة السلفية المصرية تطلق على عدة مدارس، بينها فروق دقيقة للغاية، يصعب على الباحث حصرها وتعقب تشعبات تلك المدارس التي يجمعها في أصولها الخط العام للسلفية، حيث أجمعت كلها على وجوب الالتزام بفهم الكتاب والسنة النبوية كما جاء عن السلف الصالح في القرون الثلاثة من عهد الإسلام، باعتبارها خير القرون، ولكون ذلك يطابق شهادة النبي ﷺ لأهل تلك القرون الإسلامية بقوله: [خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم..]. وهذا الالتزام لفهم الصحابة والتابعين من السلف مبدأ سلفي، وأصل أصيل عند جميع السلفيين في شتى البلدان؛ ورغم أن هذا المبدأ التزمت به سائر الجماعات الإسلامية، لكن السلفيين ظلوا يتفاخرون بانفرادهم وتميزهم عن غيرهم من الجماعات والفرق الإسلامية بأنهم هم الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، لكونهم التزموا بمنهج السلف، فنرى أحد تلاميذ الشيخ الوادعي يجري مقارنة بين دعوتهم السلفية وبين غيرها من الدعوات والجماعات، فيقول: "الوجه التاسع: أي هذه الدعوات أولى بالصواب؟. الدعوة السلفية: لا شك ولا ريب أنها أولى بالصواب، وما ذلك إلا لأنها اتخذت الكتاب والسنة منهجاً لها، وطريقة السلف نبراساً يحتذى بها، لذا كانت أولى بالصواب من غيرها. أما لو تأملنا إصدارات الجماعات السلفية المصرية فلا نجد فيها ظاهرة التعالي والتفاخر بالإنفراد بالمنهج الحق التي صارت صفة ملازمة للجماعة السلفية اليمنية. وإن ظهرت بعض المؤلفات السلفية المصرية بالشدة ومقارعة جماعة الأخوان المسلمين فإن ذلك لم يحصل إلا في فترات متأخرة حين استنفذت الحلول السلمية وتأكدت في قناعاتهم عدم جدوى الحوار مع الآخرين. وتظهر تلك النزعة خاصة بعد تطور الفكر السلفي المصري

إلى جهادي صدامي ينطلق من مبدأ تكفير الحكام ووجوب إسقاطهم عن كراسي الحكم.

كما ينضم إلى المميزات والفوارق التي لختصت بها الجماعات السلفية في مصر، هو كون الجماعات التي تأسست على اعتبار الجهاد طريقها وعرفت كجماعات جهادية لم تكن ترفض المشاركة السياسية، ولا العمل الحزبي، ولم تعلن تحريم الانتخابات والاشتراك في المجالس البرلمانية، إذا كان ذلك بقصد تحقيق مصلحة إسلامية، بينما الجماعة الإسلامية[1] أو الجماعة السلفية كانت ترفض الاشتراك في الحياة السياسية، واعتبرت ذلك من الشرك الذي يناقض التوحيد ويهدمه.

وليس غريباً أن يرفض السلفيون المشاركة في الحياة السياسية، إذ هذا ما اتفق عليه بينهم في كل البلدان التي تواجدوا فيها؛ لكن قبول جماعة الجهاد للعمل السياسي والبرلمانات، هو الذي يثير الاستغراب. فما تفسير ذلك؟! وهل هذا يتناقض مع ما أكدناه من أن الفكر الجهادي ينشأ في أحضان قاعدة سلفية وينطلق من خلالها؟!

إن هذه الحالة قد فرضتها الظروف التي عاشها الإسلاميون في القطر المصري، حيث ظلوا بجميع فصائلهم يواجهون الاعتقالات والاضطهاد في السجون، فاقتضت المواجهات المستمرة إلى نشوء جماعات أو مجموعات جهادية، لم تستكمل تربيتها السلفية، ولهذا فقد كانت تحدث الانشقاقات المستمرة فيها، وتبرز كفصائل متنازعة أحياناً، حيث تستقل مجموعات عن الجماعة الجهادية بسبب الاختلاف في بعض القضايا[2].

ومن ذلك أنه حدث اضطراب داخل مجموعة الجهاد – بحري – حيث لم تكن تتمع باتساق تنظيمي، إذ كان يغلب عليها طابع الجبهة، كما كان أعضاؤها أصحاب نفسية

---

(1) ثم تغيرت تلك القناعات فصارت محرمة تحريماً قطعياً.

(2) وهذه القضايا غالباً ما تكون مما يختلف عليه السلفيون كالسرية والتنظيم وطاعة الأمير.. الخ.

خاصة تميل إلى الانقسام، وبشكل عام فإن الجهاد كان وعاءً فكرياً أكثر من كونه تنظيماً قادراً على استيعاب طاقات أفراده[1].

لقد كان تنظيم الجهاد المصري في عام 1981م قد تشكل إلى ثلاث فصائل: مجموعة محمد عبدالسلام فرج؛ وعبود الزمر، ومجموعة قبلي، وتزعمها الشيخ الدكتور عمر عبدالرحمن، والمجموعة الثالثة هي مجموعة محمد سالم الرحال. وقد كانت المجموعة الأخيرة عبارة عن عدة مجموعات تتبنى الفكر الجهادي، وهي سلفية العقيدة، ولا ترى أسلوب الثورة الشعبية، وإنما ترى الانقلاب العسكري هو الحل باعتباره أقرب إلى الروح الإسلامية[2]، وقد كانت هذه المجموعة تضم أيمن الظواهري، وعصام القمري، ومحمد الشرقاوي، وقد ذكرنا أن هؤلاء تربوا في الجماعة السلفية الأم، وهي جماعة أنصار السنة المحمدية، التي أسسها الشيخ محمد حامد الفقي.

إن التيارات الجهادية والسلفية في مصر قد مرت بفترات مدّ وجزر، وإقبال وإحجام وساد تفكيرها تغييرات وتعديلات، لكنها ظلت في عمومها جماعات سلفية التفكير، جهادية الوسائل، فالحكم المتفق عليه بين السلفيين والجهاديين على (جاهلية مؤسسات المجتمع) لا يعني لديها ضرورة وجوب اعتزالها، بل لقد شارك أعضاء الجماعة الإسلامية السلفية الجهادية، وأعضاء الجهاد السلفيون في النقابات، وخاضوا الانتخابات الطلابية في الجماعات. لكنهما يتفقان وتتطابق منطلقاتهم حول مسألة الحاكمية التي تقتضي السعي إلى تغيير الواقع، ووجوب إقامة الدولة الإسلامية.

"وتستند الجماعة الإسلامية والجهادية في أدبياتها في هذا الشأن إلى الآيات التي تتحدث عن ضرورة تحكيم الشرع، وأهمها: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ

---

(1) الحركة الإسلامية (صفحة 41).

(2) وقد ذكرت أن السلفيين يرون الخلافة تنعقد من خلال ثلاثة أشكال: بيعة أهل الحل والعقد، والاستخلاف أو العهد من الخليفة القائم، ثم الاستيلاء والتغلب، فتأمل انطلاق جماعة الجهاد المصري واعتمادها على الفكر السلفي.

ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:44].. ويستند هذان التنظيمان إلى الفقه السياسي الإسلامي فيما يتعلق بمسألة عقد الولاية للحاكم المسلم، وشروطه وكيفية بطلانه، وهناك إجماع على أن الولاية لا تنعقد لكافر، وأنه إذا طرأ كفر وجب خلعه. كما يستندان أيضاً إلى فتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلامذته كابن القيم وابن كثير.."[1].

وفي مرحلة التسعينات بدأت الجماعة الإسلامية تضرب السياحة المصرية، كما بدأت جماعة الجهاد تنفذ أعمالاً ذات طابع انتحاري، وقد تعامل النظام السياسي المصري مع هاتين الجماعتين كعدو مشترك يهدد كيان الدولة المصرية التي واجهتهم بعنف وضراوة.

إن المجموعات أو الفصائل المصرية التي حملت الفكر السلفي كالجماعة الإسلامية، وكذلك الذين صنفوا بجماعة الجهاد، لا يمكن التفريق بينهما سواء في المنهج النظري أو السلوك العملي، ولذا فقد وجد بعض الباحثين الذين كتبوا حول السلفيين والجهاد في مصر، وجدوا صعوبة في التفريق بينهما نتيجة "التشابه الكبير في الآراء، وبخاصة جماعة الجهاد الإسلامي والجماعة الإسلامية، مما جعلني أفكر أكثر من مرة في إدماجها في جماعة واحدة، وخاصة وقد اتحدت إماراتهم في أولخر السبعينات وأوائل الثمانينات.."[2].

ولقد ظل هؤلاء السلفيون الجهاديون في اتحاد مرة، وفي افتراق مرة أخرى، حتى اتجهوا جميعاً إلى أفغانستان: (وبدت الجماعة الإسلامية والجهاد كفرسي رهان، كل منهما يريد أن يسبق الآخر.. واتسقت ساحة العمل، فبدت أفغانستان وكأنها جزء من التجهيز والإعداد للمواجهة المرتبة مع النظام السياسي المصري.."[3].

وفي أفغانستان مارس أولئك السلفيون الذين ينضوون تحت إطار الجماعة الإسلامية،

---

(1) الحركة الإسلامية (صفحة 84).

(2) الاختلافات الفقهية لدى الاتجاهات الإسلامية المعاصرة (صفحة 7).

(3) الحركة الإسلامية (صفحة 60).

وكذلك جماعة الجهاد، مارسوا القتال الميداني، وواجهوا مع إخوانهم من المجاهدين الذين قدموا من شتى دول العالم الإسلامي والعربي وغير الإسلامي جبروت الدولة العظمى وعملاءها.. ومع كل ذلك فلم يتحد السلفيون الجهاديون المصريون، إذ كان للجماعة الإسلامية معسكرها الخاص بها، كما كان لأسامة بن لادن معسكراته الستة التي جعلها مفتوحة لكل راغب بالالتحاق بها دون التفريق أو التمييز بسبب الجنسية التي ينتمي إليها المجاهد، وإن كانت تلك المعسكرات الستة قد أنشئت لتبني المجاهدين العرب خاصة، ومن خلال معسكرات بن لادن التي كانت بمثابة بؤر مغناطيسية استطاع بن لادن ان يجتذب أعداداً كبيرة من أولئك السلفيين والجهاديين المصريين، الذين صار بعضهم بمثابة اليد اليمنى التي يعتمد عليها بن لادن في كل أموره، سواء في ساحات القتال أم في الاستقطاب والاستشارة. بينما لم نجد أحداً من أتباع الجماعة السلفية اليمنية في مراكز القيادة والقرب من شيخ المجاهدين إبن لادن. ونتيجة للتميز السلفي في مصر وظهور السلفيين بصورة جماعة متماسكة مع قياداتها، إستطاعت القيادات السلفية الجهادية أن تحتل مواقع قيادية في تنظيم القاعدة.

فقد كان بن لادن يدرك ضرورة تحالف كل تلك الجماعات السلفية والجهادية، وأهمية اجتماعها تحت قيادة موحدة[1]، لكن قائد القاعدة وزعيمها كان يدرك – أيضاً – أن الوقت المناسب لم يأت بعد، وأن أي تحالف بين هذه الجماعات سيبوء بالفشل، إذ قد حصلت عدة تحالفات وانتهت، ولذلك ظل بن لادن يعمل مع مجموعته ويرفض التحالفات، مع إقراره بوجوب التعاون والتنسيق بين جميع العاملين في ساحة الجهاد.

وجاءت اللحظة الحاسمة، فأعلن بن لادن قيام (الجبهة الإسلامية العالمية) في شهر

---

(1) بل كان يعتقد وجوب اجتماع هذه الجماعات، لأن ذلك هو ما يوافق المنهج الذي قرره كتاب (العمدة) الذي أعلن بن لادن أنه يمثل منهج تنظيم القاعدة الذي تم الاتفاق عليه.

فبراير عام 1998م، وأصدر بيان الجبهة الذي يدعو إلى قتل الأمريكيين واليهود في كل زمان وفي كل مكان، وقد وقَّع على بيان الجبهة عن الجماعة الإسلامية المصرية رفاعي طه، كما وقع عليه الدكتور أيمن الظواهري عن جماعة الجهاد المصرية، كما انضمت إلى جبهة بن لادن عدة تنظيمات إسلامية من دول إسلامية أخرى، كما أشرت إلى هذا في موضع آخر من هذه الدراسة.

إننا لا بد أن نسجل لقائد تنظيم القاعدة من التميز والقدرات الفريدة ما لا يمكن تجاهله، إذ استطاع أن يلملم شتات الجماعات السلفية[1] والجهادية المصرية، رغم أن هذه الجماعات قد سبقت تكوين القاعدة نفسها، كما أن مشايخ هذه الجماعات وزعماءها قد سبقوا بن لادن نفسه في القيادة والخبرة العسكرية، بل وفاقه بعضهم في المكانة العلمية والتحصيل للعلوم الشرعية.. ولكن باءت كل محاولات التقريب والاتحاد بالفشل السريع، ومن ذلك ما حصل في عام 1980م، حين التقت عناصر من الجماعة الإسلامية بالصعيد بعناصر من تنظيم الجهاد بالقاهرة، وصار بينهما عمل منظم، فصارت الجماعة بقيادة الطلاب الذين كَوّنوا مجلساً للشورى، وجعلوا الدكتور عمر عبدالرحمن أميراً عليهم، فهذا التحالف بين الجماعة الإسلامية وبين تنظيم الجهاد الذي كان يقوده محمد عبدالسلام فرج، وأعلن بموجب ذلك ميلاد تنظيم جديد للجهاد، استطاع أن يقوم بأعمال ميدانية، كما تبنى هذا التنظيم عملية اغتيال الرئيس المصري أنور السادات.

كما أن الانقسامات في تلك الجماعات كانت تحدث لأسباب غير جوهرية، كالذي حصل عند الاختلاف بين مجموعة بحري ومجموعة قبلي اللتين كانتا في تنظيم واحد:

---

(1) ولا شك أن هناك من الجماعات السلفية التي ظلت بعيدة عن هذا التحالف، خاصة الجماعة السلفية التي نقل قادتها الفكر السلفي للوادعي إلى مصر، والتزمت بمنهج الشيخ مقبل الوادعي وموقفها بعدم الخروج على الحكام.

"حيث كانت مجموعة بحري تجمع كل الذين ينتمون إلى الوجه البحري، بينما كانت مجموعة قبلي تجمع كل الذين ينتمون للوجه القبلي، ورفض قادة قبلي مطالب بحري بتوسيع مجلس شورى التنظيم ليستوعب الكفاءات الجديدة التي لم تكن معروفة من قبل، وهنا بدأ الحديث عن (إمارة الضرير)، وعدم مشروعيتها، وأصبحت مجموعة بحري وعلى رأسها (عبود الزمر) ومجموعة قبلي وأميرها (د.عمر عبدالرحمن)[1].

ويمكننا أن نعتبر كل تلك المميزات[2] التي ذكرناها آنفاً، والتي انفردت بها السلفية المصرية، أنها هي البواعث التي أظهرت السلفية والجهاديين بمظهر يختلف عما عرفناه عن السلفيين في السعودية واليمن. ولهذا يجب أن لا نستغرب إذا وجدنا في منهج أول جماعة جهادية تصطدم بالنظام المصري في عهد الرئيس أنور السادات، وهي الجماعة التي أنشأها الدكتور صالح سرية، حين تقول في الوثيقة الفكرية الأساسية للجماعة:

"ويجوز للمسلم أن يكون موظفاً أو ضابطاً أو وزيراً أو حتى رئيساً للدولة الكافرة، ومع ذلك يكون كامل الإيمان". كما لا نستغرب موافقتهم على جواز العمل الإسلامي في ظل الدولة التي تحكم بالديمقراطية: "إذا تكونت جماعة إسلامية أو حزب إسلامي، جاز له المساهمة صراحة في الانتخابات، ودخول البرلمانات، والمشاركة في الوزارات، إذا كان صريحاً في أنه يسعى عن هذا الطريق للوصول إلى السلطة، وتحويل الدولة إلى دولة إسلامية". كما لا نستغرب دخول أبناء الجماعة الإسلامية السلفيين انتخابات اتحادات

---

(1) الدكتور: عمر عبدالرحمن، من مواليد القاهرة عام 1938م، فقد بصره وهو في الشهر العاشر بعد ولادته، وقد شارك بدعم الجهاد الأفغاني، واعتقل في مصر بسبب فتاواه الجهادية، وتم نفيه فتوجه إلى أمريكا وأقام في ولاية (نيو جرسي)، وتم القبض عليه في عام 1995م بتهمة فتاوى أجاز فيها العمليات الجهادية، وهو يقضي حالياً السجن مدى الحياة في (كولورادو) بتهمة التورط في تفجيرات عام 1993م.

(2) أعني نشوءها في الجامعات المصرية ، وتحت قيادات شابه، وعدم انفصالها عن حركة مجتمعها .. الخ.

الطلبة في الجامعات، وكذلك تنافسهم في النقابات المصرية.. الخ[1].

إن الفكر السلفي والجهادي في مصر لم ينشأ على تلك الروح الرافضة لكل شيء، ولكل ما سواه؛ فرغم اعتبار أفكار ابن تيمية وعلماء السلف هي المصدر الأول لفهم الكتاب والسنة، كما هو شأن السلفيين – جميعاً – لكن لم يرفض السلفيون والجهاديون في مصر أفكار العلماء المعاصرين، كسيد قطب، والعلامة المودودي وغيرهما، بل اعتبروا ما كتبه أولئك جزءاً من مصادرهم الفكرية التي ينطلقون منها. كما أن ميلاد تلك الجماعات الجهادية من رحم جماعة الإخوان المسلمين[2]، له دور وتأثير واضح في لختلاف هذه الجماعات الجهادية السلفية عن السلفية السعودية، والسلفية اليمنية، اللتين تتفقان على رفض العمل السياسي والحزبي.

ولعل أهم من ذلك كله، أن حاملي الفكر السلفي الجهادي في مصر، قد عانوا وقاسوا من السجون والاعتقالات، نتيجة لمصادمتهم مع النظام السياسي الحاكم، وهذا ما لا يعرفه السلفيون التقليديون – سواء في السعودية أم اليمن – إلا بعد أن تتحول سلفيتهم إلى سلفية جهادية، أما قبل ذلك فهم ينالون القبول والتقدير من حكوماتهم، لأنهم لا يتبنون المواجهة مع السلطات، بل يوالونها ويؤكدون شرعيتها ووجوب طاعتها.

والسلفية بصورتها التقليدية التي ذكرتها لم تعدمها البلاد المصرية، فهناك مجموعات متفرقة قد نقلت الفكر السلفي من اليمن عبر تلاميذ الشيخ مقبل الوادعي مباشرة، أو عبر مؤلفاته وزياراته القصيرة لمصر، ومن هؤلاء: السلفيون في الإسكندرية الذين أثنى الوادعي عليهم، وعلى رأسهم الشيخ محمد بن إسماعيل وجماعته.

---

(1) وهذا لا يناقض ما قلناه عن رفض المشاركة في الحياة السياسية عند السلفيين كأساس عقدي، وذلك لأن فكر هذه الجماعات قد مر بتطورات وتعديلات.

(2) كجماعة الجهاد التي أسسها الدكتور صالح سرية.

والخلاصة، إن تأثير العناصر السلفية الجهادية المصرية على كل من خالطوهم وامتزجوا بهم، مسألة لا يمكن نكرانها، إذا لا تكاد تخلو أغلب الجماعات السلفية من منظرين مصريين، سواء في اليمن أم في السعودية، بل حتى في تنظيم القاعدة السلفي الجهادي العالمي.

الجهاد الدفاعي والجهاد الهجومي

كُتبت حول هذا العنوان كتابات عديدة، فمنها ما يذهب إلى أن الإسلام دين السلام والرحمة، فهو يأمر بالجهاد للدفاع عن الديار وعن العقيدة ورد المعتدين، ولهذا فسياسته القتالية هي دفاعية، ولا يعتمد على القتال الهجومي، لما في ذلك من إكراه للآخرين على اعتناق مالا يرضونه غصباً. لكن أغلب الذين كتبوا حول أهداف الإسلام من تشريع الجهاد وسياسته القتالية قالوا:

"فإن الجهاد الإسلامي، إذا أردت الحقيقة، هجومي ودفاعي معاً، هجومي لأن الإتجاه الإسلامي يضاد ويعارض الممالك القائمة على المبادئ المناقضة للإسلام، ويريد قطع دابرها، ولا يتحرج في استخدام القوى الحربية لذلك. وأما كونه دفاعياً فلأنه مضطر إلى تشييد بنيان المملكة، وتوطيد دعائمها، حتى يتسنى له العمل وفق برنامجه وخطته المرسومة.."[1]. فليس هناك جهاد هجومي وآخر دفاعي، لأن هذا التقسيم لا يتوافق مع حقيقة وروح الجهاد في الإسلام، وإن كان يصدق هذا التقسيم على الحروب القومية والوطنية، أما في الإسلام فلا مسوغ لتقسيم الجهاد إلى دفاعي وهجومي.

وكذلك الحكم عند الأستاذ سيد قطب والذي قرر أن الذين يلجئون إلى تلمس أسباب دفاعية بحتة لحركة المد الإسلامي؛ من الباحثين العصريين هم قوم مهزومون، إذ وقعوا تحت ضغط الحاضر، وتحت تأثير التصور الغربي لطبيعة الإسلام، فهؤلاء يتحرجون من تقرير حقيقة أن الجهاد الإسلامي، دفاعي وهجومي معاً. فالمد الإسلامي ليس في حاجة إلى المبررات الأدبية، والإسلام منهج حياة للبشرية جمعاء، له الحق لتقرير المنهج؛ وإقامة النظام، أما العقيدة فأمرها موكول إلى حرية الاقتناع، في ظل النظام العام، وبعد رفع جميع المؤثرات.

---

(1) انظر: الجهاد في سبيل الله – لأبي الأعلى المودودي (صفحة 51).

"والمهزومون روحياً وعقلياً ممن يكتبون عن (الجهاد في الإسلام) ليدفعوا عن الإسلام هذا الاتهام، يخلطون بين منهج هذا الدين في النص على استنكار الإكراه على العقيدة، وبين منهجه في تحطيم القوى السياسية المادية التي تحول بين الناس وبينه.. فما يسمونه اليوم (الحرب الدفاعية) والجهاد في الإسلام أمر آخر لا علاقة له بحروب الناس اليوم.."[1].

لكننا نجد جماعة بن لادن[2] لا تسلك في منهجها كما فعل غيرها، للدفاع عن مبررات الجهاد الإسلامي وغاياته، وبيان أنه ليس للعدوان، وإنما لإقامة حكم الله، وإشاعة العدل والخير للبشرية كلها، وغير ذلك مما سلكه بعض العلماء عند الحديث حول الجهاد الهجومي والدفاعي. وإنما تناولوا الموضوع بالأسلوب السلفي المعهود، وقاموا بتقسيم الجهاد إلى نوعين، مدللين على كل نوع بالأدلة الشرعية، ثم الرد على من يقولون إن الإسلام لا يقاتل إلا للدفاع ورد العدوان فقط. فجاء:

"إن من أنكر كون جهاد الطلب[3] من الإسلام، كالذين يقولون إن الإسلام لا يقاتل إلا للدفاع ورد العدوان، فهو مكذب بالآيات والأحاديث السابقة ونحوها. وقال تعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ [العنكبوت:47]. ومن تعسف في تأويل ما وقع لسلفنا الصالح من جهاد الطلب، وقال إنه لرد العدوان فقد ضل ضلالاً بعيداً إن كان لا يجهل هذه النصوص أو أحاط بها علماً فأعرض عنها وتعسف في تأويلها.."[4].

---

(1) الجهاد في سبيل الله – سيد قطب (صفحة 100).

(2) اكتفيت بذكر رؤية القاعدة وأما غيرها من جماعات الجهاد فإن رؤيتها تتفق مع ما قالت به القاعدة في هذا الموضوع.

(3) هو الاسم الذي يرادف معنى الجهاد الهجومي، كما سنرى.

(4) قارن بين ما قاله سيد قطب في النص السابق حول الذين يقولون إن الإسلام لا يقاتل إلا لرد العدوان، حيث سماهم: (المهزومون روحياً وعقلياً..) وبين هذه الأحكام الصادرة من مُنظِّر السلفية الجهادية!!.

ولم ينكروا إعتبار تنوع مسميات الجهاد وكونه: جهاد الطلب وجهاد الدفع"، جهاد الطلب: هو أن تطلب العدو وتغزوه في داره، وجهاد الدفع: هو قتال العدو البادئ بقتال المسلمين.

ودليل جهاد الطلب. قول الله تعالى: ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ [التوبة:5]، وقال تعالى: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة:29].

فأَمَر الحقُّ جل وعلا بالخروج لقتالهم وترصدهم وحصارهم، وهذه الآيات محكمات من أواخر ما نزل ولا ناسخ لها، وعليها سار النبي ﷺ والصحابة معه، ومن بعده حتى فتح الله تعالى عليهم مشارق الأرض ومغاربها.

وقال رسول الله ﷺ : [أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله..] الحديث.. متفق عليه عن ابن عمر.

وفي حديث بريدة الذي رواه مسلم: [أن رسول الله ﷺ كان إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: اغزوا باسم الله قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال..]. وهذه نصوص واضحة صريحة في الخروج لقتال العدو وقصده في داره، وهذا هو جهاد الطلب.

وأما جهاد الدفع فدليله:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾

[الأنفال:15].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ ﴾ [البقرة:190].

وقوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾ [البقرة:194].

فهنا القتال لرد عدوان العدو الذي بدأ بالقتال. ولكن ليس هناك أي إعتبار للتفريق بين هذين النوعين فكلاهما مطلوب وأمر به الاسلام. [1]

ولكم ستُصيبنا الدهشة حين نجد أن هذا الإجماع السلفي الجهادي، وتلك الرؤية المشتركة لكافة الفصائل السلفية بشقيها – الجهادية، وغير الجهادية – قد كان أول مخالف لها هو (شيخ الإسلام ابن تيمية)، والذي قال:

"كانت سيرته ﷺ أن كل من هادنه من الكفار لم يُقاتله، وهذه كتب السيرة والحديث والتفسير والفقه والمغازي تنطق بهذا، وهذا متواتر من سيرته ﷺ ، فهو لم يبدأ أحداً بقتال.."[2].

وقال أيضاً: "وأما النصارى فلم يقاتل أحداً حتى أرسل رسله بعد صلح الحديبية إلى جميع الملوك يدعوهم إلى الإسلام، فدخل في الإسلام من النصارى من دخل، فعمد النصارى بالشام فقتلوا بعض من أسلم، فالنصارى هم من حاربوا المسلمين أولاً.."[2].

وقد اعتمد السلفيون لتأكيد رؤيتهم السالفة على رأي الإمام ابن كثير، الذي يرى أن بعض حروب الرسول ﷺ كانت تلبية للقيام بفريضة الجهاد من أجل نشر الإسلام بغض النظر عن وجود اعتداء من الكفار أم لا[3].

---

(1) وهذا محل إجماع بين السلفيين بكافة أشكالهم.

(2) ابن تيمية – للشيخ محمد أبو زهرة (صفحة 381 - 383).

(3) وكذلك انقسم العلماء والكتّاب الإسلاميون إلى فريقين؛ أحدهما يؤيد رأي ابن تيمية، والآخر يؤيد رأي ابن كثير.

الجهاد الهجومي والسلام العالمي

إن ما تعنيه قضية (جهاد الطلب) وما تقتضيه من رفض للقوانين الدولية، المتفق على عدم اختراقها في مواثيق الأمم المتحدة، لم تغب عن القاعدة فأعلنت وبصراحة:

"ينبغي أن يعلم المسلم أن الإيمان بكون جهاد الطلب واجباً على المسلمين معناه: مصادمة القوانين الدولية المعاصرة، التي تحرم اعتداء الدول بعضها على بعض، وتمنع امتلاك أراضي الغير بالقوة، هذه القوانين التي يتحايل عليها الأقوياء الذين وضعوها. ولكن الله تعالى قال: ﴿ فَلَا تَخْشَوُا ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ [المائدة:44]، وقال: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ [الحج:40]"[1].

فهذا التنظيم قد قرر منذ وضع لبناته الأولى، أنه سوف لا يواجه حكام العرب والمسلمين فحسب؛- حسب مايرى وإنما سيواجه العالم كله، إذا لم يكن يؤمن بما يؤمن به هو، بل إن هذا التنظيم يلخص العلاقة التي يجب أن تكون بين المسلم وبين غير المسلم بأنها علاقة حرب وصراع وخصام لا هدنة فيها، وذلك ما يطابق فلسفته ونظرته العقدية التي نقلت شيئاً منها تحت عنوان: (فلسفة الجهاد).

ولهذا جاء: "إن الأصل في العلاقة بين المسلمين والكافرين هو القتال، وأن الاستثناء منه هو السلم في صورة هدنة أو صلح، وأنه لا يلجأ إلى هذا الاستثناء إلا لضرورة من عجز أو نحوه، وذلك لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:139]، هذا فإنه لا تجوز المهادنة مطلقاً من غير تقدير مدة لأنه يفضي إلى ترك الجهاد بالكلية.."[1].

إن تنظيم القاعدة يؤكد في منهجه وفي مواضع كثيرة، أنه لن يحيد عن الجهاد، وأنه ما دامت به قوة فلن يهدأ حتى يحقق غايته بأن: (يكون الدين كله لله)، وتلك الغاية هي غاية سائر

---

(1) العمدة (صفحة 261- 262، 278).

الأنبياء. فقد تكفل الله سبحانه بإهلاك الكافرين، ونصر المؤمنين من لدن نوح عليه السلام حتى زمن موسى عليه السلام، وقد شرع الله الجهاد في شريعة موسى بعد نجاة بني إسرائيل، وهلاك فرعون وقومه الكافرين، فهذه هي بداية شرع القتال في سبيل الله، وهي سنة الله وقدره الذي لا مناص منه.

تلك هي رؤية القاعدة، وبغض النظر عن موافقتنا أو معارضتنا لها، لكنها نظريتها المعلنة(1)، ولا تتردد في إعلانها، مؤكدة بأنها تتعارض مع القوانين الدولية والشرعية الدولية. التي هي في نظرها شريعة الغاب، وهذه الجماعة خرجت بأسلوبها وفهمها للجهاد وضرورته للمجتمعات الاسلامية، عن فهم كثير من العلماء والفقهاء والمفكرين!! لكن لم تكن القاعدة هي الأولى في الخروج على الشرعية الدولية والقوانين والمواثيق المتفق عليها بين دول العالم بمختلف أديانه وعقائده، وألوانه، إذ سبقتها الولايات المتحدة الأمريكية، الدولة التي أصبحت الشرعية الدولية لعبة بين يديها، فتجعلها شرعية حيث تحقق مصالحها وطموحاتها، ولا شرعية حيث تتعارض مع مصالحها وسياساتها؟! ولا أرغب بالحديث حول هذا، فهناك عشرات الأمثلة والأدلة التي تؤكد هذه الحقيقة، ويحصل ذلك تحت سمع العالم وبصره!!

إن ملايين البشر – مسلمين وغير مسلمين – يتساءلون: لماذا تلام القاعدة عند اختراقها للشرعية الدولية، وهي قد أعلنت عدم اعترافها بهذه الشرعيات الجاهلية أصلاً – كما تسميها – وفي الوقت نفسه يسكت العالم كله عن اختراق أمريكا للشرعية التي ساهمت في وضعها، وأعلنت التزامها بها، بل وتزعمت دول العالم بالدعوة إلى ضرورة احترامها، والالتزام بها ومعاقبة الخارجين عنها؟!

---

(1) يقول الدكتور عبدالكريم زيدان: (الأصل في علاقة الدول الإسلامية بغيرها من الدول علاقة حرب لا سلم..) [مجموعة بحوث فقهية صفحة 54]، ويؤيد هذا الرأي الشيخ محمد أبو زهرة، وكذلك يقول الدكتور وهبة الزحيلي في كتابه [آثار الحرب]: (يرى فقهاء المذاهب السنية والشيعية في عصر الإجتهاد الفقهي في القرن الثاني الهجري أن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هو الحرب)، بينما قرر الدكتور وهبة الزحيلي وكثير من الفقهاء والكُتاب المحدثين أن الأصل هو السلم، وأن الحرب ضرورة طارئة.

كيف يفهم تنظيم القاعدة السلام؟!

ذكرتُ أن القاعدة ترى أن الأصل في العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين القتال والصراع، وأن الاستثناء هو الهدنة والمسالمة، والتي لا تكون إلا عند الضرورة.

ولكن الإسلام دين السلام، وقد جعل الله السلام تحية المسلمين، ومن أسماء الله الحسنى السلام، فالسلام مسألة لا تخلو منها جزئية من جزئيات دين الإسلام، ولا من عمومياته. فكيف يفهم هذا التنظيم معنى السلام؟!

"ولا ينبغي أن يُفهم أن الإسلام لا يدعو إلى السلام، بل يدعو إليه، ولكن من منظوره الخاص، بل هو يريد هذا بجميع الخلق، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:107]، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة:257]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف:56]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ ﴾ [النحل:90]"[1].

إن السلام هو الإيمان وإخراج الناس من الكفر وظلماته إلى نور الإسلام، وهو الرحمة بالخلق من خلال بعثة النبي ﷺ والإيمان به، وهو عدم الفساد في الأرض بالكفر بعد أن أرسل الله رسوله بالصلاح والهدى.. إن السلام هو الإسلام وترك الكفر والجحود. هكذا فسرت القاعدة معنى السلام من خلال إيراد تلك الآيات التي دللت بها على أن الإسلام يدعو إلى السلام، ولكن من منظوره الخاص. حيث قال بعد تلك الآيات الكريمة:

---

(1) العمدة (صفحة 270).

"هذا هو السلام في مفهوم الإسلام: الرحمة بالخلق، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، والحض على مكارم الأخلاق، وتحريرهم من العبودية للبشر: ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:64]. والنهي عن الفساد في الأرض. فما لم يتحقق هذا وجب الجهاد ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾"[1].

وملخص نظرية السلام عند القاعدة إذاً: السلام هو الدخول في دين الإسلام، ومن لم يرغب بالسلام ولم يحققه في معتقده وسلوكه فليس له سوى الجهاد، ولهذا فإن القاعدة تحكم على من قال بعدم القتال ضد الكافر ما دام مسالماً بأنه كالذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، وأنه من الذين يغالطون في الحقائق، حيث يستدلون بأحد أدلة المسألة ويتركون بقية الأدلة، ثم هم يرفضون شبهة القائلين بعدم قتال الكافر المسالم أخذاً بقوله تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾ [الأنفال:61].

"**والجواب عن هذه الشبهة من أوجه:**

الأول: أن رسول الله ﷺ وصحابته الذين هم خير هذه الأمة رضي الله عنهم لم يحملوا هذه النصوص على الوجه الذي فهمه هؤلاء، بأنها تعني ترك جهاد الطلب، فقد قاتل النبي ﷺ العرب ثم خرج لقتال الروم في تبوك، وقد غزا ﷺ تسع عشرة غزوة، وقاتل بنفسه في ثمان منهن.. ثم غزا الصحابة من بعده ﷺ الفرس والروم والترك والقبط وغيرهم.

الثاني: أن قوله تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾، حيث يستدل بها البعض على أن الأصل في العلاقة بين المسلمين والكافرين هو السلم، وإن الاستثناء القتال، وهذا رأي يفضي إلى تعطيل جهاد الطلب بالكلية، وهو قصد العدو في دياره، ويحصر الجهاد في جهاد الدفع.

---

(1) العمدة (صفحة 270).

إن الآية المحتج بها لا حجة فيها، إذ أنها محمولة على جواز المسالمة بشرط حاجة المسلمين لذلك، وهذا الشرط تبينه الآية الأولى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾، فآية الأنفال تختص بحال كون المسالمة في مصلحة المسلمين ويحتاجون إليها، أما آية سورة محمد، فهي تختص بحال آخر وهو كون المسالمة ليست في مصلحة المسلمين، وذلك عندما تكون بهم قوة يقهرون بها عدوهم، فإنه لا تجوز المسالمة حينئذ.. ولأن في هذا عدول عن الأصل المطلوب، وهو إظهار دين الإسلام على ما عداه.. هذا هو الأصل المقصود:

إظهار الإسلام بقتال المشركين، فإما أن يسلموا ويعودوا إلى العبودية لله رب العالمين، وإما أن يظلوا على كفرهم مؤدين الجزية تحت حكم الإسلام، يجري عليهم الصغار اللازم لكل من تمرد على العبودية لله الواحد القهار.

الثالث: قول النبي ﷺ : [لا تتمنوا لقاء العدو..]، رواه البخاري عن عبدالله بن أبي أوفى. فقد قال النبي ﷺ هذا الحديث وهو في أثناء المعركة، وهذا الحديث ليس على إطلاقه وإنما هو من جهة خاصة، وهي التحذير من العجب والوثوق بالقوة.

ولا تناقض بين ما سبق – يعني الأصل هو القتال – وبين قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾" [البقرة:256].

فالقتال واجب حتى تكون كلمة الله هي العليا، ولا يتأتى ذلك إلا بغلبة المسلمين لعدوهم، وعلو أحكام الإسلام على البلاد المفتوحة، أما عن أهل هذه البلاد، فمن أسلم فبها ونعمت، ومن استمر على كفره فلا يكره على اعتناق الإسلام، بل يبقى على كفره ولكن تحت حكم المسلمين. فالإكراه المنفي في الآية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ هو الإكراه على الإيمان، أما الكراهية المثبتة في آية التوبة ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾، فهي كراهيتهم لعلو حكم الإسلام عليهم مع بقاءهم على دينهم.

وقد تقرر في الشريعة قبول الجزية من أهل الكتاب ومن في حكمهم (حتى يعطوا الجزية) ولا يُكرهون على الإسلام[1].

تلك هي نظرة القاعدة إلى موضوع السلام، فالسلام هو أن يطبق الناس دين السلام، السلام هو الإيمان وهو النور والرحمة.. أي هو الإسلام. ومن يرفض السلام – أي الإسلام – فليس له سوى الجهاد، ومن يفهم السلام بمعنى آخر غير هذا فهو (يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض)؟!

فجماعة الجهاد لم تهتم بقضية ماهيَّة السلام اللغوية ودلالاتها المختلفة ولا المعاني الاصطلاحية للفظة (السلام)، ولم تُعِر أهمية لمدلول السلام والسلم، وما يتضمنه من مستويات مختلفة (تبدأ بما يطلق في العلاقات الدولية) الإشارات والرموز: "التي يتبادلها أطراف الصراع التي تعكس تطور إدراكهم بعدم جدوى الاستمرار في الحرب، وتنتهي بحالة الاستسلام والهزيمة التي لا إرادة للمغلوب فيها مع الغالب..".

كما لم تهتم حتى بالدلالات الشرعية لكلمة السلم، ولم تعدد المواضع التي وردت فيها والمعاني المتعددة لها.. إن القناعات تقال هنا بجملة مختصرة وألفاظ معدودة! إننا نجد هذه الظاهرة[2] ثابتة، وفي كثير من القضايا والموضوعات المختلفة، والتي تحتمل أن يقال فيها أكثر من رأي، والتي – أيضاً – لا يمكن القطع فيها والجزم بصحتها وبطلان ما عداها.. أجدها ظاهرة ثابتة بين أتباع الاتجاه السلفي عامة.

وكنت لا أجد لها تفسيراً مناسباً.. لماذا يجزم السلفيون – دائماً – بصحة آراءهم واجتهاداتهم، مع الجزم بخطأ المخالفين؟!

---

(1) العمدة (صفحة 265).

(2) أعنى القطع في الرأي، والجزم بصحة معنى واحد دون غيره من الآراء.

ولكني وجدت الدكتور كمال السعيد يفسر هذه الظاهرة، وهو الذي عايش الجماعات الإسلامية، وخاض غمار التجربة في الصفوف السلفية الجهادية.

قال: ".. إلا أن العقيدة في حالة الحركة الإسلامية الجهادية أخذت مساحات من التعليم والتفكير والجدل بشأنها سيطرت على العقل المسلم الجهادي، بحيث بدت وكأنها استحوذت عليه استحواذاً كاملاً، وكما هو معلوم فإن قضايا العقيدة موضع إجماع وقطع-حسب رأى القاعدة ومن ثم فإن العقل المسلم الجهادي غلبت عليه فكرة الإجماع والقطع، وجرى اطراد ما تعلّمه في قضايا العقيدة إلى القضايا الأخرى الواقعية والحركية والحياتية، فأصبح عقل المسلم الجهادي ينظر للقضايا الحركية من منظور العقيدة، وربما يكون معذوراً في ذلك؛ إذ أن نظرية المعرفة لديه قامت وتأسست – بشكل أساسي – على قضايا العقيدة، فأصبح المنظور العقدي هو المنظور المعرفي الذي ينظر عبره للحياة كلها.."[1].

لكن، لماذا حصل هذا الاطراد في عقلية المسلم السلفي، بحيث أصبح ما تعلمه من قضايا العقيدة يغلب على طريقته في التفكير، حتى تأست نظرية المعرفة لديه من خلال المنظور العقدي؟!. ولماذا لم يحصل هذا لعلماء السلف، وهم الذين انشغلوا بقضايا العقيدة والدفاع عنها، وتخليصها من الشوائب الدخيلة في زمن تتابع فيه ظهور الفرق الضالة ودعاة الأهواء والبدع؟!

إنني أجزم بأن دراسة قضايا العقيدة والانشغال بها سيؤدي إلى توسيع المدارك العقلية وتقوية دائرة النظر والمحاكمة العقلية في الذهن، وذلك نتيجة التعامل وفق منهج المعرفة الإسلامية الذي وضعه علماء السلف.

فالدارس لموضوعات العقيدة وقضاياها تترسخ في عقليته من خلال ما تركه العلماء،

---

(1) الحركة الإسلامية.. د. كمال (صفحة 94-95).

جملة من القواعد والمعلومات الدلالية والبيانية نتيجة تتبعه لتلك الحوارات والمناقشات الدقيقة التي دارت بين المدافعين عن عقيدة السلف وبين الفرق الأخرى، كالمعتزلة والجهمية والمشبهة والجبرية والقدرية، وغيرها من الفرق.

فالناظر في كتاب (منهاج السنة) للإمام ابن تيمية أو في (المنتقى من منهاج الاعتدال) وهو مختصر للكتاب الأول، قام باختصاره الحافظ الذهبي، أو (اجتماع الجيوش الإسلامية) لابن قيم الجوزية أو غيرها من الكتب التي كانت موضوعاتها حول العقيدة، أقول:

إن المطالع لهذه الكتب لو استطاع فعلاً الاستفادة منها وفهمها كما أراد علماء السلف أن تفهم، لاستطاع أن يمتلك القدرة على فهم الدين وأحكامه، سواء الاعتقادية أو السلوكية، ولتكونت لديه الموهبة العلمية التي تمكنه من استخراج الأحكام الشرعية من مصادرها، واستبانة دلالات النصوص الشرعية.. ولعل هذا الكلام الذي ذكرته لن يستبين على حقيقته ما لم تؤكده التجربة، إذ كما قيل:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها.

ولنتأمل! سُئل الإمام ابن تيمية عن العرش: هل هو كُري أم لا؟[1] فإذا كان كرياً والله من وراءه محيط به وبائن عنه، فما فائدة توجه العبد إلى الله سبحانه حيث الدعاء والعبادة، فيقصد العلو دون غيره إذ لا فرق حينئذ بين قصد جهة العلو وغيرها من الجهات التي تحيط بالداعي، ومع هذا نجد في قلوبنا قصداً يطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة. فأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا وقد فطرنا عليها[2]؟

(1) أي على شكل كرة، وقد رفض بعض السلفيين المعاصرين القول بأن الأرض كرة تسبح في الفضاء وتدور حول نفسها وحول الشمس ، واعتبروا ذلك من الضلال لأنه يخالف منهج السلف الصالح !

(2) الفتاوى الكبرى: 5672/16.

فأجابه إجابة مطولة يعجب القارئ خلالها من سعة علمه وقدراته وملكاته وذكاءه.
وربما لو سئل هذا السؤال أحد المنتسبين إلى السلفية المعاصرة لسمعته يكفِّر السائل ويعده بالويل والثبور وعظائم الأمور؟!!

والأعجب من ذلك كله؛ أن سلف الأمة الذين دافعوا عن الدين وصانوا حياض العقيدة، فالتفت حولهم جماهير الأمة مؤيدين وناصرين.. هؤلاء السلف الصالح خلَفَهم خَلْفٌ زعموا أنهم على نهجهم وطريقتهم في قوة المحاججة وحصافة الرأي والاستقامة على الدين!!

إن هؤلاء الذين حملوا لواء السلفية في زمننا المعاصر، قد وقعوا فيما أنكروه على الآخرين، فتجدهم يضخمون جوانب من الدين لتصبح كل شيء، والقضايا التي اجتهدوا فيها قرروا لها أحكاماً قطعية، والمفاهيم التي اتفقوا عليها أصبحت قوالب صارمة غير قابلة للنقد والمناقشة، ويسلكون الشدة والعنف، ويعلنون اتهامهم للمخالفين بالجهل وعدم فهم مقاصد الشريعة، وأكثر العلماء والمفكرين المعاصرين في شريعتهم ضالين ومضلين، وخبثاء ويلبسون على المسلمين؟! والجماعات الإسلامية غيرهم أهل بدع وضلال وأصحاب أفكار مشبوهة[1]. بل لم يسلم بعضهم من بعض حين الاختلاف على بعض المسائل حيث يرمي بعضهم بعضاً بأقبح الألفاظ وأشنع الصفات؟!

ولا أظن أن هذا المستوى الذي وصلوا إليه، كان بسبب تأثر عقولهم بقضايا ومقررات العقيدة *التي تغلب عليها فكرة الإجماع والقطع – كما ذكر الدكتور كمال السعيد في كتابه –* بل لعل في هذا جزء من الحقيقة، ولكن ليس كلها فلا بد أن يضاف إلى هذا التعليل أمور أخرى، كأسلوب التربية والتنشئة لهؤلاء، والسطحية في فهم النصوص، ففي مناخ التربية

---

(1) انظر كتبهم واستمع لخطبهم تجدها طافحة بكل هذا.

السلفية المعاصرة تجد أنماطاً من التفكير والممارسات التي انفردت بخصوصية لا تجعلها بعيدة عن روح العصر ومتغيراته فحسب، بل تبدوا في صورة لا تجعلها تنتمي إلى المنهج السلفي الذي وضع لبناته علماء السلف.

هذا بالإضافة إلى فقدان القيادات الواعية التي تمتلك الأفق الواسع والملكات التي تؤهلها للقيادة غيرها.

فالتربية العوجاء وقصور القيادات هما مواطن الضعف التي أنتجت هذا الذي يبدو بصورة العلم والدفاع عن العقيدة.

وكم قرأنا لعلماء السلف من الرحلات في طلب العلم وملازمة العلماء والتتلمذ على أيدي العشرات من الفقهاء والعلماء والأصوليين والحكماء ليكتسبوا من بعد ذلك كل تلك المكانة العلمية التي تؤهلهم للإفتاء والتربية والتصدي لخصومهم بالحجة والبرهان والحكمة، وليس كالذين يزعمون أنهم ورثة السلف اليوم والذين يلازم أحدهم شيخاً أو شيخين أو يقرأ بضعة صفحات، فيصير بذلك قد أكتسب مشروعية الدفاع عن الدين والتنظير والتأليف دون أن يمتلك المؤهلات الكافية شرعاً ومعرفياً للقيام بهذا الدور العظيم.

لقد تتلمذ على يد شيخ الإسلام ابن تتمية وابن القيم وغيرهما، المئات من طلبة العلم. ولكن الذين اشتهروا منهم بالتأليف لا يتجاوزون بضعة نفر، بينما نجد الذين تتلمذوا على يد الشيخ مقبل الوادعي أغلبهم قد صاروا مؤلفين ومحققين بمجرد مجالستهم للحلقات التي أقامها الوادعي في قريته؟!!

راجع ترجمة الودعي حين ذكر أسماء تلاميذه وتلميذاته ومؤلفات كل واحد منهم والتي يصف أغلبها بأنها لا نظير لها. والسطحية في فهم النصوص، ففي مناخ التربية السلفية المعاصرة تجد أنماطاً من التفكير والممارسات التي انفردت بخصوصية لا تجعلها بعيدة عن روح العصر ومتغيراته فحسب، بل تبدوا في صورة لا تجعلها تنتمي إلى المنهج السلفي الذي وضع لبناته علماء السلف.

هذا بالإضافة إلى فقدان القيادات الواعية التي تمتلك الأفق الواسع والملكات التي تؤهلها

القيادة غيرها.

فالتربية العوجاء وقصور القيادات هما مواطن الضعف التي أنتجت هذا الذي يبدو بصورة العلم والدفاع عن العقيدة.

وكم قرأنا لعلماء السلف من الرحلات في طلب العلم وملازمة العلماء والتتلمذ على أيدي العشرات من الفقهاء والعلماء والأصوليين والحكماء ليكتسبوا من بعد ذلك كل تلك المكانة العلمية التي تؤهلهم للإفتاء والتربية والتصدي لخصومهم بالحجة والبرهان والحكمة، وليس كالذين يزعمون أنهم ورثة السلف اليوم والذين يلازم أحدهم شيخاً أو شيخين أو يقرأ بضعة صفحات، فيصير بذلك قد أكتسب مشروعية الدفاع عن الدين والتنظير والتأليف دون أن يمتلك المؤهلات الكافية شرعاً ومعرفياً للقيام بهذا الدور العظيم.

لقد تتلمذ على يد شيخ الإسلام ابن تتمية وابن القيم وغيرهما، المئات من طلبة العلم. ولكن الذين اشتهروا منهم بالتأليف لا يتجاوزون بضعة نفر، بينما نجد الذين تتلمذوا على يد الشيخ مقبل الوادعي أغلبهم قد صاروا مؤلفين ومحققين بمجرد مجالستهم للحلقات التي أقامها الوادعي في قريته[1]؟!!

إننا أمام انتكاسة خطيرة في الفكر، لم يشهد تاريخ المسلمين نظيراً لها. انتكاسة باسم العلم والدفاع عن الدين والالتزام بالشريعة.

وأظن أن الانشغال بعلم الحديث هو من أوجب الواجبات، وقد ابتكر علماء السلف ما عرف بـــ (مصطلح الحديث) والذي من خلاله يمكن معرفة الحديث الصحيح من غيره، واهتموا بالأسانيد حتى تعرف درجة المروى من خلال التحري في معرفة الرواة، ودرجاتهم من العدالة والضبط، وخلف لنا علماء الإسلام مكتبة ضخمة اعتنت بعلم الحديث النبوي ومصطلحه، فكان علم الجرح والتعديل، ودراسة الأسانيد من أهم هذه العلوم، التي

---

(1) راجع ترجمة الوادعي حين ذكر أسماء تلاميذه وتلميذاته ومؤلفات كل واحد منهم والتي يصف أغلبها بأنها لا نظير لها.

بواسطتها تعرف أسباب القوة والضعف في المرويات، والكشف عن الاتصال أو الانقطاع بين رجال سلسلة الإسناد، ومعرفة ميلاد الرواة ووفاتهم وأحوالهم ودرجاتهم، بالغوص في خبايا الإسناد لاستخراج العلل الخفية التي لا تبدو إلا للحاذق المتمرس في علم الجرح والتعديل، ضمن قواعد وضعها العلماء المختصون.

لكن بعض الذين انشغلوا بهذه العلوم العظيمة المنفعة من السلفيين المعاصرين، لم تقتصر دراساتهم حول علم الجرح والتعديل فقط، بل غلبت عليهم القسوة والغلظة في التعامل مع الآخرين، وليتهم أخذوا ما يفيدهم ليتعاملوا به مع الآخرين، كالضبط والدقة، والمتابعة والتثبت. فتتكون لديهم الملكة والذوق الرفيع من خلال دراسة علم الجرح والتعديل، ومصطلح الحديث!! لكنهم تأثروا بالألفاظ التي كان يطلقها علماء الحديث، والتي عرفت بمراتب (مصطلح) ألفاظ الجرح والتعديل، واستعملها المحدثون لخدمة وحفظ سنة النبي ﷺ ، فصارت ضرورية، وأجمع العلماء على جوازها، ولأهمية معرفة قواعد الجرح والتعديل اعتبرت فناً من فنون علم الحديث، لمعرفة الراوي وكيفية ثبوت عدالته وضبطه.

أما هؤلاء فقد أطلقوها على كل من يخالفهم في رأي أو اجتهاد أو مسألة من المسائل، فصارت ألفاظهم في غير محلها ولغير أصحابها. ومن هذه الألفاظ (كذاب – وضّاع – دجال.. الخ) ولم يكتفوا بها فأضافوا ما لم يقله الأولون (ساقط – حمار – أتان – حقير – كلب.. الخ).

كما نجد أن منهج القاعدة اهتم بعلم الجرح والتعديل – لكونهم سلفيين أصلاً – وجعله أحد الصور التي تتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

"(وفيما يتعلق بالاعتصام بالكتاب والسنة) فإن الأمر والنهي يتخذان صوراً منها:

أ. الجهاد في سبيل الله بقتال الكفار والمرتدين المحاربين لله ورسوله ﷺ ، المهددين لهذا

الدين وأهله، فهذا من أعظم أسباب حفظ الدين..

ب. الجرح والتعديل: وهو العلم الذي اختص الله تعالى به المسلمين، وهداهم إليه ليحفظوا به سنة نبيهم ﷺ وبالتالي الشريعة ككل. وقد افتتح معظم أئمة الجرح والتعديل كتبهم بقول النبي ﷺ [يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين] وقد صححه الإمام أحمد بن حنبل، والحديث وإن كان بصيغة الخبر إلا أنه يفيد الأمر بذلك.. والذي أحب أن أنبه عليه هنا، هو أن هذا العلم لا يصح أن يغلق بابه – وإن كان قد أهمل في زمننا – إذ الحاجة إليه لا تنقطع لوجود الغالين والمبطلين والجاهلين في كل جيل، ولذلك نص الحديث على وجوب القيام على هؤلاء في كل جيل بقوله ﷺ [من كل خلف]، ونحن في هذا الزمان أحوج ما نكون إلى أداء هذا الواجب لتفشي الشبهات والضلالات.

ج. القيام على أهل البدع[1]"..

قلت: "ولا يخفى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أوسع مما ذكرت، وقد اقتصرت هنا على ما يتعلق بموضوعنا (الاعتصام بالكتاب والسنة) فالفساد الذي يهدد الدين إما أن يأتي من خارج الأمة وهذا يُدفع بالجهاد، وإما يأتي من داخلها من المنتسبين إلى هذا الدين، وهذا يدفع بالجرح والتعديل، ويدفع بالقيام على أهل البدع، على تفصيل، وكل هذا واجب" [2].

ولنتأمل ما سبق ذكره، حيث جعلوا علم الجرح والتعديل وإحياءه واجبا، وبه يقاوم الفساد الداخلي في الأمة!! وجعلوه رديفاً للجهاد بالسلاح لمواجهة العدو الخارجي.

---

(1) وذكروا كلاماً مطولا حول ذم البدع والمبتدعة، وكيفية ردعهم على حسب درجات بدعهم.

(2) العمدة (صفحة 244- 245).

ورغم تلك المنهجية السلفية، وتلك الأولوية لعلم الجرح والتعديل، وضرورة القيام[1] على أهل البدع، لكننا لا نجد عندهم تلك الألفاظ النابية الشنيعة التي رأيناها عند السلفيين غير الجهاديين، وهنا مفارقة غريبة، إذ السلفيون الذين حملوا السلاح على عدوهم الخارجي والداخلي لم يطلقوا على المخالفين ما أطلقه السلفيون المسالمون الذين يرون تحريم الخروج على الحكام ومقاومتهم، ويوجبون طاعتهم والانقياد لأوامرهم في غير معصية.

وقد استحق الجهاديون أن يطلق عليهم صفة (التطرف) نتيجة مغالاتهم في مواجهة خصومهم، لكن غير الجهاديين رغم مغالاتهم مع أعدائهم بعيدون عن صفة (التطرف) في نظر الكثيرين. فأيهما أولى بهذه الصفة؟

(1) القيام يعني المواجهة، كما يقال (القيام على الحكام المرتدين) أي مواجهتهم.

الطواغيت الأحياء والطواغيت الأموات

من الأمور المتفق عليها بين السلفيين – بل المسلمين جميعاً – مسألة إفراد الله بالعبادة، ولا يخلو كتاب من كتب العقيدة السلفية من بيان حقيقة هذا الإفراد بالعبادة لله وحده، وكونه يقتضي إفراده سبحانه وتعالى بالدعاء، فالدعاء هو العبادة، فلا يجوز دعاء غير الله تعالى كائناً من كان، كما لا يجوز السجود لغير الله، ولا يجوز الذبح أو النذر أو التعظيم لغير الله وحده.. وهنا يأتي الحديث عن العقائد المنحرفة وعن التوحيد الصحيح:

"ومن العقائد المضادة للحق ما يعتقده بعض الباطنية وبعض المتصوفة من أن بعض من يسمونهم بالأولياء يشاركون الله في التدبير، ويتصرفون في شئون العالم، ويسمونهم بالأقطاب والأوتاد والأغوات وغير ذلك من الأسماء التي اخترعوها لآلهتهم وهذا من أقبح الشرك في الربوبية، وهو شر من جاهلية العرب.."[1].

ولكن السلفية الجهادية تجعل من هذا المعتقد – الذي لا خلاف عليه – وسيلة لتوجيه نقد لاذع إلى السلفيين الذي يهتمون بمواجهة الطواغيت الأموات، ويقصدون بالطواغيت الأموات: (القبور والأحجار والأشجار، وغيرها من الجمادات التي تُعبد من دون الله تعالى بشتى صور العبادة، من الدعاء والاستغاثة والذبح والنذر وغيرها..).

أما الأدلة لكون الطواغيت الأحياء أشد خطراً وفساداً من الطواغيت الأموات، وذلك أن النبي ﷺ بدأ بقتال الطواغيت الأحياء قبل إزالة الطواغيت الأموات "فما أزال النبي ﷺ الأصنام إلا بعد فتح مكة كما روى البخاري عن ابن مسعود ﷺ قال: [دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح، وحول البيت ستون وثلاثمائة صنم، فجعل يطعنها بعوده في يده ويقول: جاء الحق وزهق الباطل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد] (حديث 4287)، ثم أرسل النبي

---

(1) العقيدة الصحيحة ونواقض الإسلام، للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (صفحة 24).

ﷺ أصحابه لإزالة بقية الأصنام بجزيرة العرب، وذلك بعد ما أزال سلطان الطواغيت الأحياء، مع إنكاره ﷺ عليهم وعلى أصنامهم وتبرئه منهم منذ بدء البعثة.

وهذه هي ملة إبراهيم عليه السلام البراءة من الكافرين الأحياء قبل البراءة من معبوداتهم. قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [الممتحنة:4].

فلا جدال في أن الأحياء أعظم فتنة وفساداً من هؤلاء بما لهم من السلطان والترغيب والترهيب ما يفتنون به الناس.."[1].

وبناء على ذلك قالوا: "فالعجب من أناس ينتسبون إلى العلم والدين ومذهب السلف، فرّغوا أقلامهم في هذا الزمان لمواجهة الطواغيت الميتة، ونسوا أو تناسوا الطواغيت الحية؟! وترى أحدهم يعيش يستظل بالقوانين الوضعية الكافرة والديمقراطية الكافرة، وهو متجاهل لها تماماً، ويغض الطرف عنها، وهو مع هذا يشهر حسامه وسيفه على صفحات الكتب على الطواغيت الميتة، وعلى عابديها العزل من السلاح.. فتأمل هذا تدرك بعض أسباب ما نحن فيه من محن وبلاء، وهو أن المستأمنين على العلم والدين لم يؤدوا دورهم في البلاغ والتحذير..

فكيف بمن رضي وتابع؟! وكيف بمن أسبغ الشرعية على هؤلاء الطواغيت؟ وإذا تكلم أحدهم عن الجهاد تجده يذكر الجهاد في فلسطين وأفغانستان فقط، لأن هذا هو القدر المسموح به في بعض البلدان، مع أن جهاد الحكام المرتدين أوجبُ من جهاد اليهود، فكلاهما عدو كافر حل ببلد المسلمين ويفوق الحكام المرتدون اليهود بأمرين القرب والردة، وكلاهما يستوجب البدء بهؤلاء الحكام"..

---

(1) العمدة (صفحة 299-300).

وقد ذكرنا من قبل تلك الفتوى التي أطلقتها القاعدة في حق (العلماء الذين يصدون عن الجهاد بالشبهات، مجاملة وممالأة ونصرة للحاكم الكافر) وأنهم (لا شك في كفرهم، وارتدادهم عن الإسلام) لأن حكمهم هو نفس حكم أسيادهم الحكام[1].

ولكن القاعدة كتنظيم يقدم الجهاد على سائر الحلول والوسائل الأخرى، لا ينسى سلفيته والتزامه بقواعد وأصول الدعوة السلفية في سائر قضاياها، ولهذا نراه يؤكد بعد الانتهاء من تقريره لمسألة (الطواغيت الأحياء أشد خطراً وأعظم فتنة من الطواغيت الأموات) فيذكر أن قصدهم من ذلك هو (بيان الأهمية والأولوية) أي أنه لا يجوز السكوت عن الطواغيت الأحياء وضرورة مواجهتهم لا تعني السكوت عن الطواغيت الأموات، لكن الطواغيت الأحياء يواجهون – ولا بد – قبل المواجهة للطواغيت الأموات.

"وليس المقصد مما سبق بيان الترتيب؛ بل بيان الأهمية، فلا يعني كلامي السابق مشروعية السكوت على الطواغيت الأموات وعابديهم حتى نقضي على الطواغيت الأحياء، فإن الشريعة قد اكتملت، ومن رأى منكم منكراً فليغيره قدر الاستطاعة، أما الأهمية التي أردت التنبيه عليها فهي أن إفساد الطواغيت الأحياء لدين الناس يكاد يهدد الجم الغفير من المسلمين تارة بالردة الشاملة، وتارة بالإرهاب، وتارة بالمكر والخديعة، وهذا الإفساد لا يدانيه خطر الطواغيت الميتة[2]..".

إنه تنظيم جهادي، لكنه لا يتنازل عن المنهج السلفي أبداً، إذ هذه المسألة هي من القضايا الكبرى التي يستميت السلفيون من أجلها، بل هي من المسائل الأولية التي لا يمكن أن يكون السلفي سلفياً حقاً إذا لم يفهمها ويعتقدها اعتقاداً جازماً لا تردد فيه، وإذا لم تستثن

---

(1) صدرت هذه الفتوى صفحة 285 من العمدة.

(2) العمدة (صفحة 300).

القاعدة هذا الاستثناء ولم تبين قصدها، فإن انتماء القاعدة إلى السلفية لن يكون صحيحاً – كما يحكم بذلك السلفيون – ولهذا وجدنا منهجهم يؤكد ضرورة مواجهة الطواغيت الأموات (الأولياء – القبور.. الخ.)، وعدم تخليه عن ذلك، وأن مقصده من الحكم الذي أطلقه[1]، إنما لبيان الأهمية، وليس الترتيب. إذ الكل طواغيت لابد من تغييرهم ومواجهتهم.

بينما السلفية غير الجهادية تخالف ما قالت به السلفية الجهادية؛ فإن مواجهة الطواغيت الأموات عندهم هو المقدم والأهم، ليس لإقامة الدين وتطهير المعتقد فحسب، بل ولإقامة الدولة الإسلامية أيضاً؟! ذلك لأن السلفيين غير الجهاديين لا يرون حكام المسلمين مرتدين عن الدين، ولا يعدونهم طواغيت أصلاً.

فجاء في فقرة (رابعاً): "اعتبار التوحيد: وهو إفراد الله بالعبادة؛ كالدعاء والاستعانة والاستغاثة والذبح وغير ذلك من أنواع العبادة، هو الأساس الذي تبنى عليه الدولة الإسلامية الصحيحة ومحاربة ما ينافي التوحيد من الشرك الأكبر أو ينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر والبدع، لذا فإن دعوة الأنبياء والرسل جميعاً جاءت لتقرير هذا الأمر"[2].

---

(1) وهو الطواغيت الأحياء أعظم خطراً من الطواغيت الأموات، فمواجهتهم أولى.

(2) (إرشاد البرية..) لمؤلفه حسن بن قاسم الحسيني الريمي السلفي (صفحة 24- 25).

الخلاف في التسمية

السلفيون غير الجهاديين يفتخرون ويفاخرون بتسمية أنفسهم بالسلفيين، فلا تكاد تجد كتاباً من كتبهم إلا واسم مؤلفه: فلان بن فلان السلفي، وقد جاء في الكتاب السابق الذكر (إرشاد البرية) عدة عناوين تؤكد الاعتزاز والحرص على هذه التسمية، حتى أنه عقد فصلاً تحت عنوان (الانتساب إلى السلفية ليس من التحزب الممقوت)، وقبله راح يتتبع لفظ (السلف) وما المراد منه، وبداية ظهور هذا المصطلح، والفترة الزمنية التي ظهر فيها، ثم في الفصل الرابع (مرحلة تدوين المذهب السلفي). وقد وضع ثلاثة عشرة صفة، لابد من اكتمالها حتى يستحق المسلم أن يكون سلفياً. وبمقتضى تلك الصفات الثلاثة عشرة التي وضعها السلفيون والتي يستحق بموجبها أن يكون المسلم سلفياً ولا يستحق بدونها صفة السلفية إذا انعدمت: (فإن كل سلفي مسلم وليس كل مسلم سلفياً).

وكأن السلفية مرحلة أو رتبة أعلى من صفة (مسلم)!! وهذا يذكرنا ببعض المقارنات التي نجدها في مؤلفات العلماء، بين المؤمن والمسلم أو بين الطوائف والفرق الإسلامية. كقول ابن تيمية (كل معتزلي جهمي وليس كل جهمي معتزلياً). وتتضح مكانة الرتبة السلفية حالما يقرر السلفيون أن كل من سواهم على باطل وسراب.

"قلت: لو نظر أصحاب الدعوات الحركية المناوئة للدعوة السلفية إلى هذه الآية نظرة تأمل وإنصاف لعلموا إن ماهم عليه يصدق عليه قول ربنا عز وجل: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا..﴾ ولتراجع الكثير إن لم يكن الكل عما هم عليه من ضياع وسراب إلى المنهج الحق المتمثل في الدعوة السلفية[1].

---

(1) إرشاد البرية (صفحة 26).

وينتشر بين السلفيين قولهم: (هذا أخ سلفي) ليميزوا بينه وبين المسلم العادي؛ إذ الاتصاف بالسلفية تعني أن الفرد على العقيدة الصحيحة وليس مخرفا! أو جاهلاً أو متحزباً. والأغرب من هذا أنك تجد بعضهم يجرون اختباراً للقادم عليهم ليتأكدوا من صحة عقيدته، فإن أجاب بما يوافق عقيدتهم السلفية رحبوا به، واعترفوا بسلفيته، وإن خالفهم نبذوه، واعتزلوه؟!.

أما السلفية الجهادية فهم لا يعبئون بالتسمية، بل ويعترضون عليها، لأن السلفية عندهم هي سلفية المنهج، والتي تعني تحري الدليل والالتزام بإتباعه وليست السلفية هي مذهب، ولا ينبغي أن تتخذ مذهباً.

فردوا على: (شبهة خطيرة للألباني) بالقول: "لقد صار أصحاب الشيخ مقلدون في هذه الشبهة وغيرها، وإن السلفية – مع اعتراضنا على هذه التسمية – لا ينبغي أن تكون مذهباً، فينبغي أن تكون السلفية منهجاً قائماً على تحري الدليل واتباعه. فالسلفية منهجاً وليست مذهباً.."[1].

ومما يدل على عدم حرص السلفيين الجهاديين على التسمية بـ (السلفية) أننا نجد الشيخ أبا محمد المقدسي الجهادي السلفي المعروف – وهو أستاذ أبي مصعب الزرقاوي قائد القاعدة في العراق – أنه كان قد سمى جمعيته التي كان ينشط من خلالها في الأردن: (جمعية النور الإسلامية)، كما أن أبا مصعب الزرقاوي قد سمى تنظيمه (جماعة التوحيد والجهاد)، وذلك قبل مبايعته لقائد القاعدة حيث تغيرت التسمية إلى: (قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين)، وقد كان للشيخ السلفي أبي أنس الشامي – أردني من أصل فلسطيني – دور كبير في إقناع الزرقاوي بمبايعة أسامة بن لادن.

---

(1) العمدة (صفحة 299).

الجماعات الإسلامية: مشروعيتها وحكم تعددها

لم يهتم السلفيون الجهاديون بموضوع كاهتمامهم[1] بمسألة الجماعات الإسلامية، فقد ظهر في منهج جماعة بن لادن كقضية أساسية، أشبعها بحثاً ودراسة، حتى أنه لم يتناول لفظ الجهاد – وهو القضية الكبرى – لغة واصطلاحاً، كما فعل في هذا الموضوع، كما أن هذه المسألة هي من أبرز المسائل والقضايا التي خالفت السلفية الجهادية أختها السلفية المسالمة، إذ سنرى عند الرد على الشبهات أنهم ولجهوا كبار المشائخ السلفيين المعروفين وخطئوهم وجهّلوهم – في هذه المسألة – وذلك لأن آراء أولئك إذا لم يتم إبطالها والرد عليها، فإنها ستصيب جماعة بن لادن في مقتل، وستؤدي إلى إضعافها من خلال التشكيك في مشروعيتها واستراتيجياتها.

"والجماعة بهذا اللفظ لم ترد في القرآن، وإنما وردت في الحديث بمعنيين:

الأول: المعنى اللغوي للكلمة، أي الاجتماع الذي هو ضد التفرق، ويطلق على اثنين فما فوقهما أو على ثلاثة فما فوقهم، على خلاف بين الأصوليين والنحويين، ومن هذا قول النبي ﷺ [صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة] متفق عليه، فالجماعة هنا المراد منها العدد..

الثاني: المعنى الاصطلاحي للكلمة: ويراد به أحد أمرين هما على الترتيب من حيث الأهمية:

أ) الجماعة بمعنى الحق والدين، كما في حديث: [الفرق كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة] ومن هنا قال ابن مسعود: [الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك].

---

(1) لا شك أن هذا الاهتمام يأتي بعد القضية الكبرى، وهي اهتمامهم بمسألة الجهاد عامة ثم الخروج على الحكام باعتبارهم مرتدين، ووجوب مقاتلتهم وتقديمها على غيرها.

والجماعة ترد بمعنى أهل دين الإسلام، كما في حديث: [والتارك لدينه المفارق للجماعة]. وترد – أيضاً – بمعنى أهل العلم، وأهل الحل والعقد.

ب) الجماعة بمعنى جماعة المسلمين الذين هم في طاعة السلطان. كما في حديث [من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه..] متفق عليه.

وبالنسبة لهذين المعنيين الاصطلاحيين يجب على المسلم إتباع الحق دائماً، فإن وجد للمسلمين سلطان، يجب اتباعه، فيطاع في الحق ويعصى في الباطل. ومن هنا رتبنا المعنيين الاصطلاحيين بهذا الترتيب، فالحق أقدم وأولى، وإن لم يوجد سلطان – كما في زماننا[1] – تبقى الجماعة بالمعنى الأول – الحق وأهله – واجبة الاتباع.

وتتبع لفظ الجماعة في الأحاديث تجدها يمكن ردها جميعاً إلى هذه المعاني (العدد – الحق – جماعة السلطان). أما الجماعات الإسلامية المعاصرة فمنها ما يصيبه من هذه المعاني العدد فقط، ومنها ما يدخل تحت الجماعة بمعنى الحق على تفاوت[2].

وفي الباب الثالث تأتي الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال العلماء لإثبات أن (الإمارة واجبة شرعاً) "لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء:59]. وقوله: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ ﴾ [النساء:83]. فدلت الآيتان على أنه لا بد للناس من ولي أمر يتولى شئونهم ويدير مصالحهم، وذلك بدلالة إشارة النص. وقال رسول الله ﷺ : [لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم] رواه أحمد عن عبد الله بن عمر. وقال رسول الله ﷺ [إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا عليهم أحدهم] رواه أبو داود عن أبي سعيد، وله من حديث أبي هريرة مثله".

---

(1) وذلك يعني أنهم لا يرون شرعية أي نظام من الأنظمة الحاكمة اليوم وتأمل كيف طوّع المعاني للمبادئ.

(2) العمدة (صفحة 149).

وقال الشوكاني في (نيل الأوطار): "باب وجوب نصب القضاة والإمارة وغيرها" 157/9.

وقال الإمام ابن تيمية: "يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين والدنيا إلا بها فإن بني آدم.... "[مجموع الفتاوى 28/390-392].

واستكمالاً لموضوع الجماعة ووجوب إقامتها لحفظ الدين وشرائعه، يبحث في عدة مسائل فرعية، داعماً آراءه بالدليل الشرعي من الكتاب والسنة وأقوال علماء السلف – كما هي الطريقة السلفية المعهودة – ومن هذه المسائل:

"التأمير موكول إلى ولي الأمر المسئول إن وجد" و "لولي الأمر أن يؤمر عدة أمراء على الترتيب" و "متى تؤول سلطة التأمير إلى الرعية؟" ثم يقول: "بينت فيما سبق وجوب الإمارة، وأن التأمير من حق إمام المسلمين ومن يحل محله كولي أمر مسئول عن عمل من الأعمال، إلا أنه في بعض الأحوال يتعين على جماعة المسلمين أن يختاروا الأمير بأنفسهم، ومن أمثال هذا:

- إذا فقد الأمير المعين من جهة الإمام..
- إذا شرع المسلمون أو طائفة منهم في عمل من الأعمال الجماعية "خاصة التدريب والجهاد"، ولم يكن للمسلمين إمام، كما هو الحال في زماننا هذا.

فعلى المسلمين أن يختاروا أحدهم للإمارة، ولا يصح أن يعملوا بدون إمارة..". فتأمل كيف يقررون ما اتفق عليه بين علماء الأمة، ليقرروا من خلاله ما يهدفون إلى توثيقه وتأكيد شرعيته، وهو شرعية جماعة الجهاد وبالتالي وجوب طاعة أميرها واعتبار طاعته من طاعة السلطان الذي أكدته الأحاديث النبوية السابقة الذكر.

وفي هذا الباب يردون على (شبهة: لا جهاد بلا إمام) مؤكدين بأنها "شبهة شيطانية أوحى بها الشيطان للمخذّلين والمثبطين عن الجهاد في هذا الزمن.. فهل نقول لا نخرج

على الحاكم الكافر – بعد سرد الأدلة – إذ لا إمام؟ ومن أين لنا الإمام وقد كفر ووجب الخروج عليه؟! أم ننتظر إماماً مغيباً ونترك المسلمين لفتنة الكفر وللفساد؟! أيقول بهذا مسلم؟!.. وهذه الشبهة هي من صميم اعتقاد الشيعة مع أن الشيعة خالفوا هذه العقيدة مع بدء ثورة الخميني، وهذا من أظهر الأدلة على فساد هذا الاعتقاد الذي لا زال مكتوباً في كتبهم[1]، فالعجيب هو أن تعلق هذه الشبهة ببعض المنتسبين إلى أهل السنة.

قال رسول الله ﷺ : [لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة] حديث جابر بن سمرة رواه مسلم.

أليس (لن يبرح، ولا تزال) أفعال تفيد الاستمرار؟ أي استمرار القتال على الدين؟ ورسول الله ﷺ قد أشار إلى أنه سيأتي على المسلمين زمان لا يكون لهم فيه إمام، ومع ذلك فقد نص على استمرار القتال. فالجهاد في سبيل الله لا يتوقف بسبب غياب الإمام، بل يؤمّر المسلمون أحدهم – كما في حديث مؤتة – بل إن غياب الإمام هو من دوافع الجهاد لنُصبة الإمام الذي يقيم الشريعة ويحوط الملة، وعلى كل مسلم في هذه الحالة أن يعتصم بهذه العصابة المذكورة في حديث جابر بن سمرة وهي الطائفة المنصورة"[2].

وحديث الطائفة المنصورة من الأحاديث التي لا يكاد يخلو منها كتاب من الكتب السلفية للاستدلال بأنهم هم هذه الطائفة. ولهذا جاء في العمدة: "وجوب الجماعة لنصرة الدين في هذا الزمن:.. وبيان ذلك أن الواجبات الشرعية كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحوهما لم يقم دليل على أنها تسقط عن المسلمين بانعدام الإمام.. ومع ذلك،

---

(1) تأمل كيف تظهر النزعة السلفيه، إذ السلفيون متفقون على عداوة الشيعة بكافة مذاهبهم، وتأتي هذه العداوة بعد عداوة اليهود والنصارى والحكام، ثم سائر الفرق الضالة – كما يسمونها – كالصوفية والقبورية والمعتزلة.. إلا أن السلفية غير الجهادية تضيف عداوتها للجماعات الإسلامية أيضاً.

(2) العمدة (صفحة 48).

فقد ذهب البعض إلى أن اجتماع المسلمين في جماعة للقيام بواجبات الدين في هذا الزمان – حيث لا إمام – ليس بواجب، بل الواجب العزلة وأن يهتم المرء بخاصيته.. وهذا قول يؤدي إلى اصطلام الإسلام وأهله"..

وكذلك حديث الفرقة الناجية، فقد قال رسول الله ﷺ : [إن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة في الأهواء كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة] رواه ابن أبي عاصم وغيره عن معاوية، وصححه الألباني كتاب السنة لابن أبي عاصم، وفي رواية أخرى أن الناجية هي: [ما أنا عليه اليوم وأصحابي] عن عبدالله بن عمرو وهو حديث حسن لغيره بشواهده..

وأما حديث الطائفة المنصورة [لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس] رواه مسلم عن معاوية..

فهذه طائفة قائمة بأمر الدين تقاتل عليه، موعودة بالنصر والظهور، مبشرة بأنها لا يضرها من خالفها ولا من خذلها، باقية بلا انقطاع من لدن رسول الله ﷺ. وذكروا الطائفة المنصورة كما جاءت في الأحاديث ثم الفرقة الناجية لإثبات أن حديث الطائفة المنصورة قد خصص أحاديث الفتن والتي جاء فيها الأمر باعتزال الفرق كلها، وليقرروا بذلك أن الأمر بالجهاد هو الذي تتصف به الفرقة الناجية، وليس الاعتزال[1] والاهتمام بالنفس.

ثم (من هم الطائفة المنصورة؟) قالوا: "ذهب أكثر السلف إلى أن الطائفة المنصورة هم العلماء وأهل الحديث، كما قال البخاري وأحمد بن حنبل، ولكن يشكل عليهم قوله ﷺ : [.. هذا الدين قائماً يقاتل عليه] وغيرها من الروايات التي تذكر صراحة أن القتال هو من

---

(1) والأمر بالاعتزال جاء في حديث حذيفة: (فاعتزل تلك الفرق كلها).

خصائص هذه الطائفة، كرواية جابر بن عبدالله، وعمران بن حصين ويزيد بن الأصم عن معاوية، وعقبة لبن عامر. فلا يمكن حصر الطائفة في العلماء فقط؛ بل هم أهل العلم والجهاد.. ولا شك أن العلماء العاملين هم أول الناس دخولاً في هذه الطائفة وبقية الناس من المجاهدين وغيرهم تبع لهم. والذي حدا بالسلف إلى القول بأن الطائفة هم العلماء هو أن الجهاد لم يكن عليه خلاف بين المسلمين، وكانت الثغور مشحونة بالجند والجيوش، موجهة إلى ديار الحرب، وكان أكثر ما يخل بالدين في زمانهم هي للبدع والضلالات الكبرى، وفرسان هذا الميدان هم العلماء. أما نحن اليوم فبحاجة إلى جهد العلماء والمجاهدين، كل في ميدانه قلت[1]: ولذلك يمكن القول بأن الطائفة المنصورة هي الطائفة المجاهدة المتبعة للمنهج المستقيم، منهج أهل السنة والجماعة[2].

ونجد أن السلفيين حينما يتحدثون عن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة يذكرونها باعتبارها شيء واحد، وأنهما صفة مترادفة لجماعة واحدة، وليست لجماعتين.

لكن منهج القاعدة يخالف هذه الاعتقاد الذي ورد في معظم الكتب السلفية فيقول: ".. والذي يترجح عندي أن الفرقة والطائفة ليستا مترادفتين، وأن الطائفة جزء من الفرقة، فالطائفة المنصورة هي الجزء أو البعض القائم بنصرة الدين علماً وجهاداً من الفرقة الناجية التي هي على المنهج والاعتقاد الصحيح.."[3].

"وأما الدليل على هذا الاختلاف أو عدم الترادف بين الطائفة المنصورة والفرقة الناجية

---

(1) قول (قلت) طريقة يعرف بها السلفيون في مؤلفاتهم.

(2) العمدة (صفحة 77-78)، والسلفيون الآخرون يخالفون هذا، وقد كتب الشيخ ربيع بن هادي المدخلي كتاباً سماه (أهل الحديث هم الفرقة المنصورة الناجية).

(3) لعمدة (صفحة 78). وبهذا يخالفون ما اتفقت عليه معظم كتب العقيدة ، ككتاب (العقيدة الواسطية) لابن تيمية. و(معارج القبول) للحافظ الحكمي وغيرهما، ولاحظنا كيف اعتبر رأي العلماء مما أشكل عليهم.

فهو قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ..﴾ [التوبة:122].

فهذه الآية فرقت بين الفرقة والطائفة وكذلك: إن العلم والجهاد وهما أهم صفات الطائفة المنصورة، وأن أصل مشروعيتهما أنهما من فروض الكفاية، يجب على البعض دون الكل من أبناء الأمة القيام بهما، وهذا البعض القائم بالعلم والجهاد من الأمة هم الطائفة المنصورة.."(1).

"ويخلص من ذلك إلى أن الواجب على كل مسلم أن يكون من الطائفة المنصورة القائمة بنصرة الدين بالعلم والدعوة والجهاد".

"(تنبيه) على أهم واجبات الطائفة المنصورة في هذا الزمان: إن من أعظم واجبات الطائفة المنصورة في هذا الزمان هو جهاد الحكام المرتدين المبدلين لشرع الله الذين يحكمون المسلمين بالقوانين الوضعية الكفرية..".

ولأن هذا المنهج جاء ليؤكد ويقرر نهجاً ثابتاً، وهو شرعية الجهاد في هذا الزمان، ووجوبه، وكون الأولوية في ذلك بقتال الحكام حسب رأي القاعدة، فإننا نجده لا يناقش قضية من القضايا أو يبحث في مسألة من المسائل إلا وعطف في آخرها على تقرير هذه القاعدة، وهذا الأساس الذي كتب المنهج من أجله.

ثم نعود إلى مسألة: (ما الموقف من تعدد الجماعات العاملة للإسلام)؟

لتنظيم القاعدة رأي خاص حول مسألة تعدد الجماعات الإسلامية، فمنهجهم يتناول هذه المسألة بمدخل يؤكد فيه جوهر القضية الكبرى التي لا يهمل ذكرها عند تناوله لأي

---

(1) وهذا الرأي يتفق مع قناعة الأخوان المسلمين حيث ذكر سعيد حوى في (المدخل) "ففي هذه الروايات تحددت صفتان للطائفة: أنها على الحق، وأنها مجاهدة.. أما ما ذهب إليه بعضهم من الطائفة المنصورة هم أهل الحديث، فذلك ليس فيه نص، وإنما هو فهم لبعض المحدثين. ولكن حمل الحق والقتال من أجله هو الذي تسنده النصوص" [صفحة 22].

مسألة من المسائل المتنازع عليها في الساحة الإسلامية، فالدعوة للجهاد وتقوية العزائم والدعوة إلى الإعداد والاستعداد، ووجوب مجاهدة أعداء الدين وأعداء الأمة الإسلامية، هي فاتحة كل موضوع يتناوله منهج القاعدة، وإن لم يكن قد افتتح بها، نجده يجعلها هي خلاصة الموضوع والهدف والمقصد منه في آخر بحثه للموضوع الذي يتناوله.

فبعد أن يسأل هذا السؤال: ما الموقف من تعدد الجماعات العاملة للإسلام: قال:

"إذا كان الولجب في هذا الزمان هو العمل الجماعي لنصرة دين الله وليس الاعتزال فما الموقف من تعدد الجماعات؟ ومع من يعمل المسلم؟. وهنا يجب أن لا يفوتنا مدلول الصياغة التي جاءت في السؤال بقوله: (العاملة للإسلام)، ولم يقل الجماعات الإسلامية؟! أي أنه ليس كل جماعة تعمل للإسلام يصلح أن يقال عنها (جماعة إسلامية) كالجماعات الصوفية مثلاً،وهنا تظهر النزعة السلفية لدى جماعة القاعدة.

قلت: أوجب الواجبات الشرعية في هذا الزمان هو الجهاد في سبيل الله تعالى لنصرة دين الله سبحانه، وإنقاذاً للأمة من المذلة والهوان، ولإقامة الخلافة الإسلامية، تلك الفريضة التي يأثم المسلمون جميعاً بغيابها لقوله ﷺ : [من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية] رواه مسلم عن ابن عمر، والمقصود بيعة الإمام لا غير[1]..

هذا هو الحق الواجب – أي الجهاد – المضيق الوقت[2]. وأي جماعة لا تعمل في هذا السبيل هي مخطئة ومقصرة، وإن قامت ببعض واجبات الدين الأخرى. فالواجب على المسلم أن ينصر الجماعة التي تجاهد في سبيل الله. أما الجماعات الأخرى فلا بأس

(1) ستأتي مسألة البيعة والعهود، وما يتعلق بها، بعد الانتهاء من مسألة تعدد الجماعات.

(2) يعني لا عذر في تأجيله، فهو واجب على الفور، لا يحتمل التأخير.

بمعاونتها بشرطين:

- **أحدهما:** ألا يتخذ هذه المعاونة ذريعة للقعود عن الجهاد الواجب.

- **وثانيهما:** ألا تتعارض معاونته لهذه الجماعات مع عمله الجهادي، وعلى أن يستمر في نصحه لهم بوجوب الجهاد. قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾"[1]، ... فتأمل!

أكد الهدف الذي جاء المنهج لأجله ثم قرر تخطئة وتقصير أي جماعة لا تعمل لتحقيق الواجب الفوري والحتمي – الجهاد –ثم إنه لم يتصلب ويتشدد في الرأي ليقرر رفضه لغيرهم من الجماعات – كما هي العقلية السلفية التقليدية – بل دعا إلى التعاون مع سائر الجماعات الإسلامية، بعد اشتراطه شرطين، لو تأملنا فيهما لوجدناهما – عند تطبيق المسلم لهما – يعنيان تسجيلاً غير مباشر للعضوية في تنظيم الجهاد؛ بل إن اشتراط الاستمرار في النصح من العضو في هذه الجماعات للقائمين عليها سواء الأعضاء أم القيادات، يعني أن مكوث هذا العضو في هذه الجماعة أو تلك لن يطول كثيراً!! فالمعروف أن أي عنصر أو عضو في أي جماعة من الجماعات الإسلامية إذا استمر في إلحاحه وإعلانه لوجوب الاهتمام بقضية ما – مهما كانت – إذا لم تكن قيادة هذه الجماعة قد جعلتها من أولوياتها، فإن هذا يعني فصله من هذه الجماعة أو على الأقل تجميد عضويته، ووضع علامات استفهام حوله. وتلك مسألة لا جدال فيها، ويعرفها من عاش وخاض تجربة العمل في هذه الجماعات.

وكيف يظل العضو في جماعة كالجماعة السلفية، التي أطلق قادتها على جماعة الجهاد بأنها (جماعة الفساد)[2] كيف يستمر بنصحهم على أمر يرونه فساداً؟!

---

(1) العمدة (صفحة 82).

(2) انظر (البيان المفهم بالموقف السلفي) [صفحة 6].

وكيف ينصح العضو في جماعة الإخوان المسلمين أعضاء وقادة هذه الجماعة بالجهاد القتالي والمواجهة؟! أتراهم يقبلون؟! لقد أكدت التجارب أن الكثيرين قد تم تجميدهم أو فصلهم لمجرد اعتراضات طرحت وعلى شكل اقتراحات، ولم ترق إلى النصح بالجهاد، بل دون ذلك بكثير، فكيف لو ألح العضو على النصح بالجهاد؟!

وهكذا يقال في بقية الجماعات، كالتبليغ والدعوة، الذين يستنكرون الحديث في السياسة ومشاكلها، ولديهم تفسيرهم الخاص لمسمى الجهاد، حيث يعني الخروج في سبيل الله من مسجد إلى آخر، والمبيت في هذه المساجد ليالي وأياماً، وإقامة حلقات العلم بعيداً عن السياسة وأهلها؟!

إن هذه النصيحة الذكية من تنظيم القاعدة للأعضاء في الجماعات الإسلامية الأخرى، والتي جعلوها كشرط لصحة الانضمام إليها والانخراط بها، هي دعوة للالتحاق بالجماعة الجهادية بصورة حتمية، إذ سرعان ما سيصطدم هؤلاء الأعضاء الناصحون مع جماعاتهم وبالتالي ستكون (القاعدة) ملاذاً لهم!!

أما السلفيون غير الجهاديين فقد أكدوا في مؤلفاتهم عدم مشروعية الجماعات الإسلامية بل وتجاوز بعض السلفيين – كمدرسة الشيخ الوادعي – الحدود، بأن اتهموا هذه الجماعات بتهم خطيرة، وأطلقوا عليها أشنع الصفات، وحرموا الانخراط فيها، لكونها جماعات بدعية ضالة مضلة.

فقد جاء في (السراج الوهاج بصحيح المنهاج): "ولا أرى صحة المقالة المشهورة: إن تعدد الجماعات الإسلامية ظاهرة صحية، أو أنها خطوة للجماعة الكبرى، لأنها جماعات متعارضة متضاربة، كل منها يهدم ما بناه الآخر – ظاهراً وباطناً – والقول بأن الجماعات

ظاهرة صحية قول مخالف للنقل وللعقل والواقع، فالأدلة كثيرة في وجوب الاعتصام وترك التفرق، ومتى كان الخلاف سبباً للاجتماع؟! والواقع يثبت أن عدد الجماعات أو الفرق والأمراء يزيد ولا ينقص.."[1].

ومن ذلك: ".. من أصحاب الأفكار المشبوهة كفرقة التكفير والهجرة وفرقة الجهاد زعموا – ويسميهم الشيخ مقبل جماعة الفساد – وفرقة الإخوان المسلمين، وابنتها من الرضاعة (السرورية)[2] وغيرهم من أهل البدع والضلال.."[3].

وقد ذكرت سابقاً ما قاله أحد السلفيين في كتابه (إرشاد البرية) حول الجماعات الإسلامية والدعوات الحركية، التي وصفها بالمناوئة للدعوة السلفية وأنها على ضياع وسراب..

وعند ردوده على الشبهات التي ينعق دعاة الباطل بها، وينفرون بها الناس عن الدعوة السلفية – حسب تعبيره – تجده يقول في شبهة رمي أهل السنة بظاهرة الإرهاب "إن ظاهرة الإرهاب قد شغلت الشرق والغرب.. ولكن مما يزيد الطين بلة أن نرى تصرفات همجية من بعض الفصائل المحسوبة على الدعوة الإسلامية، تحسب أنها بأعمالها التخريبية تحسن صنعاً، وهي في الحقيقة تهدم من حيث تزعم أنها تريد أن تبني، وتطعن في الإسلام من حيث أنها تدعي نصرته، فشوهت بذلك جمال الإسلام ومحاسنه، بل أصبحت يداً في محاربة الإسلام الصافي، سواءً أشعرت بذلك أم لم تشعر، فطعن أعداء الإسلام فيه بسبب

---

(1) السراج الوهاج (صفحة 92).

(2) السرورية نسبة إلى الشيخ محمد سرور زين العابدين، مواليد حوران بسوريا عام 1936م، وصاحب كتاب (وجاء دور المجوس) وهي جماعة تكونت في الكويت، وانتشرت إلى بقية البلدان الإسلامية، وتحمل الطابع السلفي غالباً، ومنغلقة وشديدة السرية، وقد شهد لهم الوادعي بالسلفية، واستنكر فيهم الحزبية وعدم الاهتمام بالعلم (انظر: قمع المعاند).

(3) البيان المفهم (صفحة 6).

أعمالهم الغوغائية، التي لم تقم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتتمثل هذه الفصائل بالحركات الإسلامية المعروفة بالفرق – الجماعات الإسلامية المعاصرة – كفرقة التكفير والهجرة، وفرقة الجهاديين، وفرقة الإخوان المسلمين والسروريين وغيرها من فرق البدعة والضلال..".

ثم يكمل وصفه لهذه الجماعات أو الفرق فيعتبرها من مخلفات الفرق التي ظهرت في صدر الإسلام كالخوارج والمعتزلة وما شاكلها من فرق الضلالة والبدعة، والتي تلبست لباس الدعوة إلى الله وهي ليست أهلاً لذلك، لأنها تنكبت عن طريق السلف الصالح:

".. فضلَّت وأضلَّت كثيراً، مما أدى إلى ما لا يحمد عقباه من أنواع التخريبات والاغتيالات، والتفجيرات والمظاهرات، والانقلابات على الحكومات الإسلامية الواقعة في بعض المخالفات الشرعية، وكل ذلك باسم الدين والغيرة عليه، وباسم الدعوة إلى الله – زعموا – والإسلام بريء من هذه الأعمال كبراءة الذئب.."[1].

ولا يقف الحكم السلفي عند ذلك كله، بل يتجاوز إلى التحذير من الانضمام إلى هذه الجماعات الضالة المضلة الإرهابية، المحسوبة على الإسلام، الهادمة للدين المشوهة لجماله ومحاسنه..

".. فليحذر كل من تراوده نفسه في الانضمام والانخراط في إحدى تلك الفرق من سوء العاقبة، وعليه بالرجوع إلى أهل العلم والإيمان من أهل السنة السلفيين حتى يوقفوه على معالم دينه.."[2].

---

(1) إرشاد البرية، لأحد تلاميذ الشيخ الوادعي. (صفحة 188).

(2) المصدر السابق (صفحة 188-189). وتعجب حين يصف الحكومات الإسلامية بالوقوع في بعض المخالفات الشرعية، رغم أن السلفيين حكموا على الحكومات بالكفر والشرك، وهم لا يعلمون عندما كفروا وحرموا الانتخابات

"ومن أمثلة الإرهاب ما قام به بعض طوائف أهل البدع، وهم المعروفون بجماعة الحرم بقيادة جهيمان. قال الشيخ زيد بن محمد بن هادي المدخلي: (وما الحركة الإرهابية المشؤومة التي قامت بها عصابة شر غالية متطرفة لأصحاب منامات سخيفات وأماني كاذبات إلا صورة واضحة من صور الإرهاب الذي حاق بأهله سوء العذاب).. من كتاب (الإرهاب وأثره على الفرد والمجتمع)"[1].

إن الحملة على الجماعات الإسلامية بتلك الأوصاف هي سنة مؤكدة عند هؤلاء وشغلهم الشاغل، فلا تكاد تقرأ لهم كتاباً إلا ووجدتهم جعلوا لهذه الجماعات الإسلامية فيه النصيب الأوفر من التضليل والتحذير، والأغرب من ذلك تجد في بعض كتبهم يمدحون شخصاً ويثنون عليه بالصلاح والتقوى والسلفية ثم إذا اختلفوا معه صبوا عليه أفانين الهجاء، ووصفوه بوصف العداء لأهل السنة والجماعة: ومن ذلك صاحب كتاب (السراج الوهاج بصحيح المنهاج) وهو الشيخ مصطفى بن إسماعيل المأربي الذي أثنى عليه الشيخ مقبل الوادعي في مقدمة كتابه بأنه: "الشيخ الفاضل؛ الذي جمع بين التعليم والتأليف والدعوة إلى الله على بصيرة.." وأثنى عليه صاحب (إرشاد البرية) بأنه: "القائم على مركز مأرب اليمن، وأنه من دعاة السنة السلفيين" [صفحة 191]. كما أثنت عليه أم سلمة السلفية – زوج الشيخ مقبل الوادعي – في كتابها: (تحذير الفتاة العفيفة). بل وقيلت في الثناء عليه الأشعار التي نظمها الشعراء السلفيون، وجعله الوادعي من أولي الحل والعقد في جماعته.

ثم لما حصل الخلاف بينهم وبينه بعد وفاة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي – رحمه الله – وصفوه بأعجايب الكلام، حتى أنهم أصدروا فتوى جماعية وقع عليها جماعة من كبار

والبرلمانات والديمقراطية والحزبية وغير ذلك مما يدخل في صميم بناء هذه الحكومات وشرعيتها كما تعلن هذه الحكومات نفسها، إنهم قد وقعوا في تناقض صريح مع أنفسهم؟!

(1) المصدر السابق (صفحة 189).

المشايخ والدعاة السلفيين[1]، دعوا فيها لمنعه من ممارسة الدعوة حتى يتوب عما قاله، وقد نقلت ذلك في موضع آخر من هذه الدراسة.

ومن أولئك السلفيين الذين صاروا ضالين مضلين – في نظر السلفيين أتباع مدرسة الوادعي – من قالت عنهم أم سلمة السلفية: ".. حتى لبستم على بعض ضعفاء العقول من طلبة الشيخ الفاضل أبي عبدالرحمن، كعبد المجيد الريمي، ومحمد البيضاني، وعبدالله الحاشدي، والكذاب الأشر محمد المهدي، وعبد الله بن غالب الطامع.."[2].

وتوسعت الدائرة ليدخل فيها كبار السلفيين خارج اليمن وداخله معاً، فيوصف السلفيون المخالفون بابتغاء الفتنة:

".. إن من ينعق بهذه التهمة ضد أهل السنة السلفيين لا يريد من ورائها سوى الدفاع عن أهل البدع والأهواء، من رافضية، وصوفية قبورية، وحزبية مقيته وغيرها.. وممن تولى كبر هذه الدعوى: (أحمد بن عبد الرحمن الصويان) في كتابه: [منهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجال ومؤلفاتهم] و (هشام بن إسماعيل الصيني) في رسالته: [منهج أهل السنة والجماعة في النقد والحكم على الآخرين] و (سلمان العودة) في كتابه الذي كان شريطاً: [أخلاق الداعية] و(زيد الزيد) في رسالته: [ضوابط رئيسية في تقويم الجماعات الإسلامية] و(عقيل المقطري)[3] في: [قواعد الاعتدال لمن أراد تقويم الجماعات والرجال]. و (عبدالرحمن عبدالخالق)[4] في كتابه: [الرد الوجيز] الذي قام بتفنيده شيخنا ربيع المدخلي،

---

(1) وكتب الشيخ ربيع المدخلي كتاباً كاملاً للرد على أبي الحسن مصطفى بن إسماعيل، سماه (التنكيل..).

(2) تحذير الفتاة (صفحة 99).

(3) من طلاب الشيخ مقبل الوادعي القدامى. ومن الذين أثنى عليهم الوادعي.

(4) من تلاميذ الشيخ الألباني، ومن مؤسسي الجماعة السلفية في الكويت، وصاحب رسالة (الأصول العلمية للدعوة السلفية) وله عدة مؤلفات سلفية.

وغيرها، كلهم يميعون قضية الجرح في أهل البدع.."[1].

كما أن التضليل وعداء الدعوة الإسلامية شمل (جبهة الانقاذ) في الجزائر والمجاهدين الأفغان الذين وصفهم: ".. فما كان من أعداء الدعوة هناك المتمثلين بالأحزاب السبعة إلا أن تكالبوا عليها وأبادوها ونتج عن ذلك مقتل الشيخ جميل الرحمن.."[2].

إلا أن السلفيين من أتباع الشيخ مقبل الوادعي، رغم وصفهم لدعوتهم بأنها دعوة للتوحيد ومحاربة الشرك والبدع والخرافات، إلا أنهم ومع ثناءهم للحكام ودعوتهم بتحريم الخروج على الحكومات خرجوا ليغيروا بعض المنكرات ومظاهر الشرك بأيديهم وحصلت بينهم وبين السلطات الأمنية اليمنية مواجهات انتهت بإدخال بعضهم السجون والمعتقلات. وذلك ما حصل حالما خرجت مجموعة من السلفيين لهدم بعض القبور والمشاهد التي تنسب إلى الأولياء الصالحين، كالشيخ العيدروس في عدن وغيره.. وقد تفاخر السلفيون بهذا، واعتبروه جهاداً في سبيل الله، ونصرة لراية التوحيد؟!

"ولكن ماذا نقول عن أناس مرضى القلوب يسمون هدم المشاهد التي على القبور أموراً هامشية.. بعد أن قام بعض الأخوة السلفيين في عدن بهدم المشاهد التي كانت على بعض القبور هناك.."[3].

أما جماعة الإخوان المسلمين، فرغم قلة مواجهتها للجماعات الإسلامية وعدم انشغالها بهم كما هو عند السلفيين[4]، لكنها قد اشتهرت بمحاولة انفرادها بالعمل الإسلامي حتى كادت قناعات هذه الجماعة تصل إلى حد اعتبار نفسها (جماعة المسلمين).

---

(1) إرشاد البرية (صفحة 197).

(2) المصدر السابق (صفحة 194)، جميل الرحمن شيخ سلفي أفغاني.

(3) المصدر السابق (صفحة 196).

(4) لا تواجه جماعة الإخوان الجماعات بالطريقة العشوائية التي يسلكها السلفيون، وإنما من خلال مؤلفات بعض قادتهم حيث توصف هذه الجماعات بالقصور وضيق الأفق.

فقد جاء في كتاب (الإصلاح الفكرة والمسار): "وكل ذلك التفرق لسبيل الدعوة الإسلامية الواحد إنما هو من نزغ الشيطان لا من هدي الرحمن.. وهذا التفرق في الشعاب والأودية هو الذي صير المسلمين والعاملين في حقل الدعوة الإسلامية أوزاعاً في الدين والدنيا في العصر الحديث. وهذا الذي أحال الدعوة الواحدة إلى دعوات وجماعتها إلى جماعات.." [صفحة 27].

"ولا عاصم اليوم من أخطار التنازع المقيت إلا بتوحيد الصف الدعوي رأسياً وأفقياً أمام تحديات العصر". [صفحة 28].

وهذه هي الرؤية الإخوانية في تعدد الجماعات العاملة بالساحة الإسلامية، ولكن للضرورة السياسية ولدفع تهمة عدم الاعتراف بالآخر ومنع التعددية قالوا: "وهذا لا يعني أن حركة الإخوان تتبرم بالغير، وتغار من التعددية وتحرمها، وتمنع حرية الرأي، والرأي الآخر، وتأبى الحوار وتستبعده من قاموسها، فحركة الإخوان ترى حرية الرأي والرأي الآخر، وترى التعددية، وتؤمن بالحوار البناء، وتلاقح الآراء، والتشاور سبيلاً للوصول إلى الحق والصواب فيما تختلف فيه العقول[1]. [صفحة 29].

ولعلنا نعترف ونصدق هذا فيما يخص الأحزاب السياسية والجماعات التي تتنافس في معترك الحياة السياسية، أي أن عدم رفض الآخر وإمكانية التعايش مع المخالفين حاصل في جماعة الإخوان المسلمين، لكننا لا يمكن أن نصدقه فيما يخص الجماعات الإسلامية، إذ الواقع الإخواني والمواقف الإخوانية تكذبه؟! بل إن قادة الحركة ومؤسسيها يعترفون بوجود

---

(1) ولهذا اعتبر الشيخ الوادعي جماعة الإخوان جماعة طاغوتية ضالة، فقال: "ومن الطاغوتية لحترام الرأي، واحترام الرأي معناه كفر بالله..) [انظر: قمع المعاند].

فكرة التفرد بالعمل واعتبار الجماعة هي (جماعة المسلمين) التي يأثم المفارق لها ولا يكمل العمل الدعوي وينضج إلا في ظلها وتحت كنفها.

وإذا نظرنا في أهم كتب الإخوان نجد (المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين) للأستاذ سعيد حوى – رحمه الله – في مقدمة هذه الكتب المعتمدة لدى جماعة الإخوان، وهو – أيضاً – يتحدث عن كون هذه الجماعة هي (جماعة المسلمين) التي ينبغي لكل مسلم الانضمام إليها.

فقال: ".. ولذلك فإننا في هذا المدخل واستقرأنا النصوص لنصل إلى مواصفات جماعة المسلمين، وبرهنا على أنها موجودة في دعوة الأستاذ البنا.."[1].

وكذلك في الباب الأول: متى تعتبر جماعة (ما) هي جماعة المسلمين؛ بحيث يكون الالتزام بها واجباً.. ومحل الإخوان من ذلك، يذكر المؤلف أن هذه المسألة هي من أخطر المسائل على الإطلاق. "ومع أن المرشد الأول والثاني للإخوان المسلمين لم يعتبرا من سوى الإخوان المسلمين خارجاً عن جماعة المسلمين، ومع أنه لم يزل فقهاء الدعوة المعتمدون يعتبرون الإخوان المسلمين جماعة من المسلمين تسعى لأن تتحقق بمواصفات جماعة المسلمين.. فإن الأدلة كلها – كما سنرى – تدل على أن هذه الجماعة هي أقرب الجماعات على الإطلاق لأن تكون جماعة المسلمين، ولا تدعي العصمة.."[1].

وبعد أن يستعرض مواصفات جماعة المسلمين، والأدلة والنصوص الشرعية، ومنها الحديث الذي تستشهد به سائر الجماعات الإسلامية[2] لإثبات أنها هي المعنية به وهو: [لا

---

(1) المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين (صفحة 16 – 17).

(2) كالسلفيين والجهاد. ولاحظ أن كتب الإخوان – غالباً – لا تهتم بمسألة تخريج الحديث لمعرفة مدى صحته أو ضعفه كما يفعل السلفيون.

تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله]. ويذكر أنه قد كان للمسلمين دولة وخليفة، وأما الآن وقد فقدت السلطة التنفيذية الإسلامية، فمن الواجب على المسلمين التعاون مع بعضهم للوقوف أمام أعداء الله.

"ودعوة الإخوان هي التي استطاعت أن توجد الإطار الذي يستطيع به المسلم أن يقوم بحق العلم، مع إعطاء حق الدعوة والمعركة ما يستحق. ومن ثم فإن من الواجب السير في إطار هذه الجماعة"، "بسبب ما ذكرناه نقول: إن جماعة الإخوان لا غيرها هي التي ينبغي أن يضع المسلم يده في يدها[1]".

كما نلاحظ أن قادة الإخوان يرفضون فكرة تصحيح المسار، ما لم يكن هذا التصحيح من داخل الجماعة:

".. أما الذين يزعمون لأنفسهم تصحيح المسار من خلال تخريب الجماعة، ويريدون أن ينطلقوا من نقطة الصفر، فإننا نقول لهم: لقد فاتكم القطار، فنقطة البدء وجدت منذ خمسين عاماً من كتابة هذه السطور. وتصحيح المسار من الداخل، وفي البناء لا بالتهديم[2]".

إن رفض هذه الجماعة للنصح والنقد والتقويم ما لم يكن من الداخل، واعتبار النصيحة من خارج الجماعة تخريباً – كما جاء في النص السابق – لهو دليل ساطع على أنها تعتبر كيانها هو الكيان الشرعي الوحيد الذي يجب على كل مسلم الانضمام إليه، وذلك أمر لا يحتاج إلى استنتاج، بل فيما قاله سعيد حوى في المدخل تأكيد نظري بكون هذه الجماعة تعتبر نفسها جماعة المسلمين.

---

(1) المصدر السابق (صفحة 21- 24).

(2) المصدر السابق (صفحة 25). ورغم ذلك إلا أن جماعة الإخوان لاتحكم بكفر من لم يبايعها أو الخارج من صفوفها، لكن جماعة التكفير والهجرة هي التي قالت بتكفير من خرج عليها واستحلوا دمه وماله وعرضه.

ولكن ظهر من يطالب بإعادة النظر في العمل الدعوي لحركة الإخوان، ويحث على المراجعة، وفرز الحسنات والمساوئ، ويعلن أن سبب الإخفاق في العمل الحركي – الإخواني – مرده التخبط في طرائق العمل وإهمال التخطيط، ويعلن أن السطحية في تحديد الأهداف وتقرير الأبعاد هي إحدى علل العمل الحركي التي لابد من معالجتها.. وكل ذلك نراه فيما قاله الأستاذ فتحي يكن في (مشكلات الدعوة والداعية) وغيره.

كما تحدَّث في كتابه: (نحو صحوة إسلامية في مستوى العصر)، عن إشكاليات هذه الصحوة، منوهاً على تنوع هذه الإشكاليات في ظل غياب المرجعية الراشدة المرشدة، ثم يعددها، ويذكر مسألة (جماعة من المسلمين لا جماعة المسلمين) فيقول:

"ونبدأ الكلام بتناول قضية أساسية من خلالها تتوالد المشكلات، وتتكاثر الأخطاء والمعضلات، وتتعاظم الخلافات والصراعات على الساحة الإسلامية، وهي قضية اعتبار كل فريق يدعو للإسلام أنه يمثل الإسلام، ويمثل جماعة المسلمين، وليس جماعة من المسلمين، وهذا ما يؤدي في معظم الأحيان إلى الغلو والتطرف والاستكبار، ومحاولة كل فريق إلغاء الفريق الآخر، مع أن المنظور الشرعي يخالف هذا النهج تماماً"[1]..

وفي كتابه (نحو حركة إسلامية عالمية)، يتحدث عن الداء الذي رأى أنه يكمن في الجسم الحركي نفسه، وفي التصور لطبيعة العمل، ويخلص إلى وجوب أن تعيد الحركة الإسلامية النظر في منطلقاتها وتنظيماتها ومناهجها وخططها، ولو أدى ذلك أن تبدأ من نقطة الصفر.

كما أن من المشكلات التي يذكرها كثيراً في مؤلفاته قضية (تقديم الولاء للتنظيم على الولاء للشرع) باعتبارها انحراف خطير وضلال مبين – حسب تعبير فتحي يكن – وكما يؤكد أيضاً على اعتبار الأخوَّة الإسلامية هي الآصرة الكبرى التي يجب أن لا تؤثر عليها

---

(1) نحو صحوة إسلامية في مستوى العصر (صفحة 25).

العضوية في التنظيم الإسلامي.

"ولا يجوز بحال أن تطغى الاعتبارات التنظيمية على الاعتبارات الشرعية، أو أن تتسبب هذه العلائق الوضعية بنقض العلائق الربانية"[1].

أما الأستاذ عصام العطار[2] فهو من أكثر القيادات الإخوانية حماساً ومطالبة للجماعة بضرورة مراجعة تجربة العمل الإسلامي، وإعادة تقويمه، وعدم الانزلاق نحو التبرير والأخطاء. كما شدد على ضرورة أن تتنبه الحركات الإسلامية والتنظيمات لمشكلة عدم التفريق بين الوسيلة والغاية، وعدم جواز أن توضع الوسيلة في مستوى الغاية، أو تحل محلها، لأن ذلك انحراف خطير. كما أن على كل الجماعات الإسلامية والتنظيمات الحركية والأحزاب أن تعتبر كل واحدة منها نفسها (جماعة من المسلمين) وليست (جماعة المسلمين)، لأنها لو اعتبرت نفسها جماعة المسلمين فذلك يعني أنها تحكم على كل من ليس منها أو خارج عن نطاقها بأنه قد خرج على الإسلام؟!

إن جماعة الإخوان المسلمين تؤمن بالتعددية، والرأي الآخر وحرية الرأي، لكن هذا حالما تتعامل مع الغير باعتبارها حركة سياسية، كما حصل في مصر – بلد المنشأ للجماعة – حيث دخل الإخوان المسلمون غمار العمل السياسي عبر التحالفات مع الأحزاب والقوى السياسية الموجودة في الساحة، وتم دخول الجماعة مجلس الشعب المصري بعد خوض المعركة الإنتخابية تحت قوائم حزب الوفد، ثم قوائم حزب العمل. والمعروف أن حزب الوفد الذي أسسه سعد زغلول باشا الذي رفع شعار (الدين لله والوطن للجميع) بعد أن عاد من منفاه، وبعبارة أخرى: تحويل الثورة – المصرية – من ثورة دينية إسلامية إلى ثورة

---

(1) نحو صحوة إسلامية في مستوى العصر (صفحة 202).

(2) عصام العطار من أهل دمشق مواليد عام 1924م، ابعد عن سوريا عام 1965م واستقر في مدينة أخن بالمانيا ومازال حتى اليوم.

وطنية لا علاقة لها بالدين".

فالوفد حزب علماني "يتضح هذا من لائحة حزب الوفد الذي أسسه سعد زغلول بزعامته، فقد نص في هذه اللائحة نصاً صريحاً على تحريم الخوض في الأمور الدينية. (أي عدم ذكر الدين إطلاقاً في داخل الحزب، وهو نفس الشعار الذي أطلقه سعد زغلول على الثورة) كما أن حزب الوفد الجديد أعلن بمناسبة النقاش الذي دار حول دخول الإخوان المسلمين الانتخابات باسم الحزب أن الحزب كان علمانياً منذ نشأته"[1].

أما جماعة الإخوان المسلمين كتنظيم سياسي فهي تقبل الآخر وتتعايش معه، فقد اصطف الإخوان المسلمون مع غيرهم من الأحزاب في قاعات مجالس النواب، والنقابات المهنية في مصر والأردن، ولبنان والكويت، واليمن وغيرها، لكن الإخوان كجماعة إسلامية عكس ذلك.

"وفي تقديرنا أنه كان يمكن للجماعة الإسلامية التي مثلت وعاءً مستقلاً للحركة الطلابية الإسلامية أن تنمو وتقوى كحركة إسلامية جديدة على الساحة، وأن تكون عامل توازن وإضافة؛ لولا هجوم الإخوان المسلمين عليها والتفاوض بشكل سري مع قياداتها المستقلة، وإقناعهم بالانضمام إلى الإخوان، باعتبارهم الحركة التاريخية الأقدم، والأكثر خبرة.. واستجاب الطلاب بكلية طب القاهرة للقيادات الإخوانية التي تفاوضت معهم، وبدأ السعي لضم بقية كليات الجامعة وهو ما أدى إلى انقسام في صفوف الجماعة الإسلامية.."[1].

ولذلك نجد الدكتور كمال السعيد يطالب الإخوان المسلمين بعدم رفض الآخر، وقبول التعددية داخل العمل الإسلامي.

"فإن الإخوان المسلمين بحاجة إلى القبول بالتعددية داخل العمل الإسلامي، بمعنى

---

(1) الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة (صفحة 16-17).

عدم استخدام الشرعية التاريخية للجماعة لنفي القوى السياسية الأخرى، أو الاجتهادات الأخرى.."[1].

وهو الحال نفسه حالما رأينا حزب الإصلاح – جماعة الإخوان المسلمين – يعقد تحالفات سياسية مع غيره من الأحزاب السياسية، ويقبل مبدأ التعددية الحزبية، وذلك حالما يتعامل كحزب سياسي، أما حالما يتعامل كجماعة إسلامية فهو لا يقبل التعددية، ويعتبرها تفرقاً لسبيل الدعوة الواحدة، ومن نزغ الشيطان لا من هدي الرحمن – كما جاء في كتاب (الإصلاح) – الصادر عن (الأمانة العامة للتجمع اليمني للإصلاح).

لقد تدفق إلى الشطر الشمالي من اليمن أعداد كبيرة من الشباب المتحمس القادمين من الشطر الجنوبي قبل الوحدة اليمنية في 1990م، وكانت جماعة الإخوان في هذه الفترة الزمنية تحتل مكانة مرموقة، وقبولاً كبيراً من السلطة الحاكمة في (صنعاء)، كما كان لجماعة الإخوان مواقف ميدانية عسكرية تصدت فيها بالتحالف مع الدولة ضد (الجبهة الوطنية) – كما كانت تسمي نفسها – أو (المخربين) – كما سمتهم الحكومة اليمنية – وكانت جماعة الإخوان في أوج نشاطها، كما أقام الإخوان مؤسسة تربوية وتعليمية توازي وزارة التربية والتعليم في سائر حقوقها ومستحقاتها، وهي ما عرفت بـــ: (المعاهد العلمية) .. وخصص الإخوان المسلمون من بين صفوفهم أعداداً من العناصر الإخوانية الجنوبية ليقوموا باستقبال هؤلاء الهاربين من جحيم النظام الشمولي المستبد في جنوب اليمن، ورغم أن أغلب الجنوبيين كانوا على مستوى من التدين والالتزام، لكن جماعة الإخوان لم تستطع استقطابهم وإدخالهم ضمن صفوفها – إلا قليلاً من هؤلاء – بل حصل العكس من ذلك نتيجة الشدة التي أظهرتها عناصر الإخوان المكلفين بالاستقطاب لهؤلاء، فبعد أن تم

---

(1) الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة (صفحة 24).

استقبالهم وإكرامهم وظن الإخوان أن تلك المعاملة كفيلة باستقطابهم واقتناعهم بالعضوية في الجماعة، لكنهم فوجئوا بأن هؤلاء الشباب يناقشونهم في قضايا ومسائل، هي عند جماعة الإخوان من المحظورات، كمسألة السمع والطاعة، والبيعة والإمارة وغيرها، كما كان لدى بعضهم ميول سلفية لا تصل إلى حد التشدد، مما جعل بعض العناصر الإخوانية المكلفة باستقطابهم يقلبون لهم ظهور المجن، فقد تم فصل عدد منهم من وظائفهم كمدرسين في المعاهد العلمية، وعدم تجديد عقود عمل بعضهم كنوع من العقاب لردة فعلهم الرافضة للانضمام للجماعة. واشتدت المواجهة خاصة مع الذين توجهوا إلى القرية التي يعيش فيها الشيخ مقبل بن هادي الوادعي بغرض طلب العلم، ولم يكن للشيخ مقبل في تلك الفترة تلك الشهرة التي عرف بها بعد ذلك، وعاد بعض هؤلاء إلى مناطقهم الجنوبية بعد أن انقطعت بهم سبل المعيشة بين إخوانهم؟! وبقي آخرون في المناطق الشمالية وظلوا رافضين الانضمام للإخوان رغم ما يواجهونه من ظروف المعيشة القاسية.

كما أن المعاملة الجافة التي عومل بها الشيخ مقبل الوادعي نفسه من جماعة الإخوان رغم أنه وافق في البداية على التعاون معهم[1] ولم تحصل المواجهات بينه وبين جماعة الإخوان إلا بعد أن أقنعته بعض الشخصيات القادمة من مصر من السلفيين[2] بضرورة مواجهة هذه الجماعة، وبيان أخطاءها العقائدية والتربوية والدعوية، فأخرج أول كتاب له: (المخرج من الفتنة) ليكون أول شرارة في المواجهة بين الإخوان والتيار السلفي في اليمن، ورغم أن الإخوان لم يهتموا كثيراً بالرد على الوادعي وإنما اكتفوا بلملمة نسخ ذلك الكتاب

(1) قال لي الشيخ مقبل إن الإخوان كلفوا شباباً لتعليمه مبادئ دعوتهم. وعندما جلس معهم قرروا له أن يحفظ (المـأثورات) للإمام حسن البنا، لكنه رفض الالتزام بذلك، وقال: أنا أحفظ ما صح عن النبي ﷺ من أحاديث في الدعاء وغيره، وأنـتم تلزموني بما كتبه حسن البنا وفيه الصحيح والضعيف والموضوع؟! (المؤلف).

(2) وقد ذكر الوادعي في ترجمته – سيرته الذاتية – أن الاخوة المصريين جاؤوا إلى قريته وهم أول القادمين.

من الأسواق، كما اكتفوا بما يقوم به بعض عناصرهم من التسفيه والسخرية من الكتاب ومؤلفه!!

وقد أصبح السلفيون اليوم يشكلون تياراً يقلق الإخوان كما يقلق غيرهم رغم ما حصل فيهم من انقسامات وتفرعات، ووصل الحال ببعضهم أن يجعل مواجهة الإخوان المسلمين ومحاربتهم شغله الشاغل الذي يتعبد الله تعالى به ويتقرب إليه بواسطته!! فلا يكاد يخلو كتاب من كتب السلفيين من أتباع الوادعي من ذكر جماعة الإخوان وضلالهم وبدعهم وغير ذلك، كما كتبت القصائد الطويلة في هجاء دعوة الإخوان وكشف أباطيلهم – كما يقولون –

فقال أحدهم[1] في الثناء على الدعوة السلفية وبيان منزلتها من الدعوات البدعية:

في الله لا نخشى العدا	شبه الضراغم في البطاح
شمع السخافات انطفا	والحق أشرق كالصباح
ليل الخرافات اختفى	وبدت لنا شمس الصحاح
منذ جاء مقبل درونا	بالعلم قد فاحت فواح
واجتاح كل معاقل	للشر نعم الاجتياح
تباً لهم من فرقة	للدين ما خفضوا الجناح

وقال آخر:

(1) هو أبو عاصم حسين بن علي العسل.

والمفلسون[1] لقد ضاقت صدورهم	بدا الخداع وتجميـــع المعـــاذير
قلوبهم في خراب الحقـــد عـــامرة	عند المحقين لا أهل الأســـاطير
أكل ما خلـــف الأعـــداء مزبلـــة	هبت إليه أفـــواج الـــصراصير

أما كتبهم فنكتفي ببعض العناوين:

1- إسكات الكلب العاوي يوسف بن عبد الله القرضاوي - تأليف الشيخ مقبل.
2- رفع اللثام عن مخالفة القرضاوي لشريعة الإسلام.
3- مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ.
4- العواصم فيما في كتب سيد قطب من القواصم.
5- قمع المعاند وزجر الحاقد الحاسد – للوادعي .
6- دعوة الإخوان المسلمين في ميزان الإسلام.
7- القطبية هي الفتنة فاعرفوها.
8- تنبيه الأفاضل على تلبيسات أهل الباطل. أبو همام الصومعي البيضاني.
9- الأدلة الشرعية لكشف التلبيسات الحزبية. حسن بن قاسم الريمي السلفي.
10- المحجة البيضاء في حماية السنة الغراء من زلات أهل الأخطاء وزيغ أهل الأهواء. لربيع المدخلي.
11- النصر العزيز على الرد الوجيز لربيع المدخلي.
12- المصارعة. لمقبل بن هادي وهو عبارة عما قاله من خطب ومحاضرات في أشرطة كاسيت ثم أصبحت كتاباً.

وإننا بعد ذلك نرى جماعة بن لادن ترفض ما تظنه بعض الجماعات الإسلامية من

---

(1) المفلسون هو الاسم الذي يطلقه الوادعي وجماعته على جماعة الإخوان المسلمين.

كونها جماعة المسلمين التي يحرم الخروج عنها (بدليل حديث من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات، مات ميتة جاهلية) رواه مسلم، حيث تضع هذه الجماعات الحديث في غير موضعه، فتصف من خرج عليها بأنه يموت ميتة جاهلية:

"يقولون لمن فارقهم بحق أو بباطل: أنت فارقت الجماعة والرسول ﷺ يقول: [من فارق الجماعة..] فهذا وضع للنصوص في غير موضعها، والجماعة في هذا الحديث هي جماعة المسلمين التي في طاعة السلطان الشرعي وليست أي جماعة"[1].

لكن الملفت للنظر أن جماعة القاعدة يأخذون أيضاً بمبدأ الشرعية التاريخية، الذي رفعه الإخوان المسلمون لإقناع غيرهم بأولوية الانخراط في صفوفهم، واستنكره بعض الدعاة والمفكرين الإسلاميين. حيث قالوا:

"والجماعات التي لا تنشغل بالجهاد لا بأس بتعددها إلا إذا أضرت ببعضها البعض، أما الجماعات التي تنشغل بالجهاد فيحرم تعددها لأن الجهاد لا يقوم إلا بالشوكة والقوة، والتعدد يذهب بالشوكة"[2]. لكن الشرعية التاريخية عند القاعدة ليست شرطاً مطلقاً بل مقيدة في حالة الجماعات الجهادية والانضمام إليها.

"فما العمل إذا كان التعدد واقعاً؟ الذي أراه – والله تعالى أعلم – أن تضم الجماعات الحديثة إلى الجماعة الأقدم، كذلك فإن الواجب على المسلم أن يعمل مع أقدم جماعة من المنشغلين بالجهاد، وبيعة أي جماعة أحدث هي باطلة، وإن جهلت بوجود الجماعة الأقدم"[3].

كما أن هذا الشرط إنما يجب إذا كانت تلك الجماعات الجهادية في البلد الواحد أما لو

---

(1) العمدة (صفحة 147).

(2) العمدة (صفحة 82).

(3) العمدة (صفحة 83).

تعددت البلدان فإن التعدد يصح، كما ذكرت سابقاً ونقلناه من منهج القاعدة.

وقد استند منهج القاعدة لتأييد رأيه في منع تعدد الجماعات الإسلامية المنشغلة بالجهاد على بعض الأحاديث النبوية التي جاء فيها منع تعدد الأئمة، كحديث: [...وإنه لا نبي بعدي وستكون خلفاء فتكثر، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فوا ببيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم] متفق عليه.

ومن حديث عرفجة مرفوعاً: [إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان] والحديث في مسلم: [من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه] وحديث في مسلم: [إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما] عن أبي سعيد الخدري.

ومن خلال تلك الأحاديث يتضح إن سبب منع تعدد الأئمة هو الحفاظ على وحدة المسلمين لذلك ذهبت جماعة القاعدة إلى تقرير منع تعدد الجماعات الجهادية. "من أجل هذا ذهبت إلى المنع من تعدد هذه الجماعات لما فيه من تشتيت لشمل المسلمين وإهدار لطاقاتهم وتحزيبهم وإثارة العداوة والبغضاء بينهم، وإذا أضفنا إلى هذا مخططات أعداء الإسلام اكتملت للمسلمين جميع مقومات الفشل، وهذا هو الواقع فعلاً"[1].

إذاً فالسبب هو الاشتراك في العلة، بمعنى أن سبب منع تعدد الأئمة هو للحفاظ على وحدة المسلمين، كما أفادت الأحاديث السابقة، وكذلك سبب منع تعدد الجماعات هو الحفاظ على وحدة المسلمين. "ومقصد الشارع من منع تعدد الخلفاء هو الحفاظ على وحدة الأمة، وهذا هو ما استندنا إليه في القول بمنع تعدد الجماعات ومن وجوب انضمام اللاحق إلى

---

(1) وقالوا إن الجهاد لايحتمل التعدد لأنه يؤدي إلى إضرار الجماعات الجهادية بعضها بعضاً، فقد تقوم طائفة بعمل عسكري فتضر الجماعة الأخرى التي لم تتهيأ لمواجهة الأعداء، فيحصل الضرر نتيجة تعارض الخطط وعدم التنسيق.

السابق، لما في التعدد من المفاسد التي لا تخفي على أحد"[1].

وهو بهذا يعتمد على ما يعرف عند الأصوليين بـــ مقاصد الشريعة، أي مقصد الشارع من هذا الحكم، وهو ما يجب مراعاته في استنباط الأحكام فيما لا نص فيه، لهذا يورد ما قاله الشاطبي في (الموافقات في أصول الشريعة):

"النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعاً، كانت الأفعال موافقة أم مخالفة، أي مأذوناً فيها أو منهياً عنها، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو الإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل"[2].

ولكن منهج القاعدة لم يكتف بتلك الفتوى أو ذلك الاجتهاد؛ بل قرره كأصل يعمل به، فلا يصح معه أي اعتبار آخر!! وهذه هي الطريقة السلفية التي عهدناها عند السلفيين جميعاً.. أي أنهم يقطعون بصحة اجتهادهم ثم يقررون عدم اعتبار ما سواه[3]..

فجاء: "وما ذكرته سابقاً في العمل عند تعدد الجماعات من وجوب انضمام اللاحق للسابق، والجديد للقديم أرى أن يكون أصلاً يُعمل به، ولا يصح اعتبار صفة أخرى كالكثرة أو زيادة العلم، فهذه صفات متغيرة، فالطائفة الكثيرة يمكن أن تقوم بعدها طائفة أكثر منها عدداً، والطائفة التي تضم بعض العلماء يمكن أن تكون هناك أخرى مثلها، أو تقوم بعدها، فهذه أوصاف متغيرة، وقاعدة الشريعة الإتيان بما ينحصر وينضبط، ومن هنا قلنا إن العبرة بالأقدمية، فهذا وصف ينحصر وينضبط، ويتفق مع فضيلة السبق والمبادرة.. على أن يكون الأقدم ذا أصول شرعية صحيحة، وأن يكون صادقاً في تنفيذها. وإذا اُختلف في الأقدمية يصار إلى التحكيم.. وهذا فيه سد لذريعة التحزب والتعدد الذي يُذهب بشوكة

---

(1) العمدة (صفحة 85).

(2) الموافقات 194/4.

(3) وإن كنت أرى إن سلفية القاعدة أكثر انضباطاً وأقوى منهجاً إذا ما قورنت بالجماعات السلفية الأخرى.

المسلمين، ومحال أن تخلوا الشريعة من حكم لمثل هذه الملمة.."[1].

وجدير بالذكر أن مبدأ التحكيم الذي جعلته القاعدة وسيلة لحل النزاع عند الاختلاف في الأقدمية ، تعتبره واجباً كما تعتبر الحكم الناشئ عنه مُلزماً للطرفين المتنازعين .

فإذا راجعنا هذه المسألة (مسألة التعدد) ورؤية القاعدة لها فنلخصها بما يلي:

1- الجماعات العاملة للإسلام نوعان: جماعات جهادية وجماعات غير جهادية.

2- لا يجوز تعدد الجماعات الجهادية – المنشغلة بالجهاد –مطلقاً، لأن ذلك يضر بوحدة المسلمين ويؤدي إلى ذهاب الشوكة والضعف، والجهاد لن يقوم إلا بالشوكة والقوة وإعداد العدة.

3- يجوز تعدد الجماعات غير الجهادية إذا لم يكن في تعددها ضرر أو إضرار بعضها ببعض ، بشرط التزامها بالمنهج الحق ، وهو الجهاد في سبيل الله.[2]

4- يجب على الجماعات المنشغلة بالجهاد أن ينضم الحديث منهم إلى الأقدم، فأقدم جماعة في البلد الواحد هي الجماعة الشرعية الصحيحة التي لايصح قيام غيرها ولا تصح بيعة غيرها.

5- الأقدمية الزمنية هي الصفة المعتبرة التي إذا توافرت في جماعة من الجماعات الجهادية وجب على غيرها من الجماعات الانضمام إليها، وإذا حصل خلاف في تحقق الأقدمية فإنه يتم التحكيم بين المتنازعين لرفع الخلاف.

6- لابد أن تكون الجماعة الجهادية التي يضم إليها ما سواها من الجماعات الجهادية، أن تكون قائمة على أصول شرعية صحيحة، أي أن تلتزم منهج أهل السنة والجماعة:

---

(1) العمدة (صفحة 85).

(2) تأمل! رغم الإقرار بالتعددية لكنهم اشترطوا الالتزام بالجهاد – المنهج الحق – وبهذا لاتبقى الشرعية إلا للجماعات الجهادية، وليس كل الجماعات الجهادية وإنما الجماعة الجهادية الأقدم تأسيساً دون غيرها.

"فالاعتصام بالكتاب والسنة من أهم معالم الإعداد الإيماني للجهاد، فهو الذي يوجه سير الحركة الجهادية إلى غايتها الشرعية، ويعصمها من الزلل والانحراف الذي آلت إليه كثير من الحركات ذات الراية الإسلامية.. والتهاون فيه – أي الاعتصام بالكتاب والسنة – يعصف بالحركة الجهادية ككل ويحولها إلى مسخ مشوه، ويضيع تضحيات المجاهدين، ويسمح لغيرهم بقطف ثمرة الجهاد.."[1].

7- هذه المسألة وهذا الحكم فيها إذا ما تعددت الجماعات في البلد الواحد خاصة، "أما لو تعددت البلدان فقد يكون هناك متسع لتعدد الجماعات العاملة بقدر هذه البلدان" "فإن تعددت الجماعات بتعدد البلدان ثم غلبت إحداها على بلد وصار منها إمام المسلمين، فيجب على كافة الجماعات الأخرى الدخول في طاعته والهجرة إليه لنصرته وشد أزره".

"قلت: فلا يصح تعدد الجماعات ببلد واحد، ويحتمل التعدد بتعدد البلدان، وإن كان الاتحاد أولى، فإن حالت الأحوال دونه فليس أقل من أن تتعاون الجماعات في البلدان المتعددة في مجالات الخبرة وإعداد العدة"[2].

8- إن الجماعة المجاهدة إذا تحقق لديها عدم قدرتها وعجزها عن القيام بواجبات الجهاد في البلد التي هي فيه فعليها الهجرة إلى بلد فيه طائفة مجاهدة "يغلب على الظن نجاح التغيير الإسلامي فيه، إلا أن يأمر أمير هذه الطائفة القوية الطائفة العاجزة بالبقاء في بلدها لغرض شرعي صحيح من دعوة ونحوها".

وجدير بالذكر أن هجرة الجماعات الجهادية المتعددة من مصر وغيرها كان تطبيقاً لهذه الفتوى، حيث صارت جميعاً إلى الطائفة المجاهدة القوية التي يترجح ويغلب الظن

---

(1) العمدة (صفحة 214).

(2) العمدة (صفحة 86).

نجاح التغيير الإسلامي في البلد التي هي فيه وهو (أفغانستان)؟!

ونص هذه الفتوى جاء في العمدة: "وإذا غلبت جماعة على بلد من البلدان ونصبت إماماً للمسلمين وجب على الكل الهجرة إليه ونصرته وطاعته.."[1].

ولعل أحدنا سيظن أن هذه الفتوى من القاعدة جاءت لصالح جماعة الإخوان المسلمين والتي تعد الأقدم، وإن كانت ليست من الجماعات المنشغلة بالجهاد بالمعنى الذي تقصده القاعدة، لكن منهج القاعدة سيفاجئنا في آخر هذا الفصل الذي يبحث حول تعدد الجماعات بإشارة مباشرة إلى جماعة الإخوان خاصة ،وغيرها من الجماعات الإسلامية الحركية التي دخلت معترك المنافسة السياسية لترسيخ الوجود الإسلامي عن طريق المشاركة في المجالس النيابة وخوض الانتخابات تحت مظلة الديمقراطية.. إذ قال: "وغني عن الذكر أن القديم الذي يضم إليه شرطه أن يكون على الحق، متمسكاً بالشريعة، عاملاً بها. مجاهداً من أجل ظهورها على الدين كله، ولا يدخل في هذه الجماعات المتلاعبة بشرع الله كالتي تسعى إلى حكم الإسلام عن طريق الديمقراطية الشركية، والبرلمانات العلمانية، وأشباه ذلك مما سقط فيه الكثيرون باسم الدعوة إلى الإسلام، فضلُّوا وأضلُّوا كثيراً من الناس، واتبعوا خطوات الشيطان وهو: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ **[النساء:120].**

فأهدروا طاقات آلاف الشباب بجعلهم مستكينين مسالمين للحكام الطواغيت، خلافاً لما يقتضيه الشرع من وجوب قتالهم، فأي ضلال بعد هذا؟"[1].

ولا شك أن هذه الفتوى لا يدخل فيها من ذكرناه سابقاً فحسب؛ بل يدخل فيها السلفيون أيضاً، فهم وإن كانوا قد توافقت رؤيتهم وتطابقت أحكامهم مع رؤية القاعدة السلفية من

---

(1) العمدة (صفحة 86). وبهذا نستطيع أن نفهم لماذا لم تنضم جماعة بن لادن إلى طالبان، رغم أن طالبان قد غلبت غيرها، ونصبت الملا عمر إماماً للمسلمين، لكن شرط الأقدمية الزمنية قد توافر عند جماعة بن لادن، فوجب أن تنضم طالبان إلى القاعدة وليس العكس، وهذا ما حصل بالفعل كما سنرى.

حيث كفر الديمقراطية والانتخابات والبرلمانات وتحريم التعامل بها، لكنهم يدخلون تحت حكم الضلال والإضلال كونهم – أيضاً – يهدرون طاقات آلاف الشباب بجعلهم مستكينين مسالمين للحكام الطواغيت خلافاً لما يقتضيه الشرع!! بل السلفيون يدخلون ضمن هذه الفتوى أكثر من غيرهم؛ إذ جماعة الإخوان المسلمين تنظر إلى الانتخابات والبرلمانات كوسائل تتوصل بها إلى تحقيق الغايات، وهي إقامة الشريعة وعودة دولة الخلافة الإسلامية لكنها لم تستكن للحكام ولم تسالمهم هكذا على الإطلاق، بل سالمتهم أحياناً ونابذتهم أحياناً أخرى، كما أن لدى جماعة الإخوان من العلماء والمفكرين والمجتهدين من رأوا جواز تلك الوسائل لتحقيق الغايات المنشودة. أما السلفيون فرغم حكمهم بالإجماع على كفر وشرك وتحريم البرلمانات والديمقراطية والانتخابات، لكنهم مع ذلك حكموا وأوجبوا طاعة الحكام الطواغيت – على حسب تعبير القاعدة – وقالوا بتحريم الخروج عليهم، بل وسَخِروا من الخارجين على الحكام وسموهم (جماعة الفساد)، واعتبروا ما تفعله الجماعات الجهادية تصرفات همجية وأعمال تخريبية، تشوه جمال الإسلام ومحاسنه، بل قال السلفيون – ليس جميعهم – إن هذه الجماعات – سواء الجهادية أم غيرها – هي السبب والذريعة التي تذرّع بها أعداء الإسلام ليطعنوا فيه، فهي جماعات وفرق بدعية ضالة مضلة[1].

إن الحديث عن الجماعات الإسلامية وتعددها وغير ذلك من متعلقات هذا الموضوع بدأ بلفظ (الجماعة) واختتم بـــ (الجهاد) لأن طريق الجهاد يبدأ بتكوين جماعة مسلمة تربطها الموالاة الإيمانية، ولابد للجماعة من (أمير) كما لابد من (السمع والطاعة) لهذا الأمير الذي

---

(1) راجع: إرشاد البرية – صفحة 188. وتأمل الموقف السلفي الغريب، حين يصفون الحكام بالظلم والفسق ويصفون المخالفين لهم: (لأنهم من دعاة الانتخابات الطاغوتية، والدعوة إلى الانتخابات دعوة إلى فصل الدين عن الدولة.. فالنظام الانتخابي يحمل في طياته بل من أُسسه أن مصدر السلطة سواء أكانت شرعية أم قضائية أم تنفيذية هو الشعب، ولا دخل للكتاب والسنة فيها) صفحة 157- 158، ويحكمون بذلك على الجماعات المشاركة في الانتخابات بالضلال، أما الحكام الذين اكتسبوا شرعيتهم من خلال الانتخابات والبرلمانات فإنهم يعتبرونهم قد ارتكبوا بعض المخالفات الشرعية والتي لا توجب الخروج عليهم؟!

أعطيت له (البيعة الشرعية) من الأعضاء، إذ السمع والطاعة من أعظم أسباب وحدة الجماعة وتماسكها وقوتها. أما الهجرة فهي غالباً ما تكون مقدمة وقرينة للجهاد في سبيل الله، لأن بها يكون الاستعداد والتجهيز (للجهاد) الذي هو من أهم وأوجب التكاليف الشرعية التي ينبغي على كل مسلم القيام بها في هذا الزمان.. تلك هي الخلاصة التي سعى منهج القاعدة لتأكيدها وغرسها في نفوس أتباعه خاصة، والراغبين في السير على خطاه عامة.

"ومن المؤسف أن ترى في كل بلد الآن جماعات متعددة تعمل باسم الإسلام، متفرقين مختلفين، وهذه من خصال الجاهلية.. ويجب أن يجتمع الناس على أقدم جماعة من الجماعات المتبعة للمنهج الحق، والمنهج الحق في هذا الزمان هو الجهاد في سبيل الله..

وإذا كان دأب الطواغيت هو العمل على إحداث الانقسامات والانشقاقات داخل الجماعة الواحدة، خاصة إذا اشتد عودها وخُشي بأسها، لتنشغل الجماعة بالصراعات الداخلية، فكيف إذا كان الانقسام موجوداً من الأصل؟

ولذلك فنحن نرى وجوب الاجتماع على الجماعة الأقدم ذات المنهج الصواب، ونرى أن من يعاون الجماعات الأحدث هو آثم، لما في هذا من معاونة على الانقسام والتفرق، والإضرار بالعمل الإسلامي ككل. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾، وقال ﷺ [لا ضرر ولا ضرار]، وهذا في حق من علم بالأقدم والأحدث[1].

كما أننا نرى أن شغل المسلمين بأي أمر سوى الجهاد في سبيل الله – في هذا الزمان – كما تفعله كثير من الجماعات الإسلامية، هو خيانة لله ولرسوله ﷺ ، وخيانة لهذا الدين

---

(1) ليس في هذا تناقض مع ما سبق وهو قوله: (.. وبيعة أي جماعة أحدث هي باطلة، وإن جهلت بوجود الجماعة الأقدم) لأنه بهذا النص يقرر بطلان البيعة حتى لو جهل العضو بوجود الجماعة الأقدم لأن عدم علمه ليس سبباً يمكن أن يجعل البيعة صحيحة، أما في النص أعلاه فهو يتحدث عن الأثم الذي يلحق المبايع إذا علم بوجود الجماعة الأقدم ثم بايع غيرها.

وتضييع له.."[1].

وبهذا ترى – أيضاً – تنظيم القاعدة، وبالرغم من موافقته على قيام الجماعات الإسلامية غير المشتغلة بالجهاد وجواز تعددها في البلد الواحد – عكس حكمه على الجماعات الجهادية – لكنه أيضاً يقرر أحكاماً خطيرة على تلك الجماعات المنشغلة بالتربية والإعداد الإيماني وغير ذلك من القضايا التي لا تدخل مباشرة في دائرة الجهاد القتالي. فتنظيم القاعدة يحكم على هذه الجماعات بأنها خائنة لله ولرسوله ﷺ وللدين، لكونها شغلت المسلمين بأمر سوى الجهاد، ثم لكونها ليست على المنهج الحق (والمنهج الحق في هذا الزمان هو الجهاد في سبيل الله تعالى) كما ذكر سابقاً..

وبذلك فإن كل الجماعات الإسلامية المتعددة المناهج ليست جماعات شرعية، ولا يجوز الانضمام إليها لأنها على باطل.. ولا يمكن أن تستثنى سوى الجماعات الجهادية العاملة في الساحة والميدان بالصور التي حددتها القاعدة وهي: ممارسة الجهاد القتالي أو الإعداد والتدريب عند العجز، أو الهجرة إلى حيث يمكنها أداء واجب الجهاد، ما لم يأمرها أمير الطائفة المجاهدة التي ستهاجر إليها بالبقاء في بلدها وعدم الهجرة لمصلحة شرعية.

كما يلحق هذه الجماعات الجهادية الإثم وبطلان البيعة، لأنها تعددت في البلد الواحد، وبذلك لا تبقى الشرعية سوى للجماعة الجهادية الأقدم[2]؟!

والملاحظ أن جماعة الجهاد المسماة بـــ (القاعدة) رغم سلفيتها عقيدة ومنهجاً، لكنها استطاعت أن تقول رأيها في مسألة تعدد الجماعات وموقفها من ذلك، ولم تتورط – كما

---

(1) العمدة (صفحة 303).

(2) ولهذا فإن إقرار القاعدة للتعدد إنما هو من قبيل التعامل مع الواقع، وكخطوة تكتيكية لصهر هـــذه الجماعـــات الجهاديـــة خاصة، وغير الجهادية في بوتقة واحدة، فقالوا: (وإذا تعددت الطوائف بتعدد البلدان ننظر إلى التي تواجه الخطر الأشـــد ويغلب الظن أنها ستنتصر، فينضم المسلم إليها وينصرها).

هو حال غيرها من الجماعات – بالدخول في عداء سافر مع غيرها، سواء من خلال عدم مهاجمة قيادات تلك الجماعات والحكم المباشر بتضليلهم ومروقهم عن الدين، أو من خلال الذكر المباشر لتلك الجماعات، كما يلاحظ أن ردودها على الجماعات السلفية كان أكثر تفصيلاً ونال القسط الأكبر، وذكرت القيادات السلفية بالاسم "مما يؤسَفُ له سكوت هؤلاء المنتسبين إلى العلم عن الطواغيت الأحياء، مما صار حجة للسكوت عند فئات من الشباب، وحجة للقعود عن الجهاد المتعين، وصار الجهاد عند هؤلاء مقصوراً على جهاد القبوريين والصوفية. وهل يحيا القبوريون والمتصوفة إلا في كنف الطواغيت الأحياء"[1]؟.

وقد نقلت سابقاً حديثهم عن المنشغلين بالطواغيت الميتة: "فالعجب من أناس ينتسبون إلى العلم والدين ومذهب السلف، فرغوا أقلامهم في هذا الزمان لمهاجمة الطواغيت الميتة ونسوا أو تناسوا الطواغيت الحية.."[2].

وكذلك جاء الرد على السلفيين في خاتمة مسألة (شبهة خطيرة للألباني) التي مرت سابقاً، حيث ذكر أن مما يزيد من خطورة الشبهات التي قال بها الألباني أنها أصبحت مدرسة قائمة بذاتها ولها أتباع يرددونها، وصارت حجة لكل قاعد عن الجهاد ولكل راكن إلى الدنيا.

وقد جاءت الإشارة إلى جماعة الإخوان المسلمين – وإن لم تذكر بالاسم – كما جاء أثناء الرد على شبهة متعلقة (بالإمارة) وذلك حين النقاش حول ما جاء في كتاب (البيعة بين السنة والبدعة عند الجماعات الإسلامية) لمؤلفه: الأستاذ السلفي علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، حيث قال: "وقد كتب هذا الكتاب لنقد إحدى الجماعات الإسلامية، مبيناً أن مسألة البيعة لديهم من البدع، والأستاذ المؤلف قد جانب الصواب ولم يحالفه التوفيق في

---

(1) العمدة (صفحة 301).

(2) العمدة (صفحة 300).

معظم الكتاب.. وكان الأولى بالأستاذ المؤلف أن يختار وجهاً آخر أو وجوهاً آخرى لفساد هذه الجماعة لنقدها، وما أكثرها"[1].

كما أن منهج القاعدة يشير إلى جماعة الإخوان – وغيرها – التي جعلت من التربية وسيلتها المثلى[2]، كقوله:

"وأي تربية هذه التي لا تبدأ بالكفر بالطاغوت؟! وأي تربية هذه التي لا تبدأ بالبراءة من الكافرين؟! وأي تربية هذه التي لا تثمر أمراً بمعروف ونهياً عن منكر؟!"[3].

أما جماعة (المسلمون) أو (التكفير والهجرة) فقد اكتفى بالإشارة إلى انحرافها باستحلال دماء المسلمين وأموالهم، ووصفت هذه الجماعة بأنها على عقيدة الخوارج.

ولذلك فإن منهج القاعدة حين يرد على الشبهات التي ذكرها بعض العلماء السلفيين كالشيخ مقبل الوادعي، والأستاذ علي بن حسن، فإنه لا يدافع عن جماعة الإخوان الذين وردت الشبهات وقيلت عنهم، بل يدافع عن معتقدات ومنطلقات سلفية هي من صميم ما تتمسك به القاعدة. كما أن عدم الرد عليها ودحضها سيكون عائقاً أمام كسب المؤيدين والأتباع لهذا التنظيم.

---

(1) العمدة (صفحة 65)، والمعروف أن الجماعة المقصودة هي (جماعة الإخوان المسلمين).

(2) وسأفرد موضوع التربية وطلب العلم وتزكية النفس عند القاعدة بعنوان مستقل.

(3) العمدة (صفحة 299).

الرد على الشبهات

كانت الردود على الشبهات التي أثارها الأستاذ علي بن حسن بن عبدالحميد في كتابه: (البيعة بين السنة والبدعة) أكثر تفصيلاً ودقة من الردود التي جاءت عند الرد على ما ذكره الشيخ مقبل الوادعي – كما سنرى – ذلك لأن الشيخ مقبل بن هادي الوادعي – رحمه الله – عالم متمكن في علم الحديث النبوي وما يتعلق به من علوم، كمصطلح الحديث، وعلم الجرح والتعديل.. الخ. كما له باع في اللغة العربية. لكنه حين يكتب عن القضايا المعاصرة والجماعات الإسلامية وغير الإسلامية، أو حين يخرج عن تخصصه الذي هو بارع فيه، تجده يكتب بأسلوب ركيك أقرب إلى العشوائية. وإنك حين تقرأ له كتابه (الإلزامات والتتبع) وهو دراسة وتحقيق لكتاب الإمام الدار قطني، أو كتاب (الشفاعة) الذي حقق فيه الأحاديث الواردة في مسألة الشفاعة مبيناً صحيحها من سقيمها، أو غيرهما من الكتب والمؤلفات التي تتناول ما هو متخصص وبارع فيه، ويستحق أن يطلق عليه ما أطلقه بعض كبار العلماء على بعضهم مثل المحدث والمحقق..[1]. أما إذا قرأت كتاباً له مثل: (السيوف الباترة في الرد على الشيوعية الكافرة) أو (الفواكه الجنية في الخطب والمحاضرات السنية) فإنك لن تصدق أن الذي تقرأ له هو نفسه العالم المحدث الخبير بدقائق علم الحديث وفنونه؟! ولهذا لكتفى منهج القاعدة بذكر أقوال الوادعي والإشارة إلى تناقضه وما وقع فيها من تضارب ظاهر.

أول شبهة ردوا عليها هي (شبهة الإمارة) وخلاصتها أن الأستاذ علي بن حسن ينكر مبدأ الإمارة الذي تأخذ به جماعة الإخوان المسلمين، لأنه لم يرد فيها نص، وأما القياس

---

(1) يبالغ تلاميذه في الثناء عليه ومنحوه ألقاباً كثيرة، وقال شاعرهم:

لو زرتموا دار الحديث لقلتموا ... هذا ابن عباس أو هذا عمر

أو ذا الشافعي ومالك ... أو ذا ابن حنبل قد تشابهت الفكر

على الإمارة في السفر كما جاء في حديث [إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم] فهو بعيد لانتفاء العلة، كما إن إمارة السفر تنتهي بانتهائه، بخلاف الإمارات الاستثنائية ذات (كمال الطاعة)، كما أن إمارة السفر فيها مصلحة كلها، أما هذه الإمارة عند الجماعة فهي تفرق وتفسد..

ولقد استغرقت الردود عدة صفحات، ولكتفى بذكر مختصرات توضح المراد، وتزيدنا فهماً عن منهجية هذه الجماعة السلفية الجهادية، من خلال ردودها على من خالفها.

الرد على الأستاذ/ علي بن حسن:

قوله: "إن إمارة السفر تنتهي بانتهائه.. الخ." حجة على الأستاذ إذ أن الجماعة الدائمة أولى بالإمارة لضبط أحوالها من الجماعة المؤقتة العارضة كجماعة السفر.

و "إن إمارة السفر مصلحة كلها بخلاف غيرها"، كلام لم يثبته بدليل شرعي، وهو ما يجب الرد إليه عند التنازع، وبالتالي فهو قول مردود عليه، وتعميم لا أساس له من الشرع.

وقوله: "إن الإمارات الأخرى تفرق وتفسد.." نريد دليلاً شرعياً، لا من الواقع.

وقوله: "إمارة السفر محددة بأمور، فهي للترتيب لا للسمع والطاعة بكمالهما.." وهذا مثل الذي قبله كلام لم يثبته بدليل شرعي، ومعلوم أن السمع والطاعة من مقتضيات أي إمارة صغرت أم كبرت، واللغة تدل على ذلك: (فالأمير هو ذو الأمر، وقد أمر يأمر بالضم: مختار الصحاح للرازي) أما أن يحصرها المؤلف في الترتيب فقط فهذا تقييد منه بلا دليل شرعي، ثم أنه لم يوضح ماذا يقصد بالترتيب؟ فإن كان يقصد – كما يتبادر إلى الذهن – أن عمل أمير السفر هو أن يحدد لمن معه ماذا يفعلون في اليوم الأول مرتباً، ثم اليوم الثاني وهكذا، فنقول للأستاذ المؤلف إن أتباع الأمير إن نفذوا ما رتبه لهم فهم بذلك قد سمعوا وأطاعوا، فآل الأمر إلى أن مقتضى الإمارة هو السمع والطاعة". [العمدة صفحة: 65- 66].

وقوله: "إن إمارة السفر فيها نص صريح بخلاف.." والرد عليه من عدة أوجه أجملها ثم أشرحها:

- **الأول:** إن إمارة الجماعات لا ترتكن على حديث إمارة السفر فقط، بل هناك أدلة أخر.
- **الثاني:** إن قياس إمارة الجماعات على إمارة السفر هو قياس صحيح للعلة المشتركة.
- **الثالث:** إن هذا القياس قد ذكره أكثر من مجتهد.

أما الأول: وهو أن هناك أدلة أخرى على شرعية إمارة الجماعات:

سبب نشأة هذه الجماعات هو غياب الحكم الإسلامي وعدم وجود إمام للمسلمين، فلو اجتمعت طائفة من المسلمين في مثل هذه الحال على القيام بواجبات الدين، وهذا واجب بحد ذاته، لوجب على هذه الطائفة تأمير أحدهم.. لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ.. ﴾، وقوله: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ.. ﴾، فلابد للناس من ولاة..

وكما قال الأمام ابن تيمية: "وكل من كان متبوعاً فإنه من أولي الأمر.." [مجموع الفتاوى 170/28] فإذا كانت جماعة من الجماعات قائمة لأجل الجهاد في سبيل الله، فلا حاجة لنا في اللجوء إلى القياس على إمارة السفر طالما لدينا نص خاص في المسألة، إذ القياس اجتهاد، ولا اجتهاد مع النص[1].

ثم يذكر أقوال العلماء كابن حجر العسقلاني وابن قدامة المقدسي. ويقول: "ومقتضى قول القائل إن الجهاد بأفغانستان أو بمثلها لا يجوز وباطل لأن الجماعات والأحزاب المقاتلة غير شرعية لعدم صحة الإمارة عليها، وهذا يقتضي أن من أقدم على هذا الجهاد تحت هذه الإمارات هو آثم، وإن المسلمين عليهم أن يقفوا مكتوفي الأيدي وهم يرون ديارهم ونساءهم

---

(1) العمدة (صفحة 66- 67).

وأموالهم تغتصب حتى ينزل عليهم إمام من السماء. فهل يقول بهذا مسلم؟! أم هل يقول بهذا من فيه مسكة من عقل"؟[1].

كما يستدل بحديث جابر بن عبد الله [لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم، فيقول أميرهم تعال صلِّ ..] رواه مسلم في كتاب الإيمان 193/2، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ﴾ [البقرة :246]، ويعتبر الحديث نصاً صريحاً على استمرارية الطائفة المقاتلة وعلى صحة وشرعية الإمارة أما الآية: "وهذه الآية – عندي – من أوضح الأدلة على وجوب الإمارة من أجل الجهاد.."[2]. ثم يبحث في صحة قياس حديث السفر والإمارة فيه لإثبات صحة الإمارة وشرعية ما يترتب عليها من السمع والطاعة وغير ذلك.

فيقول: "فنقول القياس هو إثبات حكم مثل حكم الأصل في الفرع بعلة متحدة.. والأصل هو الواقعة التي ورد حكمها بالنص الشرعي، والفرع الذي لم يرد بحكمه نص شرعي، والعلة هي الوصف الظاهر المنضبط المناسب المتعدي الذي بني عليه حكم الأصل وبتحقق هذا الوصف بالفرع يثبت له مثل حكم الأصل.

وفي موضوعنا: المنصوص على حكمه هو اجتماع ثلاثة على سفر، والحكم هو وجوب الإمارة (وجوب تأمير أحدهم عليهم) والفرع هو إمارة الجماعات، فهل علة حكم الأصل متحققة في الفرع حتى يثبت له نفس الحكم أم لا؟... والحق أن العلة ثابتة بالنص في نفس الحديث ولكنها مفتقرة إلى تنقيح المناط لتعدد الأوصاف المترتب عليها الحكم في الحديث. فيجب تحديد أي هذه الأوصاف هو المؤثر في الحكم؟

---

(1) العمدة (صفحة 68).

(2) العمدة (صفحة 96).

والأوصاف التي انبنى عليها الحكم في حديث إمارة السفر، وهي وصفان: السفر واجتماع ثلاثة من الناس على أمر جامع بينهم"[1].

ثم يبحث في إثبات أن إمارة السفر لا تجب لما دون الثلاثة لإثبات أن الوصف المؤثر في الحكم هو (العدد ثلاثة) وليس السفر، ويستشهد ببعض الأحاديث التي وردت في البخاري (كتاب الجهاد) (باب سفر الاثنين) الذي رواه مالك بن الحويرث، وكذلك حديث أبي ذر في صحيح مسلم: [... لا تأمرن على اثنين..] فيخلص إلى أنه لا تجب الإمارة إلا على الثلاثة فصاعداً.

نتوصل مما سبق إلى حقيقتين:

إحداهما: إن إمارة السفر لا تجب لما دون الثلاثة، فلا تجب في سفر الاثنين، فالإمارة إذن متعلقة بالعدد وليس بالسفر.

الثانية: إن أقل عدد تجب فيه الإمارة هو ثلاثة، لحديث أبي ذر [لا تأمرن على اثنين] ولحديث أسامة بن زيد [وما أنا بالذي أقول لرجل بعد أن يكون أميراً على رجلين..] وهذا العدد هو نفسه المذكورة في حديث إمارة السفر. فهذه الإمارة متعلقة بالعدد لا بالسفر، وهذا هو تنقيح المناط.

فإذا توصلنا إلى أن العلة هي العدد.. فهذه العلة متحققة ولا شك في سائر الجماعات فتقاس بذلك إمارة الجماعات على إمارة السفر.

فإذا قيل: فما الحكمة من ذكر السفر في الحديث؟ فنقول: إن المسافرين ينقطعون بالسفر عن نظر الإمام أو والي البلدة الذي يلي أمر المقيمين، فيجب على المسافرين أن

---

(1) العمدة (صفحة 69 -70).

يؤمروا منهم من يلي أمرهم، وهذا يمكن أن يكون علة ثانية للحكم لولا أنه لم يستقل بالتعليل لوجود وصف الانقطاع.."[1].

ثم يرد على كون هذا القياس لم يقل به أي مجتهد، مستدلاً بما قاله الإمام الشوكاني في حديث الإمارة في السفر [نيل الأوطار: 157/9]. وكذلك ما قاله ابن تيمية على وجوب الإمارة في سائر أنواع الاجتماع: [مجموع الفتاوى 62/28- 65]. وكذلك ما قاله ابن تيمية في: (السياسة الشرعية). ويختم: "وهذان مجتهدان (ابن تيمية والشوكاني) لا خلاف بين المسلمين على إمامتهما ومنزلتهما في العلم قد نصَّا على أن علة الإمارة هو الاجتماع وقاسا إمارة سائر أنواع الاجتماع على إمارة السفر"[2].

ثم يستأنف مناقشته وردوده تحت عنوان: (الرد على شبهة متعلقة بالعهود) وذلك بعد أن بحث بحثاً مطولاً حول العهود ومشروعيتها وفوائدها والغرض منها، وهل يجوز أن يؤقت العهد بأجل أم لا؟ وهل يجب كتابه العهود أو الإشهاد عليها؟ ومسائل في تغليظ العهود والمواثيق، وهل يجوز تسمية هذا العهد بيعة؟ وما الفروق بين هذه البيعات وبيعة الإمام؟ وغير ذلك من المباحث الهامة والتي يستكمل بها الرد على تلك الشبهة.

".. وهنا أرد –بعون الله تعالى – على إنكاره للبيعة التي تأخذها هذه الجماعات من أتباعها، حيث أنكر هذه البيعات وعدها من البدع، وأراد بذلك نقد جماعة معينة[3] استخدمت البيعة والسمع والطاعة في تسخير أتباعها وعصمة أمرائها. ولكني أقول: إن البيعة حق،

---

(1) العمدة (صفحة 71).

(2) العمدة (صفحة 73)، فتأمل لتعلم الفارق بين الردود على المخالفين عند السلفية الجهادية وبين السلفيين غير الجهاديين.

(3) هي جماعة الإخوان المسلمين كما ذكرنا لك سابقاً. وتأمل العبارة حيث يلمز جماعة الإخوان، ويوافق صاحب كتاب (البيعة بين السنة والبدعة) على إثبات سوء استخدام جماعة الإخوان المسلمين للبيعة لتوجب على الأعضاء الطاعة العمياء وهذا المأخذ من القضايا التي يتفق حولها السلفيون.

والسمع والطاعة حق، وسوء استخدام الحق يجب ألا يجعلنا ننكره، بل الواجب إنكار إساءة استخدامه[1]".

"قالوا: إن الجهاد في سبيل الله، وطاعة ولاة الأمور، وحفظ الأسرار، وأداء الأمانات وأشباهها، هي أمور واجبة في الشرع ولاتحتاج إلى قيام المسلم بإعطاء العهد على الالتزام بها. لكن إذا تعهد المسلم بالتزامها، فتصير واجبة من وجهين: بوجوب الشرع ابتداء، وبالعهد والقسم على التزامها.

ولهذا: فقيام هذه المعسكرات والجماعات لنصرة الحق وللعمل لتكون كلمة الله هي العليا واجب من وجهين:

الأول: لوجوب هذا بالشرع ابتداء..

الوجه الثاني: لوجوب قيام هذه الجماعات بهذا، هو تعاهدهم وتعاقدهم على هذه الطاعات.."[2].

"وبناء على ما سبق يمكن أن يشتمل العهد بين الأمير والأعضاء على أمور واجبة بالشرع ابتداء لتوكيدها، كالجهاد، وطاعة الأمير، وحفظ الأسرار..الخ. وأمور لم تجب بالشرع ابتداء ليلتزمها الأعضاء بالعهد، مثل أن يشترط الأمير عليهم عملاً معيناً، أو عدم مغادرة المعسكر إلا في مدد معلومة، أو تحديد مواعيد للنوم واليقظة، والطعام والتدريبات، ونحو ذلك من الشروط مالم تكن معصية. وهذه الشروط التي تشترط في العهد تشكل أساس اللائحة الداخلية للمعسكر ونظامه"[3].

إن مسألة البيعة وما يترتب عليها من السمع والطاعة والانقياد للأمير، والالتزام

---

(1) العمدة (صفحة 150).

(2) العمدة (صفحة 131).

(3) المصدر السابق .

بالتكاليف إذا لم تثبت شرعيتها وصحتها، ووجوب الالتزام بها، لزلزلت كيان تنظيم القاعدة ولقوضت أركانه، أو على الأقل لأوجدت الخلل الكافي لإنهاء هذا التنظيم، فالوفاء بالبيعة والالتزام بمقتضياتها إذا لم ينظر إليها الأعضاء والمنتمون بأنها طاعة لله ولرسوله ﷺ ووفاء بما أوجبه الشرع عليهم فإن ذلك سيفقد التنظيم الروح المعنوية الباعثة على الاستبسال في المعارك والثبات عند الملمات..

ولهذا لا نعجب إذا أخذت الردود على هذه الشبهة كل تلك الصفحات!! ولا شك أن تنظيم القاعدة يدرك تماماً خطورة إهمال هذه المسألة، وتركها دون التوصل إلى أحكام قطعية غير قابلة للشك أو التردد مهما كان بسيطاً.

ولكننا مع ذلك نجد جماعة بن لادن تعاملت مع قضية البيعة والسمع والطاعة من خلال القياس، فقد جعلت شرعية السمع والطاعة لأمير الجماعة قياساً على السمع والطاعة الواجبة على الأمة للخليفة وإمام المسلمين، فقالوا: "وقد أمر رسول الله ﷺ بطاعة الأمير وإن كان عبداً حبشياً رأسه زبيبة، أو مجدع الأطراف، السمع والطاعة لولاة الأمور عبادة، إذ طاعتهم من طاعة الله عز وجل... إن أي أمر من الأمور لا يقوم إلا برأس واحد، سواء في هذا الإمامة الكبرى أو ما دونها من الأعمال"[1].

وكذلك: "إن طاعة الأمير من طاعة الرسول ﷺ وطاعة الرسول من طاعة الله عز وجل، كما في حديث أبي هريرة المتفق عليه، وكذلك معصية الأمير. وهذا ينطبق على كل أمير تولى بأمر الشارع وشريعته، حتى أمير الثلاثة في السفر.."[2].

والمفارقة في هذا أنهم يرون أن بيعة الإمام أو الحاكم العام تختلف من عدة وجوه عن

---

(1) ما يلزم الأعضاء في حق الأمير (صفحة 355، ومابعدها).

(2) المصدر السابق.

بيعة أمراء الجماعات الإسلامية: "الفرق من عدة وجوه، أهمها:

الأول – العاقد للبيعة: بيعة إمام المسلمين يعقدها أهل الحل والعقد في الأمة، أو الخليفة السابق بعهد منه، إلا إذا غلبهم أحد بالسيف، أما بيعات الناس وعهودهم على الطاعات، فلا تفتقر إلى هذا. فللعامة أن يتعاهدوا على فعل الطاعات.

الثاني – المبايع له: في بيعة الإمامه يجب أن يكون المبايع له مستوفياً لشرائط الإمام، أما في بيعات الناس فلا تلزم هذه الشروط .

الثالث – المبايع عليه: بيعة الإمامة تلزم الإمام بواجبات هي في مجملها تطبيق أحكام الشريعة في الأمة الإسلامية، وتلزم هذه البيعة الأمة بالسمع والطاعة للإمام ونصرته ما لم يتغير حاله. أما بيعات الناس وعهودهم فلهم أن يتعاهدوا على فعل أي طاعة من الطاعات دون تحديد كالجهاد والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإغاثة الملهوف ونصرة المظلوم حتى إماطة الأذى عن الطريق لهم أن يتعاهدوا عليها فهي شعبة من شعب الإيمان.

الرابع – الواجب والإلزام: بيعة إمام المسلمين واجبة على كل مسلم.. أما بيعات الناس – عهودهم على الطاعات – فلا تجب إلا على من دخل فيها برضاه.. وبيعة إمام المسلمين واجبة بالشرع ابتداءً، أما بيعات الناس وعهودهم فواجبة بالعهد لمن ألزم نفسه بها..." [1].

وهذا النص لا يحتاج إلى تفسير حيث أفادنا بأن هذه الجماعة تعتقد اعتقاداً جازماً بأن بيعة الإمام العام، والطاعة المترتبة على هذه البيعة واجبة وملزمة على كل مسلم، أما بيعة أمير الجماعة فليست واجبة على كل مسلم، وبالتالي طاعة هذا الأمير إنما هي واجبة على من ألزم نفسه بها من خلال العهد أو البيعة التي أعطاها للأمير باختياره ورضاه ؟!!

---

(1) العمدة (صفحة 138)، وبقيت فروق أخرى: هي (التعدد والمدة الزمنية وحكم الناكث) سنذكرها لاحقاً.

ولا شك أن تقرير مثل هذا الأمر، سوف ينعكس سلباً على الجماعات الإسلامية عامة، وعلى تنظيم القاعدة خاصة، ولهذا فقد استدرك منهجهم ما أفادت به تلك الفروق بين إمام المسلمين وبين أمير الجماعة، فقالوا: "وهنا مسألة يجب التنبيه عليها ، وقد فصلتها من قبل ، وهي أن الجهاد في سبيل الله يكاد يكون فرض عين على كل مسلم الآن، فهو واجب بالشرع ابتداء، فإذا وجد المسلم طائفة تجاهد في سبيل الله، فقد وجب عليه التزامها.."[1].

ورغم أنهم قالوا بوجوب الالتزام والانضمام إلى الجماعة الجهادية كما أفاد النص السابق: ".. فإذا وجد المسلم طائفة تجاهد في سبيل الله فقد وجب عليه التزامها"، لكنهم لم يحددوا وجه الإلزام والوجوب سوى قياس ذلك على وجوب الجهاد: (فواجب بالشرع ابتداء)؟! ولكن مع موافقتنا على وجوب الجهاد على كل مسلم ابتداء، فما الذي يجعل الالتزام بالجماعة واجباً من خلال هذا القياس؟!

ولعل هذه الثغرة نفسها هي التي جعلت منهج هذه الجماعة يتغافل عن ذكر وجوب الطاعة لأمير الجماعة لمن بايعه باختياره، وهذا وجدناه في وجوه المقارنة السابقة، حيث قالوا: ".. وتلزم هذه البيعة الأمة بالسمع والطاعة للإمام.. أما بيعات الناس فلهم أن يتعاهدوا على فعل أي طاعة من الطاعات دون تحديد كالجهاد..". فنلاحظ أنه ذكر وجوب بيعة الإمام، والسمع والطاعة، وتجاهل الحكم بوجوب بيعة أمير الجماعة وما يترتب على بيعة أمير الجماعة؟!.

وفي تقديري أن هذا يعود إلى هيمنة الروح السلفية التي تسيطر على تفكير جماعة الجهاد، حيث لا يمكن الجزم بوجوب فعل من الأفعال إلا بدليل شرعي صريح لا يحتمل

---

(1) المرجع السابق (صفحة 139). وتأمل (يكاد يكون فرض عين..) وبهذا لم يعتبر البيعة لهذه الجماعة واجبة على كل مسلم، ثم قرر الوجوب والالتزام.

التأويل، كما أن الإلزام بوجوب الطاعة لأمير الجماعة قياساً على وجوب طاعة إمام المسلمين سوف يهز المكانة العظيمة المتفق عليها بين السلفيين والممنوحة لإمام المسلمين[1]، فقد هاجم منهج القاعدة الجماعات الإسلامية التي تعتبر بيعتها كبيعة إمام المسلمين، وأعلنت أن الخروج عن طاعة قيادتها حرام، وإن عدم الالتزام ببيعة الجماعة جاهلية!!

فقالوا: ".. الأحاديث التي ورد فيها ذكر البيعة يجب أن تحمل جميعها على بيعة إمام المسلمين أي الخليفة أو أمير المؤمنين أو السلطان، ولا يصح حمل هذه الأحاديث بحال من الأحوال على عهود الجماعات وإن سموا عهودهم بيعات.

وقد أردت توضيح هذا، لأن بعض الجماعات القائمة الآن تستخدم حديث ابن عمر في دعوة الناس لمبايعة أميرهم ويقولون للمدعو: [من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية] يرهبونه بهذا الحديث.. فهذا تحريف للنصوص كفعل اليهود.."[2].

وهذا الحديث [من مات وليس في عنقه بيعة..] الذي حرفت بعض الجماعات الإسلامية مدلوله – كما قالوا – هو نفسه الذي انطلقت منه جماعة الجهاد لتحكم بالإثم الذي يلحق كل مسلم إن لم ينضم إلى مسيرة الجهاد ".. بل إن هذا الحديث من أقوى الأدلة على وجوب سعي المسلمين في نصب خليفة لهم، وهذا لا يتأتى إلا بالجهاد غالباً، وبالتالي فأرى – والله أعلم بالحق – أن كل مسلم يموت الآن حيث لا خليفة للمسلمين هو آثم، ويلحقه الذم الوارد في حديث ابن عمر (مات ميتة جاهلية) أي على معصية وليس على الكفر، إلا أن يكون من الساعين في هذا الشأن، وإن لم يدرك الغاية وهي قيام دولة الإسلام ونصب

---

(1) واستمد وجوب بيعة أمير الجهاد قياساً على وجوب الجهاد.

(2) العمدة (صفحة 140-141).

الخليفة.."[1].

ولقد ذكرت في صفحات سابقة أن مفهوم السمع والطاعة عند جماعة بن لادن قد تميز بقدر كبير من الضبط مقارنة بالجماعات الإسلامية الأخرى، وجعلت ذلك دليلاً على حصانة منهج تنظيم القاعدة ومرونته[2]، وذلك لعدم وقوع هذه الجماعة فيما عرف بالطاعة العمياء أو الطاعة المطلقة لأمير الجماعة وقياداتها، رغم أن حاجة تنظيم القاعدة لطاعة الأفراد والتزامهم لما تأمرهم به القيادة أشد وأكثر من حاجة غيرها من الجماعات إلى ذلك.

وهذا التنظيم، لا شك أنه يدرك ماذا تعني الطاعة وأهميتها؛ لهذا أطالوا الحديث عن السمع والطاعة، وفصّلوا مسائله تفصيلاً: "وقد فصلت مسألة السمع والطاعة لولاة الأمور، ذلك لأنها الركن الركين في سياسة الجيوش وتنفيذ المهام، والتفريط فيها قد يدمر الجيش كله.. وأذكر الأخوة المسلمين بأن الطاعة هي التي تجعل من جيوش الكفر قوة متسلطة على رقاب المسلمين في أنحاء الأرض، فكيف يكون هذا شأنهم ونظل نحن متفرقين مختلفين، مع أننا نتعبد لله بالجماعة والسمع والطاعة.."[3].

وكذلك نجدهم فصلوا الكلام حول أدلة وجوب السمع والطاعة من الكتاب والسنة، وأقوال علماء السلف واستخلصوا منها قواعد هامة منها:

أ. الطاعة واجبة في المنشط والمكره وليس في المنشط فقط. ومن قعد عن الطاعة في المكره كان فيه من النفاق بحسب قعوده ما لم يكن معذوراً.

ب. الطاعة واجبة في العسر واليسر.

---

(1) العمدة (صفحة 140- 141).

(2) راجع ما قلناه في "المدخل" من هذه الرسالة.

(3) المرجع السابق (صفحة 367).

ج. السمع والطاعة حق وإن ارتكب الأمير بعض الأخطاء الشرعية.

د. الطاعة واجبة وإن منع الأمير حق بعض الناس، أو استأثر بشيء دونهم.

ه. السمع والطاعة حق، وإن كان الأمير حقير الحسب أو النسب، أو كان قبيح المنظر، أو كان صغير السن.

و. السمع والطاعة حق، وإن ساس الأمير رعيته بالأمر المفضول ديناً، طالما كان في العمل بالمفضول مصلحة عامة.

كما قرروا أن ما يدخل في طاعة الأمير :

1- اتباع رأي الأمير في الأمور الاجتهادية، كقصر الصلاة أو إتمامها، وجمعها أو عدمه.

2- تفويض الأمور المباحة والفنية إلى رأي الأمير وتدبيره.

3- أن يقبل كل أخ العمل المكلف به من الأمير وإن كان لا يحبه.

4- ألا ينصرف أحد من عمل أو مكان إلا بإذن الأمير أو حسب التعليمات المسبقة، وكذلك لا يغادر أحد المعسكر إلا بإذن، ولا يؤدي تدريباً لم يحدد له إلا بإذن الأمير.

5- طاعة أمر الأمير المكتوب تماماً كالأمر الشفهي.

" فلا ينبغي لأحد أن يستهين بإذن الأمير وأمره ونهيه حتى لا يختل النظام العام"[1].

ولم يقيدوا طاعة الأمير؛ وأسقطوها عن الأعضاء إلا في حالة المعصية من جهة الأمير، فإذا أمر بمعصية فلا طاعة له، كما تسقط الطاعة في حالة العجز وعدم الاستطاعة من جهة الأعضاء. كما حذر منهج الجهاد من الحرص على الإمارة والزعامة بكافة صورها الظاهرة والباطنة، بل واعتبر عدم الطاعة للأمير يؤدي بالضرورة إلى الصراعات والنزاعات وسوء الخاتمة: ".. ترى أحدهم يأنف من أن يتأمر عليه أخوه المسلم من أجل قيام

(1) العمدة (صفحة 363).

جماعة مسلمة قوية ذات شوكة، فتبطش بهم أيدي الطواغيت وهم فرادى متفرقين.. صراع بين المسلمين ينتهي في قعر زنازين الطواغيت..".

ونتيجة لأهمية السمع والطاعة، نجد منهج جماعة بن لادن يسترسل في الحديث عن طاعة الأمير وخطورة عصيانه، حتى أنهم وقعوا فيما اعتبروه خللاً في مناهج بعض الجماعات الإسلامية التي صرفت الحديث النبوي: [من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية]، والحديث الآخر: [من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإن من خرج عن السلطان شبراً مات ميتة جاهلية]. وذلك حين اعتبرت هذه الجماعات من لم يبايع أميرها أو خرج عن طاعته واقعاً في الوصف الوارد في هذين الحديثين: (مات ميتة جاهلية).

فقالوا: "وهناك من يدخل في الجماعة ثم يأنف من السمع والطاعة، وهذه من خصال الجاهلية، كما سبق في شرح حديث: [فإن من فارق السلطان شبراً فمات، مات ميتة جاهلية][1]. ورغم أن جماعة القاعدة لم تفسر هذين الحديثين وغيرهما كما فسرته الجماعات الأخرى، لكنها في الأخير قد وضعت من لم يطع الأمير ولم ينفذ أوامره بأنه إن مات (مات ميتة جاهلية)"[2].

وقد أردت من كل ذلك الإسهاب في مسألة السمع والطاعة، أن أقول: إن جماعة بن لادن أو تنظيم القاعدة قد التزمت بسلفيتها في مسألة السمع والطاعة، رغم خطورتها وأهميتها في تماسك ونجاح أي جماعة من الجماعات عامة، وفي الجماعات الجهادية خاصة، لذا فتنظيم القاعدة لا يمكن أن يسلك لتحقيق غاياته وسائل غير شرعية.

---

(1) العمدة (صفحة 366).

(2) فسرت جماعة بن لادن كلمة (جماعة) في حديث: (من فارق الجماعة شبراً فمات مات ميتة جاهلية) بأنها جماعة المسلمين التي في طاعة السلطان وليس المراد أي جماعة، وكذلك الميتة الجاهلية، قالوا أي على معصية وليس على الكفر كما ذهبت إلى ذلك بعض الجماعات الإسلامية.

ووجه الالتزام بالسلفية في هذه الجماعة في مسألة السمع والطاعة، هو كونها لم تخرج عن المفهوم الذي استنتجه علماء السلف في هذه المسألة، وهذا يتضح حين تناقش هذه الجماعة مسألة (حكم ناكث العهد)، فتجد: (قال البخاري ، وقال ابن رجب الحنبلي، وقال ابن حجر العسقلاني... الخ). وهؤلاء وغيرهم من علماء السلف الصالح قد قرروا أن الجماعة في تلك الأحاديث هي جماعة المسلمين التي في طاعة السلطان أو الإمام العام وليس أي جماعة.

ولعل الأعجب من ذلك أن نجد جماعة بن لادن ترفض الاستفادة من رأي من آراء أحد العلماء وتسخيره لصالحها. "فقد قال ابن الأثير في كتابه: (النهاية في غريب الحديث): [من فارق الجماعة فميتته جاهلية]، معناه كل جماعة عقدت عقداً يوافق الكتاب والسنة، فلا يجوز لأحد أن يفارقهم في ذلك العقد، فإن خالفهم استحق الوعيد. ومعنى قوله: [ميتة جاهلية]، أي يموت على ما مات عليه أهل الجاهلية من الضلال والجهل".

لكن جماعة الجهاد ردت ذلك فقالوا: "وليس الأمر كما قال رحمه الله.. بل الصواب هو ما حققته، من أن الجماعة في هذا الحديث هي جماعة المسلمين التي في طاعة السلطان لا غير"[1].

ولقد اكتفت هذه الجماعة بالحكم على ناكث العهد ومن لم يطع الأمير بعد مبايعته بأنه قد أرتكب كبيرة من كبائر الذنوب. فقالوا: "نكث العهد – أياً كان – هو كبيرة من كبائر الذنوب للوعيد الوارد في ذلك"؟!

ونلاحظ أن السلفيين يستشهدون في مؤلفاتهم وردودهم بكثير من أقوال العلماء، ومنهم الإمام ابن تيمية وابن حجر العسقلاني وابن قدامة الحنبلي والشاطبي وغيرهم كثير، وهذا

(1) المرجع السابق (صفحة 147).

أمر مطلوب ومحمود، لكن الملفت للنظر هو أن يستشهد أحدهم بقول عالم كابن تيمية لإثبات صحة مسألة أو حكم، ثم يأتي سلفي آخر ليستشهد بنفس هذا القول من ابن تيمية ولكن ليثبت عكس وضد ما قاله السلفي الأول، وفي نفس تلك المسألة أو ذلك الحكم[1]؟!

وهذا ما سنراه في الصراع السلفي السلفي القادم، والذي سيتضح من خلاله أنه ربما لجأ بعض السلفيين، بل وكبار علماءهم، إلى طرق ووسائل غير شرعية بغرض إثبات صحة ما يقولونه، فيحذف أو يضيف، ويخرج عن الأمانة العلمية، والتي بدونها لا تكون للآراء قيمة ولا قدر.

فتأمل!! نقل مؤلف كتاب (البيعة بين السنة والبدعة) كلاماً مبتوراً لشيخ الإسلام ابن تيمية، فنقل عن شيخ الإسلام ما يؤيد رأيه فقط، وهو أن هذه العهود بدعة باطلة، وترك من كلام شيخ الإسلام ما يخالف رأيه. ولم يكتف المؤلف بأن يأخذ ما يريد ويدع ما يريد من كلام ابن تيمية، بل تجاوز هذا، فقد تصرف المؤلف فيما نقله عن شيخ الإسلام بالحذف والإضافة ليوهم القارئ أن شيخ الإسلام ينكر تعاهد الناس واتفاقهم على التعاون على البر والتقوى، وهذا التحريف في نقل فتاوى العلماء ليس من الأمانة العلمية التي يجب على كل كاتب أن يلتزم بها.

فقد نقل المؤلف في [صفحة 36] من كتابه كلاماً لشيخ الإسلام من مجموع الفتاوى: [18/28] تصرف فيه بالحذف والإضافة ليطوعه لرأيه. وكان شيخ الإسلام –رحمه الله– يتحدث عن تعصب التلاميذ لمعلميهم في صورة شد الوسط وغيره، فنهى عن ذلك.

---

(1) بل تجد أن فريقاً منهم يستدل بالنص الشرعي على الوجوب، بينما يستدل به فريق أخر على التحريم، ومثال ذلك حديث عبادة (بايعنا رسول الله..) فقد استدل به السلفيون غير الجهاديين على تحريم الخروج على الحكام المسلمين، بينما استدلت به جماعات الجهاد السلفية على وجوب الخروج على الحكام وحكموا بارتدادهم.

قال ابن تيمية: "فإن كان المقصود بهذا الشد والانتماء التعاون على البر.." إلا أن المؤلف كتب هذه العبارة هكذا "من أنه إذا كان مقصودهم بهذا الاتفاق والانتماء والبيعة التعاون على البر..."، وكما ترى فقد أدخل المؤلف كلمة (البيعة) ضمن كلام ابن تيمية لينصر رأيه، فقوّلَ ابن تيمية – رحمه الله – ما لم يقله. وكذلك حذف كلمة (الشد) ووضع مكانها كلمة (الاتفاق).

وقال ابن تيمية: "فهذا قد أمر الله به ورسوله، له ولغيره بدون هذا الشد"، إلا أن المؤلف كتبها هكذا: "فهذا قد أمر الله به ورسوله له ولغيره دون ذلك الاتفاق"، فحذف المؤلف كلمة (الشد) وأضاف كلمة (الاتفاق).

وكذلك فقد نقل المؤلف في [صفحة 37] من كتابه، إن شيخ الإسلام – رحمه الله – قال: "ليس لأحد أن يأخذ عل أحدٍ عهداً بموافقته على كل ما يريد، وموالاة من يواليه، ومعاداة من يعاديه، بل من فعل هذا كان من جنس جنكزخان وأمثاله الذين يجعلون من وافقهم صديقاً ولياً، ومن خالفهم عدواً باغياً" [16/28].

وهذا النقل – أيضاً – يوهم القارئ أن شيخ الإسلام ينكر تعاهد الناس على أعمال البر، والحق أن كلام شيخ الإسلام السابق ورد في معرض جوابه عن سؤال جاء فيه: "وهل للمبتدئ أن يقوم وسط جماعة من الأستاذين والمتعلمين، ويقول: يا جماعة الخير، أسأل الله تعالى وأسألكم أن تسألوا فلاناً أن يقبلني أن أكون أخاً أو رفيقاً أو غلاماً أو تلميذاً أو ما أشبه ذلك، فيقوم أحد الجماعة فيأخذ عليه العهد، ويشترط عليه ما يريده، ويشد وسطه بمنديل أو غيره، فهل يسوغ هذا الفعل أم لا؟" [مجموع الفتاوى 28/7-8].

فأجاب شيخ الإسلام ببيان ما لا جوز من هذا، وهو شد الوسط والتعصب للمعلم بحق أو بباطل، وهو ما نقله مؤلف كتاب (البيعة)، وكذلك بيَّن شيخ الإسلام ما يجوز من هذا،

وهو أن العهد جائز بين المعلم والتلميذ، وذكر صيغة كهذا العهد، وهو ما لم ينقله مؤلف كتاب (البيعة)، لأنه لو نقل هذا الجزء من جواب شيخ الإسلام لهدم كتابه من أساسه. وأهل العلم ينقلون ما لهم وما عليهم. قال شيخ الإسلام – رحمه الله – عن العهد بين المعلم وتلميذه: "ولكن يحسن أن يقول لتلميذه: عليك عهد الله وميثاقه" [28/21].

وقد تعمدت أن أنقل هذا لتتضح الصورة، ولندرك أنه ليس بمجرد أن يقال قال شيخ الإسلام!!، أو قال العلامة فلان، فإن ذلك يوجب الالتزام والتقيد بما ذهب إليه شيخ الإسلام باعتباره عالم كبير اجتهد ووصل إلى كذا وكذا؟!

فربما لم يقل ذلك!! وربما زيدت كلمة أو حذفت!! وربما تم تقديم أو تأخير لما قاله، فتغير المعنى!! وغير ذلك من الاحتمالات التي توجب التحري والرجوع إلى الأصل، ليتم قبول الرأي أو رفضه. كما أن هناك مشكلة أخرى في هذا الموضوع، وفيما ينقله الأخوة السلفيون، ويتفاخرون به، وبالانتساب إليه وربما كانوا – أحياناً – بعيدين عنه أكثر من غيرهم!! ذلك أن بعضهم يذكر ما فهمه من أقوال العلماء وما عقله مما كتبوه، فيقوّل هؤلاء العلماء ما لم يقولوه، ويحمل آراءهم ما لا تحتمله!! قال الشيخ بكر أبو زيد عند تعليقه على كتاب (أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره): "نظرت فوجدت هذا الكتاب يفتقد أصول البحث العلمي، الحيدة العلمية، منهج النقد، أمانة النقل والعلم، عدم هضم الحق، أما أدب الحوار وسمو الأسلوب ورصانة العرض فلا تمت إلى الكتاب بهاجس"[1].

وللأسف أقول إن ظاهرة التحريف والتدليس تكاد تكون شائعة عند بعض المنتمين للسلفية، رغم معرفتهم أكثر من غيرهم ماذا يعني التدليس، ونتائجه، من خلال انكبابهم على

---

(1) (الخطاب الذهبي – صفحة 4) وكتاب (أضواء إسلامية) مؤلفه الشيخ السلفي ربيع بن هادي المدخلي، والشيخ بكر أبو زيد يخالف المدخلي في أكثر آراءه، وكلا الشيخين من الزعامات السلفية غير الجهادية .

علم مصطلح الحديث!! وقد ازدادت الشكوى بين السلفيين أنفسهم حول ممارسة التحريف في المنقولات من كلام العلماء وفتاواهم بغرض تأكيد ودعم ما يذهب إليه الناقل. فنجد الشيخ أحمد المعلم[1] يشكو من أولئك المحرفين المدلسين، وذلك أثناء حديثه عن جماعة الحرم والأخطاء التي وقعت فيها، ومحذراً من الوقوع فيما وقعت فيه تلك الجماعة المغالية والتي أصابها الهوى، ولكن هذا وقع لجماعة الإخوان – الاسم الذي كانت تعرف به جماعة جهيمان قبل اقتحام الحرم – في آخر الطريق، أما السلفيون المعاصرون[2] فقد أصابهم الهوى وهم في أول الطريق، ويقول: ".. أن يقوم قائم بالدفاع عن المنهج السلفي كما يزعم ويتعب في ذلك نفسه، ثم تكون وسيلته في الدفاع عنه التدليس وتهويل الأمور وتلبيس المواقف، وياليته اقتصر على هذا، وياليته وقف عند هذا الحد، وجاء بما قيل عن الموضوع كاملاً، إذاً لهان الخطب، لكن الأمر الذي ما كنا نتوقعه أبداً أن الجواب يبتر جواب الشيخ الذي أفتى في هذه القضايا، جوابه يبتر، ونصائحه لذلك الرجل بعدم الخوض في مثل هذا الموضوع كلها تحذف، والمناقشة المحرجة التي ما حار فيها جواباً لا أثر لها.."[3].

كما تضاف إلى ظاهرة التحريف والتدليس في النقل، مشكلة أخرى، وهي مشكلة الفهم!! وليس الفهم مشكلة بذاته، لكن ما ينتج عن هذا الفهم من مواقف، هو حقيقة المشكلة وجوهرها. فالاختلاف في المدارك والعقول ينتج اختلافاً في الآراء، والبشر كل البشر قد ألفوا قضية الاختلاف؛ فهي جزء من الحياة، فهم مختلفون في ألوانهم وألسنتهم وطبائعهم،

---

(1) ذكرته عند الحديث حول جماعة الحرم – وهو عالم سلفي يمثل – في نظري – السلفية المعتدلة والمتوازنة، بعيداً عن الغلو أو التقصير. وله مؤلفات وأشرطة كاسيت مشهورة في اليمن.

(2) الذين ينسبون أنفسهم إلى مدرسة الشيخ الوادعي.

(3) من شريط بعنوان (من هنا بدأ الخلل) للشيخ أحمد بن حسن المعلم.

وطرق معايشهم وبيئاتهم، وغير ذلك. فللاختلاف في الآراء أسباب طبيعية فطرية ولا مؤاخذة عليها، لكن المؤاخذة حين يكون الاختلاف بسبب دوافع مَرَضية ناشئة عن الأهواء والرغبات الخاصة.

إن الاختلاف الذي نشأ في علم الفقه والأحكام الشرعية، هو ميزة ودليل على عظمة دين الإسلام وشريعته الغراء، فقد أثرى هذا الاختلاف الشريعة الإسلامية، وجعل لكل حادثة حكماً مستنبطاً. ".. فإنه يجب أن نقرر أن الاختلاف الفقهي في غير ما جاء به نص من الكتاب والسنة، لم يكن شراً، بل كان دراسة عميقة لمعاني الكتاب والسنة، وما يستنبط منهما من أقيسة، ولم يكن افتراقاً، بل كان خلافاً في النظر، وكان يستعين كل فقيه بأحسن ما وصل إليه الفقيه الآخر، ويوافقه أو يخالفه.."[1].

والامام ابن تيمية رسالة جليلة في هذا وهي: (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) حصر فيها الخلاف الذي وقع بين الأئمة الأعلام من علماء السلف بثلاثة أعذار:

"**أحدها:** عدم اعتقاد أن النبي ﷺ قاله.

والثاني: عدم اعتقاد إرادة تلك المسألة بذلك القول.

والثالث: اعتقاد أن ذلك الحكم منسوخ.

وهذه الأصناف الثلاثة تتفرع إلى أسباب متعددة.."[2].

فالاختلاف يعرض من جهة الرواية والنقل، والأحاديث تختلف من حيث ما يعرض لها من العلل، فربما صح الحديث عند مجتهد ولم يصح عند الآخر، وربما وصل الحديث كاملاً ووصل بعضه لمجتهد آخر، وربما نقل الحديث بلفظه إلى فقيه، وبمعناه إلى فقيه

---

(1) (تاريخ المذاهب الإسلامية – للشيخ أبي زهرة) صفحة 11.

(2) رسالة (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) لابن تيمية (صفحة 4).

آخر.. فيؤدي ذلك إلى الاختلاف في الأحكام المستنبطة. وربما جاء الخلاف ونشأ عن الاجتهاد، فالقياس المستخدم عند مجتهد حين لا يكون نص من القرآن أو السنة النبوية، يختلف عند الآخر بحسب مقدرة كل واحد وتمكنه من القياس والاستنباط، والاختلاف في امتلاك المقدرة اللغوية والعلم بأساليب العرب. كما أن الاختلاف قد ينشأ نتيجة النسخ، إذ يقول به بعض الفقهاء في مسألة، بينما ينكره آخرون في المسألة ذاتها، بل هناك من لا يقول بالنسخ مطلقاً، بالإضافة إلى قضية نسخ القرآن بالسنة، وجوازه أم عدمه..

وبعض المنتسبين إلى الفكر السلفي يغالون في مسائل، ويتفردون بالنظر في بعض القضايا، ولا يجدون سبيلاً لمحاولة كسب الأتباع وانتشار أفكارهم سوى سبيل مهاجمة المخالفين، ورميهم بأشنع الأوصاف والحط من مكانتهم. والمعروف أن أول طائفة عرفت بالغلو وإطالة ألسنتهم على المخالفين هي فرقة الخوارج!! وقد علل بعض أهل العلم وجود هذا الداء لدى طائفة الخوارج بأنه لتستحكم النفرة من غيرهم، وتقوي رابطة عامتهم بهم. وهي العلة نفسها التي نراها عند الذين يرمون غيرهم – حتى من السلفيين أنفسهم – بالإبتداع والضلال والإضلال، ولعل ما قاله الإمام الحافظ ابن حجر في (شرح النخبة) هو أحسن تفسير لهذه الظاهرة المخيفة: "لأن كل طائفة تدعي أن مخالفيها مبتدعة، وقد تبالغ فتكفرهم، فلو أخذ ذلك على الإطلاق لاستلزم تكفير الطوائف.."، وكما ذكر الإمام ابن دقيق العيد أن أعراض المسلمين حفرة من حفر النار، ليحذر من التساهل في الأعراض التي أوجبت الشريعة صيانتها.

وهؤلاء الذين يبدّعون غيرهم ويضللونهم ويعادونهم ويهجرونهم لا شك أنهم قد خالفوا مذهب السلف الصالح من حيث لم يحتسبوا، وهم يعلمون أن الإمام البخاري والإمام مسلم –

رحمهما الله – قد أخرجا في صحيحيهما لأناس ينتمون لفرق مبتدعة حقيقة[1]، ومع ذلك قبلوا رواياتهم، لكن سلفية اليوم نابذوا غيرهم ورموهم بكل كبيرة، وقطعوا رحم الأخوة الإيمانية الذي قررها الكتاب والسنة، ولم يجادلوا بالتي هي أحسن.

"انظر كيف يتحمل مثل البخاري عن أعلام الشيعة والمعتزلة والمرجئة والخوارج، ويجعل حديثهم حجة، ومرويهم سنة، ويفخر بذكر أسمائهم في أسانيده، ويخلد لهم أجمل الذكرى في أشرف مصنف. انظر هذا وقابل بينه وبين جمود المتأخرين، ورميهم علماء الفرق بالفسق والابتداع والضلال، وهجرهم لعلومهم، وصد الناس عنهم، حتى فات الناس – وا أسفاه – علم جم، وخير كثير.."[2].

ولكأن هذه الكلمات تنطبق تماماً على حال غالبية الأخوة السلفيين، وتصف حالهم ومواقفهم من غيرهم، وبعدهم عن طريقة السلف الصالح التي يفاخرون الناس بها، وإذا عدنا إلى الردود التي جاءت في (العمدة) لإبطال الشبهات التي قالها الأستاذ علي بن حسن في كتابه (البيعة..) نجدها ختمت بنقاش حول قول الصحابي وحكم الأخذ به أم عدم الأخذ، وكذلك مسألة الاحتجاج بقول التابعي عند اختلاف أقوال التابعين، وإذا خالف قول التابعي القياس، فالعمدة – كعادته – يستدل على بطلان ما ذهب إليه صاحب كتاب (البيعة) بأقوال شيخ الإسلام ابن تيمية وكذلك تلميذه ابن قيم الجوزية.

---

(1) وربما قيل: لا يلزم من الرواية عنهم عدم معاداتهم، أي يجوز أن نروي عن راوٍ، مع التدين بمعاداتنا له، وبغضنا إيـاه؟! ويجيب القاسمي: (أنا لا نعرف من قال ذلك من السلف، ولا من ذهب إليه من الأئمة، والرواية يراد بها هنا تلقي أقـوال النبي ﷺ وسنته وهديه وتشريعه.. لتتخذ ديناً يدان الله به، وشريعة يقضى بها في التنازع، ومرجعاً تحل بـه المـشكلات، فهل يتلقى ذلك عمن يجب علينا معاداته في الدين؟ وكيف يتصور أن نأخذ الدين عمن نرى أنه عدو للدين؟ سـبحان الله ما هذا التناقض؟) انظر: الجرح والتعديل (صفحة 12).

(2) الجرح والتعديل: للعلامة الشيخ جمال الدين القاسمي، (صفحة 22).

ثم يقولون: "ويكفينا أن مؤلف كتاب (البيعة) لم يجد دليلاً يعضد رأيه من القرآن أو السنة أو أقوال الصحابة وسيرتهم، فلجأ إلى فعل لأحد التابعين محتمل للتأويل، ولم يكفه هذا فلجأ إلى التصرف في كلام ابن تيمية – رحمه الله – بالحذف والإضافة والكتمان لينصر رأيه.."[1]. "وهناك كلام آخر ذكره مؤلف كتاب (البيعة) يستوجب الرد عليه وبيان خطئه فيه، إلا أنني سأعرض عنه لعدم تعلقه بموضوعنا"[2].

إلا أنه يعود للرد على مسألة هامة، يرددها بعض السلفيين، وأقلع بعضهم عنها، وهي: (إن السلف يرفضون أي أمر ما لم يكن وارداً بكيفيته في الكتاب والسنة)، فيأتي الرد من السلفية الجهادية: "ولاشك أن هذا افتراء على السلف، فجمهور السلف يعتبرون الإجماع والقياس بعد الكتاب والسنة، وقوله هذا (بكيفيته) لم يقل به غلاه المذهب الظاهري الذي يعده كثير من السلف بدعة (انظر الاعتصام للشاطبي [ط1403هـ /1/171]) ومثل قوله: (إن البيعة تبطل إذا لم يجتمع أهل الحل والعقد ويعقد الإمامة لمن يستجمع شرائطها). وهذا الكلام في تعميمه خطأ، إذ أن عقد أهل الحل والعقد هو أحد وسائل عقد الإمامة، وهناك العهد من الخليفة السابق (الاستخلاف)، وهناك الغلبة والاستيلاء، ومن تغلب وتسمى بأمير المؤمنين لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه أميراً للمؤمنين، كما قال أحمد بن حنبل. (الأحكام السلطانية لأبي يعلى [صفحة 20، 23])"[3].

وينتقل (العمدة) إلى الرد على شبهة قالها الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، فيقول: "ذكر

---

(1) العمدة (صفحة 161).

(2) المصدر السابق (صفحة 162).

(3) المصدر السابق (صفحة 162). هذه الطرق الثلاث للإمارة العامة قد اتفق حولها السلفيون الجهاديون وغير الجهاديين إلا أن غير الجهاديين يحكمون على طريقة (الاستيلاء والغلبة) بأنها طريقة مُحرمة شرعاً، ورغم هذا يقولون بشرعية الحاكم ووجوب طاعته من الرعية.

الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، من أهل السنة باليمن في كتابه (المخرج من الفتنة [طبعة 1403هـ، ص 68]) في سياق نقده لنفس الجماعة التي تكلم عنها مؤلف كتاب (البيعة)[1].

قال الشيخ مقبل: (أتصحُ البيعة لمجهول لا يُدرى أصالح أم طالح، أعالم أم جاهل، أقرشي أم غير قرشي، أشجاع أم جبان). وكرر هذا في هامش [صفحة 98].

قلت: فهل يجوز أن يبايع المسلم مَن لا يعرف عينه ولا اسمه؟

الجواب: إن مؤلفَي الأحكام السلطانية (الماوردي وأبي يعلى) اتفقا على جواز هذا، وهو أنه لا يلزم أن يعرف كل مسلم الإمام بعينه واسمه، إلا أهل الحل والعقد الذين تقوم بهم الحجة، أما ما يلزم الكافة فهو أن يعرفوا أن الخلافة آلت إلى مستحقها"[2].

ثم إنه يستعرض ما قاله الإمامان، الماوردي وأبو يعلى في كتابيهما، ثم يقول: "قلت: ومن البيعات التي وقعت بهذه الكيفية أذكر: بيعه عمر بن عبد العزيز، وهو أحد الراشدين وبيعة دعوة العباسيين.."[3] ويدلل على هذه البيعات من كتب التاريخ الإسلامي مثل (تاريخ الخلفاء – للسيوطي)، و (البداية والنهاية – لابن كثير).

ويعود إلى مناقشة الوادعي في شبهة أخرى: "كذلك فقد أورد الشيخ مقبل كلاماً مفاده النهي عن الانضمام إلى الجماعات الإسلامية، قال في نفس الكتاب: (هل بيعتهم لازمة)؟

فالجواب: أنها ليست لازمة لأنه يشترط في الإمام أن يكون قرشياً[4] متمكناً، وكثيراً

---

(1) يعني جماعة الإخوان المسلمين.

(2) العمدة (صفحة 162).

(3) المصدر السابق (صفحة 163).

(4) شرط القرشية في الإمام أو الرئيس لم يعد السلفيون يرددونه في كتبهم. وقد تمسك الوادعي باشتراط القرشية في الحاكم على اعتبار ما جاء في الأحاديث النبوية في ذلك، لكن خالفه تلاميذه فقالوا: (إن من ولاه أهل الحل والعقد أو غلب بشوكته وإن لم يكن قرشياً.. فيجب السمع والطاعة له في المعروف، درءاً للفتنة وحفاظاً على تماسك أمة الإسلام)

ما يدندنون بحديث [من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية] هذا إذا وجد الإمام، أما إذا لم يوجد إمام ولا جماعة ترتضى، فالرسول ﷺ يقول في حديث حذيفة: [فإن لم يكن لهم إمام ولا جماعة فاعتزل تلك الفرق كلها] [صفحة 68] وكرر الاستدلال بحديث حذيفة في [صفحة 98] من نفس الكتاب.

والجواب عن هذا: هو أنني فرقت من قبل بين بيعة إمام المسلمين وبيعات الطاعات بين المسلمين، وأن هذه الطائفة هم أهل العلم والجهاد وأن الإمارة من صفات هذه الطائفة لحديث جابر بن عبد الله عند مسلم – وقد سبق – وأن هذه الطائفة لا يخلو منها زمان حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال، ولذلك فلا يصح حصر الطائفة في أهل العلم فقط، كما استدركه النووي على أقوال البخاري وأحمد بن حنبل وغيره.

ثم إن الشيخ قد نقض كلامه بنفسه في أكثر من موضع، فقال في كلامه السابق (ولا جماعة ترتضى) وهذا معناه أن الاعتزال الوارد في حديث حذيفة مقيد بوجود مثل هذه الجماعة المرضية، وهذا يتفق مع حديث الطائفة المنصورة كما فصلته من قبل.

وقال الشيخ مقبل – أيضاً – في جوابه لمن سأله عن مبايعة الجماعات، قال: (أما على السمع والطاعة فلا، وأما أن تعاهدهم ويعاهدوك على الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلا أرى مانعاً [ج68]). وهذه المعاهدة على الطاعات التي أقرها تنقض استدلاله بحديث حذيفة، إذن فالاعتزال المأمور به ليس على إطلاقه بل مقيد، وإنه متى وجد المسلم طائفة على الحق فعليه أن يلتزمها ويشد من أزرها. أما إنكاره للسمع والطاعة فلم يسق له دليلاً، خلافاً لما نصح به المسلمين في آخر كتابه، حيث قال: (أن تلزم نفسك ألا تعمل إلا بدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ [ص98]). كذلك فقد نصح الشيخ مقبل المسلمين

انظر: السراج الوهاج.

بالجهاد في سبيل الله [ص98]، فنسأله: هل يجوز أن يقوم الجهاد بدون إمارة؟ وهل تكون الإمارة بدون السمع والطاعة؟!

وقال الشيخ كلاماً متناقضاً، مثل قوله: (وإني لا أرى لطالب العلم أن يرتبط بأي جماعة، أما الدعوة إلى الكتاب والسنة، فيعتبر نفسه فرداً من أفراد كل جماعة تدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ..). ولا يخفي ما في هذا الكلام من التضارب، فهو قد نهى طالب العلم أن يكون في جماعة ثم نصحه بأن يكون في كل جماعة.

وقال – أيضاً – أنه وإخوانه من أهل العلم سموا أنفسهم أهل السنة ليتميزوا عن غيرهم، ثم صرح بأنهم جماعة، قال: (أما أهل السنة فإنهم جماعة ألزموا أنفسهم بالعمل بسنة رسول الله ﷺ – إلى قوله – وليس لهم رئيس، فهم يقولون: رئيسنا رئيس الدولة مهما كان مسلماً، وليس لهم أمير، ولكنهم يقولون: سنتشاور في تسيير الدعوة ونتطاوع لا نتخالف [ص70]). ولا يخفى التضارب بين قوله (رئيسنا) وقوله (وليس لهم أمير..) ولا يخفى كذلك التضارب بين قوله (رئيسنا رئيس الدولة) مع نصحه للسائل ألا يعاهد أحداً على السمع والطاعة، إذ أن قبوله لمبدأ الرئاسة على نفسه وعلى من معه هو إقرار بالسمع والطاعة لهذا الرئيس، ولا يخفى التضارب بين قوله (رئيسنا رئيس الدولة) وقوله (إنه يشترط في الإمام أن يكون قرشياً متمكناً). ولا ننكر فضله وجهده في نشر السنة"[1].

وإني لستغرب أن يكون الرد على ما قاله الشيخ مقبل الوادعي يقتصر بإثبات التناقض والتضارب في أغلب كلامه، رغم أن ما قاله الشيخ مقبل خاصة قوله: (رئيسنا رئيس الدولة..) وقد ألزمه (العمدة) بنتيجة وهي إقراره هو ومن معه على السمع والطاعة لهذا الرئيس. وقد علمنا ما يردده (العمدة) حول (الحكام) واعتبارهم طواغيت، وإن جهادهم

---

(1) العمدة (صفحة من 162 إلى 165).

مقدم على قتال اليهود والنصارى، بل مسألة الحكام وجهادهم هي جوهر هذه الجماعة ومحورها الذي يدندن حولها. فكيف يكتفي بالحكم على الشيخ بالتناقض والتضارب؟! وقد رأينا حكم هذا التنظيم في العلماء الذين يمالئون الحكام[1]، حيث جاء هذا الحكم بعد مناقشة شبهة من يقول: (لابد من التمايز في الدار بين المجاهدين وبين الأعداء)، وقد اشتد (العمدة) على قائلي هذه الشبهة – كما رأينا – ووصفهم بأنهم (يثبطون غيرهم ويخذلونهم بهذه الشبهات). ووصف قولهم: (إن هذا القول باشتراط تميز الدارين لوجوب الجهاد هو قول فاسد، وهو يفضي إلى...)، ولا شك أن هذه الشبهة هي أقل ضرراً من شبهة الذين يرون السمع والطاعة للحاكم، ويقررون منع الخروج عليه بأي وسيلة، لأنها تؤدي إلى نقض الجهاد من أساسه، بعكس شبهة تميز الدارين!؟

في تقديري أن ذلك يعود لعدم اقتناع أسامة وجماعته بكفر جميع الحكام قبل عام 1989م ففي هذه الفترة لم يكن زعيم القاعدة أسامة بن لادن قد أعلن اعتقاده بكفر وارتداد أغلب حكام العرب، وبما فيهم حكام اليمن، ولذلك ذكر في إحدى محاضراته المسجلة على شريط بعنوان (واقعنا المعاصر) والتي قيلت قبيل مغادرة الروس لأفغانستان، ذكر الدول المرتدة والأنظمة الكافرة التي تحيط ببلاد الحرمين، ولم يذكر اليمن الشمالي بسوء، ثم أنه قال:

"واليمن بلغنا من إخواننا أن حكامهم فيهم خير". لكنه كان يحكم بكفر حكام اليمن الجنوبي الذين يحكمون بالشيوعية كما قال. وبعد أن تحققت الوحدة اليمنية المباركة في عام 1990م بدأ تنظيم القاعدة يقوم بنشاطات ميدانية، كالتفجيرات التي حصلت في فندق (جولد مور) في عدن، والتفجير في فندق عدن. وتوالت نشاطات القاعدة في اليمن الموحد، ومع

---

(1) جاء في صفحة 285: (ومن كان من العلماء يصد المسلمين عن الجهاد بهذه الشبهات ممالأة ونصرة للحاكم الكافر، فهذا العالم لاشك في كفره، وهو مرتد خارج عن ملة الإسلام، وحكمه حكم سيده الحاكم).

ذلك لم يعلن أسامة تكفيره للحكام في اليمن ووجوب الخروج عليهم إلا في وقت متأخر، شأنهم كبقية حكام العرب والمسلمين الذين أعلنت القاعدة الحرب عليهم عامة.. لعل هذا هو السبب الذي جعل (العمدة) لا يستنكر على الشيخ الوادعي قوله (ورئيسنا رئيس الدولة..)؟! لكن وبعد أن تغيرت القناعات، هل سيظل حكم القاعدة على السلفيين الذين يمالئون الحكام ويدعون إلى السمع والطاعة لهم هو نفس الحكم السابق؟! منهج القاعدة النظري والفكري يقول: حكمهم حكم سيدهم؟!

تنظيم القاعدة- البدايات والتطورات

سأحاول تتبع مراحل تكوين القاعدة منذ البدايات الأولى، وذلك من خلال محورين:

الأول: الدعوة العامة وبدايات التكوين.

الثاني: مراحل التكوين من خلال حياة المؤسس والقائد للتنظيم.

المحور الأول: الدعوة العامة وبدايات التكوين

بدأ أسامة بن لادن الدعوة العامة لهذا التنظيم بصورة علنية، فلم تخل محاضرة من محاضراته أو ندوة من ندواته إلا ودعا إلى ضرورة قيام كيان قوي يضم عناصر المجاهدين من كل بلدان العالم العربي والإسلامي، وليحمل عبء المواجهات القتالية ضد الكفار، ولتحرير أراضي المسلمين من سيطرة أعداء الله وأعداء الإسلام.

فإذا كانت التنظيمات الأخرى والجماعات الإسلامية قد اتفقت على إبقاء عدة جوانب في دعوتها للانضمام إليها بشكل سري، كالبيعة مثلاً. لكن بن لادن لم يكن يخفي مسألة البيعة – وإن لم يكشف عنها بصورة مفصلة – ووجوبها وضرورتها لحفظ مسيرة الجهاد، وضمان عدم انقطاعها، إلا أنه لم يكن يدعو إلى مبايعته شخصياً، باعتباره أمير الجهاد والمجاهدين، بل كان يدعو إلى البيعة العامة وتأكيدها والتذكير بها. وهذه البيعة العامة يرى أنها قد حصلت بالفعل بمجرد أن يقول المسلم كلمة التوحيد ويدخل دائرة الإسلام العظيم. فقد سئل مرة عن البيعة فقال: "إن البيعة قد تمت بالفعل من خلال قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ **[التوبة:111]**.

فهذه صفقة بين الله وبين كل مسلم، شهدت بها القرآن الكريم، ولا مجال للتهرب منها أو التنصل من أداءها..".

لقد كرس بن لادن وأتباعه كل الإمكانات المتاحة لديهم لتشجيع الشباب المسلم للسفر إلى أفغانستان وهناك سيكون من السهل احتواءهم وإقناعهم بمسألة البيعة لأمير المجاهدين. وإذا تأملنا فيما كان يصرح به أحياناً مثل قوله: ".. ظن كثير من الناس بما رأوا من ترفٍ أصاب أهل هذه البلاد أنه لا رجال يحمونها، كما كان سلفنا، ولكن أقول: بحمد الله خرج

من هذه البلاد أكثر من سبعة آلاف رجل من المجاهدين..".

فهذا العدد – سبعة آلاف رجل – من المجاهدين الذين خرجوا إلى معسكرات بن لادن وجاءوا من (هذه البلاد) أي السعودية، وهو عدد أولي لكونه قد ارتفع كثيراً بعد ذلك – لا محالة – فقد قيلت هذه المحاضرة قبل خروج القوات الروسية من أفغانستان بعدة سنوات.

وقد كانت الدعوة العامة للجهاد والقيام به في أرض الأفغان فرصة ربما لن تتكرر، ولهذا لم يكن أسامة يدعو إلى التفرغ والانقطاع الكلي، بل حسب الاستطاعة، والمهم هو عدم التخلي عن قضية المسلمين الكبرى (قضية الجهاد). قال بن لادن في إحدى محاضراته:

" ليس ضرورياً أن يتفرغ كل أبناء الأمة للجهاد، بل من استطاع وقويت الحاجة إليه، أما من له عذر، كأب وأم يحتاجان إليه، أو زوجة وأولاد يحتاجون إليه، ويضيعون بغيابه، فلا بأس أن يحضروا قدر الاستطاعة للتدريب وإعداد العدة المطلوبة من كل مسلم، وإن كان واجباً على الأمة أن تفرغ من أبنائها وطاقاتها لإقامة الجهاد ومواصلته لإخراج الكفار من بلاد المسلمين. فالذي يمكنه الجهاد ولو لفترة قصيرة فليأت ومرحباً به، وعندما يرجع يقوم بالتعريف على الجهاد ويغيظ الكفار..". وتلك هي منهجية القاعدة منذ البداية:

1) الواجب أن يتفرغ من أبناء الأمة لإقامة الجهاد، خاصة من قويت الحاجة إليه، وهم أصحاب الخبرات والقدرات الخاصة التي لابد من توافرها للاستمرار في الجهاد.
2) من لم يستطع التفرغ فإنه يكفيه الحضور لفترات كافية ليتمكن من التدريب وإعداد العُدة المطلوبة، وليكون جيشاً احتياطياً لا تقل أهميته عن غيره. وبحضور الشباب المسلم فإنه يتمكن من اكتساب الخبرة الكافية التي تؤهله لخوض بعض المواجهات والمعارك الحاصلة في فترة إقامته في أفغانستان.

3) ولا ينحصر دور أفراد الجيش الاحتياطي فيما ذُكر سابقاً، بل عليهم القيام بأدوار أهم حالما يعودون إلى أوطانهم، فعليهم القيام بمهمة التحريض والدعاية، ونشر الفكر الجهادي، وجمع التبرعات للمجاهدين والدفع بأعداد أكبر من الشباب للالتحاق بالجهاد.

وقد أعلن ابن لادن أهدافه منذ البداية: "ونحن بهذا الجهاد لا نبتغي تحرير أفغانستان فقط، فأفغانستان جزء من العالم الإسلامي، وإنما أملنا وهدفنا أن تكون هنا النواة لتجميع طاقات الشباب المسلم والعربي لتدريبهم حتى يكونوا بإذن الله نواة الجيش الإسلامي مع إخوانهم المجاهدين في أفغانستان لتحرير باقي أراضي المسلمين".

وإننا إذا ما تذكرنا أن هذا الكلام قد قيل أمام المئات من الناس، وسُجلت في أشرطة مسموعة فسمعها الآلاف من الناس، ولم تكن في وثائق سرية، فإن عجبنا يزداد، ودهشتنا تكبر، عندما نجد الذين يحاربون الإرهاب ويسعون للقضاء على رموزه وقادته، نجدهم يعتذرون بكونهم قد فوجئوا بهذا التنظيم وقدراته القتالية، وكثرة أتباعه ومؤيديه، فيلقي اللوم بعضهم على بعض!!

ولنعد إلى القاعدة، فنجد مؤسسها يصف لبناتها الأولى فيقول: "كان يأتينا في أرض الجهاد الإخوة حديثو العهد بالجهاد عملياً، الذين يمكثون شهراً أو شهراً ونصف أو أسبوعاً أو مدة قصيرة، فما يدرك أن يتدرب التدريب الكافي، ونكفلهم ببعض الأعمال المهنية كالخدمة والتنظيف.. وعندما اختلط الأخوة الثابتون – أي المنقطعين للجهاد – بهؤلاء كان يؤثر العائد منهم إلى بلدانهم على الأخوة الثابتين، فرأى بعض الأخوة أن يكون هناك معسكر يضم الاخوة الثابتين فقط، والذين يريدون الجهاد حتى يمنَّ الله على المسلمين بالنصر.. ومن هذا الباب كانت نواة (القاعدة).

وهدف القاعدة: "ومبتغاها مواصلة الجهاد حتى نلقاه سبحانه وهو راضٍ عنا، ونكون

من الفئة التي تقاتل على أمر الله حتى يتحقق النصر الشامل للمسلمين".

ومنهجها: "ومنهجها منهج أهل السنة والجماعة جملة وتفصيلاً، وقد جُمع منهاج القاعدة في كتاب أسميناه: (العمدة في إعداد العدة في سبيل الله)".

ومما قاله بن لادن: نعلم أن القاعدة تعني – في تلك الفترة – الإطار العام الذي يشمل الأتباع الخُلَّص في هذا التنظيم، وهؤلاء هم (الثابتون) الذين يشكلون قوة عسكرية مدربة فاعلة، ولأسامة بن لادن عليهم حق السمع والطاعة بموجب البيعة المأخوذة منهم.

أما الآخرون، من الذين جاؤوا لفترات محدودة، واستطاعوا القيام بالتدريبات لإعداد العدة أو قاموا بأدوار مُعينة كالخدمات الضرورية في المعسكر، فهؤلاء لا يمكن الجزم بمتابعتهم للتنظيم، كما لا يمكن نفي ذلك عنهم. وكذلك نجد بعضهم لم يلتحقوا بالمعسكرات مع الثابتين في المرة الأولى، ولكنهم صاروا كذلك فيما بعد. والحاصل أن هذه المواقع أو المعسكرات التي تستقبل القادمين للجهاد هي بمثابة مفرزة أو محطة، يتم بعد تجاوزها الالتحاق بمعسكرات الثابتين وليصيروا من أعضاء القاعدة، وربما من قادتها ولأمراء معسكراتها – أيضاً – وربما لا!!

إذاً ليس كل من ذهب إلى أفغانستان وقاتل، وشارك تحت أي صورة من صور المشاركة، ليس شرطاً أن يكون من القاعدة، والعكس أيضاً، فإننا نجد أعداداً من الموالين للقاعدة ودعاتها ولكنهم لم يلتحقوا بمعسكرات الثابتين، ولم يُعرفوا بالقيام بأي أدوار في أفغانستان، لكنهم يعتبرون من أهم العناصر الجهادية، ومن أبرز عناصر القاعدة. وهؤلاء قد كُلفوا بمهام خارج أفغانستان لا تقل أهمية عما يقوم به المجاهد في ميدان المعركة. وقد رأى أمير المجاهدين أن يكلفهم بمهام تنظيمية لا يمكن إغفالها، كالقيام بالإشراف على عمليات التفويج، وحشد الشباب ونشر الفكر الجهادي، والتحريض والتجييش، بل ولأخذ البيعة نيابة

عن الأمير ممن سيقدمون إلى أفغانستان للمشاركة، أو الذين حبستهم الأعذار الشرعية عن الخروج إلى أفغانستان, واقتنعوا بمبايعة أمير الجهاد على السمع والطاعة، فيكلفون بأداء أعمال ومهام في بلدانهم عندما أن تُطلب منهم، ولا يعني ذلك أن هؤلاء لا يمتلكون الخبرة العسكرية اللازمة للقيام بأدوار وأعمال تغييرية؛ بل ربما فيهم العسكريون أو القادة العسكريون الذين يمتلكون أعلى القدرات القتالية التي اكتسبوها في بلدانهم.[1]

إن هذه العناصر الهامة الفاعلة التي لم تلتحق بمعسكرات القاعدة لكنها لعبت دوراً هاماً جداً في توسعة قاعدة القاعدة، ونشر أفكارها. ونتيجة لهذه الأدوار التي لعبتها تلك العناصر في إيجاد وخلق فئات مختلفة تتبع القاعدة فكراً ومنهجاً، لكن أوضاعهم لا تمكنهم من الالتحاق بمعسكرات القاعدة، ومن هؤلاء أساتذة الجامعات، والعسكريون، والأطباء، ومشايخ القبائل والوجهاء، والشخصيات الاجتماعية وغيرهم ، وإن لم يقم هؤلاء بأدوار الآن – أي في تلك الفترة – فلا شك أنهم سيلعبون أدواراً هامة في الغد[2]. وهنا لابد من الإشارة إلى أن تنظيم القاعدة لم يكن يخلط بين أداء الأفراد للعمل السري، وبين الأعمال العلنية الجماهيرية، كالدعوة العامة والاستقطاب ،مما أكسب التنظيم حصانة في أوقات الأزمات والمواجهة.

---

(1) ومن هؤلاء الذين نجوا من أحداث الصراعات العسكرية، ففروا إلى مناطق أخرى لأخذ العدة والتهيؤ للعودة إلى مناطقهم، لكنهم عاشوا فراغاً قيادياً وظروفاً صعبة اضطرتهم للبحث عن حلول، فتلقفتهم عناصر بن لادن. وإن كانت الأحداث أثبتت عدم جدية كثير من هؤلاء وصدقهم، لكنهم لعبوا دوراً هاماً في اجتذاب عناصر كثيرة من الشباب في المناطق التي ينتمي إليها أولئك النازحون، فأصبحت للقاعدة عناصر كثيرة في تلك المناطق كما أثبتت الأيام ذلك.

(2) برز دور بعض هؤلاء عندما لجأت بعض عناصر الجهاد إليهم فلم يتوانوا في حمايتهم ، كما أن بعض أبناء زعماء القبائل اليمنية كانوا من أوائل الذين استشهدوا في أفغانستان كالشيخ عوض بن علي العرادة ، من قبائل مأرب ، و قد أشاد به ابن لادن كثيراً في محاضراته، وقد استشهد في معركة (جاجي) 1407هـ .

المحور الثاني: مراحل التكوين من خلال حياة مؤسس وقائد التنظيم

لعل بن لادن نفسه لم يكن يتصور يوماً أنه سيكون هو الرجل القائد والمؤسس لتنظيم سيقلق أكبر دولة في العالم تمتلك من القدرات والإمكانات ما تخيف به قادة دول العالم وزعمائه، فالذين عرفوه عن قرب لم يذكروا عنه ميلاً إلى العنف أو استعداء الآخرين، بل على عكس ذلك، إذ قيل إنه وديع المعشر خفيف الظل هادئ الطباع، لكنه لا شك قد ورث شيئاً عن والده الحضرمي الأصل، بما عُرف عن الحضارم من الذكاء والثقة بالنفس والعصامية، كما ورث عن والدته الشامية خصالاً حميدة كقوة العزيمة ودماثة الأخلاق، ثم إنه ولد في بيئة متدينة، فاكتسب صفات الالتزام بأداء الواجبات الدينية، ولختلط بكثير من الصالحين والعُباد، بل وبعض القيادات الإسلامية العالمية التي كانت تفد إلى السعودية لأداء الحج أو العمرة، فقد عُرف عن والده (محمد عوض بن لادن) كرمه وبذله، وعدم خلو منزله من الضيوف والوافدين على مدار العام.

ولم يُذكر عن أسامة تميّز أو عبقرية في دراسته، بل كانت مراحل دراسته من الابتدائية حتى الجامعية طبيعية، لكنه تأثر أثناء دراسته الجامعية بالشيخ الأستاذ محمد قطب، وكذلك الشيخ الدكتور عبدالله عزام، إذ كانت المحاضرات في مقررات (الثقافة الإسلامية) في الجامعة إلزامية على جميع التخصصات[1].

التحق أسامة بالجهاد الأفغاني في وقت مبكر، فقد رتبت له (الجماعة الإسلامية) الباكستانية زيارة إلى كراتشي ثم بيشاور ليطّلع على ما يحصل، وما قيل عن الأوضاع في أفغانستان، وهناك قابل كبار الشخصيات الأفغانية من قادة الأحزاب السبعة مثل برهان

---

(1) تخصص أسامة بن لادن في دراسته الجامعية في (علم الإدارة) .

الدين رباني، وعبد رب الرسول سياف. ودامت هذه الرحلة شهراً، ثم عاد وقد تأثر تأثراً عظيماً بما رآه من حال الأفغان، وضعف إمكانياتهم وشدة وجبروت عدوهم، فقرر العودة إلى باكستان، في هذه المرحلة كانت بداية المساهمة والدعم المالي والعيني الذي قام بجمعه من المقربين له. ثم تلت هذه الرحلة رحلات أخرى ازدادت فيها كميات التبرعات المالية والعينية التي حملها إلى المجاهدين، حيث استطاع أن يجعل دعم المجاهدين ومساندة قضيتهم من خلال الحملات الشعبية والمنظمة، أو عبر مؤسسات ومكاتب أكثر تنظيماً وتنسيقاً. ولم يكن قد تجاوز الحدود الباكستانية في كل تلك الرحلات. وكان أول دخول إلى المناطق والقرى الأفغانية في عام 1982م، حيث التحق بالمعسكرات الأفغانية، وقيل إنه شارك في بعض المعارك والمناوشات في هذه المرة الأولى التي تجاوز فيها الحدود الباكستانية إلى أفغانستان.

في عام 1984م أنشأ أسامة ما عُرف بـــ (بيت الأنصار) في بيشاور، وكان يُعرف – أيضاً – بالمضافة، حيث كان القادمون للجهاد من البلدان العربية يعانون من مسألة استقبالهم في باكستان، فلما أنشأ بن لادن هذه المضافة، سُهِّل الأمر على القادمين حيث يقضون في بيت (الأنصار) الذي يشرف عليه التابعون للشيخ أسامة، وقتاً قصيراً قبل توجههم إلى معسكرات التدريب ثم المساهمة والمشاركة في المعارك القتالية، أو العودة والاكتفاء بنيل قسط من التدريب والتأهيل يمكنهم من المشاركة في وقت لاحق.

وفي نفس العام (1984م)، أنشأ الدكتور عبدالله عزام (مكتب الخدمات) في بيشاور – أيضاً – وقام بالدور الإعلامي لنشر الفكر الجهادي والتحريض، وحث المسلمين على الجهاد بالنفس والمال، وجمع التبرعات المالية والعينية ونقلها إلى المجاهدين، وكان الشيخ

الدكتور تميم العدناني[1] الفلسطيني الأصل من أهم الشخصيات التي نشطت في المجال الإعلامي، وانطلقت من مكتب الخدمات إلى العالم العربي والإسلامي بل والدول الأوربية. ومن الصعب قبول فكرة عدم الاتفاق والتنسيق بين الشيخ عزام وتلميذه بن لادن، إذ لكل منهما دوره الهام، فبيت الأنصار يستقبل ويوجه القادمين إلى ما جاءوا لأجله، فدوره هو مهمة داخلية، أما مكتب الخدمات فهو يوجه ويشحذ الهمم، ويجمع الأموال والمعونات، فهو يقوم بمهمة إعلامية خارجية لا تقل أهميتها عن دور بيت الأنصار، إذ العملية بينهما تكاملية.

ورغم أن اسم القاعدة لم يظهر حتى هذا الوقت، لكني أعتقد أن بيت الأنصار ومكتب الخدمات شكلا أول نواة للقاعدة، حيث أدرك أسامة ومستشاروه بأن عملهم لا يتعدى المرحلة الأولى للعملية الجهادية، وبعد أن اتسعت أنشطة بيت الأنصار وازدادت أعداد القادمين، قرر أسامة في عام 1986م أن يتعدى المرحلة الأولى ليتوسع في الإشراف والتنظيم للعملية الجهادية، وهنا جاءت فكرة المعسكرات الستة التي أنشأها بن لادن لتكون هي المحاضن العسكرية التي تستقبل الذين يرسلهم بيت الأنصار، بدلاً من إرسالهم إلى المعسكرات الأفغانية، حيث تنقطع العلاقة بهم بمجرد خروجهم من مضافة الأنصار إلى تلك المعسكرات، وبهذا تكونت (البنية التحتية) للقاعدة، حيث أصبح للمجاهدين العرب مراكز استقبال، ومكاتب إعلامية، ومعسكرات تدريب بكافة ملحقاتها من مخازن ومؤن وإمداد واتصالات، وبهذا أصبح القادمون للجهاد من البلاد العربية – خاصة – يمرون عبر قناة واحدة منذ وصولهم حتى رجوعهم إلى بلدانهم – إن لم يُستشهدوا – وزالت تلك

---

(1) كان الدكتور تميم العدناني الفلسطيني مدرساً في إحدى جامعات المملكة العربية السعودية، فترك الجامعة وتفرغ لقضية الجهاد والمجاهدين، وله محاضرات ودروس عديدة في هذا المجال، وقُتل في ظروف غامضة أثناء جولته في بعض الدول الأوربية، حيث كان يقوم بجمع التبرعات لصالح الجهاد الأفغاني.

المخاوف التي تنتاب القادم إلى باكستان ثم معسكرات الأفغان حيث غُربة اللغة والعادات، وما قيل عن الوقوع – أحياناً – في متاعب ومشكلات مع الأجهزة الأمنية الباكستانية، أو القبائل الأفغانية، أو العصابات أو المهربين.. وغير ذلك مما كان يرويه بعض العائدين من أفغانستان قبل 1986م، حيث أصبح للعرب كيانهم الخاص بهم، فتزايدت أعداد القادمين وتنوعت مشاربهم.

واستمرت هذه الحال حتى أواخر عام 1988م حيث بدأت عملية التأسيس الفعلي لتنظيم القاعدة، فبعد أن خاض المجاهدون العرب عدة معارك كبرى وعشرات المواجهات والمصادمات اكتسبوا من خلالها خبرات عسكرية عالية[1]، وتقوت علاقاتهم ببعضهم البعض من جهة، وعلاقاتهم بأمير المجاهدين أسامة بن لادن من جهة أخرى، وصاروا جيشاً مسلحاً لا يقل أهمية عن أي جيش آخر في دولة من الدول، بل لعلهم يفوقون غيرهم بمميزات لا تتوافر عند غيرهم، فهم يخوضون تجربة مواجهة جيش من أكبر جيوش العالم تجربة وقوة وخبرة وإمكانيات، جيش الاتحاد السوفيتي، الدولة التي تشكل القطب الآخر الموازي للولايات المتحدة الأمريكية في ذلك الوقت.

وبدأت فكرة الإنشاء والتأسيس على صورة عملية إدارية لتنظيم حركة المجاهدين، حيث تم ترتيب سجلات خاصة تشمل البيانات الكاملة عن كل قادم إلى أفغانستان، وفيها تاريخ وصول الشخص ودخوله بيت الأنصار ثم التحاقه بالمعسكرات، والمدة التي قضاها في المعسكر، والدور الذي قام به، والخبرة التي اكتسبها، وأنواع الأسلحة التي تدرب عليها والمعارك التي شارك فيها، والجبهات التي رابط فيها، وغير ذلك من التفاصيل الدقيقة

---

(1) وهي تلك التي أشار إليها منهج القاعدة: (قلت: والمسلمون اليوم بعيدون عن ممارسة القيادة والعمل الجماعي على أسس شرعية صحيحة، وذلك لذهاب دولة الإسلام والقعود عن أداء فريضة الجهاد، فلتكن ميادين التدريب والجهاد المتاحة اليوم ساحة لممارسة القيادة والعمل الجماعي عملياً، والممارسة تُكسب الخبرة وتبين نواحي القصور). العمدة (صفحة 168).

الأخرى، بالإضافة إلى بيانات العضوية في التنظيم، وإذا رغب الشخص بذلك طواعية ودون إكراه، هذا بالنسبة لمن لم يبايع أمير المعسكرات من قبل، أما من كان في الجماعة قبل ذلك فهذه المرحلة قد تجاوزها.

فالقاعدة إذن كانت في بدايتها تبدو كإدارة مستقلة أُنشئت لاستكمال العملية الجهادية إدارياً، وبغرض عدم تشتيت الجهود، ولتقييم الكفاءات – كفاءات الأعضاء – ولننقل من العمدة ما يفيدنا في هذا الشأن:

"**وللوصول إلى تقييم جيد للفرد يمكن اتباع الوسائل التالية:**

1- إعداد بيان عضوية لكل فرد، على أن يشمل هذا البيان على ما يلي:

- اسمه وكنيته.
- أسماء أقاربه وعناوينهم.
- تاريخ ميلاده.
- المراحل الدراسية التي قطعها.
- العلوم الشرعية التي درسها، مع بيان محفوظاته.
- الخبرات والمهارات الخاصة.
- الخبرة العسكرية السابقة.
- اللغات التي يجيدها.
- المهنة الحالية والمهن السابقة.
- الحالة الصحية، مع ذكر العاهات والأمراض المزمنة إن وجدت.
- عدد الأفراد الذين يعولهم العضو وأعمارهم، إذا كان سيصرف له عطاء.
- الأمانات التي أودعها في إدارة المعسكر.
- الوصية، لتنفيذها في حالة استشهاده.

ويمكن إضافة بيانات أخرى إذا رأى المسئول عن المعسكر ذلك.

2- سؤال العضو عن نفسه، إذا أراد الأمير معرفة بيانات أخرى أو الاستفسار عما كتبه العضو، فللأمير أن يسأله عن ذلك.

3- مراقبة سلوك العضو، من وجهين:

- **الأول**: سلوكه في خاصة نفسه: أدبه – عبادته – ورعه – إتقانه لعمله.
- **الثاني**: سلوكه في حق إخوانه.

4- الاختبارات: للأمير أن يعقد الاختبارات لأتباعه لمعرفة مستوى تحصيلهم وقدراتهم، وقد تكون هذه الاختبارات نظرية أو عملية أو حتى نفسية.

5- سؤال الناس عن العضو: فيسأل عنه من يعرفه، وعن حاله من قبل.."[1].

وقد كانت عملية أخذ البيانات الشخصية بتلك الطريقة موضع استغراب عند بعض القادمين من ذوي النزعة السلفية التقليدية[2] الرافضة لمبدأ العمل الجماعي باعتباره حزبية، وما يلحق بذلك من بيعة وسمع وطاعة للأمير!! وكانت المحاولات تُبذل لإقناعهم، وقد نجحت في مرات كثيرة، وقد كانت تظهر مسألة الرفض حينما يُقابل بن لادن بوابل من الأسئلة والاستفسارات عمّا يحصل في القاعدة فيجيب: "إنك ترى أنه لو كانت هناك بقالة فلا بد لها من عمال ملتزمين، ولا يأتي كل واحد منهم على هواه، ليحصل الربح، أو إذا كانت هناك مدرسة أو مستشفى فلا يمكن أن تُدار وتستمر بدون ضبط وإدارة حاسمة، فما سمعنا أن دائرة من الدوائر قامت بالإجازات.. هكذا، بل لابد من الانضباط والمواصلة،

---

(1) العمدة (صفحة 191- 193).

(2) وقد كان هؤلاء يلتحقون غالباً بمعسكرات الشيخ الأفغاني السلفي جميل الرحمن، وبعد مقتله اتهموا قادة الأحزاب الأفغانية بقتله: (وأيضاً لا ننسى ما حدث في ولاية كنر بأفغانستان التي أقام دعائمها على التوحيد الشيخ جميل الرحمن فما كان من أعداء الدعوة المتمثلين بالأحزاب السبعة إلا أن تكالبوا..) انظر إرشاد البرية (صفحة 194).

فكيف بذروة سنام هذا الدين! ألا يحتاج إلى ذلك، ولا يمكن أن نقاوم الكفار بفتات أوقاتنا وأموالنا، والكفر قد فرّغ جيوشاً لقتال المسلمين من جيوش مدربة، وجعلوا لها نصف ميزانياتهم، واعتنوا بها، كل ذلك لمحاربة الإسلام.."[1].

لقد قام بن لادن ومعاونوه بمحاولة رسم حدود العضوية في جماعة القاعدة، وتأسيس معايير وضوابط أفضل للانتماء وللسلوك، مع التركيز على عملية إحياء القيم والمبادئ التي تميز القاعدة عن غيرها من الجماعات.

إن القاعدة كتنظيم أو كجيش عسكري أو كجماعة إسلامية، قد بُذرت بذرته الأولى – كما سبق – من خلال تأسيس (بيت الأنصار) و(مكتب الخدمات)، ثم تشكلت ملامحه وقويت بنيته بعد إنشاء المعسكرات الستة الخاصة بالمجاهدين العرب، ورغم أن التسمية جاءت متأخرة، لكن التأسيس كان منذ إنشاء الإدارة المستقلة، والتي تنظم حركة المجاهدين والعملية الجهادية ككل!! ومع ذلك فإن القاعدة التي يعرفها العالم اليوم ليست هي التي ذكرناها سابقاً فحسب، بل هي بالإضافة إلى ذلك تكوينات إسلامية كاملة البنيان تلاحمت وانصهرت في دائرة القاعدة نتيجة ظروف وأحداث تتالت وساهمت في خلق القاعدة بالصورة التي تسامعها الناس في العالم اليوم.

---

(1) جميع هذه النصوص منقولة من أشرطته المشهورة، كشريط (الجهاد هو الطريق) و(الطريق إلى القدس) و(واقعنا المعاصر) و(معركة جاجي) وغيرها.

ظروف وأحداث ساهمت في إظهار القاعدة بثوبها الجديد

خرج الروس من أفغانستان في أواخر عام 1989م، وعاد أسامة إلى المملكة على نية العودة، إذ الجهاد لم ينته بخروج الروس كما قال لأتباعه في معسكر خالد في أفغانستان في آخر لقاء له معهم قُبيل رجوعه إلى المملكة: "وستبقى في هذه الأرض أفغانستان معسكرات كبيرة – إن شاء الله – للتدريب الحي والعملي على الأسلحة الثقيلة، ومواصلة الجهاد.." وما عاد يعدهم بتحرير أراضي المسلمين من سيطرة الكفار وعدم انقطاع الجهاد بخروج القوات الروسية من بلاد الأفغان فحسب؛ بل إنه صار يعتبر هذا الانتصار هو البداية للجهاد الحقيقي.

وعندما عاد بن لادن إلى المملكة في هذه المرة (عام 1989م) فوجئ بإعلامه من السلطة السعودية بأنه ممنوع من السفر خارج المملكة وإلى أي دولة من دول العالم، كما تم سحب جواز سفره تبعاً لذلك القرار، وكان هذا الموقف المفاجئ له أول بادرة توتر بينه وبين حكومة بلده، إذ كانت العلاقة قبل ذلك على أحسن حال، بل كان يحظى بدعم غير مباشر من قبل حكومة المملكة من خلال دعمها للقضية الأفغانية، بل يمكن أن يقال إن المملكة العربية السعودية هي الداعم الأول والأكبر بين دول العالم للجهاد والمجاهدين الأفغان.

لا يهم أن نعرف كيف فسر أسامة هذا القرار، ولا يهم أن نحلل الموقف السعودي، إنما الأهم أن نتعرف على أحوال أسامة في هذه المرحلة الجديدة، لقد استمر أسامة في نشاطه الدعوي العلني في المساجد والجوامع، ولم يغير أسلوبه في الدعوة إلى الجهاد ووجوبه، وضرورة الإعداد والتدريب، وغيرها من القضايا التي انشغل بها منذ انخراطه في حركة الجهاد الأفغاني، بل تطور به الحال ليعلن خلال محاضراته العلنية عن تحذيره

من خطورة النظام العراقي البعثي الكافر، وأنه سوف يغزو دول الخليج العربي. ولا شك أن حكومة السعودية قد أزعجتها تلك التنبؤات، إذ كانت العلاقات السعودية العراقية في أحسن أحوالها، ولذلك وجهت له وزارة الداخلية تحذيراً بعدم ممارسة أي نشاط علني، ووجوب التزامه بالتوقف أو أنه سيوضع تحت الإقامة الجبرية، وربما يتم اعتقاله إن خالف هذا الأمر.

وجاء الغزو العراقي لدولة الكويت، فاعتبرها أسامة فرصة لعودة قيام الجهاد من داخل أرض الحرمين لصد عدوان النظام البعثي الذي يحكم بكفره وارتداده.. وعرض على المسئولين في المملكة اقتراحاته لكيفية مواجهة الغزو العراقي، وذلك من خلال إعلان التعبئة العامة في الأمة الإسلامية كلها، كما أبدى استعداده في المساهمة والمشاركة في عملية الدفاع عن بلاد المسلمين من خلال استدعاءه لجميع إخوانه المجاهدين العرب الذين خاضوا معه معارك التحرير في بلاد الأفغان.

لم تستجب حكومة السعودية لاقتراحات أسامة في كيفية الدفاع ومواجهة نظام صدام حسين وأطماعه، ثم جاءت مرحلة الاستعانة بالقوات الصديقة والشقيقة، وجاء قرار استدعاء القوات الأمريكية. ولعل هذه النقطة كانت بداية التحول عند أسامة، حيث كان لا يقطع صلته بحكومته، ولم يعلن عن وجوب مقاتلة حكام المملكة كغيرهم من الحكام العرب الذين رأينا الحكم القاطع بكفرهم وردتهم ووجوب جهادهم، كما صرَّح بذلك منهج القاعدة (العمدة) وأكدته محاضرات بن لادن وندواته العلنية.

ظن أسامة أن الغزو العراقي منحة سماوية لإعادة لملمة الأتباع والانطلاق بالقاعدة من بلاد الحرمين، ورغم ما في هذا الظن من سذاجة، لكنه كان دليلاً على أن أسامة لم يكن على قدر عالٍ من فهم الواقع الذي يحيط به، وربما كانت محبته للجهاد وعشقه لميادين

القتال قد حوله إلى عسكري أكثر منه إلى سياسي حصيف. وربما لو تمت الاستجابة لمقترحاته ولو من باب الاستدراج حتى يلملم أتباعه وأعوانه، لما كان هناك اليوم تنظيم اسمه القاعدة! ولا شك أن حكومة السعودية حينها كانت منشغلة بالهم الأكبر والمصيبة الأدهى وهي صدام حسين، ولم تتخيل أن بن لادن سيكون خطره عليها هو الأكبر، ولكن الأمر الذي لا خلاف حوله أن هذه الأحداث والتطورات قد أفادت أسامة بن لادن، وجاءت لصالحه رغم أنها تبدو عكس ذلك في نظر بن لادن نفسه فضلاً عن غيره.

وجاءت أذكى حركة في حياة أسامة، حيث قرر استخراج فتوى شرعية من كبار علماء السعودية تدعو إلى وجوب الاستعداد للقتال على كل مسلم من أبناء الأمة وخاصة أبناء الجزيرة العربية، واستطاع بن لادن من خلال هذه الفتوى التي استصدرها من كبار العلماء وعلى رأسهم الشيخ محمد بن صالح العثيمين الذي يحتل مكانة كبيرة في نفوس كثير من أبناء الأمة الإسلامية عامة، وأبناء الجزيرة خاصة، وقد جعل أسامة هذه الفتوى وسيلته السحرية – إن صح التعبير – لدعوة الشباب المسلم إلى العودة إلى أفغانستان للتدريب والاستعداد، فعادت أعداد كبيرة من أتباعه ورفقاء الجهاد إلى أفغانستان، بل استجابت لدعوته أفواج كبيرة من الشباب الذين رأوا في ذلك طاعة لله، واستجابة لنداء (أولي الأمر = العلماء)، وجرت حركة الشباب وموجات العودة في وقت كانت حكومات الدول العربية مشغولة بصدام وجيشه الغازي.

عاد الكثيرون، وبقي أسامة في المملكة تحت قرار حظره من السفر، لكنه لم يقطع نشاطه الدعوي ولقاءاته مع المشايخ والعلماء والدعاة، وعادت السلطة إلى تحذيره وتأكيد منعه وتجميد جميع نشاطاته. وظل بن لادن يترقب الساعة التي يستطيع فيها الخروج من المملكة ليلحق بإخوانه وأنصاره.

انتهت فترة الحرب وتوقفت عاصفة الصحراء، ولا يزال أسامة رهين الإقامة الجبرية واستطاع في الأخير أن يخرج من السعودية، فتوجه إلى باكستان، لكنه ما لبث أن غادرها مجتازاً الحدود الأفغانية، فالتقى القائد بأتباعه والتمَّ الشمل، لكن ما يجري في أفغانستان لم يكن كما كان في سابق عهده به، لقد وجد إخوة الأمس وحلفاء الجهاد ورفقاء الدرب من الفصائل الأفغانية يتقاتلون فيما بينهم بعد أن خرج عدوهم المشترك، وسقطت دولة النظام الشيوعي، ولم يكن هذا الحال بأفضل مما عاشه في السعودية حيث كانت حركته مقيدة، ونشاطه محظوراً، وأعداؤه من الأمريكان يجوبون البلاد.

وفي ظل ظروف الصراع الأفغاني – الأفغاني، بين المجاهدين أنفسهم، اتخذ أسامة ابن لادن قراراً بعدم مشاركته في هذا الصراع، وأصدر أمره لأتباعه بعدم التورط في الصراع القائم بين حكومة رباني وجماعة طالبان، وقد قيل بأنه حاول الإصلاح بين المتقاتلين ولكنه لم يفلح في ذلك.

لم يطمئن في فترة إقامته على نفسه وأتباعه، فقرر المغادرة إلى مكان آمن حتى تستقر الأوضاع في بلاد الأفغان وتُحسم المواجهات بما يقدره الله، فكانت السودان وجهته ومقصده.

وصل إلى السودان في نهاية عام 1991م مع عدد من أتباعه بطيارة خاصة، ولحقت به أعداد أخرى بعد ذلك. لقد اختار أسامة السودان دون غيره، ليؤمن له الاستقرار والأمان وقد نشط بن لادن وساهم في مشاريع طرق[1] وإنشاءات عديدة، كما شجع بعض المستثمرين للدخول في مشاريع استثمارية ناجحة في هذا البلد الواعد، ومن خلال ذلك يمكن التأكيد بأن بن لادن إنما جعل فترة إقامته في السودان لتنشيط قدراته التجارية

---

(1) مثل الطريق من الخرطوم إلى بورسودان، والمعروفة بـ (طريق التحدي).

والإنشائية لا لأي غرض آخر، إذ لا يُعرف له أي نشاط عسكري في السودان مطلقاً، لكنه أشرف على عمليات جهادية خارج السودان.

وفي فترة إقامته في السودان صدرت قرارات هامة من حكومة السعودية، مثل القرار الصادر نهاية عام 1992م الذي قضى بتجميد أمواله، والثاني في بداية عام 1994م، وقضى بسحب الجنسية السعودية منه. وقد أصدر أسامة بن لادن بياناً شخصياً يرد فيه على قرار سحب الجنسية السعودية منه، وتعدُّ هذه الخطوة أول مواجهة مباشرة لابن لادن ضد الحكومة السعودية، وقد كانت كثير من الشخصيات الإسلامية والدعاة ورواد الحركة الإسلامية يترددون على مقر إقامة بن لادن في السودان، وبذلك نمت واتسعت دائرة أتباعه وأنصاره.

كما حصلت أثناء فترة إقامته في السودان أحداث ساهمت بشكل غير مباشر في خروج بن لادن من السودان، وهي أحداث الصومال والتي عُرف بأن منفذيها كانوا من الذين تدربوا في أفغانستان، وكذلك أحداث التفجيرات في اليمن والتي شملت فندقي عدن والساحل الذهبي، (جولد مور) وكان المنفذون – أيضاً – من الشباب الذين خاضوا تجربة أفغانستان أو أغلبهم على الأقل، وأهم حدث هو انفجار الرياض الشهير.

وقد نُسبت تلك الأحداث إلى بن لادن، والذي لم ينكر تأييده لها، ولم يخف سعادته بحصولها، لكنه لم يؤكد نسبتها إليه صراحة، ولو أمكننا قبول عدم علاقته بأحداث الصومال، واعتبارها ضمن دائرته العامة – كما قال بن لادن نفسه – لكننا لا يمكن أن نصدق عدم مسئولية بن لادن عن أحداث تفجيرات عدن والرياض؛ لأن كل الدلائل تؤكد علاقتها بأسامة وتنظيمه الجهادي، فالمنفذون كانت تربطهم به علاقات قوية لم ينكرها أسامة، بالإضافة إلى الاعترافات التي أدلى بها بعضهم، وأثبتت الأيام بعد ذلك صحة هذه الاعترافات.

أحسّ أسامة بأن إقامته في السودان مصدر حرج شديد للحكومة السودانية التي أحسنت معاملته، فقد أقام في السودان معززاً مكرماً، وتلك طبيعة الشعب السوداني الكريم، فلم يكن من حسن الجزاء أن يوقع السودانيين في حرج دولي وعربي بعد أن أصبحت إقامته بينهم مثاراً للمشكلات والإحراجات، فقرر الخروج من السودان، وليتجه إلى حيث جاء.. إلى أفغانستان، البلد الوحيد بعد أن أغلقت أمامه كل بلاد العالم.

وصل إلى بلاد الأفغان واستقبله أحبابه المجاهدون الأفغان، الشيخ يونس خالص، والشيخ جلال الدين حقاني وغيرهما، حيث كان وصوله إلى منطقة جلال آباد قبل أن تستولي عليها طالبان، وكانت الصراعات الأفغانية لا زالت مستمرة. فأرسل بن لادن رسالة يشرح فيها موقفه وأتباعه من الحروب والصراعات، معلناً حياده وعدم تدخله في تلك الصراعات لصالح أي طرف من الأطراف، بالإضافة إلى دعوته للجميع إلى حل خلافاتهم ومراعاة حق الأخوة الإسلامية وحقن الدماء الإسلامية.

وفي شهر يونيو من عام 1996م حدث الانفجار الضخم في مدينة الخبر السعودية، ونُسب إلى بن لادن وجماعته، ورغم عدم إعلان أسامة مسئوليته لكنه أعلن تأييده لانفجار الخبر الذي أودى بحياة عشرين عسكرياً أمريكياً وجرح العشرات.

أصدر بن لادن بيانه ضد الأمريكان في شهر نوفمبر عام 1996م، وكان هذا هو البيان الأول الصادر من بن لادن وهو بعنوان: (إعلان الجهاد لإخراج الكفار من جزيرة العرب)[1]، وقد ركز البيان على قضية هيمنة الكفار على جزيرة العرب بقواتهم العسكرية، والتي لم تحدث منذ البعثة النبوية، وقد استشهد بالأدلة الشرعية الداعية إلى إخراج الكفار

---

(1) وتم توزيعه بالفاكس في اثنى عشر صفحة استلمتها مئات الفاكسات، كما تم نشره بعد ذلك في شكل كتيب. وكان البيان عبارة عن مشروع إسلامي لتجييش المسلمين وعلماء المسلمين ضد الوجود الأمريكي في جزيرة العرب.

من جزيرة العرب وأن لا يبقى في الجزيرة دينان، ووجوب الجهاد حتى يخرج المشركون من جزيرة العرب. وقد كانت لابن لادن نشاطات إعلامية، حيث كان مقصداً للقنوات الإخبارية كمحطة (CNN) ومحطة القناة الرابعة البريطانية، وغيرها من وسائل الإعلام العالمية والعربية، في هذه الفترة.

وكان بن لادن وأتباعه يقيمون في جلال أباد الواقعة تحت سيطرة الحكومة الأفغانية، وبعد سقوطها أمام قوات الطالبان بقي فيها أسامة ثم انتقل إلى قندهار وهي معقل طالبان، ومقر إقامة زعيمها الملا عمر، وفي قندهار التقى الزعيمان لأول مرة، ووُصف هذا اللقاء بأنه لقاء أخوي حميم.

وظل أسامة وأتباعه بعيدين عن ميادين القتال حتى استعدَتهم قوات القائد الأفغاني دوستم الأوزبكي، المدعومة من الروس والأمريكان، حيث تحالفت قوات دوستم والقبائل الطاجيكية بقيادة أحمد شاه مسعود، فأصدر بعض العلماء فتوى بوجوب قتال هذا التحالف القوي، الذي كادت قوات طالبان أن تنهار أمامه، وأثبتت قوات القاعدة بأنها لا تزال تحتفظ بقدراتها ومهاراتها القتالية، حيث ارتدت القوات الكبيرة والمنظمة التابعة لمسعود عن العاصمة كابل، وبقيت سيطرة طالبان على العاصمة الأفغانية التي كادت أن تسقط[1].

كان بن لادن يحرص على إضفاء الشرعية الدينية على كل ما يفعله ويقدم عليه من عمل أو إجراء أو حتى بيان وإعلان – كما رأينا – ولهذا استطاع الحصول على فتوى شرعية في نهاية عام 1997م من العلماء الباكستانيين وعلماء طالبان (حوالي أربعين عالماً) تؤيد هذه الفتوى البيان الصادر في نوفمبر 1996م. وقد آتت هذه الخطوة ثمارها

---

(1) لأن أعداء طالبان كانوا قد فتحوا عدة جبهات لتشتيتهم، فهناك جبهة الشمال حيث قوات دوستم، وكذلك جبهة القتال في باميان حيث القوات الشيعية.

بجنب كثير من القيادات الإسلامية وزعماء الجماعات الجهادية، ليس من البلاد العربية فحسب؛ بل والبلاد الإسلامية وتقاطرت الوفود من كل حدب وصوب على بن لادن.

وفي شهر فبراير من عام 1998م صدر بيان (الجبهة الإسلامية العالمية) الذي يدعو إلى قتل الأمريكان واليهود في كل زمان وفي كل مكان، وقد وُزِّع هذا البيان واهتمت به الصحافة والإعلام، فنُشر في كثير من وسائل الإعلام والصحافة العالمية على نطاق واسع، وهذا البيان يعتبر نقطة تحول كبيرة في مسيرة المواجهة بين القاعدة وأعدائها، فقد كانت مواجهة القاعدة تركز على قضية القوات الأمريكية المهيمنة على جزيرة العرب، والدعوة إلى إخراج هذه القوات الكافرة، وبصدور هذا البيان توسعت المواجهة بتوسع مفهوم المواجهة مع الأمريكان في جزيرة العرب إلى المواجهة في كل مكان، وفي أي وقت من الأوقات، لكل أمريكي ويهودي، واستباحة قتلهم لمن كانوا في سن القتال، ولا فرق بين المدني أو العسكري؛ لأن الأمريكيين يحتلون بلاد الحرمين، وكل أمريكي يعتبر داعماً ومؤيداً للاحتلال، سواء أكان عسكرياً أم غير عسكري، ثم إن الأمريكان واليهود قد استباحوا دماء المدنيين من المسلمين، فلماذا تبقى دماؤهم محرمة على المسلمين المجاهدين في سبيل الله بحجة أنه لا يُقتل إلا من قاتل. أما غير المقاتلين فقد أرشد النبي ﷺ بعدم قتلهم أو التعرض لهم بأذى، فالإسلام دين السلام!! فهذه الحجة صحيحة فيما تصح من حالاتها، أما وهذه الحال، فإن الإسلام لا يمانع من قتلهم جميعاً حيثما كانوا، وفي أي وقت من الأوقات، إذ الأمريكيون واليهود هم العدو الأكبر للإسلام والمسلمين، ولم يعد هناك قوة أخرى تنافسهم، بل إن غيرهم تبعاً لهم، حيث سخرهم الأمريكان واليهود، وسيطروا على اقتصادياتهم وساستهم لخدمتهم وخدمة غايتهم الكبرى (تدمير الإسلام والمسلمين)

وهذا البيان لم يصدر بصورة شخصية، كما رأينا في الإعلان السابق الصادر في نوفمبر 1996م، بل وقع عليه بعد بن لادن: الدكتور أيمن الظواهري باسم (جماعة الجهاد

المصرية)، والأستاذ رفاعي طه عن: (الجماعة الإسلامية المصرية)، كما وقعه رئيس الفصائل الجهادية الكشميرية، وأحد قيادات الجماعة الإسلامية في باكستان. وبذلك صارت القاعدة تنظيمياً أكثر اتساعاً وأقوى مواجهة، إذ انصهرت فيها أقوى الجماعات الجهادية الإسلامية في العالم، وأكثرها تجربة وخبرة، وقد ساعد هذا التحالف بين هذه الجماعات على تحقيق أعظم حلمٍ من أحلام القاعدة، دعت إليه وأكدته في منهجها، وهو ما جاء لحل مشكلة تعدد الجماعات الجهادية، وقد مرَّ بنا نص منهج القاعدة على وجوب انضمام اللاحق إلى السابق؛ بمعنى أن تَنْضمَّ الجماعة الحديثة التكوين إلى الأقدم، لتوحيد الجهود وتقوية الشوكة. لكن ذلك البيان وما صحبه من أنشطة إعلامية حقق نتيجة سيئة في المقابل مع طالبان، إذ لم يكن ذلك مناسباً في نظر زعيم طالبان الملا عمر، حيث كان يسعى لتثبيت أركان دولة طالبان والحصول على اعتراف دولي بها، لتدخل ضمن الأسرة الدولية وتكتسب الشرعية.

وقد ترجمت القاعدة هذا البيان حين نسفت شاحنتان سفارتي الولايات المتحدة في كينيا وتنزانيا في الثامن عشر من شهر يوليو 1998م، وهذا ما كان بن لادن قد وعد بحدوثه بعد إعلان الجبهة الإسلامية العالمية، بأنه سيضرب الأمريكان خلال فترة قصيرة[1]. وردت الولايات المتحدة بضربات صاروخية على السودان وأفغانستان، حيث وقف الرئيس الأمريكي كلينتون بعد انفجاري كينيا وتنزانيا؛ وبجانبه وزير الدفاع ورئيس الأركان الأمريكيين، وقف يعلن أنه اتخذ قرار ضرب السودان وأفغانستان رداً على أسامة بن لادن، وقد ذكر اسم بن لادن ثلاث مرات في خطابه الذي سمعه ملايين الناس في العالم. وزادت هذه الضربات بن لادن شعبية وتعاطفاً في السودان وباكستان وأفغانستان خاصة، وكثير من دول العالم العربي والإسلامي عامة. كما كانت خطوة أساسية وهامة في تحول خلاف

(1) وقد أطلق تصريحاته تلك في مقابلة مع محطة ABC الأمريكية.

الملا عمر مع بن لادن[1] إلى وفاق وتأييد وحماية!! ثم جاءت إجراءات طرد أفغانستان من حظيرة دول العالم بمحاصرتها اقتصادياً ودبلوماسياً، مما زاد بن لادن قرباً من طالبان. وقد أصبح أسامة بن لادن وقاعدته حديث الدنيا وشغل العالم، واتسعت شهرته وتناقلت بطولاته وجراءته الألسن، وظهر كقائد إسلامي لطالما حلمت به الجماهير الإسلامية، وانتظرته القلوب المتطلعة نحو إعادة مجد الحضارة الإسلامية، ودولة الخلافة التي تآمر عليها أعداء الإسلام بشتى الوسائل، فزالت، فها هو صلاح الدين قد عاد ليعيد للأمة كرامتها وعزته.. هكذا بدا المشهد في تلك الفترة؟

وقد شهدت هذه الفترة انضمام العديد من الجنسيات غير العربية إلى تنظيم القاعدة، وازدياد الإقبال على بن لادن من الباكستانيين، والبنجلاديش، والطاجيكستانيين، والأوزباكستانيين، والكشميريين وشباب شرق آسيا وغيرهم، مما أوصل القاعدة إلى قمة مجدها انتشاراً وتأييداً..

ونتجاوز الأحداث التي جرت حتى حدث 2001/9/11م، الذي يُعد من أهم الأحداث في التاريخ المعاصر، حيث انقلبت الدنيا بسقوط بُرجي مركز التجارة العالمي في نيويورك وضرب مقر البنتاجون الأمريكي، فأعلنت الولايات المتحدة الأمريكية حرباً شعواء على الإرهاب المتمثل بالقاعدة وزعيمها أسامة بن لادن، وقامت بالهجوم العسكري على أفغانستان وأسقطت حكومة طالبان في: 2001/11/22م.

وأخيراً فإننا لابدّ أن نعترف بالدور الأمريكي غير المباشر، الذي هيأ المناخات المناسبة لقيام القاعدة أولاً، ثم بتعبيد الطريق لقيامها ثانياً، ثم تمكين القاعدة من أخذ صورة تنظيم عالمي، قوي من خلال ردة الأفعال الأمريكية الغاضبة، والتي أراد الأمريكيون من خلالها حفظ ماء وجوههم بعد ضرب سفارتي أمريكا في أفريقيا، ولإثبات سيطرتهم

---

(1) خلاف لم يصل إلى مستوى العداء والكراهية، وقد ذكرت ملابسات هذا الخلاف قبل قليل.

وهيمنتهم أمام العالم، وخاصة الشعب الأمريكي الذي تفاجأ بوجود عدو قادر[1] على تفجير أماكن تعتبر جزءاً من الأراضي الأمريكية حسب العرف الدولي، فحصلت الضربات الأمريكية، وأُعلنت الحرب على القاعدة وزعيمها، الذي أصبح نظيراً ونداً في نظر العالم لأكبر قوة عسكرية في العالم، ثم جاءت أحداث (11 سبتمبر2001م)، فكانت الضربة الأمريكية، بل الغزو الأمريكي لأفغانستان وإسقاط طالبان.. وبذلك أضاف الأمريكيون إلى القاعدة قوة لا تحلم بها القاعدة، ولم يخطط لها بن لادن، وهي القوات الطالبانية بما تعني من أعداد بشرية ومقاتلين وعلماء وطلبة علم وقبائل بشتونية، وغيرها مما كانت حكومة طالبان تعنيه.

إن زعيم طالبان[2] لم يكن على وفاق تام مع بن لادن وجماعته، بل كادت العلاقة أن تتوتر وتزداد سوءاً بعد أن خالف أسامة ما اقترحه عليه الملا محمد عمر من عدم ممارسة أي نشاط إعلامي، وموافقة بن لادن على ذلك ثم إخلافه له بعد أن استخرج فتوى من علماء طالبان والعلماء الباكستانيين تؤيد بيانه الصادر في نوفمبر 1996م، وحتى بعد إعلان الجبهة الإسلامية العالمية في فبراير 1998م لم يكن الملا عمر راضياً عن هذه النشاطات، بل اعتبرها خرقاً للالتزام والوعد الذي كان بينه وبين بن لادن، ثم إن استمرار بن لادن في نشاطاته وتصعيده للمواقف جعل الملا عمر يغضب ويستاء! لكن لم تصل ردة فعله إلى حد المنع بالقوة أو المواجهة، لما كان يحمله من مشاعر الوفاء والاحترام لما قدمه العرب وقائدهم بن لادن، الذي ترك الدنيا وهي تحت قدميه وجاء إلى جبال وصحارى أفغانستان مجاهداً بنفسه وماله، فلم يستطع الملا عمر أن يقابل الجميل بالجحود والنكران، فلم يكن بن لادن ورفاقه العرب قضية سهلة يمكن التخلي عنها من قبل طالبان، التي يحتل

---

(1) والأدهى أن يكون هذا العدو من العرب!!

(2) وهو الملا محمد عمر، واسمه محمد عمر بن غلام بن آخوند، ولد في إقليم (أوروزجان) من أقاليم أفغانستان عام 1960م، وقد أصبح رئيساً لدولة طالبان، وأعطي لقب (أمير المؤمنين) بعد سقوط كابل بأيدي مليشيات طالبان في سبتمبر 1996م، واتخذ قندهار مقراً له.

العلماء الشرعيون فيها مكانة كبرى في توجيه الحركة الطالبانية[1]، ولهذا فإن مسألة تسليم بن لادن التي جعلتها الولايات المتحدة شرطاً في وقف الحصار الذي فرض على أفغانستان بقرار من مجلس الأمن، قويت مكانة بن لادن بسببها، ولم تضعف كما ظن الأمريكيون الذين لا يتفهمون خصائص الشعوب ونفسياتهم ولا يدركون تاريخ الشعوب[2]، حيث أعمتهم حضارتهم المادية عن الرؤية الصحيحة، فكانت قراراتهم أسباباً في خلق ما يسعون لإبادته، وأعمالهم عوامل بناء لما يريدون هدمه والتخلص منه!!

ولن نستغرب حين نجد أبا مصعب الزرقاوي الذي أعلن بيعته لابن لادن أمام العالم فأصبح – ومن معه – بموجب هذه البيعة جزءاً من تنظيم القاعدة، ومفوضاً من زعيم القاعدة لقيادة العمليات القتالية في العراق.. لن نستغرب حين نجده يُخاطب الملا عمر قائلاً (أميرنا) في بيان نُشر على الإنترنت (في 4 سبتمبر 2005م) هنأ فيه قيادات التنظيم بقوله: "هنيئاً لأمة الإسلام وشيخنا المجاهد أبي عبدالله أسامة بن لادن، وأميرنا الملا عمر، والشيخ أيمن الظواهري.. بدمار رأس الكفر أمريكا، فها هي بوادر الانهيار بادية عليها..".

إن الظروف والأسباب التي خلقتها الولايات المتحدة الأمريكية لانضمام والتحاق قوات بن لادن بالقوة الطالبانية هي ذاتها التي جعلت أحمد فضيل نزال الخلايلة، المعروف بأبي مصعب الزرقاوي فصيلاً من فصائل القاعدة؛ إذ أن الزرقاوي لم يلتحق بالجهاد الأفغاني إلا في أواخر أيام مراحل الجهاد في أفغانستان، حيث مارس جهاده ومارس القتال ضمن معسكر القائد الأفغاني قلب الدين حكمتيار، ولم ينضم إلى معسكرات بن لادن، ثم عاد الزرقاوي إلى الأردن، وألقت السلطات الأردنية القبض عليه بعد محاولته مع مجموعة من رفاقه تسريب بعض الأسلحة إلى الضفة الغربية، وبعد محاكمته، حُكم عليه بخمسة عشر سنة، قضى منها أربع سنوات فقط ثم أُطلق سراحه بعد صدور العفو العام من الملك

---

(1) كلمة طالبان تعني في اللغة المحلية الأفغانية طلاب العلم جمع طالب .

(2) وهم يكررون ذلك في العراق، ويؤكدون جهلهم وإغراقهم في الاعتماد على القوة العسكرية الغاشمة.

عبدالله إثر وفاة والده الملك حسين في عام 1999م، فعاد إلى أفغانستان، وانضم للمجاهدين الأفغان، ولم يبايع بن لادن ولا زعيم طالبان الملا عمر، بل ظل يجاهد دون بيعة طاعة لأي قائد من قادة الجهاد، وحتى بعد أحداث الحادي عشر من أيلول لم يندفع الزرقاوي لمبايعة بن لادن رغم أنه قاتل في ظل عمل تبنته القاعدة، فواجه التحالف الأمريكي الأوربي وأنصارهما، ثم توجه إلى العراق ومارس الجهاد تحت تنظيم مستقل، وهو: (جماعة التوحيد والجهاد)، وبقيادته وذلك بعد إحتلال بغداد في 2003/4/9م.

ونتيجة لسياسة الغطرسة والهيمنة والبطش التي مارستها الولايات المتحدة في العراق وأفغانستان توحدت الأهداف الجهادية، وامتزجت وتلاحمت تجاه الخطر والاعتداء الذي تمارسه أمريكا وحلفاؤها. والأمر المثير للسخرية أن تعتبر الولايات المتحدة منظمة الزرقاوي جزءاً من القاعدة قبل إعلان بيعة الزرقاوي لزعيم القاعدة، وهو هدف طالما كان يحلم به بن لادن، فحققه له أعداؤه؟!

ولما بن لادن فقد اعتمدت جماعته في حركة تغلغلها وانتشارها في المجتمعات على مبدأ رفض الظلم وهيمنة الأقوياء واستبدادهم بشعوب العالم العربي والإسلامي، كما أن مبدأ رفض الأنظمة الحاكمة ووجوب جهادها ومواجهتها، ومخاطبة الجماهير بالاعتماد على الغايات الكبرى التي تطرحها القاعدة قد جعلها قريبة من قلوب الشعوب الإسلامية، خاصة الفئات الشبابية المتطلعة دوماً إلى التغيير. وها هي الجماعة السلفية في الجزائر تعلن في مطلع عام 2007م انضمامها لتنظيم بن لادن فتصبح (تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي) بعد أن كانت (الجماعة السلفية للدعوة والقتال). وفي تقديري سيظل مسلسل المتابعة والانضمام إلى القاعدة مستمراً ومتلاحقاً كلما ازدادت الولايات المتحدة الأمريكية استكباراً وعتواً في الأرض.

البدايات العملية لحركة الشباب نحو أفغانستان - اليمن نموذجا

إن الذين كونوا قواعد القاعدة وبُنيت على أيديهم لم يأتوا من بلد واحد، كما لم يكونوا ذوي خلفية مشتركة، بل كانوا من بلدان شتى، وأصحاب انتماءات شتى، ففيهم السلفي، والإخواني[1]، والتبليغي[2]، والجهادي[3]، وربما الصوفي، كما فيهم المستقلون اللاحزبيون.

وإن كنا قد أكدنا قيام القاعدة واعتمادها على الفكر السلفي، وهذا ما أكده مؤسس التنظيم، وأكده المنهج الذي اعتمده التنظيم ونقلنا كثيراً من الشواهد على ذلك في مواضع كثيرة من هذه الدراسة. لكن الأعضاء لم يكونوا كلهم من ذوي الاتجاه السلفي قبل انتماءهم إلى هذا التنظيم، وإنما يمكن اعتبارهم جميعاً سلفيين بمجرد التزامهم بالبيعة لأمير التنظيم السلفي المنشأ والمنهج.

وفي اليمن انطلق الشباب إلى أفغانستان، وثم تفويجهم عبر العناصر التي جعلها بن لادن مسئولة عن هذه العملية، وأمدهم بكل ما يلزم من مال لتسفير الراغبين إلى أرض الجهاد – أفغانستان – وهذه العناصر لم تكن مكشوفة معروفة، رغم عدم ممانعة السلطات اليمنية لذلك (حينها)؛ بل كانت تعمل بالخفاء حيث يتم إرسال الراغبين في السفر عبر أحد التابعين للجماعة إلى القائمين بعملية التفويج، ويكون هذا الإرسال بمثابة تزكية يتم بموجبها تجهيز الأشخاص بتذكرتين ذهاباً وإياباً إلى باكستان، كما يُعطى مصروف جيب للمسافر يتراوح ما بين مائة دولار أمريكي إلى مائتي دولار، أما لو استطاع الفرد المسافر تجهيز نفسه، فهذا أفضل لتوفير التكاليف لشخص آخر، ولو احتاج للتذاكر فقط أو المصروف فقط

---

(1) أي من الإخوان المسلمين.

(2) أتباع جماعة التبليغ.

(3) من جماعات الجهاد.

فيُعطى له ما ينقصه لتسهيل سفره.

ولم يكن في اليمن وكالات سفر محددة أو مكاتب معينة يتم التعامل معها كما كان حاصلاً في المملكة العربية السعودية، حيث كانت هناك مكاتب معلومة تُعرف بـــ (مكاتب المجاهدين)، وقد جاء في ندوة من الندوات التي كان يحاضر فيها بن لادن في (أبها) بعنوان: (الطريق إلى القدس) جاء على لسان من قام بتقديم بن لادن للحاضرين قبل إلقاء المحاضرة قوله: "وصل بيان إلينا من المجاهدين، وصل إلى (مكتب المجاهدين) في الرياض..". كما ذكر بن لادن في أحد هذه الأشرطة إجابة عن سؤال وجهه إليه أحد الحاضرين: كيف أذهب للجهاد؟ فذكر له أن يذهب إلى أحد مكاتب المجاهدين في المملكة، كمكتب المجاهدين في جدة وتلفونه: (6710813) لتسهيل عملية السفر، ويمكن عن طريق (مكتب الإغاثة الإسلامية) كما ذكر بن لادن، وهو أمر مشهور حينها وليس سراً، أنه يمكن الحصول على تذاكر السفر مع خصم 75% من قيمة التذاكر عن طريق الخطوط الجوية السعودية. فإذا حصل التجهيز، فإن الشخص سيصل إلى (إسلام آباد)، وسيجد هناك الاخوة ينتظرونه في المطار ثم يأخذونه إلى المعسكرات، والأمر ميسور سهل إن شاء الله..

وهكذا فإن أسامة بن لادن لم يكن يخفي هذه القضايا، لكن عناصره الذين في اليمن – كما قلنا – لم يكن لهم مكاتب معروفة، ولم يتعاملوا مع الخطوط اليمنية أو غيرها ليحصلوا على تلك النسبة من الخصم على تذاكر السفر.

صحيح أن الدعوة إلى الجهاد ودعم المجاهدين الأفغان كانت في اليمن لا تقل قوة ونشاطاً عن المملكة العربية السعودية، لكن تلك الحملة الدعوية كانت عبر بعض العلماء والدعاة وخطباء المساجد، وهي دعوة لتقديم يد العون والمساعدة لرفع معنويات المجاهدين، والإشادة بجهادهم، وإلهاب الحماس، وإذكاء الروح الإيمانية عند السامعين، والذين لا

يتوانون عن تقديم المال والمساعدات العينية المجاهدين، لكن لم يكن هؤلاء العلماء والدعاة يعلنون عن تبني عملية التجهيز للمجاهدين عبر قنوات محددة، بل كانت دعوة عامة.. والمؤكد أن عناصر بن لادن وأتباعه لم يكونوا يعملون في العلن، ولم يقحموا أنفسهم في الدعوة العلنية إلى الجهاد، ولم يُعرف عنهم إقامة المحاضرات والندوات في المساجد للدعوة والتحريض[1]، بل كان نشاطهم سرياً.

وقد عُرفت بعض البيوت في بعض المدن اليمنية بـ (بيوت الشباب)، حيث يتجمع فيها الشباب الراغبون في السفر إلى الجهاد أو القادمون من أفغانستان، لكن هذه البيوت لم تكن معروفة إلا لهؤلاء وللقليل من المنتمين للحركات الإسلامية، ولم يكن نشاط تلك البيوت بخافٍ عن أعين الأجهزة الأمنية، التي كانت ترصد حركتها دون التعرض لها بسوء أو إعاقتها. وكان شباب الإخوان يسافرون إلى أرض الجهاد عبر قنوات خاصة بهم، وأما في أفغانستان فهم – غالباً – ضمن المعسكرات الأفغانية السبعة المشهورة التابعة لقادة الأفغان كالبروفسور عبد رب الرسول سياف[2] والأستاذ قلب الدين حكمتيار[3] والبروفسور رباني

---

(1) كان لبعض التابعين لأسامة نشاط دعوي، لكنه أخذ طابعاً عاماً، أي أنه كان بصورة الدعوة إلى العلم والإيمان، والالتزام بالسنة وغيرها من القضايا، ثم تدخل قضية الجهاد في ذلك، لكن لم تكن دعوتهم جهادية جهرية كما كانت في السعودية.

(2) بدأ سياف الجهاد وهو ما زال طالباً بكلية الشريعة في كابل، وانضم إلى البروفسور غلام محمد نيازي وكونا (الجماعة الإسلامية) وقد اختير رئيساً للاتحاد الإسلامي في أفغانستان، ويعد سياف من أقرب الشخصيات الأفغانية إلى الدكتور عبدالله عزام، وفي ذلك ما يفسر سبب تدفق شباب الإخوان إلى معسكر سياف خصوصاً ثم اقتناع بعضهم بالالتحاق بمعسكرات أسامة بعد أن ازدادت علاقة بن لادن بعزام قوة، وأصبح الجهاد فرض عين لازم في أفغانستان عند الدكتور عزام مخالفاً النظرية التربوية الإخوانية التي تقدم التربية على الجهاد الحربي، كما حصل سياف على الماجستير في الحديث النبوي من الأزهر الشريف بمصر، وقد كرمته المملكة العربية السعودية بمنحه جائزة الملك فيصل لدوره في الجهاد وقال له إنظم إلى حكومة افغانستان الحالية بقيادة كرزاي واصبح في صف إعداد القاعدة وطالبان.

(3) وهو القائد الأفغاني المعروف، وقد التحق بالحركة الإسلامية منذ كان طالباً في كلية الهندسة، ولم يُكمل دراسته الجامعية، وعُين مساعداً لسياف في زعامة الاتحاد الإسلامي، وقد رأس (الحزب الإسلامي) أحد الفصائل الجهادية

وغيرهم من القادة الأفغان المعروفين.

ولقد كانت الحرب الأفغانية فرصة ساعدت قيادة الإخوان – في اليمن – على تقوية كيانها العسكري، وتشكيل قوة عسكرية مؤهلة لخوض المعارك الميدانية المحتملة مع الأعداء مستقبلاً، ورغم امتلاك الأخوان مثل تلك القدرات العسكرية من خلال خوض شباب الجماعة معارك قتالية ضد قوات الجبهة المعروفة في المناطق الوسطى من اليمن، لكن هذه التجربة الجديدة تختلف تماماً عن سابقتها، حيث يكتسبها شباب الجماعة خارج الحدود اليمنية، بالإضافة إلى كونها مواجهة ضد ثاني أكبر دولة في العالم عسكرياً وهي الاتحاد السوفيتي. كما استفادت قيادة الإخوان من تلك الظروف للتخفيف من الضغط الداخلي الحاصل من الشباب الإخواني من المتطلعين نحو مواجهة الأعداء ميدانياً بعد أن ملوا سياسة النفس الطويل، والمهادنة التي تسلكها الجماعة وتعتبرها وسائلها المتاحة التي يمكن من خلالها إعادة مجد الخلافة الإسلامية، وتحكيم الشرع الإسلامي بعد أن أقصاه أعداء الدين، فكانت أرض أفغانستان ومعسكراتها هي المتنفس المشروع الذي يمكن من خلاله أن تثبت قيادة الإخوان لهؤلاء الشباب المتحمسين أنها لم تلغِ الجهاد والقتال من برامجها حالما تتاح لها الفرصة لذلك، وفي نفس الوقت لن تجد الجماعة معارضة من السلطة اليمنية ولا حرجاً من أي جهة خارجية عربية أو أجنبية، فهي تعمل ضمن الشرعية التي أقرتها الولايات المتحدة الأمريكية وسائر البلدان العربية والإسلامية تبعاً لذلك.

كانت خطة بن لادن في التفويج تقوم على أساس حشد أكبر عدد ممكن من الشباب إلى أفغانستان بغرض توسيع دائرة المجاهدين عددياً، فليس شرطاً أن يكون الراغب في الالتحاق بالجهاد مبايعاً لابن لادن، وليس شرطاً أن يكون من طلبة العلم أو الصالحين أو

الكبرى في أفغانستان.

الملتزمين، أو حتى السلفيين، بل يمكن أن يُقبل حتى المسلم الفاسق[1] والعاصي.. فساحات الجهاد كفيلة بإصلاح حاله وتربيته واستقامته[2]، فساحة الجهاد قد تجمع المنافق والفاجر، وفاسد النية وأقواماً لا خلاق لهم[3] ثم يتمايز الصادق عن الكاذب، ولا يثبت إلا الصادقون. أما تفويج الإخوان لشبابهم فكان محصوراً ومحدداً – غالباً – بأتباع الجماعة، ثم إن الذاهبين إلى الجهاد من الإخوان لا يتركون مواقعهم في بلدانهم ويتخلون عن أعمالهم ووظائفهم ودراستهم، بل لابد من ترتيب تلك المسائل ووضع البدائل، وأخذ الاحتياطات الكفيلة بعدم بتر وانفصال المسافرين إلى الجهاد عن حياتهم السابقة، بعكس الذين يفوجهم التابعون لابن لادن، فإن ذلك متروك للشخص نفسه، فإن رتب أموره فلا بأس، وإن ترك كل شيء وخرج للجهاد وترك عمله أو وظيفته أو دراسته حباً في الجهاد، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين[4]. فالسلفيون التابعون لأسامة – غالباً – ما يذهبون إلى أفغانستان معتقدين أن أمر الدنيا وهمومها ومسائل الأرزاق سيجعل الله لهم فيها مخرجاً، فهم متوكلون على الله، وربما أنهم لا يعودون، وأن الله سيكرمهم بالشهادة في سبيله، ثم إن الالتحاق بجماعة أميرها أسامة بن لادن المعروف بثرائه الكبير وكرمه وبذله، وهي مسألة فيها ما يُطَمْئِن الكثير من هؤلاء على ما يقلقهم من أمور الدنيا.

لقد ركز بن لادن في نشاطه الدعوي للجهاد حول قضايا كبرى، أهمها: الإعداد

---

(1) مدلول الفاسق والعاصي شرحه منهج القاعدة – العمدة – ونقلناه في مواضع أخرى من الدراسة، والفاسق عند السلفيين يمكن أن يكون حالق اللحية، أو مسبل الثوب، أو المرتكب لبعض المعاصي الظاهرة..

(2) جاء في العمدة: (ومعسكرات التدريب وساحات الجهاد ولو أحسن رعايتها تكون خير مكان لتربية الرجال والكشف عن معادنهم وسلوكهم، بما توفره من طول المعاشرة والتعرض للمشاق والأسفار). صفحة 20.

(3) المنافق المقصود به من اتصف ببعض صفات النفاق العملي وليس النفاق العقائدي.

(4) وهذا ما يشهد له الواقع، إذ عاد المئات من هؤلاء إلى بلادهم فظلوا عالة على مجتمعاتهم، إلا قليلاً منهم، وكانت مسألة السيطرة عليهم من الحكام سهلة للغاية، إذ تمت الهيمنة عليهم بواسطة تحسين وضعهم المادي، وتمكين بعضهم من الالتحاق بالوظائف.

والاستعداد، وضرورة التدريب العسكري ووجوبه على كل مسلم مستطيع، فما من ندوة أو محاضرة إلا وقد أخذت تلك المواضيع فيها المساحة الأكبر، ولهذا فإن بن لادن لم يبخل بشيء مما يملك في سبيل إرسال الشباب إلى معسكرات التدريب، والتحاقهم بميادين القتال. ولقد كان السلفيون أكثر الناس استجابة لتلك الدعوة، ولكن السلفيين لم يكونوا على قاعدة واحدة في سلفيتهم، بل كان فيهم المعتدل والمتشدد.

وستعترضني الآن مشكلة التقسيم بين السلفيين، أيهما المعتدل وأيهما المتشدد، ولماذا حكمت على اعتدال أحدهما وتشدد الآخر..

وللإجابة عن ذلك سنحتاج إلى الرجوع للحديث عن ماهية السلفية، وتاريخ ظهورها، والأسباب والعوامل والظروف التي أدت إلى بروز التيار السلفي، وغير ذلك من متعلقات هذا الموضوع. وهي مسألة تحتاج إلى دراسة متكاملة وبحث مستفيض، بعيداً عن الانحياز إلى أو ضد النماذج التي انتمت إلى السلفية، إذ ليس كل من ادعى الانتماء إلى السلفية سلفياً، بل إن الذين رفعوا شعار السلفية من العلماء، وعُرفوا بأنهم دعاة وطليعة الإصلاح الديني بإعادة المسلمين إلى الإسلام الصحيح النقي الخالي من الخرافات والبدع والأوهام، كالشيخ محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا، هم اليوم في نظر السلفيين المعاصرين من المبتدعة والمخرفين، بل ومن أصحاب الأفكار الضالة!! كما أن هنا منعرجات ومنحنيات ومتغيرات حصلت في واقع المنتمين إلى السلفية يصعب الحكم عليها ما لم يتعرف الباحث على حقيقة السلفيين أنفسهم، ويُفرق بين كل طائفة وأخرى، وأسباب لختلافهم، مع ادعاء كل طائفة أنها على السلفية الحقة، والاستقامة الكاملة، وتضليل و تبديع ما سواها، ومدى الانضباط بقواعد المنهج السلفي الذي يعلن عنه السلفيون ويتباهون به، ويسفهون من خالفه من المسلمين الملتزمين، فضلاً عن غير الملتزمين بشعائر الدين وتعاليمه.

والسلفيون اليوم انقسموا إلى فرقتين:

- **الفرقة الأولى:** يمثلها السلفيون غير الحربيين أو المسالمون (السلفية غير الجهادية).
- **الفرقة الثانية:** يمثلها السلفيون الحربيون أو الجهاديون (السلفية الجهادية).

والفرقتان تشتركان وتلتقيان في مسائل العقيدة والتوحيد، وكثير من المسائل الفقهية الخلافية، فضلاً عن المتفق عليها، كما يتفقان في أهم قضايا الفقه السياسي، كتحريم خوض الانتخابات بكافة أشكالها – نيابية أو رئاسية أو بلدية – وتحريم دخول المجالس النيابية، وتحريم التحالف مع القوى السياسية غير الإسلامية، كما أن موقفهم من قضايا المرأة واحد وثابت، وهو تحريم مشاركة المرأة في الانتخابات سواء كناخبة أو بالعضوية في البرلمانات، كما يتفقان في مسائل الجهاد، وكونه للدفاع والهجوم معاً، ورفض الرأي القائل بأن الجهاد للدفاع عن ديار المسلمين وحماية حرماتهم، لا للاعتداء (الهجوم) على غير المسلمين.. فالاتفاق بينهما يأخذ المساحة الأكبر، حتى في مسألة مواجهة المخالفين، وتحديد هويات الأعداء، وأسلوب المواجهة، فالفرق كالصوفية والأشاعرة والمعتزلة وغيرها من الفرق يحكمون عليها بالضلال والإضلال، والابتداع في الدين، أما الشيعة الاثنا عشرية (الإمامية) فهم – أي السلفيون – مجمعون على كفرهم وخروجهم عن ملة الإسلام.. فمسائل الاتفاق والاتحاد كثيرة جداً، بل يمكن القول أنهما على قاعدة فكرية واحدة، فما هي وجوه الاختلاف إذن؟!

الاختلاف يكمن في الإجابة عن سؤال: ما القول – الحكم – في الحكام الذين يحكمون في بلاد المسلمين: أهم كفار أم مسلمون؟! وما الحكم في استخدام القوة والسلاح لإسقاطهم،

أجائز أم حرام؟[1]

ونتيجة لاختلاف الإجابة عن ذلك صارت هناك سلفية جهادية وأخرى غير جهادية، فالسلفية الجهادية رأت أن الذين لا يجعلون الجهاد من أولويات دعوتهم قد خانوا الله ورسوله والدين[2]، وكذلك السلفية غير الجهادية فقد سموا الجهاديين بجماعة الفساد، وحكموا على جهادهم بأنه من أعمال التخريب المخالف للشريعة الإسلامية[3]. وهذا الرأي رفعه سلفيو اليمن من أتباع المدرسة الوادعية. أما غيرهم من السلفيين في مصر والخليج وغيرهم من البلدان العربية والإسلامية فهم لا يخرجون عن هذا التقسيم، إلا أنهم أقل موالاة للحكام، وأخف مواجهة لمن خالفهم من السلفيين.

فالخلاف بينهما – كما رأينا – في مواجهة الحكام المسلمين، أما جهاد الكفار من اليهود والنصارى وسائر الملل والنحل، والمذاهب المنحرفة فهما متفقان عليه كل الاتفاق، وعلى وجوبه وضرورته وأولويته. فأيهما المتشدد وأيهما المعتدل؟!

كل السلفيين محاربون, ولكن لكل طريقته وميدانه، فالذين اتبعوا أسامة بن لادن لهم أسلوبهم ووسائلهم، والآخرون الذين أنكروا أسلوب المواجهات الميدانية والاقتتال مع الحكام لا تقل ضراوة معاركهم عن معارك السلفية الجهادية[4]، ولو تأملنا في كتاباتهم وردودهم

---

(1) أما الاختلاف حول العمل التنظيمي والحزبية وغير ذلك؛ فهي مسائل تندرج تحت هذه القضية، وقد تعرضت لها هذه الدراسة.

(2) وقد نقلت ذلك عن العمدة في موضع آخر، كما أشارت الجهادية إلى السلفية غير الجهادية في عدة مواضع وسموهم المحاربين للطواغيت الأموات كما جاء في [ص300] من العمدة (فالعجب من أناس ينتسبون إلى العلم والدين ومذهب السلف فرغوا أقلامهم في هذا الزمان لمهاجمة الطواغيت الميتة ونسوا أو تناسوا الطواغيت الحية..) .

(3) وقد نقلت – أيضاً– من كتبهم ما يؤيد هذا ككتاب (إرشاد البرية إلى شرعية الانتساب للسلفية) ورسالة (البيان المفهم) لأبي عبد السلام أحسن قاسم الريمي السلفي.

(4) وقد أكد مؤسس الجماعة السلفية في اليمن، الشيخ الوادعي، أن الوقت غير مناسب للانقلابات والثورات ولكن (إذا حان ذلك الوقت فأهل السنة ينبغي أن يكونوا في المقدمة، والذي لا يكون في المقدمة ليس بسني.. ولكن السنة أن يكون

سنجد ميلاً لاستخدام الألفاظ القتالية، والتي توحي بهلاك الخصم وسحقه، فمثلاً كتاب: (البركان في نسف جامعة الإيمان)، و (المصارعة) و (غارة الأشرطة) و (صعقة الزلزال) و (السيوف الباترة). فتأمل (البركان، نسف، المصارعة، غارة، صعقة، السيوف..).

وكذلك نجد في القصائد التي نظمها السلفيون غير الجهاديين للرد على الأعداء – من المسلمين – نجد وسائل وأدوات الحرب الميدانية هي السائدة (كالسيوف والسهام، والخناجر والرماح..)[1]، كما نراهم يصفون هذه المعارك الفكرية بأوصاف المعارك الميدانية القتالية (زحف البواسل، الضراغم [جمع ضرغام وهو الأسد]، الوغى..) وسنتعرض لتفصيل هذا تحت عنوان: (الخروج على الحاكم).

إن عدم مواجهة السلفيين غير الجهاديين للحكام هو نتيجة اقتناعهم بأن المجتمع الإسلامي اليوم ليس مؤهلاً للثورات والانقلابات ربما هذه الافكار لم تدر بخلدهم أصلاً، ولذلك فلابد من (تعليم المسلمين، وإذا فقه المسلمون، فمدفع ورشاش، لا بد من مدفع ورشاش ومواجهة الكفر). وهذا ما قاله الشيخ الوادعي في محاضراته وكتبه[2].

إننا نجد الروح القتالية كامنة عند السلفيين جميعاً، وحتى السلفيين غير الجهاديين، فهم لم يتركوا الجهاد الميداني بصورة نهائية؛ بل شاركوا في القتال والحرب والمعارك في أفغانستان، فقد ذهبوا كالآخرين، ولكن لم يقتنعوا بالانضمام إلى معسكرات بن لادن، أو معسكرات المجاهدين الأفغان السبعة المعروفة، بل كانت لهم مواقعهم ومعسكراتهم الخاصة بهم، حيث كان هؤلاء يلتحقون بمعسكر الشيخ جميل الرحمن، وهو الشيخ الأفغاني السلفي

الشخص مجاهداً) قمع المعاند صفحة 84.

(1) وقد اعتبر الشيخ الوادعي أن الدعوة إلى نزع السلاح هي دعوة إلحادية خطيرة فقال: "فكيف إذا أصبح المواطنون كالنساء بلا سلاح، الدعوة إلى نزع السلاح دعوة إلحادية، ودعوة خطيرة". قمع المعاند (صفحة 308).

(2) انظر (قمع المعاند – صفحة 84).

الذي اتهم السلفيون عند مقتله قادةَ الأحزاب الأفغانية بالتآمر عليه واغتياله غدراً[1].

إن السلفيين غير الجهاديين، هم غير جهاديين ضد الحكام والرؤساء والملوك في البلدان الإسلامية، أما إذا خرجت الدائرة عن ذلك فهم جهاديون محاربون، ودعاة حرب. فعندما ثارت الفتنة في اليمن وحصلت مواجهات قتالية بين القوات الحكومية وبين أنصار الشيخ بدر الدين الحوثي في صعدة ونواحيها، لم يترك السلفيون هذه الفرصة، حيث تقاتل السلطة الشرعية ضد عدو السلفيين التاريخي وهم (الشيعة)، الذين يعلن السلفيون مروقهم وعداءهم. فقد أرسل أحد السلفيين رسالة موجهة إلى الرئيس علي عبدالله صالح عبر البريد الإلكتروني، وهي عبارة عن فتوى بعنوان: (النصر والمؤازرة لقتال القائد الأعلى للقوات المسلحة فخامة الرئيس علي عبدالله صالح للرافضة المارقة)، وقد أرسلها أبو مصعب علي ابن ناصر بن محمد العدني، وذلك حسب ما جاء في صحيفة (الوسط)[2] والتي نقلت جزءاً من الفتوى ومنها: "إن الأحداث التي تمر بها اليمن وحكومتها لتدل على خطورة الرافضة في اليمن، وما تحمله من حقد على ولاة الأمور وعامة المسلمين الذين يدينون بدين محمد".

ثم علقت الصحيفة على هذه الفتوى السلفية بقولها: "الرسالة تسترسل في تأكيد كفر ومروق ما أسماهم بالرافضة، وتدلل على ذلك بروايات تاريخية تجمعهم مع اليهود في سلة واحدة، كما لا تغفل الاستشهاد بابن تيمية كمرجع أساسي لما يؤمن به صاحب الرسالة، ويخلص بعد ذلك على ضرورة أن يشكر المؤمنون من أهل اليمن الله تعالى على هذه

---

(1) جاء في (إرشاد البرية): "وأيضاً لا ننسى ما حدث في ولاية كنر بأفغانستان التي أقام دعائمها على التوحيد الشيخ جميل الرحمن – رحمه الله – فما كان من أعداء الدعوة هناك المتمثلين بالأحزاب السبعة إلا أن تكالبوا عليها وأبادوها، ونتج عن ذلك مقتل الشيخ جميل الرحمن". صفحة 194، وذكر الوادعي أنهم قد توقفوا عن مناصرة الجهاد الأفغاني بعد مقتل هذا الشيخ السلفي. (قمع المعاند صفحة 49).

(2) العدد: 47 – 2005/4/13م.

المحنة التي هي في حقيقتها – حسب اعتقاده – منحة كريمة، وأنها فتنة في باطنها نعمة جسيمة، ويقول: "والله لو كان السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار حاضرين في هذا الزمان لكان أفضل أعمالهم جهاد هؤلاء القوم المجرمين"[1]. ثم يخاطب الرئيس قائلاً: "لا يفوت أيها القائد ويا سمو حاكم اليمن ولي أمرنا[2] مثل هذه الغزوات إلا من خسرت تجارته، وسفه نفسه وحرم حظاً عظيماً من الدنيا، واعلموا نصركم الله وأصلح بالكم أن النصرة للمؤمنين والعاقبة للمتقين".

لقد مارس السلفيون غير الجهاديين القتال في أفغانستان، وأيدوا وساندوا القتال ضد الشيعة الرافضة – كما سموهم – كما أن طبيعة المنطقة الريفية التي تجمّعوا فيها في صعدة وهي قرية الشيخ الوادعي المسماة (دمّاج)[3] كانت تتيح لهم فرصة ممارسة التدريب على الأسلحة، وتحصيل القدر المستطاع من الاستعداد والإعداد، ورفع الجاهزية للمشاركة في أي غزوة محتملة ضد أعدائهم وأعداء الدين.

ذهب هؤلاء إلى أفغانستان بتمويل من مشايخهم وعلمائهم السلفيين في السعودية، ولكنهم انشغلوا بالتنفير عن الالتحاق بمعسكرات المجاهدين الأفغان ومعسكرات بن لادن أيضاً. فأما تنفيرهم عن الجهاد مع الأفغان فلأن هؤلاء الأفغان ليسوا على العقيدة السلفية الصحيحة، بل هم مبتدعون، ويجهلون حقائق الدين الإسلامي، ففيهم من يعلق الحروز والتمائم على رقابهم وأيديهم وأسلحتهم لتجلب لهم النصر والتأييد، كما أنهم يتوسلون بالأنبياء والصالحين توسلاً غير شرعي، وفيهم قبوريون مخرفون، وكثيرٌ منهم لا يحسنون أداء الصلاة، وغيرها من

---

(1) هذه الجملة منقولة من الفتوى السلفية، وهي نفس الكلمات التي قالها المجاهدون السلفيون من أتباع القاعدة وأنصار بن لادن، ووردت مثلاً في منهج القاعدة!

(2) هذا النداء (القائد – حاكم اليمن – ولي أمرنا)، ليس صعباً أن يتغير عند السلفيين المؤيدين للحكام، فقد كان بن لادن نفسه يعتبر حكام المملكة ولاة الأمر، وحكام المسلمين وحماة أرض الحرمين، فتبدل حكمه عليهم كما علمنا ورأينا.

(3) وكذلك تجمعاتهم الأخرى كالتي في مارب ومعبر وغيرها.

العبادات.. لهذا فمن الأولى تعليمهم وتدريسهم العقيدة الصحيحة وشعائر الدين قبل مشاركتهم في أي معارك قتالية ضد الكفار والملحدين؛ لأن ذلك من أهم شروط النصر على الأعداء والتمكين لدين الله في الأرض – كما يرون – بل ذهب بعضهم إلى القول بأن المجاهدين الأفغان يحتاجون من يجاهدهم قبل أن يجاهد معهم!! وأما تنفيرهم عن الالتحاق بالجهاد مع بن لادن فلأنه تحوم حول الالتحاق بمعسكراته بعض الشبهات[1]، وقد كان هؤلاء يواجهون أسامة بن لادن نفسه، ويثيرون الشغب والفوضى أثناء إلقاء بن لادن للمحاضرات والندوات العامة في بعض مساجد المملكة، حيث قام أحدهم للرد على بن لادن بعد محاضرته التي بعنوان (الجهاد هو الطريق)، فنادى بصوت عالٍ أنه يريد مناقشة الموضوع من أساسه – أي الجهاد في أفغانستان – لأن فيه لبس وغموض، وأن ما يجري في أفغانستان بين الأحزاب الأفغانية المختلفة من نزاع وتنازع لن يأتي النصر بسببه، لأن الله يقول: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ.. ﴾.. ثم يقوم سلفي آخر وآخر، فتعم الفوضى، فيتدارك أسامة الموقف قائلاً: "لا يتكلم أحد إلا بإذن"، فيسكت الجميع ويسود الصمت. ويحاول بن لادن الرد على ما قاله المعترض لكن ردوده كانت عامة وضعيفة، حيث يستدل على خطأ ما زعم المعارضون بأقوال ابن تيمية في (مجموع الفتاوى الكبرى) فيطالبه المعترضون بالدليل، فيعلن أسامة أنه لا يتذكر الآن دليلاً، ويعد الحاضرين بمراجعة الأدلة في المرة القادمة. ولأن الصراع ها هنا سلفي سلفي، فقام أحد أتباع أسامة بالرد على المعترضين بردود سلفية تفصيلية مؤيدة بالدليل وأقوال السلف وإجماعهم.. وما إن تنتهي محاضرته التي دحض فيها شبهات المشككين – حسب التعبير السلفي المعتاد – وتلبيسات المثبطين، حتى ترتفع الأصوات بالتكبير والتهليل وقول أحد أنصار بن لادن (الله أكبر ظهر الحق، وزهق الباطل). لهذا غالباً ما تنتهي معارضة هؤلاء السلفيين لإخوانهم الجهاديين بالمتابعة والاقتناع بصحة الجهاد وشرعيته

---

(1) لكنهم لم يستطيعوا القول بفساد عقيدة بن لادن وأتباعه أو أنهم مبتدعون أو غير ذلك مما قالوه عن المجاهدين الأفغان، حتى أن هؤلاء السلفيين اعتبروا من موانع مشاركة المجاهدين الأفغان في قتالهم ضد الكفار كونهم فيهم من يحلق اللحية، أو يسبل ثيابه إلى تحت الكعبين أو يشرب الدخان.

ووجوبه، فيصبحوا صفاً واحداً وجبهة واحدة[1].

وبعد هذا أعود للحديث عن العناصر التي كونت القواعد الأساسية لجماعة بن لادن (القاعدة): وأشير هنا إلى أن الأتباع والأنصار لجماعة القاعدة من المناطق اليمنية الجنوبية، هم أكثر عدداً من الذين انضموا إلى بن لادن من المنطق الشمالية، وتلك حقيقة شهد بها الواقع وأكدتها الأحداث والعمليات التي قام بها اليمنيون، سواء في داخل اليمن أم خارجه، فما سبب ذلك؟! وكيف استطاع بن لادن اجتذاب كل تلك الأعداد إليه، واقتناعهم بمتابعته؟!

لقد قدم من الجنوب اليمني – من كافة المناطق وخاصة العاصمة عدن وأبين وحضرموت – إلى المناطق الشمالية والمدن الرئيسة من اليمن كصنعاء وتعز والحديدة أعداد من الشباب الهاربين من مناطقهم الجنوبية، وشهدت فترة أواخر السبعينات هجرة واسعة ونزوحاً مستمراً، ازداد حتى قبيل قيام الوحدة اليمنية في (22 مايو1990م)[2]. ولم يكن لهؤلاء النازحين انتماءات حزبية – غالباً – ولكن كان أغلبهم يميلون إلى الإتجاه السلفي حيث تأثروا ببقايا الكتب والمؤلفات الإسلامية التي لم تطلها أيدي الحكومة التي حاربت كل ما هو إسلامي، فكان لهذه المؤلفات دورها في غرس الفكر السلفي في نفوس هؤلاء، بالإضافة إلى الدور الذي لعبته بعض الشخصيات السلفية[3] التي قدمت من السعودية من الذين كانوا يدرسون في الجامعة الإسلامية خاصة، حيث أثّروا على بعض الشباب من رواد المساجد، وجلبوا معهم الكتيبات والرسائل السلفية، كما أقاموا دروساً مكثفة

---

(1) خاصة السلفيين في السعودية، أما المعارضون من سلفيي اليمن فإن موافقتهم للجهاديين أقل خاصة التابعين لمدرسة الوادعي.

(2) إذ أصبحت التنقلات بين المناطق الشمالية والجنوبية مسموحة بعد أن كانت محظورة ممنوعة إلا بترخيص من السلطات، وتحت شروط صعبة، لا يمكن توافرها إلا عند القليل جداً من المواطنين اليمنيين، خاصة سكان المناطق الجنوبية الذين فرضت عليهم حكومتهم ستاراً حديدياً يمنعهم من الحركة، ويقيد حريتهم كباقي منظومة الدول الاشتراكية.

(3) كان هؤلاء من اليمنيين الذين جاءوا لزيارة مناطقهم في حضرموت وشبوة قبل الوحدة.

لبعض رؤوس هؤلاء الشباب، والذين بدورهم يستطيعون التأثير على بقية إخوانهم من الشباب الذين يخالطونهم في المساجد والمدارس والجامعة والشارع.

وقد نشط هؤلاء في نشر السلفية بين أوساط الشباب، ولكن ماذا كانت تعني السلفية عند هؤلاء؟! وما هي أبرز الأفكار السلفية التي كان يسعى هؤلاء لنشرها بين الشباب؟

كانت السلفية عند أولئك تعني التمسك بالسنة النبوية وترك البدع، أي مزيداً من التمسك بالدين وشعائره ونبذ مالا يتفق مع الشريعة الإسلامية، نعم هكذا كانت تعني بكل بساطة، وسأذكر شيئاً من اهتماماتهم للتوضيح وليس من باب الاستقصاء لكل فكرهم، في هذه الفترة.

ففي مجال العقيدة، كان دعاة السلفية – في هذه المرحلة وتلك البلاد – يرفعون شعار التمسك بالعقيدة الصحيحة، والتي تعني أن توحيد الله تعالى يقوم على ثلاثة أقسام:

أولها: توحيد الربوبية.

وثانيها: توحيد الألوهية.

وثالثها: توحيد الأسماء والصفات.

ومقتضى توحيد الألوهية إفراد الله وحده بالعبادة، فلا يجوز أن ندعو غيره تعالى من الأحياء أو الأموات.. ويعني توحيد الأسماء والصفات أن نؤمن بأسماء الله وصفاته دون تأويل أو تعطيل أو تمثيل. مع التأكيد على مسألة (إن الله في السماء) وليس في كل مكان كما شاع عند العامة والمخرفين، بل هو سبحانه مستوٍ على العرش بائن من الخلق استواء يليق بجلاله وكماله، وعلمه أحاط بكل شيء، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

وفي مجال العبادات كالصلاة – مثلاً – كان ترك التلفظ بالنية، ووضع اليد اليمنى على اليسرى على الصدر، وجلسة الاستراحة، وتحريك الأصبع في التشهد، والصلاة إلى

سترة لمنع مرور أحد بين يدي المصلي.. تلك هي أبرز المسائل التي تميز السلفي عن غيره من عامة المسلمين.

أما اللحية وعدم الأخذ منها، وتقصير الثوب إلى نصف الساق أو أعلى من الكعبين على الأقل.. فلم يكن الحماس لها موجوداً – كما هو عند غيرهم – بل كانت تُقال دون التشدد المعهود عند السلفيين، كما أن لبس الثوب (القميص) لم يكن شائعاً في هذه الأثناء؛ بل كان الإزار[1] هو الشائع، بالإضافة إلى البنطلون الذي كان السلفيون لا يتحرجون من لبسه، ويتعهدون برفعه إلى فوق الكعبين أثناء أداء الصلاة فقط.

كما هجر السلفيون البدع الشائعة كإقامة الموالد النبوية (كانت تقام كل ليلة جمعة)، وكذلك القراءة على الأموات التي كانت تُعرف بـ (الدرس)، حيث يتجمع المصلون قبل صلاة العشاء لقراءة القرآن ثم الدعاء للميت ثلاث ليال.

وكان هؤلاء الشباب يتحمسون للاستفادة من بعضهم، إذ كان الحزب الاشتراكي قد حارب العلماء فقتل بعضهم وهرب الباقون.

ولم تكن سلفية هؤلاء تدعوهم لهجر المجتمع أو الدخول في معارك فكرية مع المبتدعين حسب فهمهم، كما لم ينشغلوا بمواجهة الحزب الحاكم رغم إعلانه لما يوجب تكفيره في برامجه ونظريات الحكم[2] التي قام عليها، ومحاربته للإسلام بشتى الوسائل الممكنة واستباحته للدماء والأعراض والحقوق[3]. فلم تكن ثمة أفكار جهادية لإسقاط السلطة

---

(1) ويسميه اليمنيون الفوطة والمقطب، والذي هو عادة يكون إلى تحت الركبة قليلاً، وينتشر هذا النوع من اللبس في المدن الساحلية عادة.

(2) يقوم الحزب الاشتراكي اليمني على مبدأ الالتزام بنظرية الاشتراكية العلمية، والتحالف مع المنظومة الاشتراكية، والأحزاب الشيوعية، وفي مقدمتها الحزب الشيوعي السوفيتي، تحالفاً مبدئياً.

(3) انظر كتاب (الإرهاب الشيوعي في اليمن الجنوبي) لمؤلفه عوض العرشاني.

الحاكمة، فضلاً عن حصول نزاع فيما بين هؤلاء السلفيين – كما هو حاصل الآن – وتجريح بعضهم لبعض أو الاهتمام بالردّ على المخالفين بشتى أنواعهم، بل كان الاهتمام بطلب العلم وتزكية النفوس وتقوية أواصر الأخوة وتعميقها مع محاولة كسب الآخرين وإقناعهم بضرورة الالتزام بالدين قولاً وعملاً.

ولقد انتقل بعض هؤلاء السلفيين إلى المناطق الشمالية – كما ذكرتُ سابقاً – وكانت جماعة الإخوان المسلمين هي الحاضن الطبيعي لهم، ولكن هؤلاء لم تنسجم أفكارهم وطموحاتهم مع ما عند هذه الجماعة من الالتزامات الحزبية، والأطر التنظيمية التي سعت عناصر الإخوان المكلفة بالتعامل مع هؤلاء القادمين لإقناعهم بها، وضمهم تحت العباءة الإخوانية. ورغم أن سلفية هؤلاء الشباب كانت معتدلة لكن الأساليب التي اُستخدمت لاستقطابهم لم تُراع ما يحملونه من افكار ونفسيات وأمزجه. وقد كانت أغلب العناصر التي كُلفت بتلك المهمة من اليمنيين الجنوبيين الذين انخرطوا في صفوف الإخوان منذ زمن، ولكن كل تجاربهم وخبراتهم لم تفدهم في تحقيق ما أرادوه، بل على العكس من ذلك، فقد تركت معاملة عناصر الإخوان في نفوس هؤلاء السلفيين آثاراً سيئة[1]، كانت من ضمن الأسباب والعوامل التي حولتهم إلى ما صاروا إليه من سلفية جهادية أو غير الجهادية.

ويمكن أن نجمل الأسباب والعوامل التي ساعدت على التفاف العناصر السلفية حول شخصية بن لادن واقتناعهم بمبايعته وطاعته بما يلي:

1. طبيعة المناخ السياسي الذي عاشه اليمنيون (الجنوبيون)، إذ عانوا من الهيمنة والاستبداد الذي فرضه الحزب الاشتراكي اليمني منذ تأسيسه في شهر أكتوبر

---

(1) تجاوز بعض عناصر الإخوان الحدود الشرعية والأخلاقية في معاملة هؤلاء، فقد قام بعضهم بالإعتداء والضرب والسب لهؤلاء الشباب إثر مجرد حوار بينهم.

1978م كحزب يسترشد بأفكار ونظريات الاشتراكية العلمية الرافضة للدين رفضاً قاطعاً – عقيدة وشريعة – وفَرَضَ الحزب الحاكم واقعاً بغيضاً من القمع والإرهاب.. كل ذلك خلق روحاً مضادة وعداءً مستحكماً في نفوس الشعب اليمني عامة، و لدى المتدينين خاصة الذين جعل الحزب الماركسي مسألة تصفيتهم والقضاء عليهم أو على الأقل تهجيرهم، من أهم أولوياته، تحت مبررات مضللة كالقضاء على الثورة المضادة، والعملاء الرجعيين، والكهنوت، وغيرها من الشعارات التي كان يرفعها الماركسيون.

2. عايش السلفيون – وأهل الجنوب خاصة – سلسلة من الانقلابات والصراعات المتتالية منذ خروج الاستعمار البريطاني من وطنهم وتسلم الجبهة القومية للحكم في (30 نوفمبر 1967م)[1]، وخاصة في فترة الحكم الماركسي الذي أسسه الحزب الاشتراكي اليمني[2] الذي عاش سلسلة تصفيات جسدية رهيبة مع خصومه وفي داخل صفوفه، مما عمَّق لدى هذا الجيل نظرية القوة والعنف، وعدم جدوى أية وسيلة من وسائل التغيير ما لم تكن عسكرية ميدانية، فلا تُسترد الحقوق إلا بقوة السلاح والمواجهة، ولا مجال للحوار والتحاور، إذ الرفاق الماركسيون لم يتركوا مجالاً للمشاركة ولو بأبسط صورة من صور العمل السياسي أو المعارضة السلمية، فالديمقراطية في نظر الحزب

---

(1) أخذت هذه الصراعات سلسلة متصلة الحلقات، فمنها ما كان يصنف على أنه حركة انقلابية من ذوي الاتجاه اليميني ضد اليساريين كحركة (20 مارس 1968م)، والتي أعقبها رد اليسار على اليمين كما حصل في (14 مايو 1968م)، ثم حركة انقلابية في (22 يونيو 1969م) حيث أطاح اليسار باليمين، وأشد هذه الصراعات ما حصل في (13 يناير 1986م) حيث راح ضحيتها ما يقارب 20 ألف ضحية.

(2) بدأت الأفكار الماركسية تُنشر بطريقة منهجية منظمة عن طريق (المدرسة الحزبية) التي أسست في فبراير 1971م، وتم إرسال الكوادر الحزبية لدراسة الاشتراكية العلمية في الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية، كما كان للماركسيين اليمنيين الأوائل كعبد الله باذيب دور في نشر الفكر الماركسي منذ أوائل الستينات من القرن الماضي.

الاشتراكي هي المحافظة على الحزب ومبادئه ووحدة كيانه، والتي في سبيلها تم تخريب الوطن ودماره، وأُزهقت أرواح الأبرياء وسُلبت الحقوق، فهي ديمقراطية الأقلية أو ديكتاتورية البروليتاريا، والتي تعارضت مع الفطرة الإنسانية فضلاً عن الدين الإسلامي ومبادئه العظيمة، ولذلك سقطت وتهاوت.

3. عدم انشغال السلفيين في جنوب اليمن بما انشغل به إخوانهم السلفيون في المناطق الشمالية، الذين سخروا جل جهودهم في قضايا الخلافات الفقهية، ومهاجمة الجماعات الإسلامية وتضليلها، وغيرها من القضايا التي كانت من أسباب تفرقهم ولختلافهم وانقساماتهم، وعدم قدرتهم على تكوين صف سلفي واحد.

4. انتقال كثير من السلفيين القادمين من الجنوب اليمني بعد أخذهم قسطاً من العلوم الشرعية – في علم الحديث النبوي واللغة العربية – على يد الشيخ مقبل الوادعي، إلى أرض الحرمين الشريفين، وذلك لاستكمال دراساتهم على أيدي العلماء في السعودية وجامعاتها، خاصة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وجامعة الإمام محمد بن سعود في القصيم. وتلك – أيضاً – خاصية أخرى – الالتحاق بالجامعات – حيث لم يكن السلفيون التقليديون يهتمون بها، بل وصل بهم الحال إلى رفض الانضمام إلى المعاهد والجامعات، بحجة قصورها في تدريس العلم الشرعي كما هو مقرر عند علماء السلف، وكذلك لوجود الاختلاط فيها، وبدعوى أن القائمين عليها ما بين جاهل أو مبتدع واعتبروا كل تلك الجامعات جاهلية [1].

وحتى عندما قام الشيخ عبد المجيد الزنداني بإنشاء جامعة إسلامية في اليمن، وهي جامعة الإيمان، والتي أسست لتخريج علماء ودعاة إلى الله، واستقدم للتدريس فيها كبار

---

(1) رغم أن مؤسس الدعوة السلفية وشيخ السلفيين (الوادعي) هو أحد خريجي الجامعات النظامية، حيث نال الماجستير من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

العلماء من العالم الإسلامي، فضلاً عن علماء اليمن، رفض السلفيون الالتحاق بهذه الجامعة، بل وحاربوها حرباً شعواء، وقام بعضهم بتأليف الكتب للدعوة إلى مقاطعة هذه الجامعة، وكشف ما هي عليه – حسب زعمهم – من الحزبية والقصور. ومن تلك المؤلفات كتاب: (البيان والإيضاح لما عليه جامعة الإيمان) للشيخ محمد بن عبد الله الإمام، الذي أسس معهداً أو مركزاً خاصاً في مدينة (معبر) لتخريج العلماء والدعاة السلفيين. وقد اعتبر هذا الشيخ السلفي كل شيء – صغيراً أم كبيراً – في جامعة الإيمان غير مشروع ومناقضاً للإسلام وتعاليمه!!

فاستمارة الالتحاق بالجامعة – استمارة البيان – هي عهد يؤخذ على الطلاب الراغبين في الالتحاق بالجامعة، "وهذا العهد الذي يؤخذ على الطلاب الراغبين في الدراسة في الجامعة غير مشروع، وأين الدليل على شرعيته.."[1]. أما الكتب المقررة في الجامعة فيقول عنها: "وهذه الدراسة قائمة على كتب فيها الضار والنافع، والطيب والخبيث، والسنة والبدعة"[2]. وأما المدرسون في الجامعة: "إن المدرسين في هذه الجامعة خليط، فمنهم السني، والغالب على هذا الصنف أنه يُدرس لأجل المادة، أو أنه يظن أنه سيُصلح، ولو سلم رأساً برأس لكان رابحاً، لكن أنَّى له السلامة؟ وهي خسارة عليهم عند أن يُعرِّضوا أنفسهم للتقهقر تحت وطأة الأطماع.. فالقائمون على الجامعة يسعون لاغتيال عقلية هؤلاء المدرسين، وقد سُقط في أيديهم، والبعض في الطريق.."[3].

كما انتقد الشيخ السلفي:

أ. "انتشار لبس البنطال الضيق عند بعض المشرفين والمعيدين في إدارة شئون الطلاب،

---

(1) (البيان.. – صفحة 13).

(2) المصدر السابق (صفحة 16).

(3) المصدر السابق (صفحة 46).

وكذلك بعض الطلاب يلبسون البنطال الضيق.. .

ب. حلق اللحية المنتشر في صفوف الطلاب، وليس كلهم، وهناك بعض المشايخ يأخذون من لحاهم، إلى حد أنه ما يبقى إلا الأثر.

ج. الإسبال[1] منتشر في صفوف الطلاب، وطبيعي عند بعض المشايخ والمعيدين والمشرفين.

د. مضغ القات من قبل البعض.

ه. الإكثار من استماع الأناشيد.

و. التصوير.

ز. التلفاز"[2].

كما انتقد: "عدم اهتمام الجامعة بتدريس المعتقد الصحيح.. وبسبب إهمال الدروس في العقيدة سبب في صفوف كثير من الطلاب انحرافات عقدية"[3]. وكذلك: "أن الجامعة لا تتبنى منهج السلف الصالح.. وكيف تكون جامعة الإيمان مرتبطة بمنهج السلف وهي لا ترتبط به في التعليم ولا في التربية، ولا في السياسة ولا في الاقتصاد، ولا في المعاملة مع أهل البدع والتحزب، ولا عند حدوث الفتن، ولا في الموالاة والمعاداة، ولا في حقوق الأخوة!!"[4].

وأما أخطر المخاطر التي يراها في هذه الجامعة "فهي كونها تتبع جماعة الإخوان المسلمين، وهي الجماعة التي قامت أصولها على مخالفة القرآن والسنة والإجماع!"[5].

(1) أي تجاوز الثوب أو البنطلون حد الكعبين.

(2) (البيان.. – صفحة 62- 63).

(3) المصدر السابق (صفحة 65).

(4) المصدر السابق (صفحة 70).

(5) المصدر السابق (صفحة 83- 115).

ويختم الشيخ السلفي كتابه بنصيحة المسلمين بعدم الالتحاق بهذه الجامعة لمخالفتها للكتاب والسنة والعلماء.. ولأنها: "جامعة تتبنى مواقف انحرافية لصالح الإخوان المسلمين، ولأنها وجه عصري للبدع، وشبكة لاصطياد أبناء المسلمين، وبالذات الذين يأتون من خارج اليمن، والسر في قيامها هو من أجل إيجاد جيل يعتنق فكرة الإخوان المسلمين"[1].

وبعد هذه الاقتباسات السريعة التي تبين لنا الموقف السلفي من جامعة الإيمان، وهي جامعة إسلامية وصفها أعداؤها بأنها من الأوكار الداعمة للإرهاب، خاصة بعد أحداث (11 سبتمبر)، ووصفِ مؤسسها الشيخ عبد المجيد الزنداني بأنه أحد الممولين للإرهاب! لكن هؤلاء الأعداء لم يستطيعوا تقديم أي أدلة تؤكد مزاعمهم[2]، فظلت مزاعم ومكايدات! لكن السلفيين وصفوها بالانحراف عن الدين، ومخالفة العقيدة الإسلامية الحزبية والعمالة.. فأيهما أشد عداوة؟!

5. ومن الأسباب والعوامل التي ساعدت على سرعة اقتناع السلفيين الجنوبيين بجماعة بن لادن ومبايعته على الجهاد ما وجده هؤلاء في شخصية أسامة المؤثرة الآسرة، فرأوا فيه صورة البطل المنقذ الذي ظلوا يحلمون بظهوره، فابن لادن هو القوي الأمين، الذي جاهد بنفسه وبماله، وبكل ما يملك لرفع راية الإسلام، وإعادة قيام دولة الإسلام التي تخاذل عنها كثير من المسلمين في هذا العصر، وأسامة[3] هو الغني المتواضع، والمسلم الملتزم، والسلفي الحق، والزاهد الكريم..[4].

وقال فيه أحدهم:

---

(1) المصدر السابق (صفحة 167).

(2) سواء كان هؤلاء الأعداء من داخل اليمن أو من خارجه.

(3) أسامة اسم من أسماء الأسد في اللغة العربية.

(4) كل تلك الأوصاف – وغيرها – وردت على ألسنة أتباعه وأنصاره.

ذهبـــتَ بكـــل أشـــجاني   وحبـــك صـــار عنـــواني

فهــــز الأرضَ بركــــاني   يقـــول المـــوت للجبنـــاء

مساء الخير يا أسامة

إلهـــي لـــيس ينـــساك   فعـــين الله ترعـــاك

كـــريم فـــي ســـجاياك   رفيـــع كنجمـــة الجـــوزاء

مساء الخير يا أسامة

6. لقد لعب الإخوان المسلمون دوراً غير مباشر في ذلك التحول، فقد كان القادمون من المناطق الجنوبية إلى شمال اليمن قد تركوا مناطقهم وخرجوا – هرباً – وهم يحلمون بالعيش في ظل حياة إسلامية مع إخوانهم المسلمين الذين كانوا ينعمون بالحرية والاستقرار؛ بل ويتبوءون مواقع هامة في مختلف جوانب الحياة السياسية والتربوية والاقتصادية والعسكرية.

ولكن الإخوان، رغم تقديمهم لأولئك شيئاً من الدعم المادي والمعنوي، لم يستطيعوا أن يتفهموا حقيقة نفسيات هؤلاء الشباب، فتعاملوا بنوع من الاستعلاء تجاه أغلبهم، خاصة الذين لديهم نزعة سلفية، فعجزوا عن استقطابهم وإقناعهم بالانضمام إلى الجماعة، كما كانت العناصر الإخوانية المكلفة بعملية الاستقطاب، وأغلبهم من الجنوبيين الذين خرجوا من مناطقهم في فترات زمنية سابقة وانضموا للإخوان في الكويت ومصر والسعودية، ثم عادوا للعيش في شمال اليمن بعد ذلك، عاملت أولئك الشباب وكأنهم مؤهلون لقبول فكرتهم والانصياع لمبدأ الطاعة والتسليم دون اعتراض أو جدال، باعتبار أن هذه الجماعة تمتلك الشرعية التاريخية التي تفرض على كل مسلم الانخراط تحت لوائها ومناصرتها دون تردد.

لم يستطع الإخوان السيطرة على أغلب هؤلاء وتحويل طاقاتهم لصالح الدعوة

الإخوانية، نتيجة تجاهلهم لانعدام الخبرة والوعي اللازمين لتغيير تفكير هؤلاء الشباب، وإقناعهم بضرورة العمل الحركي الجماعي، وتجاوز السلوك الفردي، كما تجاهل الإخوان طبيعة الحياة والمجتمعات التي قدم منها أولئك، حيث انعدام العلماء والدعاة من ذوي الخبرة والذين سيقدمون للشباب القدوة والأسوة الحسنة التي تؤهلهم للفهم والاستجابة. بل على العكس فقد أظهر الإخوان جفاء لهؤلاء خاصة الذين كانوا يخوضون نقاشات ساخنة مع بعض عناصر الإخوان الذين تربوا في أحضان الجماعة، ولم يألفوا تلك الأمور[1]، إذ كان هؤلاء يرون حلق اللحية من الأمور المحرمة، كما يرون استخدام السبحة بدعة، وأن السنة فقط استعمال أصابع اليد اليمنى عند التسبيح والتكبير والذكر، كما أنهم يرون إسبال الثوب وتجاوزه أسفل الكعبين من المسائل المحرمة، حيث لا يجوز إسبال الثياب، وغيرها من القضايا، بينما الإخوان لا يهتمون كثيراً بتلك المسائل، حيث لا يتحرجون من حلق اللحية أو تقصيرها، كما يستعملون السبحة، ولا يتحرجون أيضاً من إسبال الثوب سواء البنطلون أم القميص..

لقد كانت نظرة هؤلاء الشباب إلى الجزئيات والفرعيات هي المسيطرة على تفكيرهم، فجاهروا بكل تلك القضايا التي يعدونها ديناً يجب عدم إهمالها.. ولا شك أن حُسن نياتهم

---

(1) ومثال ذلك: عندما أُدخل بعض هؤلاء الشباب في الحلقات الخاصة التي يُربي فيها الإخوان شبابهم فيها لاكتساب العلم الشرعي ويتعودون فيها على الطاعة والالتزام مع ممارسة أنواعٍ من العبادات، كالصوم الجماعي، وقيام الليل وغير ذلك، وهذه الحلقات يُجعل عليها أمير لإدارتها، وفي الغالب تضم ما بين خمسة إلى ستة أشخاص، وفي إحدى هذه الحلقات التي ضمت بعض أولئك الشباب، كانت تُدرس بعض الكتب الإسلامية، مثل: (تعريف عام بدين الإسلام) للشيخ علي الطنطاوي، وكتاب: (شبهات حول الإسلام) للشيخ محمد قطب، وكتاب: (الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية) لمؤلفه صادق أمين، وقد كان في الكتاب الأخير: (الدعوة الإسلامية) وصف للسلفيين بأنهم يهتمون بعدد درجات المنبر وغيرها من القضايا التي يعتبرها الإخوان المسلمون من القشور، بينما يرفض السلفيون تقسيم الشريعة إلى قشور ولباب.. فقام أحدهم بالاستنكار ورفض ما قاله المؤلف عن السلفيين، مما أغضب أمير الحلقة، واعتبر هذا تمرداً، وتم فصل ذلك المستنكر وعدم قبوله في تلك الحلقات بعد ذلك لمجرد إبدائه للرأي في قضية بسيطة!!

وطيب مقاصدهم وحبهم للنصيحة كانت هي الدافع لهم، إذ لم يكن هؤلاء الشباب يظهرون للإخوان سوى الاحترام والتقدير، ولم تمنعهم تلك الآراء والقناعات من الاعتراف بفضل الإخوان والإشادة بعلماء الإخوان ومفكريهم وكتبهم ومؤلفاتهم ودورهم في نصرة الدين[1].

لقد ارتكب الإخوان من خلال بعض عناصرهم المكلفة بمتابعة القادمين من المناطق الجنوبية خطأً فادحاً، حين فقدوا صبرهم وضعفت حكمتهم في التعامل مع هؤلاء[2]، إذ لم يكتف الإخوان بإهمالهم؛ بل تجاوزوا في ردة فعلهم حين رأوا عدم الجدوى في استقطاب هؤلاء الشباب، فأظهروا مواقف عدائية تمثلت في فصل البعض من وظائفهم[3]، وقطع أسباب أرزاقهم، بل قد تجاوزوا إلى نبذهم وإخراجهم من البيوت[4] التي يسكنونها مع شباب الإخوان!!

وفي تلك الأوقات كان الشيخ مقبل الوادعي يعيش في قريته (دماج) ويقوم بتدريس القادمين العلوم الشرعية، وخاصة علوم الحديث النبوي، فتقاطر إليه أغلب هؤلاء، وسعدوا به وسعد بهم، ووجدوا عنده ما كانوا يحلمون به من التفرغ لطلب العلم – رغم شظف العيش – على يد عالم سلفي المنهج، وزاهد بعيد عن مغريات الحياة وترفها.. كما عايش هؤلاء الشباب ما لقاه شيخهم الوادعي من معاملة قاسية من جماعة الإخوان، حيث كان

---

(1) بعكس المواقف السلفية التي اصطلى بنارها الإخوان المسلمون في الوقت الحاضر، حيث يراهم السلفيون من أتباع المدرسة الوادعية خاصة على ضلال وبدعة، وأنهم أساءوا للدين قولاً وعملاً، وقد تطرقت لذلك في هذه الدراسة.

(2) ولعل سبب ذلك يعود إلى ما أطلق عليه الدكتور أحمد الدغشي سيكولوجية التحزب، (إن سيكولوجية التحزب أدت أحياناً إلى قلب القواعد والمفهومات، ناهيك عن قتلها لمواهب وطاقات وملكات كان يمكن أن تسهم في دفع مسيرة العمل الإسلامي).

(3) كان بعض هؤلاء الشباب يعملون في المعاهد العلمية التابعة للإخوان، والتي تم إلغاؤها بعد ذلك بضغوط خارجية وداخلية.

(4) وتعرف بعُزَب الشباب، حيث يعيش الشباب من العزاب والذين هم في الغالب طلاب في المدارس والجامعات.

الوادعي يعمل مديراً للمعهد العلمي.. وكانت معاناته[1] تكمن في تنفير بعض عناصر الإخوان الناسَ عنه، حيث كان يوصَف بعدم الفقه، والتقوقع والبعد عن واقع الحياة المعاصرة وضرورياتها – رغم إشادتهم به كونه من علماء الحديث – ولم يكن الوادعي في تلك الأوقات قد أعلن حربه[2] على الإخوان، والتي بدأها بعد أن فاض به الحال – حسب رأيه – وازدادت الفجوة بينه وبين جماعة الإخوان، وذلك بإصدار أول كتاب له يهاجم فيه الإخوان هجوماً عنيفاً، وهو كتاب: (المخرج من الفتنة)[3].

وازدادت الفجوة اتساعاً حين أضاف هؤلاء الشباب مجموع معاناتهم إلى معاناة شيخهم السلفي، فازدادوا تمسكاً وحباً للوادعي ومنهجه وأسلوبه في الدعوة. ولا أقول إن كل القادمين من الجنوب اليمني كانت تلك قصتهم، بل كان كثير منهم كذلك، خاصة القادمين من مناطق عدن وحضرموت وأبين وشبوة[4]، كما كان من هؤلاء من تابع جماعة الإخوان وسار على طريقهم، ومنهم من عاد من حيث أتى، ومنهم من هاجر إلى خارج اليمن لطلب العلم أو لطلب الرزق.

ومن الجدير ذكره أن أغلب العناصر التي كُلفت من قبل جماعة الإخوان للتعامل مع هؤلاء الشباب بغرض استقطابهم للجماعة، قد تمَّ تجميد عضويتهم في تنظيم الإخوان، نتيجة خلافات نشبت بينهم وبين قادة التنظيم في اليمن، فاستقلوا في جماعة صغيرة في عام 1982م تحت قيادة الشيخ عمر طرموم، ولاقوا نصيباً من النبذ والمعاناة. وقد

---

(1) كما أُجبر الوادعي على تقديم صوره للفوتوغرافية وهو يرى عدم جواز التصوير، كما كان يُعطى أجراً زهيداً – ألفين ريال يمني – مقابل إدارته للمعهد، وهو حاصل على الماجستير، بينما يعطى غيره من حملة الثانوية أكثر من ذلك.

(2) قال لي الشيخ الوادعي بنفسه أنه وافق على الالتقاء ببعض عناصر الإخوان في البداية بعد عودته من السعودية، والانضمام إلى حلقاتهم، ولكنه وجدهم جهلة، فلا يجوز تضييع الوقت الثمين معهم.

(3) وقد سماه بعض الإخوان (المدخل إلى الفتنة).

(4) وهي أهم المناطق التي ظهر فيها السلفيون الجهاديون.

حاول أولئك تكوين جماعة مستقلة، وأصدروا مجلة (المنبر) ونشطوا في استقطاب الجنوبيين، ولكنهم سرعان ما تفرقت بهم السبل ثم تلاشت هذه (المجموعة)، ولا أقول (الجماعة)[1] خاصة بعد وفاة قائدهم الشيخ عمر طرموم في 1993م. فتفرغ بعضهم لمواصلة الدراسة، والبعض الآخر ظل دون انتماء، ومنهم من انخرط في حزب المؤتمر الشعبي العام (الحزب الحاكم في اليمن).

7. ومن تلك الأسباب: أنه كانت هناك أعداد من الإخوة الجنوبيين الذين هاجروا إلى أرض الحرمين في الستينات والسبعينات من القرن المنصرم، خرجوا من المناطق الجنوبية خاصة من محافظة شبوة وحضرموت، وعاشوا في أراضي المملكة وانشغلوا بالتجارة وطلب الرزق، لكنهم لم يُفارقهم حلم العودة إلى الوطن وتخليصه من أيدي الحزب الذي نهب أموالهم وديارهم وشتتهم، وظلَمَ البلاد والعباد، فقام هؤلاء باستقبال كثير من الشباب القادمين إلى المملكة، ولعبوا دوراً في إقناعهم بضرورة إعداد العدة للجهاد لتحرير البلد من الحزب الشيوعي الحاكم في الجنوب. واستطاعوا تجييشهم من خلال إرسالهم إلى أفغانستان ليكتسبوا الخبرات القتالية اللازمة. وكانت

---

(1) أما ما يرويه الإخوان المسلمون عن هؤلاء، فإننا نذكر ما قاله الأستاذ ناصر يحيى، وهو من الشباب الذين قدموا من جنوب اليمن ولم تكن لديه الخلفية أو النزعة السلفية التي ذكرتها عند غيره، فقال: "وقد كان قد استقل – يقصد عمر طرموم – بتنظيم خاص عام 1982م، ضم عدداً من الإخوان من المحافظات الجنوبية والشرقية بغرض إعلان الجهاد المسلح ضد النظام الشيوعي في الجنوب، لكن هذا التنظيم اضمحل تدريجياً قبل الوحدة، وتوزع الذين كانوا فيه بين منخرطين في المؤتمر الشعبي العام الحزب الحاكم أو غير قادرين على عمل شيء حتى جاءت الوحدة". انظر: (الأصوليات الدينية وحوار الحضارات – الجزء الثاني)، (الإسلاميون في اليمن – ص 60). ولكني أميل إلى تعليل أحد الباحثين الإسلاميين حيث قال: "إن تربيتنا الخاطئة قائمة في أغلبها على الطاعة العمياء، والتزهيد بل الاتهام أحياناً لمن رام التحقق من الأساس العلمي أو الشرعي أو العقلي الذي قامت على أساسه هذه المسألة الحركية أو الفقهية أو الدعوية أو تلك، وصاحب هذا المسلك إن هو استمر على هذا الخط التفاعلي المنتقد، فينتظر عواقب ذلك الإجراء بحقه..". ندوة للدكتور أحمد الدغشي.

مسألة إقناعهم بمبايعة أسامة بن لادن سهلة ويسيرة، فأسامة هو القائد المنتظر الذي طال انتظاره، وخاصة أن بن لادن قد أعلن أن من أولوياته بعد تحرير أفغانستان أن يتم تحرير جنوب اليمن من الزمرة الكافرة، وإسقاط دولة الإلحاد، فتحرير جنوب اليمن جزء من خطة بن لادن التي لا تكاد تخلو محاضرة أو ندوة من ندواته ليؤكدها ويقسم على فعلها، كما أن اليمن الجنوبي جزء من الجزيرة العربية التي تحمّل بن لادن مسألة تخليصها وتحريرها من الكفر والإلحاد، فكانت تلك الوعود بمثابة المغناطيس الذي لا يمكن أن تقاومه عقول الشباب وعواطفهم، بل لقد ترجم بن لادن وعوده إلى أفعال حينما بدأ في وقت مبكر – قبل تحرير أفغانستان – بإرسال الدعم المادي اللازم لتهيئة الأجواء من خلال عناصره التي دفع بها للقيام بحملة دعوية جهادية لكسب عناصر جديدة في اليمن، ثم ازداد النشاط الجهادي بعد الوحدة اليمنية في 1990م، فتدفقت العناصر الجهادية التابعة لابن لادن نحو المناطق الجنوبية، ونشروا الكتب الجهادية والأشرطة المسموعة والمرئية، كما كان للدعم المادي دوره في اجتذاب البعض.. فاتسعت دائرة الأتباع والأنصار.

وبعد عودة بن لادن – الأخيرة – إلى السعودية وإقامته الجبرية، وتفرغه لقضية الجنوب الذي ما لبث أن توحد مع اليمن الشمالي ليصبح الشطران دولة واحدة هي: (الجمهورية اليمنية) في 22 أيار مايو 1990م.. وفي فترة إقامة بن لادن في السعودية نشطت حركة أتباعه الذين توافدوا عليه وجددوا عهدهم وبيعتهم له. وقد حدثت في هذه الفترة أحداث هامة قامت بها العناصر التابعة لابن لادن ومن ذلك: التفجيرات التي حصلت في مدينة عدن، حيث قامت مجموعة تابعة لابن لادن – باعترافهم – بمحاولة تفجير فندق الساحل الذهبي، وفندق عدن في ليلة رأس السنة الميلادية 1992م، كما تزامنت هذه التفجيرات مع محاولة اغتيال لبعض شخصيات الحزب الاشتراكي اليمني وأبرزهم علي

صالح عباد (مقبل)، عضو المكتب السياسي وسكرتير منظمة الحزب الاشتراكي بمحافظة أبين. وقد باءت كل تلك الأعمال التفجيرية والاغتيالات بالفشل[1]، وتم القبض على الخلية التي نفذت تلك الأعمال[2]، كما قامت قوات الأمن بمحاصرة التابعين للجهاد الذين تحصنوا في جبال الكور بالصعيد في محافظة شبوة، وتم في الأخير قتل زعيم المحاصَرِين (يسلم با راسين) وقتلت مجموعة من الذين كانوا معه ولاذ الآخرون بالفرار.

---

(1) ورغم أن هذه التفجيرات كانت تعتبر أول نشاط لابن لادن وخلاياه السرية، لكنها لم تكن بالمستوى الذي عُرفت به القاعدة عند تنفيذها لأعمالها ومخططاتها. فقد ورد في اعترافات المنفذين أن المخطط كان يشمل وضع عبوات متفجرة تحت الباصين اللذين ينتقل بهما أفراد البعثة الأمريكية المتواجدين في فندق عدن، وأن يكون الانفجار في تمام الساعة التاسعة مساء حيث اعتاد الأمريكيون النزول في هذا التوقيت، لكنهم لم ينزلوا حسب ما هو مخطط له. كما كانت الخطة تشمل أن ينطلق في نفس التوقيت صاروخان من أحد البيوت في منطقة خورمكسر إلى أرض مطار عدن، بغرض تعدد الانفجارات وتشتيت الانتباه، كما تم التخطيط لانفجارات قوية في فندق الساحل الذهبي، والتي انفجرت بالفعل وراح ضحيتها أحد حراس الفندق ورجل نمساوي وزوجته من نزلاء الفندق.

(2) وهذه الخلية الجهادية مكونة من ستة أفراد يمنيين وشاب ليبي يدعى (أبو بكر خيري صالح).

السلفيون بين المعارك الفكرية و المعارك القتالية

آثرتُ أن يكون هذا العنوان هكذا، وليس (السلفية بين المعارك الفكرية..) كي لا يكون هناك خلط بين السلفية كفكر، وبين السلفيين الذين تراوحت سلفيتهم بين المواجهات الفكرية والخصومات مع الآخرين ومع أنفسهم وبين المواجهات الميدانية في ساحات القتال.

إن السلفية كفكر هي الإسلام نفسه، إذ الدعوة إلى التوحيد، وتصحيح العقيدة، ونبذ الشرك بجميع أشكاله، ومحاربة الخرافات والانحرافات، والالتزام بشعائر الدين، وإقامة أركانه، وكمال المتابعة للرسول ﷺ والاقتداء به مع كمال المحبة له ﷺ.. كل ذلك هو الإسلام نفسه الذي قام على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. أما السلفيون فهم طوائف[1] من المنتمين للإسلام، أعلنوا التزامهم بالدين وفق منهج وأسلوب خاص في الفهم والعمل، وزادوا على ذلك أنهم اعتبروا كل من خالفهم ولم يلتزم بطريقتهم مخالفاً للدين ومنحرفاً عن الصراط المستقيم. وإذا كانت مناهج للدعوات وأساليبها نحو تحقيق الغايات قد تشعبت وتنوعت، فاتخذ كل فريق أو جماعة أسلوباً وطريقة في الإصلاح والدعوة والتربية، وأعلن كل واحد أنه هو الأفضل، وأن طريقته هي المُثلى – ولا ضير في ذلك – لكن أتباع التيار السلفي لم يكتفوا بذلك، بل زعموا أن الحق فيهم وحدهم، فاحتكروا تحقيق الغايات وسلامة المنهج، وقصروا سعة الإسلام فجعلوها في حياضهم دون غيرهم، مما جعل السلفية تبدو كدعوة عصبية معارضة أكثر من كونها دعوة إصلاحية.

ولهذا فربما يكون الفرق بين السلفية كمنهج رشيد، وبين السلفيين اليوم كالفرق بين الإسلام وبين المسلمين الذين انتسبوا إلى الإسلام وليس لهم منه سوى الانتساب والتفاخر، فصار حالهم وواقعهم مأخذاً يستدل به من لا يعرف الإسلام على تخلفه وركوده ومناقضته

---

(1) قلت طوائف لأن ذلك ما يشهد به واقعهم اليوم.

للعلم !! والمقصود هنا التأكيد على أن السلفية شيء والسلفيون اليوم شيء آخر[1]. وإن كان بعض العلماء والمفكرين يرون بأن مصطلح (السلفية) بمضامينه التي أعطنها السلفيون هو بدعة طارئة في الدين لم يعرفها السلف ولا الخلف من بعدهم ؛ والذين لم يتخذوا من كلمة (السلفية) مظهراً لأي شخصية متميزة أو أي وجود فكري أو لجتماعي خاص بطائفة تميزت عن غيرها من المسلمين ، كما أن التاريخ الإسلامي عبر قرونه المتعاقبة قد مرَّ ولم يُعرف عن العلماء وأئمة هذه القرون أن طائفة أو فرقة من المسلمين قد انتسبوا إلى مذهب خاص يُسمى (السلفية) بحيث يكون الانتماء إلى السلفية تلك هو عنوان الدخول في ساحة أهل الهداية والمنهج الصحيح ، وعدم الانتماء يعني الجنوح إلى الزيغ والضلال والابتداع وفساد الرأي .

ولهذا نجد الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي يقول: " فإن من الخطأ بمكان أن نعمد إلى كلمة (السلف) فنصوغ منها مصطلحاً جديداً ، طارئاً على تاريخ الشريعة الإسلامية والفكر الإسلامي ، ألا وهو (السلفية) فنجعله عنواناً مميزاً تندرج تحته فئة معينة من المسلمين ، تتخذ لنفسها من معنى هذا العنوان وحده مفهوماً معيناً ، وتعتمد فيه على فلسفة متميزة بحيث تغدو هذه الفئة بموجب ذلك جماعة إسلامية جديدة في قائمة جماعات المسلمين المتكاثرة المتعارضة بشكل مؤسف في هذا العصر ، تمتاز عن بقية المسلمين بأفكارها وميولاتها بل تختلف عنهم حتى بمزاجها النفسي ومقاييسها الأخلاقية ، كما هو الواقع اليوم فعلاً .. ".[2]

إن السلفيين المعاصرين عندما يقارنون بين سلفيتهم وبين الجماعات الإسلامية

---

(1) وليس هذا الأمر على إطلاقه، بل هناك من يمثل السلفية المعتدلة، والتي مع اعتدالها لا تخلو من الشدة و الغلو في بعض مظاهرها.

(2) (السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي) ص13.

الأخرى يخلصون إلى أنهم – وحدهم – على الحق والدين أما غيرهم –كل غيرهم– فعلى ضلال مبين !!

فنجد أحدهم يقارن بين دعوتهم السلفية وبين جماعة الإخوان المسلمين وجماعة التبليغ، فيتناول هذه المقارنة من عدة وجوه:

- **الوجه الأول: ماهية هذه الدعوات:** الدعوة السلفية دعوة إلى الكتاب والسنة، الدعوة الإخوانية: دعوة إلى أشخاص.. الدعوة التبليغية: دعوة إلى أشخاص[1].

- **الوجه الثاني: فكرها، الدعوة السلفية:** هم أهل السنة والجماعة، والإخوانية: دعوة مختلطة فهي دعوة سلفية (زعموا) وطريقة سنية (زعموا) وحقيقة صوفية (صدقوا)[2]. والتبليغية: في الأصول على معتقد الأشاعرة الماتريدية..

- **والوجه الثالث: المؤسسون:** السلفية مؤسسها رسول الله ﷺ، والإخوانية: حسن البنا، والتبليغية: محمد إلياس الكاندهلوي.

- **والوجه الرابع: أعلامها:** السلفية: الصحابة والسلف الصالح، والإخوانية: حسن البنا والتلمساني وحامد أبو النصر والغزالي المعتزلي.. والتبليغية محمد إلياس وإنعام الحسن.

- **والوجه الخامس: الولاء والبراء:** السلفيون على معتقد رسول الله ﷺ، والإخوانية: يعتقدون الولاء والبراء في ذوات أشخاص وقياداتهم مهما عظمت مخالفتهم للكتاب والسنة.. والتبليغية كذلك الشأن عندهم كجماعة الإخوان.

---

(1) ويتملكنا العجب والدهشة حين نقرأ لهذا الشيخ السلفي قوله : "وحقيقة لاينبغي أن تقرن الدعوة السلفية بهاتين الدعوتين المبتدعتين ولكن من باب أنهما قد وجدتا في المجتمع وتأثر بهما من تأثر.." ص209.

(2) وقوله (زعموا) إشارة إلى أن ذلك منهم ادعاء بعيد عن الواقع ، وقوله (صدقوا) إشارة إلى أنهم كذلك بالفعل !!

- **والوجه السادس: أي هذه الدعوات تعتبر الفرقة الناجية؟!** الدعوة السلفية: تعتبر الفرقة الناجية، والإخوانية تعتبر من الفرق الضالة المخالفة لما كان عليه الرسول ﷺ وكذلك دعوة التبليغ"[1].

وبهذا يتأكد لنا ما وصف به الدكتور البوطي هؤلاء بأنهم يختلفون عن بقية المسلمين بأفكارهم وأمزجتهم ومقاييسهم. وأن سائر الجماعات والدعوات الإسلامية لم تقل بما قاله هؤلاء؛ إذ الجميع على عقيدة الإسلام عدا الطوائف التي حادت عن الدين ومنهج الرسول ﷺ كالفرق الباطنية والطوائف التي خالفت الإسلام عقيدة ومنهجاً، فالجميع آمن بالله ورسوله ﷺ وكتبه واليوم الآخر، وبكل ما جاء في كتاب الله العزيز ولا سبيل أن تحصر جماعة أو طائفة من المسلمين الهداية والانتساب إلى رسول الله ﷺ لها وحدها دون غيرها، وتقطع خط الانتماء إلى سلف الأمة وتنفيه عن من سواها وليست هي أحق من غيرها في ذلك الانتساب بدعوى التزامها واتباعها للرسول ﷺ والسلف واتهام غيرها بالجنوح والابتداع والمروق عن الدين والهداية.

إن المنتسبين إلى السلفية اليوم جعلوا من منهجهم وأسلوب دعوتهم مذهباً خاصاً[2]، حصروا الإسلام فيه دون غيرهم من سائر المسلمين فبدوا كأنهم يمثلون حقيقة الإسلام والناهضون به وحملته، وبهذا يغدوا الإسلام من خلال هذا التصور وهذا الفهم وكأنه هو التابع لهذا المذهب وأصحابه، يسير وراءهم أنى ساروا ويتبنى من المبادئ والأحكام والآداب والأخلاق ما يتبناه هؤلاء ويرونه ، ويحارب من ذلك كله ما يحاربونه.

---

(1) انظر (إرشاد البرية إلى شرعية الانتساب للسلفية) ص 211-216. وتركت بقية الوجوه اكتفاء بما يدل على المقصود، وتأمل هذه المقارنة وذلك الجزم بنجاتهم وهلاك من سواهم ؟!!

(2) ولقد اعتبر السلفيون جماعتهم ودعوتهم مذهباً بالفعل واقروا بذلك في مؤلفاتهم ، كما جاء في (إرشاد البرية): (مرحلة تدوين المذهب السلفي : قال الشيخ أحمد بن سعد بن حمدان : كانت فتنة القول بخلق القرآن سبباً ليقظة المذهب السلفي) ص18.

ويمكننا اعتبار بداية ظهور الدعوة السلفية المعاصرة وابتداءها بظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي – رحمه الله – في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري والذي وُلد في بلدة العُيينة الواقعة شمال الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية حالياً، أنها هي البداية الفعلية للفكر السلفي المعاصر الذي انطلق إلى سائر البلدان العربية والإسلامية بعد أن هيمن على نجد والحجاز.

وقد وُصفت البلدان العربية والإسلامية قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بأنها كانت مرتعاً للخرافات والعقائد الفاسدة التي تتنافى مع أصول الدين الصحيحة[1]، مثل بلاد نجد والحجاز والعراق والشام ومصر واليمن و غيرها. (كما رأى في البصرة والزبير، وسمع عن العراق والشام ومصر واليمن من الوثنية الجاهلية مالا يستسيغه العقل، ولا يقره الشرع،كما سمع عن العيدروس في(عدن) والزيلعي في اليمن الشيء الكثير.) [2].

وقد وُصفت تلك البلدان – وغيرها– بالجاهلية وانتشار الشرك والمنكر بما لا يتصور وعمّ الجهل بالشريعة والتخلف في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية. (وقد رأى أنه ليس هناك قانون ولا شريعة إلا ما قضت به أهواء الأمراء وعمالهم) [3].

وبدأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب نهضة الإصلاح الديني وأخذ يجاهد بلسانه وقلمه وبذل جهده ، والملفت للنظر أن أنصار ودعاة الدعوة الوهابية السلفية قد وصفوا الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعقدوا مقارنة بين عصر النبي ﷺ ودعوته وبين عصر الشيخ

---

(1) انظر كتاب (الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية) كتبه الشيخ العلامة أحمد بن حجر آل بو طامي ، وقدم له وصححه الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز . والكتاب من مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية .

(2) المصدر السابق ص 19-20.

(3) المصدر السابق ص 20.

ودعوته، فوجدوا تشابهاً كبيراً بينهما(1). فعصر الرسول ﷺ قد بلغ من الفساد في العقائد والعادات والأخلاق مبلغاً عظيماً، وكذلك كان عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كما بعث الله محمداً ﷺ بعد فترة من الرسل، وكذلك جاء الشيخ والجزيرة العربية في أمس الحاجة لذلك. وكما وُفق النبي ﷺ في دعوته، كذلك حصل مع الشيخ في دعوته، والنبي ﷺ في طريقه للمدينة وهو مهاجر، تبعه سراقة بن مالك طمعاً في جُعْل [مكافأة] قريش ولمَّا أدرك النبي ﷺ وأبا بكر، ساخت قوائم فرسه في الأرض، فإذا هو في وثاق .. ، كذلك قد جرى للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فقد وكل به أمير العُيينة عثمان بن معمر عندما أمر بمغادرة الشيخ البلاد فارساً والشيخ كان راجلاً ، حافي القدم، حاسر الرأس، إلا من مروحة يتقي بها لظى وحر الصحراء ، حتى إذا رام أن يقتله واستل سيفه، إذا بيده القوية تنتهالك فيسقط منها. كما كان الشيخ يعرض نفسه للقبائل في المواسم والأسواق، كما كان النبي ﷺ يفعل ، ومثل ما اعترض حياة النبي ﷺ الخطر والهلاك ، اعترضت حياة محمد بن عبد الوهاب لكل ذلك. وكما كان النبي ﷺ يغزو بنفسه، كذلك كان الشيخ يغزو بنفسه. وكان النبي ﷺ يرسل الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى دين التوحيد، ويرسل السرايا للغزو لمن أعلنوا الحرب على الدعوة، كان ابن عبدالوهاب يفعل ذلك أيضاً. وكما ابتلي الرسول ﷺ بأعداء أقوياء يتهمونه بالسحر والكذب، كذلك ابتلي الشيخ بخصوم أشداء، وكما انتصر الرسول ﷺ على أعداءه وأصبحوا من خيرة أنصاره كعمر وعلي وابي عبيده وخالد، فكذلك انتصر الشيخ على أعدائه وأتوه معتذرين.. تلك هي أبرز وجوه الشبه بين محمد الرسول ﷺ وبين محمد بن عبدالوهاب، كما أحصاها أتباعه.(2)

---

(1) وقد أشار المؤلف بقوله (وليس القصد أن نجعل الشيخ محمد بن عبد الوهاب كالرسول ﷺ لأن الرسول قد فضله الله على جميع الأنبياء والمرسلين، وجعله خاتمهم، وليست درجته كدرجة غيره). ص71.

(2) المصدر السابق ص 72-73.

إن المتأمل في حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله – ومسار دعوته ولأحوالها يجدها قد ابتدأت بالدعوة والتوجيه والإرشاد، ثم ما لبثت أن تحولت إلى ساحات القتال، وهذه سمة ملازمة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهي كونها دعوة انقلابية تغييرية.

حيث ابتدأ الشيخ دعوته لقومه، فوقعت بينه وبينهم نزاع ومواجهات فكرية، وأول الذين واجههم ولختلف معهم والده، الذي وُصف بأنه "العالم الجليل": (وأبوه الشيخ عبد الوهاب قد كان عالماً كاملاً، ورعاً، زاهداً، له معرفة تامة في علوم الشريعة وآلاتها. تولى القضاء في عدة أماكن من نجد، وله مؤلفات ورسائل مستحسنة "[1].

"فوقع بينه وبين الناس نزاع وجدال، حتى مع والده العالم الجليل، لأنه كان مُغتراً بأقاويل المقلدين السالكين تلك الأفعال المنكرة ، في قوالب حب الصالحين"[2]. "حتى أخوه سليمان كان عدواً لدوداً ، طعنه طعنات وانضم إلى صفوف المناوئين لايتورع عن شتمه ونقد آرائه ودعوته وطريقته نقداً لاذعاً"[3].

وكان أول تحالف بين الشيخ وبين الحكام عندما تحالف مع (عثمان بن معمر) حاكم (العيينة) على نصرة دعوته ، "وقطع الشيخ الأشجار المعظمة هناك ، وهدم قبة زيد بن

---

(1) المصدر السابق ص 29.

(2) المصدر السابق ص 21. ولاشك أن وصف والد الشيخ بأنه (كان عالماً كاملاً ..) يتناقض مع وصفه بانه (كان مغتراً بأقوال المقلدين ..)

(3) المصدر السابق ص 74 . وقال المؤلف: (والظاهر أن والده لقتنع بأقوال ابنه ومبادئه ، كما اقتنع أخوه سليمان بعدما وقع بينه وبينه نزاع وردود ، وبعد وفاة والده جاهر قومه بالدعوة والإنكار على عقائدهم الضالة ..) ص 22. ونلاحظ الإضافة إلى عدم الجزم بمتابعة والد الشيخ لابنه ولدعوته ، كما أن مجاهرة محمد بن عبد الوهاب قومه بالدعوة بعد وفاة والده يعني سريته بدعوته في حياة والده ، حتى لايصطدم به ، هما يؤكد عدم توافق الوالد مع الابن .

الخطاب ، بمساعدة عثمان الأمير ، وأقام الحد على امرأة اعترفت بالزنا مراراً .. "[1].

ولكن أهم تحالف عقده الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان مع الأمير (محمد بن سعود) بعد أن دعاه الشيخ إلى التوحيد، "عند ذلك شرح الله صدر الأمير محمد بن سعود وأحبه، واقتنع بما دعاه إليه الشيخ، وبشر الأميرُ الشيخ بالنصرة وبالوقوف معه على من خالفه"[2]، " فبايع الأمير الشيخ على الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله"[3].

وبهذا التحالف بدأت مرحلة نشر الدعوة السلفية بالمعارك القتالية، لأن خصوم الدعوة قد اشتدت مواجهتهم واعتداءاتهم على الدعوة، "فلم ير الشيخ محمد بُداً من الاستعانة بالسيف بجانب الدعوة الدينية، واستمرت الحروب الدينية سنين عديدة"[4].

كما نجد البلدان والمناطق التي انتشرت فيها هذه الدعوة السلفية بواسطة الذين تأثروا بدعوة ابن عبد الوهاب من الحجاج والزائرين للمشاعر المقدسة، نجدها –أيضاً– قد اصطبغت بنفس الطابع والسمة الملازمة للدعوة السلفية، إذ ابتدأت دعوية سلمية ثم تحولت إلى ثورات ومواجهات قتالية، " فقامت الثورات على يد دعاة الوهابيين ضد الأوضاع السائدة في البلاد ، فأما في السودان فقد كان الداعية هو الشيخ عثمان بن فودي .. فإنه بعد التقاءه بعلماء الدعوة في موسم الحج، وبعد اعتناقه المبادئ التي دعا إليها الشيخ، عاد إلى بلاده وأخذ يحارب البدع الشائعة بين عشيرته وقومه.. وبعد ذلك ابتدأ حروبه سنة 1802م ضد قبائل الهوسا الوثنية، وقضى على مملكة غبر .. وما مضت سنتان حتى أقام عثمان مملكة (سوكوتو) في السودان على أساس من الدعوة الدينية الوهابية، ومدت رواقها على

---

(1) المصدر السابق ص 19-20.

(2) المصدر السابق ص 23.

(3) المصدر السابق ص 24.

(4) المصدر السابق ص 27

جميع الأقطار الواقعة بين تمبكتوا وبُحيرة تشاد ..

وكما غزت الدعوة الوهابية السودان، كذلك غزت الدعوة بعض المقاطعات الهندية بواسطة أحد الحجاج الهنود، وهو السيد أحمد.. ولما عاد إلى وطنه في الهند بجهة البنغال، وجد ميداناً صالحاً للدعوة بين سكان المنطقة من الهنود المسلمين[1]، الذين لختلطت عقائدهم وتقاليدهم الدينية بالكثير من عقائد الهندوس وعوائدهم، فابتدأ الدعوة في مدينة (بتين) ودعا إخوانه المسلمين ليؤمنوا بمبادئ الإسلام الصحيحة.. وبعد مرحلة من الجهاد استطاع هؤلاء المسلمون الوهابيون أن يقيموا الدولة الإسلامية على أساس من المبادئ الوهابية ، بجهة البنجاب ، تحت حكم الداعية السيد أحمد..

" وفي سومطرة ابتدأت الدعوة الوهابية سنة 1803م على يد أحد الحجاج من أهل الجزيرة، وكان قد عاد من الحج في نفس السنة، بعد أن التقى بالوهابيين واطلع على صحة ما يدعون إليه. فلما عاد إلى وطنه، ابتدأ دعوته، ثم تطورت الحركة إلى حروب طاحنة بين المسلمين الوهابيين الذين أصبحوا قوة كبيرة في سومطرة[2]، وبين غير المسلمين من سكانها الأصليين ، حتى رأت حكومة الاستعمار الهولندية سنة 1821م أن تناهض هذه الحركة القوية محافظة على كيانها ونفوذها هناك. واستمرت المناوشات والحروب بين المستعمرين الهولنديين وبين السومطريين الوهابيين ، مالا يقل عن ستة عشر عاماً "[3].

---

(1) لاحظ أن الدعوة السلفية دعوة في صفوف المسلمين والمجتمعات الإسلامية منذ نشأتها حتى اليوم، وقلما يهتم السلفيون بالدعوة خارج البلاد الإسلامية ، وإذا خرجت إلى غير المسلمين فهي دعوة قتالية منذ البداية .

(2) جاء في عدة كتب تابعة للدعوة الوهابية – ومنها الذي ننقل عنه في هذا السطور – أن تسمية دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب بـــ(الوهابية) جاء من وضع أعداء الدعوة ، وفي نفس الوقت تذكر مؤلفات أتباع الدعوة الوهابية تسمية هذه الدعوة بـــ(الوهابية) بل واعتبارها مذهباً كقولهم (ولا يزال الكثيرون من سكان هذه المناطق يدينون بالإسلام على المذهب الوهابي) ص 79.

(3) المصدر السابق ص 79.

" وكذلك الحركة السنوسية، التي ابتدأت في الجزائر أواسط القرن التاسع عشر، ثم غزت طرابلس بعد ذلك، وانتشرت في شمال أفريقيا، ثم امتدت نحو الجنوب، فتمكنت في السودان هذه الحركة السنوسية التي ناهضت الاستعمار في كل مكان.."[1].

" كما انتشرت في الجزائر بواسطة الدعوة السنوسية، فقد انتشرت هذه الدعوة المباركة بحضرموت وجاوة ، بواسطة السيد محمد رشيد رضا، وتأليفه جمعية الإرشاد الداعية هناك إلى الكتاب والسنة ، ونبذ البدع والخرافات ، طبق مبادئ الشيخ محمد بن عبد الوهاب"[2].

ومن ذلك كله يتأكد لدينا حتمية الارتباط بين مرحلتين متلازمتين في حياة هذه الدعوة الوهابية السلفية ، سواء أكان ذلك عند تأسيسها وفي ظل حياة مؤسسها -كما رأينا- أو في ظل الدعوات التي تأثر أصحابها بهذه الدعوة واعتبرت دعوات وهابية سلفية أيضاً، فمرحلة المعارك والمواجهات القتالية هي مرحلة تالية لمرحلة المعارك والمواجهات الفكرية -أو الدعوة السلمية كما يسميها السلفيون-[3].

وما نجده في واقع السلفيين اليوم إنما هو مما اكتسبته دعواتهم وتأثرت فيه بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ، ولكن السلفيين اليوم تجاوزوا بعض قواعد الدعوة الوهابية المؤسسة لهذا الاتجاه السلفي[4]. فإذا كانت سلفية ابن عبدالوهاب وأتباعه لم تمنعهم

---

(1) المصدر السابق 79.

(2) المصدر السابق ص 80. وللاستزادة من معرفة البلدان والمناطق التي امتدت إليها الدعوة الوهابية ينظر كتاب (النهضات الحديثة) لابن ماضي .

(3) جاء في كتاب (محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ..) : وواصل الشيخ ليله ونهاره في نشر الدعوة والوعظ ، وكتابة الرسائل العلمية ، مكتفياً بهذه الوسيلة السلمية ثم استعان بالسيف واستمرت الحروب الدينية سنين عديدة .

(4) ولايخفى أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد تأثر أيضاً بفكر ابن تيمية وابن القيم ومؤلفاتهما (إن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد قرأ كتب شيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم وأمعن النظر فيها، فنفخت فيه روح الثورة على تلك

من إعلان أنهم حنابلة، وأنهم –أيضاً– لا ينكرون التقليد مطلقاً، بل يرون جواز تقليد الأئمة الأربعة ، إلا في بعض المسائل التي ثبت فيها دليل من الكتاب أو السنة بنص جلي غير منسوخ ولا مخصص ولا متعارض بدليل أقوى منه ، وقال به أحد الأئمة الأربعة، فإنهم يأخذون بالدليل ، ولا يلتزمون المذهب الحنبلي – حسب ما جاء في رسالة الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب في (الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية) –. ويخالف الشيخ مقبل الوادعي ذلك فهو لا يرى جواز التقليد ويرفضه[1] ، سواء للعالم أم العامي العاجز عن النظر في الأدلة وفهمها ، وفي أحسن أحوال المنتسبين إلى مدرسة الوادعي السلفية أنهم يقولون "إن العالم مهما بلغ علمه فإنه بشر يؤخذ من قوله ويُرد ، ولذلك فلا أدعو إلى تقليد عالم بعينه ، وردّ كل ما جاء من غيره ، بل أدعو إلى حب أئمة السنة جميعاً، الأربعة وغيرهم ، والاستفادة من مذاهبهم واجتهاداتهم والترجيح بين أقوالهم ، واتباع ما شهد له الدليل من أقوالهم وهذا في حق من تأهل لذلك ، أما من لم يعرف ذلك : فإن كان عنده من يخبره بالراجح من أقوالهم ، و الأخذ من كتاب أحد الأئمة أهل الحديث والأثر ، فإن علم أن هناك دليلاً يخالف ذلك ، فليعمل بمقتضى الدليل .. "[2].

نظر السلفيون إلى تاريخ الدعوة الإسلامية بموجب ما عاشه النبي ﷺ في سيرته، إذ كانت المرحلة المكية التي تلت إعلان الرسالة المحمدية كانت دعوة الناس إلى دين الله وتبليغهم شريعة الإسلام بالكلمة والإرشاد والنصيحة ، فهي دعوة تبليغ لم يؤذن فيها بقتال، وبعد أن هاجر النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين إلى المدينة ، وصار للإسلام دولة ومنعة

الأوضاع الفاسدة ومنحته سلاحاً قوياً من الحجج النقلية والبراهين ما استطاع بهـا أن يزهـق باطـل أولئـك المـردة والمشركين ..) ص69 السابق .

(1) يقول الوادعي : (فحكم الإسلام في المذاهب الأربعة أنها بدعة ما أنزل الله بها من سلطان .. وأن منشأ المذهبية الجهـل والسياسة ..) قمع المعاند ص47.

(2) انظر (السراج الوهاج) ص 88.

أُذن للمسلمين بقتال من خالف دينهم ، وشرع الجهاد في سبيل الله، فنزلت الآيات القرآنية التي فرضت الجهاد وذمت التاركين له، ووصفتهم بالنفاق ومرض القلوب.. [1]وتلك قضية متفق عليها وعلى صحتها سواء عند السلفيين أم غيرهم من الجماعات الإسلامية.

فالدعوة الإسلامية إنقسمت إلى مرحلتين:

الأولى: مرحلة العهد الملكي: حيث كانت دعوة سلمية، لا ترفع سيفاً، ولا تشهر سلاحاً، رغم ما عاناه المسلمون من صنوف الأذى، وضروب الإضطهاد من أعدائهم الذين تتفننوا في تعذيب الرعيل الأول من المؤمنين الذين لم يكونوا يقوون على الدفاع عن أنفسهم، فإستعانوا بالصبر، وأمتنعوا عن الرد والدفاع؛ فربما يؤدي اللجوء إلى رد العدوان لخوض معارك مسلحة مع خصومهم الأقوياء، فيؤدي ذلك إلى القضاء على دعوتهم وتصنيفهم. وقد دامت تلك المرحلة ثلاثة عشر عاماً.

والثانية: مرحلة العهد المدني (بعد الهجرة): فيها أُنزلت الآيات القرآنية، وشرع الجهاد والقتال ضد الأعداد المشركين والكفار. ودامت هذه المرحلة عشر أعوام.

وقد كانت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ترجمة وتطبيقاً لتلك المرحلتين اللتين عاشهما النبي ﷺ والمسلمون الأوائل، حيث مارس الشيخ النجدي القتال بعد مرحلة من الدعوة إلى التوحيد والصبر على الأذى والاضطهاد. لكن ورثة الفكر الوهابي السلفي من السلفيين المعاصرين لم تقم دعوتهم على تلك المرحلية؛ فطائفة منهم لا تزال تعيش المرحلة المكية ولا يرون حمل السلاح، وهم غير الجهاديين، وطائفة أخرى جعلت القتال سبيلها،

---

(1) قال ابن القيم : (.. ولا ريب أن الأمر بالجهاد المطلق إنما كان بعد الهجرة ، فأما جهاد الحجة ، فأمر به في مكة بقوله: ﴿ فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً ﴾ [الفرقان:150] أي : بالقرآن جهاداً كبيراً ، فهذه سورة مكية ، والجهاد فيها هو جهاد التبليغ ، وأما الجهاد المأمور به في سورة الحج فيدخل فيه الجهاد بالسيف) . زاد المعاد 71/3.

وهم الجهاديون. وكل من الطائفتين وضعت المبررات والأدلة الشرعية التي تستند إليها بأنها هي على الحق، والأخرى على الباطل؟!

وقد زعم السلفيون الجهاديون أن مرحلة الدعوة والمحاورة قد إنتهت من خلال ما تمت ممارسته من الدعوة والنصيحة قبل حملهم للسلاح وإعلان وجوب الجهاد على كل مسلم قادر، بل إستندوا على إعتبار التشريع الإسلامي في صورته النهائية يلزم المسلم بالجهاد في سبيل الله وأن الآيات القرآنية التي تدعو المسلم إلى الصبر على الأذى والإعراض عن المشركين والصدع بالدعوة، أنها آيات منسوخة بآيات القتال والجهاد التي نزلت في المدينة بعد الهجرة.

وأما السلفيون الذين زعموا أنهم جماعة لا تحمل السلاح في المجتمعات الإسلامية ويعتبرون الحاكم مسلماً تجب طاعته ولايجوز الخروج عليه – كما ذكرنا هذا من قبل – ولكن عندما نقلت مؤلفاتهم ونستمع خطبهم نجدها تُشرع للقتال والمقاومة بما لا يقل عمّا نجده عند إخوانهم السلفيين المجاهدين.

ولنتأمل قول الوادعي: (أعداء الإسلام من شيوعيين وبعثيين وناصريين قد أحتلوا البلاد، فلابد من مواجهتهم بالحجة، فذلك، ولو لم يُخش من تفجير البلد لكانوا يستحقون القتال. لأن الشيوعيين كافرون، والبعثيين كافرون والناصريين كافرون. لكن ما يُحب أهل السنة أن يكون تفجر البلد على أيديهم، حتى لا تلحق بلدنا بلبنان) [1]

والحيرة والإرتباك لم تتملك التلاميذ والأنصار، بل الوادعي نفسه يُعبر صراحة عن هذه النفسية المضطربة، فيقول: (وإلى الله المشتكى، فلا يدري الداعي إلى الله بأي شيء يبدأ؟! أبمواجهة الشيوعية والبعثية والناصرية أم الإنكار على الحكومات أم الإنكار على

---

[1] قمع المعاند ص 128.

المجتمع من العادات الجاهلية والتقاليد الجاهلية أم الإنكار على الأحزاب أم الإنكار على أمور كثيرة؟!)[1]

بالإضافة إلى ذلك، نجد في الجماعة السلفية الوادعية ظاهرة إنفردت بها عن سائر الجماعات السلفية سواء الجهادية أو غير الجهادية: وهي ظاهرة التعظيم والتبجيل للمشايخ السلفيين.

ولنتأمل رسالة وجهها أحد تلاميذ الوادعي إلى شيخه:

"من قائد بن حمود بن قائد، إلى المجدد في هذا الزمان، والقائم بسنة سيد ولد عدنان، وترجمان أهل العرفان، الشيخ المتواضع بين تلاميذه وإخوانه أخ الموحدين وقامع المبتدعين، من لا تأخذه في الحق لومة اللائمين، صاحب الزهد والورع، والمحارب للخرافات والبدع، من لا يفتري ولا يدَّعي، هو الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، سلام من الله عليكم عدد قطر البحار.

وبعد: أيها الكريم، والعالم الفهيم، إني متعجب من صلابتك وثباتك وجرأتك وفهمك ودرايتك، ولقد إطلعت على كثير من أشرطتك، فوجدت من فحواها الصراحة الكاملة، والدقة المتكاملة، والشجاعة الهائلة، فأحببتك في الله حباً شديداً ما عليه من مزيد، فجزاك الله من سنة رسوله خير الجزاء، وأجزل لك الثواب في الدار الأخرى، والصبر عند الفتنة، والثبات عند المحنة. إن الصبر عند الفتنة والثبات عند المحنة لا يقوم بهما إلا من ثبته الله. وأي فتنة وأي محنة أكبر مما صار إليه الناس في زماننا هذا؟! لقد ظهرت الفتن، وتفاقمت المحن، وخفت صوت الحق، فلم ينطق به لسان، وعلا صوت الباطل وأصغت له الآذان، وتكلم السفيه بملء شدقيه، وخضع الناس لسلطان القوة والجبروت وترك الانقياد لسلطان

---

[1] السابق 270.

الحق وخرج الناس عن أحكام الله وشرعه وسنة رسوله إلى أحكام الجبت والطاغوت، وولى المسلمون الكافرين والشيوعيين وأعداء الدين وتشبهوا بهم أكلين وشاربين ولابسين، فجعل الله بأسهم بينهم، والله لا يصلح عمل المفسدين، فضلاً عما ظهر في الناس من ترك سنة سيد المرسلين... ومع هذا فُتح الباب أمام أهل الريبة والارتياب، وظهرت الأحزاب، والرأي والرأي الآخر، ورُفع عن المرأة الحجاب، وضُيعت السنة والكتاب، وصار العالِم عميلاً والخائن أميناً، والحق باطلاً، والباطل حقاً، وصار البريئون متهمين، والمتهم بريئاً، وصفق الناس لمشروع الدستور، وأقرهم على ذلك حفنة ممن تعلموا العلم للدنيا، وأشتروا العاجلة بالأخرى. وأرتشى الحاكم، وأحتكر التاجر، وانتهكت الحرمات...)[1]

لقد جاءت الانقسامات والانشقاقات داخل الجماعة السلفية التي أسسها الوادعي كنتيجة طبيعية لهذه المنهجية العاجزة عن تأسيس مشروع إسلامي حقيقي ومتوازن.

فجمعية الحكمة اليمانية التي انشقت عن الجماعة السلفية التي أسسها الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، هي جماعة سلفية، رفضت التسليم والقبول لبعض أفكار ورؤى مدرسة الوادعي. وكانت أول صورة من صور الرفض، فاعتبرها الوادعي خروجاً عن قواعد الفكر السلفي الرافض لأي شكل من أشكال التنظيمات الحركية. وازدادت حملات الهجوم لهؤلاء السلفيين الذين شكلوا أول انشقاق سلفي كبير في صف الجماعة السلفية اليمنية[2]، إذ قام التابعون لهذه الجمعية بالمشاركة في الانتخابات التي جرت في 1997/4/27م، وهي ثاني انتخابات برلمانية عامة في اليمن الموحد، فعندما أقدم مجموعة من الشباب السلفيين

---

[1] قمع المعاند ص 154-155.

[2] كانت هناك إنقسامات قبل هذا، كما ذكر الوادعي في ترجمته أنه بعد عودته من رحلة في بعض المناطق اليمنية رجع فوجد الشباب قد إنقسموا إلى فرقتين، كما كانت هناك تمردات فردية كما حصل من (عبدالله غالب) الذي طرده الوادعي من مركزه.

التابعين لهذه الجمعية بترشيح أنفسهم لعضوية مجلس النواب، اعتبر الوادعي وأتباعه ذلك انسلاخاً فكرياً تاماً لهؤلاء عن السلفية، فالمشاركة في الانتخابات وخوض المنافسة مع الأحزاب السياسية لدخول البرلمان الذي يعتمد الديمقراطية يعتبرها الوادعيون كفراً وإشراكاً بالله ومن المحرمات القطعية، مما جعل هذه الجماعة السلفية تنضم إلى قائمة الأعداء والخصوم الذين تجمعهم (البدعة والضلالة والانحراف).

ورغم أن هؤلاء الذين انشقوا عن مدرسة الوادعي ظلوا متمسكين بالأصول والقواعد السلفية، حتى أنهم لم يقوموا بطباعة صورهم الفوتوغرافية على المطبوعات والملصقات التي أنزلوها أثناء الحملات الانتخابية، باعتبار الصور والتصوير من المحرمات المتفق عليها بين السلفيين، ورغم ذلك فإنه قد وُصفوا بأشنع الأوصاف ورماهم الوادعي بالفسق والخروج عن الدين، واعتبرهم (كلاب الدعوة) -كما جاء في بعض الأشرطة المسموعة – . وجاء في المقدمة التي كتبها عبد العزيز بن يحي البرعي – أحد الشيوخ السلفيين – في كتاب (رفع اللثام): "..ويالله العجب كيف ينتصر أصحاب الباطل لبعضهم، فقد كتبت كتاباً في التعليق على شريطي الحزبية لعبد المجيد الزنداني ، فرد محمد المهدي[1] بشريط ، ولم تطب نفسه فألف كتاباً يرد على كتابنا ..". وحتى وصل محمد المهدي إلى مرحلة يئس فيها من الانتعاش العلمي والدعوي ، فسار يسعى للانتعاش السياسي .."[2].

كما ألفت الكتب والرسائل وقيلت القصائد للرد على السلفيين المنشقين، ومن ذلك قصيدة طويلة كتبها الشاعر السلفي الشيخ علي بن يحي بن زيد الحجوري بعنوان (القصف الميداني لضلالات عبد المجيد الزنداني) وقال فيها واصفاً ما فعلته الدورس والمحاضرات

---

(1) كان خلافهم في بداية الأمر حول بضع وعشرين مسألة فقهية ثم تطور إلى انشقاق وانقسام، حيث تمسك كل طرف بآرائه وفشلت محاولات الوادعي في إعادة المنشقين إلى جماعته.

(2) (رفع اللثام) ص 13.

السلفية التي قام بها الوادعي وكيف استطاع أن يقضي بها على خصوم السلفيين وأعدائهم:

وقضتْ على المهدي فور نكوصه   وعلى التشيع في القرى والحاضرة
وعلى زعيم المفلسين وكلبهم برسالة   مفهومة ومفسرة
وقضت على الريمي دون تأخر   وقضت على حُمُر له مستنفرة

والمهدي هو محمد المهدي ، وهو من السلفيين الأوائل الذين ساعدوا الوادعي في تأسيس ونشر الفكر السلفي ، وهو أيضاً من علماء السلفية المرموقين. أما الريمي فهو عبد المجيد الريمي أحد كبار تلامذة الشيخ الوادعي الأوائل، من كبار دعاة السلفية ، أما زعيم المفلسين فالمقصود به الشيخ العلامة عبد المجيد بن عزيز الزنداني مؤسس جامعة الإيمان، و"المفلسون" هو اللقب الذي يطلقه السلفيون التابعون للوادعي على جماعة الإخوان المسلمين. كما أن المقصود بـــ(الحمر المستنفرة) هم السلفيون المنشقون عن الوادعي.

وتتالت الانقسامات والانشقاقات السلفية وازدادت في الفترة التي غادر فيها الوادعي اليمن للعلاج خارجها (بريطانيا والسعودية) ، وتعمقت بعد وفاته رحمه الله، فقد انشطر السلفيون التابعون للوادعي إلى معسكرين: الأول الجماعة السلفية التي التزمت بالخط السلفي الوادعي والتي قادها الشيخ يحي الحجوري والذي لقبه الوادعي وسماه بـــ(الناصح الأمين)، واعتبر خليفة له والقائم بإدارة مركز دار الحديث الذي أسسه الوادعي في قريته (دماج). والمعسكر الثاني: قاده أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني المأربي، وهو مصري سلفي استوطن اليمن وحصل على الجنسية اليمنية وأسس (دار الحديث) في مدينة مأرب على غرار دار الحديث التي أسسها شيخه الوادعي وعلى نفس منهجه وأسلوبه. وقد وصفه الشيخ الوادعي في المقدمة التي كتبها للكتاب الذي ألفه أبو الحسن (السراج الوهاج بصحيح المنهاج) فقال: " .. ومؤلف هذه الرسالة هو الشيخ الفاضل أبو الحسن الذي جمع

-حفظه الله – بين التعليم والتأليف والدعوة إلى الله على بصيرة ، فنفع الله به في مأرب، وفي جميع البلاد اليمنية وغيرها من البلاد الإسلامية"[1].

وينقل لنا أبو الحسن صورة عن (دار الحديث) التي أنشأها في مأرب فيقول: " ومن هذه النعم وجود دار الحديث بمأرب -حماها الله وجميع بلاد المسلمين من الفتن- وقد وفد إليها طلبة العلم من بقاع شتى وييسر الله لطلبة العلم فيها -كغيرها من دور الحديث باليمن- سبيل العلم والتعلم، فترى الرجل من إخواننا مدرساً لإخوانه في حلقة دارساً عند إخوانه في حلقة أخرى، وتراه مرة عاملاً في إعداد الطعام، وأخرى تراه مؤلفاً أو باحثاً محققاً، وتراه مرة حارساً، وأخرى تراه خارج الدار داعياً إلى الله عز وجل، فيالها من حياة تُذكر بما كان عليه في القرون الأولى، ولا نعيش عيش الأمير والمأمور، كما هو الحال في الحزبيات المفرقة لصفوف الأمة! بل نعيش عيش الإخوان الذين جمع أبدانهم من جمع بين قلوبهم"[2]. كما يذكر أبو الحسن في كتابه أن هناك من حاول أن يطعن فيه ويرميه بألقاب شنيعة لينفر الناس عن دعوته، " ولا عجب أن يفعل ذلك القبوريون أو الروافض ونحوه، فما ننتظر منهم إلا هذا وأشد، إنما العجب أن يفعل ذلك أيضاً من ينتمي إلى السنة -قولاً- وإن كان عمله يخالف ذلك، فصدق من قال : وظلم ذوي القربى أشد مضاضة .." [3]. ويشير إلى كونه عرض هذا الكتاب على كبار العلماء السلفيين كالشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ والشيخ عبد الله بن جبرين والشيخ الوادعي

---

(1) جاء في كتاب (إرشاد البرية) الذي كتبه أحد السلفيين التابعين لمدرسة الوادعي عند حديثه عن صور الإرهاب في الجماعات الإسلامية وبراءة الجماعة السلفية من ذلك (كما حصل من أبي الحسن المصري المحضار) وهذا غير أبي الحسن مصطفى بن إسماعيل المأربي القائم على مركز الدعوة مأرب اليمن فهو من دعاة السنة السلفيين) ص191. وقد وصف اليمني بأنه مصري واعتبر المصري يمنياً !!

(2) (السراج الوهاج) ص 17.

(3) المصدر السابق ص20.

والشيخ علي حسن عبد الحميد الأثري والشيخ أسامة بن عبد اللطيف القوصي. " وإذا كان هؤلاء الأعلام يزكون هذه العقيدة وصاحبها[1]، فهل أجد في نفسي بعد ذلك من تحريش جاهل أو مكر حاقد أو تلبيس ملبس قد ضيع نفسه أو غيره؟ "[2]. ثم يهاجم السلفيين المخالفين: " حتى يعرف الناس من هم أتباع السلف الصالح، ومن هم أدعياء ذلك، وقد رأينا بعضهم –ويُدعى عبد الله الأهدل– قد حمله الغلو والولوع بالتكفير إلى أن قال: إن أول من أدخل شبهة الإرجاء عمر بن الخطاب والصحابة، وذكر أن عمر حصر الإيمان في القول، والشريط مسجل عليه بصوته، وقد تعقبته في هذا وغيره بكتاب خاص، أسأل الله أن ينفعني به حياً وميتاً، ولقد حاول الرد على نسبتي إياه إلى الولوع في التكفير، فأتى بفاقرة أشد! فقد ادعى أنهم اليوم يعيشون في جاهلية مثل الجاهلية التي بدأ فيها الإسلام، بل وأشد، وذكر أن أكثر العلماء الذين بلغوا شأناً عظيماً في العلم لا يفهمون –عنده– معنى "لا إله إلا الله" ولا يعرفون التوحيد، وأنهم ضيعوا أصل الأصول، وأنهم ضعفاء أمام الحكام، أو نحو ذلك مما تجود به قريحته، فتأمل هذه الفتنة !! وانظر الرد عليه في (البيان الأمثل لأخطاء عبد الله الأهدل) في طبعته الأولى، وفي الثانية –إن شاء الله عز وجل – أتناول بلاياه الأخرى في محاضراته التي سماها بـــ (المفصَّل)[3].

وقد دارت رحى الحرب على الانتساب للسلفية بين معسكر المأربي ومعسكر الحجوري واستخدمت فيها كافة الأسلحة الكلامية الفتاكة!!

وكتب أتباع أبي الحسن المأربي سلسلة من الردود والدفاع سُميت بـــ(سلسلة الصراط المستقيم في الرد على أصحاب الفهم السقيم) ومنها ما يلي:

---

(1) يقصد نفسه .

(2) المصدر السابق ص22.

(3) المصدر السابق .

1) (تنبيه الغافلين لما في أقوال الحجوري من الضلال المبين) لبعض طلبة العلم السلفيين بدار الحديث بدماج، وطبعت لأكثر من طبعة، واحتوت الطبعة الثانية ملحقاً سُمي بـــ(التعقيب الثمين على تعليقات الحجوري على تنبيه الغافلين) كتبه قاصد كريم، وهو اسم رمزي وضع خوفاً ووقاية من الأذى المتوقع من أنصار المعسكر الآخر.

2) (ثورة البركان في نسف ما في رد الحجوري من التلبيس والبهتان) كتبه أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن السلفي وأبو عبد الله عبد الرحمن بن عبد الله الأثري.

3) (الفضيحة لمن استكبر على النصيحة وهي تجنب الفضيحة لو أخذ الحجوري بالنصيحة واتبع أصول وثوابت السلف الصحيحة) للمؤلفين: عبد الله السلفي وعبد الرحمن الأثري.

4) (إعلام البرية بتلبيسات صالح البكري وشرذمته الحدادية) بقلم عبد العزيز بن عبد الكريم السلفي.

5) (البيان الجلي في الجديد من شطحات الحجوري يحي بن علي) كتبه عبدالله الحسيني.

6) (جناية حامل لواء الجرح والتعديل الشيخ ربيع المدخلي على نابغة الجرح والتعديل الشيخ أبي الحسن المأربي) بقلم الحمادي .

وعندما نقرأ هذه الرسائل والكتيبات وأمثالها، وكذلك الأشرطة حال سماعها، تصيبنا الدهشة مما نجده فيها من أساليب هجينة، واحتوائها على أفظع وأشنع الألفاظ، فلا يكاد القارئ يصدق أن كاتبيها ينتمون إلى طائفة متدينة ملتزمة بالأخلاق العظيمة التي حث

الدين الإسلامي المسلمين جميعهم على التمسك بها والترفع عن سفاسف الأمور وبذاءة الجاهلية!!

ومن ذلك ما جاء في رسالة (تنبيه الغافلين): " قال في مسألة القصر.. وهذا مذهب إبليس "[1]، وفي نفس الرسالة ورد في الحاشية تعليقاً على ما سبق "فياليت الشيخ الألباني كان حياً لصفعك صفعة لن تقوم بعدها، لكنه خلف بعده رجال"[2]. وفي الرد على الحجوري وسلفيته: " إنه سيء الفهم"، "والمصيبة أن الحجوري يلتف حوله بعض الغثائية أتباع كل ناعق، تطبل له أينما يوجههم لا يأتوا بخير، ونحن نتحدى الحجوري أن يخرج لنا من هؤلاء الغثائية شخصاً مستفيداً، بل بعضهم لديه طوام أشد من الحجوري، فهم موتى لا يجيدون إلا الفتن وكيفية إشعالها، أي أنهم كالذباب لا ينزل إلا على القاذورات ". ويرد على الحجوري لزعمه بأن ظاهرة (الإرجاء) كانت في أصحاب النبي ﷺ : "فنقول: أخطأت استك الحفرة يا حجوري". وفي خاتمة تلك الردود السلفية: " وأما الرداعي –أحد التابعين للحجوري– فهو أهون من أن نرد عليه.

وقبل الختام: لفت انتباهنا في الشريط أن الحجوري يقول: ردوا، ردوا. إني بحمد الله أحب المصادمة والمصارعة مع هؤلاء الخفافيش. فنقول: هل أعجبك جسمك طولاً وعرضاً أم أنك بوم لا تقاتل إلا في الظلام ؟ ونقول لك إن كان هذا عقلك فقد استرحت، وكلمتنا الأخيرة هي:

إن عادت العقرب عدنا لها وكانت النعال لها جاهزة "[3].

---

(1) يقصد يحي الحجوري ، (تنبيه الغافلين) ص 26.

(2) هكذا جاء في الرسالة (.. رجال) والصحيح أن يقال (خلف من بعده رجالاً).

(3) رسالة تنبيه الغافلين ص 30.

ومن رسالة (البيان الخفي): " فأقول والله إنك قليل الأدب وقليل الحياء، والحكم فيك ما قاله الشافعي في أهل الكلام، بأن يُطاف بك في دماج -قرية الوادعي- وتُقرَّع، أما تستحي، تتجرأ على كبار أهل العلم والفضل ، أين وقعت يا حجوري بعقلك القاصر وخلقك الذميم ولسانك البذيء ؟!!!"[1].

ويهب الشيخ السلفي يحي الحجوري وأنصاره للرد على أولئك السلفيين من أتباع أبي الحسن المأربي، وتأتي ردودهم في ألفاظ لا تقل بذاءة عما استخدمه إخوانهم، ويصعب علينا أن ننقل كثيراً من تلك الردود لخروجها عن حدود أبسط قواعد الأدب والأخلاق الإنسانية، فضلاً عن الأخلاق الإسلامية الرفيعة، إذ يخيل لقارئها أن قائلي تلك الردود من السوقة والغوغاء وليسوا من طلبة العلم ودعاة الدين، و لنتأمل ما قاله الشيخ السلفي الذي خلف الشيخ مقبل الوادعي في وراثة الدعوة السلفية وأوصى له بالجلوس محله لمواصلة نشر الدعوة والتعليم والتربية في مركز (دماج)[2]: قال عند رده على أحد خصومه : "أبول فوق رأسه" ، وعند تعليقه على القاعدة الأصولية الشرعية التي قالها الإمام الشافعي رحمه الله وهي (ترك الاستفصال في مقام الاحتمال ينزل منزلة العموم في المقال) قال الحجوري

" بُلْ على هذه القاعدة "! ، ومن أقواله " اجعله مثل الكلب الأجرب"، وكثيراً ما يصف خصمه بـــ " كلب – أتان – بغل – كذاب – سفيه – حقير – ساقط – لص". كما وصف الجماعة الإسلامية التابعة للشيخ محمد بن سرور زين العابدين بأنهم "مخانيث الإخوان المسلمين"[3]. وأكتفي بذكر عناوين من إصداراته لصعوبة نقل الأقوال الفاحشة في السباب

---

(1) رسالة البيان الخفي ص 29.

(2) حسب ما جاء في وصية الوادعي المشهورة والتي اقرها السلفيون ثم تنازعوا حولها .

(3) من شريط مسموع بعنوان (الحجوري قنبلة ومصيبة) أعده أحد مشايخ السلفيين هو الشيخ نعمان الوتر ، والذين نقل ذلـــك وغيره بصوت الشيخ الحجوري نفسه ، وقد جاء بصوت الحجوري أيضاً وصف لأكثر من مائة وثلاثين عالماً من علمـــاء

والتجريح ، فله كتاب بعنوان (النصح الحثيث لبعض مخانيث الداعين إلى مساواة الرجال بالنساء وإلغاء فوارق التأنيث) ، وله شريط بعنوان (سخافة الأجوبة المورية على الأسئلة الأندنوسية) .

وطالت واستطالت المعارك الكلامية بين المعسكرين السلفيين المتقاتلين للدفاع عن السلفية ورمي كل منهما للآخر بالابتداع والانحراف عن عقيدة السلف ومنهجهم، ولذلك صدر بيان حول (الفتنة المتعلقة بأبي الحسن المأربي) في 1423/4/9هـ قام بإصداره مجموعة من المشايخ وقادة السلفيين شنوا فيه حملة وهجوماً عنيفاً على أبي الحسن وأفكاره واتفقوا فيه على منع أبي الحسن من التحركات الدعوية في القرى والمدن اليمنية حتى يتراجع عن جميع الأخطاء التي وقع فيها وأصرَّ عليها رغم تحذير العلماء له ودعوتهم إياه إلى إعلان التوبة[1]. كما أوصى العلماء السلفيون جميع أهل السنة السلفيين بمقاطعة أبي الحسن وهجره حتى يتوب إلى الله من جميع أصوله الفاسدة وأخطائه الشنيعة.[2]

لقد استغرقت تلك المعارك السلفية –ولا زالت متواصلة بل تشتد– كثيراً من الجهد والوقت ، وتلك جنايتهم على أنفسهم وجنايتهم على أنصارهم وأتباعهم ، وهم لا يشعرون بالجناية الأولى ، فلا جرم أنهم لا يأنفون من جنايتهم الثانية .[3]

وقد صار –نتيجة لهذه المعارك– لمعسكر الحجوري أتباع وأنصار كما صار

المسلمين وقادة الأمة بالحزبية والابتداع ، ومن هؤلاء بعض مشايخ السلفيين كالشيخ ابن جبرين السعودي والدكتور صالح العبود رئيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة .

(1) ذكر هذا البيان أن من هؤلاء العلماء الذين حذروا أبا الحسن ، الشيخ الدكتور ربيع بن هادي المدخلي السلفي السعودي المعروف .

(2) رغم أن هذه الأصول التي أنكرها هؤلاء قد أقرها كبار علماء السلفيين من خلال مقدماتهم لكتابه (السراج الوهاج) كالشيخ ابن باز والوادعي وعلي حسن عبد الحميد وغيرهم .

(3) العبارة مقتبسة من أقوال الرافعي من كتابه (تحت راية القرآن) بتصرف .

لمعسكر أبي الحسن أنصار ومؤيدون !! وكلهم سلفيون . وتنقل بعض هؤلاء إلى أولئك وانقلب بعض أولئك إلى هؤلاء.

واستمرأ السلفيون الخلاف فازدادت جماعتهم انقساماً فأصبحت لديهم السلفية الحجورية التابعة ليحيي الحجوري، وطائفة أبي الحسن المأربي، وطائفة محمد الإمام، والطائفة الفالحية نسبة إلى فالح الحربي التي انفصلت عن الحجوري، وكذلك الطائفة المدخلية التابعة للشيخ ربيع المدخلي ، والطائفة الجامية التابعة للشيخ محمد أمان الجامي، وهكذا حتى أصبح من العسير تتبع كل تلك الفرق والمجموعات السلفية. [1]

وكل طائفة وفرقة تدعي حمايتها لحياض الدعوة السلفية وكذب الآخرين في مزاعمهم بالانتساب إلى منهج السلف، ولا يتحرجون في سبيل إثبات سلفيتهم بأن يقولوا أي قول، أو يزعموا أي زعم، ومن ذلك ما أعلنه بعضهم في سبيل الدفاع عن الشيخ الوادعي وإثبات انحراف خليفته الحجوري عن المنهج السلفي الذي رعاه الوادعي وأسسه، فقد كتبت مجموعة من طلاب العلم السلفيين بدماج: " .. لقد عاش الشيخ مقبل بالدعوة عشرين سنة، وكان أشد ما يخافه على دعوته هو الاصطدام بالدولة ، لأنه يعرف أنها ستكون خاتمة الدعوة ونهايتها، وأنا سأذكر حكمة شيخنا مقبل ، وكيف تجنب المصادمة بالدولة، فنحو قبل عشرين سنة من اليوم أو أكثر اتصل أسامة بن لادن من السعودية وعرض على الشيخ مقبل مساعدات مالية للطلاب، وعرض على كل واحد منهم قطعة سلاح، ولكن الشيخ مقبل بحكمته عرف أنه قد يكون فيها حرف مسار دعوته من التعليم إلى الأفكار الجهادية، وربما قاد ذلك إلى الاصطدام بالدولة لاحقاً، وفعلاً أثبتت الأيام حكمة الشيخ مقبل، وهاهو

---

(1) انظر مقال (على ماذا يختلف السلفيون) لعبد الرزاق الجمل الذي كان أحد السلفيين الذين تربوا في مركز أبي الحسن ثم هجر الجميع. صحيفة البلاغ العدد 632.

حال أسامة بن لادن يدل على فراسة شيخنا .."[1].

والحقيقة أن الشيخ الوادعي الذي أراد طلابه وصفه بالحكمة والثناء عليه، قد نال من الإساءة بما نسبوا إليه أكثر من ابن لادن الذين يشمتون من حاله، وذلك لأنهم اتهموا شيخهم بنفاق الحكام ، وكونه لم يصادم الدولة خوفاً على دعوته، وليس لقناعته بعدم جواز تلك المصادمة !! كما أن عدم قبول الوادعي للمساعدات المالية التي عرضها عليه -كما زعموا- ليس لأن ذلك يخالف منهجه السلفي بل لأنه غير واثق من ثبات أتباعه على سلفيتهم التعليمية فيؤدي قبوله للمساعدات إلى تحولهم إلى الأفكار الجهادية والاصطدام بالدولة بعد ذلك .

ربما كان ابن لادن يعلم أن الشيخ الوادعي قد رفض الانضمام وتأييد الجماعة السلفية التي نشأت في المدينة المنورة وكان الوادعي أحد أعلامها[2]، وبسببها تم ترحيل الوادعي إلى اليمن ، والتي منها بدأ بتكوين جماعته السلفية التي حدد الوادعي منهجها وأسلوبها، مؤكداً بأن مسألة الخروج على الحكام لا تجوز، وأنه لابد من بذل النصح والتوجيه للحكام وإن كانوا ظالمين أو فاسقين[3].. فكيف يمكن أن نقبل ونصدق أن ابن لادن الذي يعلم حقيقة الوادعي ، أن يعرض عليه المساعدات لجذبه إلى خطه الجهادي ! ثم لماذا يعرض السلاح على طلاب الشيخ وهم مسلحون أصلاً[4] ! وقبل ذلك كله : فإن الذي قد اطلع على مسيرة ابن لادن الجهادية يعلم بأنه لم يجتز الحدود الأفغانية إلا في عام 1982م ، ودخوله

---

(1) انظر مقالة (إزالة الدغل والعي وإثبات تحريف الحجوري لوصية الشيخ مقبل الوادعي) من صحيفة البلاغ اليمنية في العدد 632 بتاريخ 25 رجب 1426هـ.

(2) وهي جماعة الحرم المكي المعروفة إعلامياً بـ (جماعة جهيمان) وسنحاول في هذا الكتاب دراسة هذه الجماعة لاحقاً.

(3) نقلت كثيراً من أقواله في ثنايا هذه الدراسة فراجعها .

(4) ومعلوم أن السلاح في اليمن منتشر ومتداول بين السكان خصوصاً في الأرياف، وقد اعتبر الوادعي الدعوة إلى نزع السلاح من المواطنين دعوة إلحادية . انظر : قمع المعاند ص308.

في هذه الفترة إنما كان لتقديم المساعدات المالية وما جلبه معه من المعدات والحفارات لمساعدة المجاهدين في مواجهاتهم ، ولم تكن له مشاركة فعلية في المواجهات سوى شيء قليل، وأنه كان مشغولاً بالتنقل بين المملكة العربية السعودية وبين بلاد الأفغان لنقل الأموال والسلاح والمعدات، ولم يكن أيضاً قد أنشأ (بيت الأنصار) إلا في عام 1984م .. فمسألة إرساله للأموال كمساعدات خارج أفغانستان غير واردة في هذه الفترة لأنه كان بحاجة إلى كل فلس لدعم المجاهدين في أفغانستان وليس في خارجه ، وأهم من ذلك كله أن ابن لادن لم يكن قد قرر نقل المعركة والمواجهات إلى البلدان العربية والإسلامية، وحتى عندما قرر ذلك بعد خروج القوات الروسية من أفغانستان عام 1989م لم تكن اليمن الشمالي من البلدان التي ذكر أنها من بلدان الكفر التي سينقل إليها مواجهاته ، ولهذا فإن تلك المزاعم السلفية بعيدة عن الواقع. وهي جزء من الأكاذيب السلفية التي لازمت هؤلاء ليثبتوا بها سلفيتهم.

ويجد المتابع للحركة السلفية أن المعارك السلفية السلفية لا تقل ضراوة وشدة عن معارك السلفيين مع خصومهم غير السلفيين!!

فالعلماء السلفيون ومشايخهم يعلنون انحراف أبي الحسن المأربي عن السلفية ويحذرون منه ، ويطالبونه بالتوبة والرجوع عن أصوله الفاسدة وأخطائه الشنيعة، وفي نفس الوقت يعلن أبو الحسن المأربي زعيم المعسكر المُضاد أن التنفير عنه وعن دعوته السلفية والطعن في آرائه وأصوله هي طريقة أهل البدع والأهواء للصدّ عن سبيل الله، ويؤكد انحراف أولئك عن أتباع السلف الصالح: " وليعلم الذين يحاولون التمسح بعلماء السنة، وهم للعلماء مخالفون وبدقائق أمورهم عنهم يتسترون، أن العلماء قد زكوا ما في هذا الكتاب، فلينصحوا أنفسهم، وليلزموا غرز العلماء في الحق، أو يصرحوا بما وراءهم، ويفصحوا عن مكنونهم فيكتبوا معتقدهم في هذه الأمور المذكورة وغيرها، وينشروه، حتى

يعرف الناس من هم أتباع السلف الصالح، ومن هم أدعياء ذلك "[1].

إن كثيراً من الأتباع والأنصار والمؤيدين للاتجاهات السلفية المتنازعة، يجدون أنفسهم في حيرة واضطراب، فلا يدرون من هو على منهج السلف، ومن من هؤلاء وأولئك أصوله فاسدة ودعوته منحرفة، وإن قام بعض هؤلاء المؤيدين من الشباب خاصة بالوقوف مع طرف ضد الطرف الآخر، واشترك في نصرة أحدهما على الآخر بالأقوال والأفعال.. لكن ذلك كله يترك في نفوس السلفيين المبتدئين وجمهور الشباب منهم خاصة آثاراً سيئة –لامحالة! ويتساءل كثير منهم ما حقيقة الاختلاف والمنازعات ما دام الكل سلفي ويدعو إلى التمسك بمنهج السلف والالتزام به؟ ولماذا لا يتحد أولئك العلماء والمشائخ السلفيون، وتزداد الحيرة عندما يجد هؤلاء الشباب –مع مرور الوقت– مزيداً من التفرق والانقسامات بين صفوف العلماء الحاملين للواء السلفية !! وتهتز مشاعرهم ويضطرب صفاؤهم الروحي وحبهم للسلفية ، عندما يرون كل طرف من هؤلاء العلماء السلفيين يعلن أن خصومه على ضلال مبين وأنه من أهل الأهواء والبدع ، كما هو بزعمهم في الفرق والجماعات الإسلامية غير السلفية ، ومن الذين يوجب الشرع التحذير منهم وهجرهم ، بعد أن كان يقال فيهم : (السلفي الفاضل) و (أخونا الفاضل) (الداعي إلى الله على بصيرة) [2]

ومن هنا فإن كثيراً من هؤلاء (الشباب السلفي) ربما تسهل مسألة تحوله وتبدله من ميادين المعارك الفكرية إلى ميادين المعارك القتالية..وفي الواقع قرائن لذلك، كما أننا يمكن أن نضيف سبباً وجيهاً آخر لتأكيد ما قلته، وذلك أن دعاة السلفية ومشايخهم يقعون في تناقض فاضح، حين يُكفرون الطرائق والوسائل التي يحكم بها الحكام ويعتبرونها من

---

(1) (السراج الوهاج) ص 22 : مقدمة للكتاب التي كتبها أبو الحسن المأربي في الطبعة الثانية عام 2000م .

(2) انظر المقدمات التي كتبها كبار دعاة السلفيين لكتاب (السراج الوهاج) كالشيخ علي حسن الحلبي الأثري ، والشيخ مقبل الوادعي وغيرهما .

الشرك المخرج من الملة الإسلامية والمناقض للكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح،كالديمقراطية والإنتخابات وفي نفس الوقت يعتبرون طاعة الحكام نوعاً من أنواع التقرب إلى الله وعلامة مؤكدة للهوية السلفية وتحقيقها في الراغب أن يكون سلفياً حقيقياً.

لقد كتب السلفيون كتباً عديدة[1] يعلنون فيها اعتقادهم الجازم بحرمة الانتخابات بكافة صورها، وكفر الديمقراطية، وتحريم الحزبية، كما أكدت مؤلفاتهم وخطبهم وأفعالهم رفضهم المشاركة في أي مظهر من مظاهر التعبير السياسي -باعتبارها خروجاً عن الدين، " والحمد لله أن بلادنا-اليمن- بلد إسلامي، ونعيش تحت قيادة مسلمة، فلا نحتاج إلى انتخابات ، والمطلوب هو التسديد والتقريب والمناصحة على وفق منهج السلف الكرام من غير انتخابات أو مظاهرات.. وعليه فأقول وبالله التوفيق: إننا نرضى بالرئيس رئيساً وبالوزير وزيراً وبالمسئول مسؤولاً من غير انتخابات.."[2].

وفي الوقت نفسه كتب أحد الشيوخ السلفيين كتاباً عدَّد فيه وجوه مفاسد الانتخابات النيابية والرئاسية، فذكر خمساً وأربعين وجهاً من وجوه مفاسد الانتخابات، ومن ذلك: "الانتخابات داخلة في الإشراك بالله ، وتأليه الأغلبية ، والانتخابات تعني اتهام الشريعة بأنها ناقصة وعاجزة عن إصلاح حياة الناس، وتقوم الانتخابات على تضييع الولاء والبراء، والخضوع للدساتير العلمانية وقبول التعددية الحزبية، والبرلمانات تعطي الديمقراطية الصبغة الشرعية مع أن الديمقراطية كلها نظام كفري، أسسه الكفار. والانتخابات تخدم اليهود والنصارى وهي مخالفة لمنهج الرسول ﷺ في كيفية مواجهة الأعداء، فالذي نعتقده

---

(1) مثل كتاب (تحفة المجيب عن أسئلة الحاضر والغريب) للشيخ الوادعي ، وكتاب (تنوير الظلمات بكشف مفاسد وشبهات الانتخابات) لأبي نصر محمد الإمام ، وكتاب (الأدلة الشرعية لكشف التلبيسات الحزبية على المجتمعات الإسلامية) لمؤلفه حسن بن قاسم الريمي السلفي .

(2) من رسالة (البيان المفهم بالموقف السلفي من ولي الأمر المسلم) لحسن بن قاسم الريمي السلفي .

وندين الله به أن الانتخابات طاغوتية، وأن الديمقراطية نظام كفري، والانتخابات وسيلة محرمة، والوسيلة التي تؤدي إلى الكفر، استعمالها كفر، وأن الانتخابات لها دور كبير في تفريق وتمزيق وحدة المسلمين وكلمتهم، وهدم الأخوة الإسلامية، كما تقوم على التزوير والمغالطات والغش والخداع والكذب وعدم مراعاة الشروط الشرعية، وأعضاء مجلس النواب سيحاربهم الله، لأنهم صاروا حرباً على الله وعلى دينه وأوليائه، وذلك أنهم رضوا بأن يكونوا مشرعين للناس من دون الله. وتقوم الانتخابات على دعوة الناس وحثهم على الحضور إلى مراكز القيد والتسجيل، وهذه المجالس محرمة لأنها مجالس بعيدة عن الله وهي أماكن الزور والباطل، كما أنها تعاون على الإثم والعدوان وإهدار للجهود بدون فائدة، فالدخول في الانتخابات والقبول لها حرام، وأن الديمقراطية هي تشريع من دون الله، وهذا هو الكفر الأكبر والشرك الأكبر والظلم العظيم، وكما أنه لا يجوز لنا أن نقبل الكفر والشرك، فالديمقراطية كفر وشرك وإجرام، فكيف يجوز للمسلم أن يتناقض؟ ولو آمنا بصحة الديمقراطية لما استقر لنا الإيمان بالله ، لأنه لا يصح إسلامنا حتى نكفر بها.." [1].

وكتب سلفي آخر منتقداً جماعة الإخوان المسلمين لمدحهم للدستور اليمني[2]: "ناهيك عن مدحهم للدستور–أعني دستور الجمهورية اليمنية– وقد احتوى على عدد من المخالفات الشرعية منها: إقراره التعددية الحزبية، كما هو نص المادة رقم (5) حيث نصت.. وكذلك إقراره العمل بميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان وميثاق جامعة الدول

---

(1) من كتاب (تنوير الظلمات) للشيخ أبي نصر محمد بن عبد الله الإمام ، كما نجد في هذا الكتاب نقداً لبعض مواد الدستور اليمني في المادة (147، 104) وقوله : أي أنه لا ينفذ أي حكم إلا ما كان خاضعاً للدستور ، ومعنى هذا تجميد جميع الأحكام الشرعية ، فإلى الله المشتكى . وانظر إلى المادة (104) من الدستور .. " . ص 19 ، وذكر أيضاً " وإنما الدستور الجديد الذي عُدّل في عام 1994م والذي أوهموا الناس أنه قد أصبح على الكتاب والسنة " ص 53.

(2) اعتبر الشيخ الوادعي دستور دولة الوحدة اليمنية طاغوتياً ونجاسة وقال : " أنا لا أؤمن بالدستور من أوله إلى آخره ، فلا يحتاج أن أرد عليه .. انظر قمع المعاند ص124.

العربية وقواعد القانون الدولي المعترف بها بصورة عامة كما هو نص المادة رقم (6) من الدستور وغير ذلك من المواد المخالفة للشرع"[1].

ويخاطب من يعتبرهم أعداء الدعوة السلفية –خاصة جماعة الإخوان المسلمين: من الذي يجاري الحكام في مجلس النواب ويمدح الدستور، وفيه من المخالفات الشرعية ما تقدم ذكر بعضها. ومن الذي رشح علي عبد الله صالح في الانتخابات الرئاسية؟ ومن الذي يفتي بجواز الديمقراطية والانتخابات ويجعلها من الدين؟ ومن الذي يطبل ويزمر للميثاق الوطني؟ ومن الذي يجيز التعددية السياسية الحزبية؟ .. ومن الذي يقدم تلكم التنازلات تلو التنازلات من باب إرضاء القيادة في معصية الله؟[2]

ولعل سؤاله: ومن الذي رشح علي عبد الله صالح في الانتخابات الرئاسية؟ يوحي برفضهم لترشيح الرئيس، ولذلك قام المؤلف السلفي بالتعليق على ذلك بقوله: "مع العلم بأن أهل السنة يرضونه رئيساً من غير انتخابات والحمد لله، ولايرون الخروج عليه مع الدعاء له بالصلاح والهداية والمناصحة"!!.

ويعلن السلفيون –غير الجهاديين– أن النظام الديمقراطي الكافر يسعى على تولية المرأة للحكم، مع أن ذلك محرم تحريماً قطعياً في دين الله، فالنظام الديمقراطي يُسخر في انتخابها –أي المرأة– جميع الإمكانيات. ويقف وراء ذلك قادة اليهود والنصارى وعملاؤهم"[3].

---

(1) إرشاد البرية ص 76-77. وذكر الوادعي أن من الطاغوتية في الدستور اليمني "التحاكم فيه إلى الأمم المتحدة والمواثيق والأعراف الدولية .. ومن الطاغوتية فيه احترام الرأي واحترام الرأي معناه كفر بالله ..". انظر قمع المعاند ص78.

(2) إرشاد البرية ص 120-121.

(3) تنوير الظلمات ص 191.

إن عامة الشباب الذين انخرطوا في التيار السلفي لا يمكنهم أن يحلوا تلك المعادلة الصعبة التي أعلنها المشائخ والعلماء السلفيون، فكيف يمكن أن يفهم الشباب السلفي ويؤمن بوجوب طاعة الحاكم والاعتقاد بعدم الخروج عليه، وفي نفس الوقت يُقال له: إن هذا الحاكم يحكم بالكفر والشرك ونظامه قائم على ما حرمه الله تحريماً قاطعاً، ودستور البلاد احتوى على ما يخالف الشريعة ويناقض العقيدة الإسلامية، وطرائق الحكم ووسائلها المستخدمة في هذه البلاد، من برلمانات وانتخابات وديمقراطية ومجالس محلية وسائر مؤسسات المجتمع المدني هي حرام وكفر وضلال، وما شُرع في هذه البلاد وارتضاه الحاكم وحكومته من تعددية للحزبية وإقرار وتشجيع للتنظيمات السياسية واحترام لسائر مظاهر التعبير السياسي والحزبي -في ظل القوانين- كل ذلك محرم ومرفوض وفيه متابعة للكفار وأعداء الإسلام وتمييع للولاء والبراء وهدم للدين !!

كيف يمكن أن يتقبل الشباب السلفي مسألة طاعة الحاكم الذي يحكم بالكفر والشرك ؟! وهو يجد أن الشيخ السلفي الذي قال له: لا يجوز الخروج على الحاكم، وطاعة الحاكم ولي الأمر هي إحدى الصفات التي تستحق بها أن تكون سلفياً، وطاعة الحاكم والدعاء له وعدم الخروج عليه نوع من أنواع التقرب إلى الله..[1] ثم إن الشيخ السلفي نفسه يقول له: " ولا يستقيم دين المسلم، ويكون مخلصاً لله في عبوديته له إلا بالكفر بالديمقراطية والتبرؤ من كل باطل"[2]. " وتباً لمن يقبل نظاماً مفاسده لا حصر لها، فلا تلتفت يميناً ولا شمالاً إلا وجدت عيوباً لهذا النظام"[3].

إن الحاكم قد أعلن أنه لن يحيد عن الديمقراطية التي ارتضاها، و يسعى لتعميقها في

---

(1) إرشاد البرية ص44.

(2) تنوير الظلمات ص 195.

(3) المصدر السابق ص 195.

حكمه ونظامه ، وأعلن أن شرعية نظامه وحكومته قائم على نتيجة الانتخابات الرئاسية والبرلمانية، وهي في الاعتقاد السلفي غير شرعية، و كفر وتأليه للأغلبية واعتماد ما قبلته الأغلبية وإن كان باطلاً، وإن كان يناقض معلوماً من الدين بالضرورة، أم كيف يمكن أن يتقبل الشباب السلفي عقيدة طاعة الحاكم المنتخب عبر الانتخابات الرئاسية، وفي نفس الوقت يقال له: " إن قبول الانتخابات الرئاسية فيه تضييع الواجب العظيم والركن الأصيل الذي لا يجوز للمسلم أن يتنازل عنه مهما كانت الظروف والأحوال، وهو الولاء لله .."[1].

إن السلفيين غير الجهاديين يقعون في تناقض كبير حين يكفرون نظام الحكم ويدعون إلى طاعة الحاكم الذي يحكم بذلك النظام الكافر والذي أحاطت به-كما يقولون- كل نواقض الشريعة الإسلامية وتأسس على أسوأ الضلالات والباطل والطغيان ؟!

وليس أعجب من ذلك التناقض، إلا ما نجده في الكتب والمؤلفات السلفية التي ألفت وكتبها كبار المشايخ والعلماء السلفيون يهاجمون فيها الجماعات الإسلامية، خاصة جماعة الإخوان المسلمين، ويفسقون فيها علماء المسلمين لكونهم قبلوا الاشتراك في الانتخابات الكفرية والدخول في البرلمانات الشركية والمنافسات الحزبية ، بحجة إصلاح نظام الحكم القائم والوصول إلى إقامة نظام الحكم الإسلامي، فكتاب (تنوير الظلمات ..) الذي ذكر مؤلفه السلفي مفاسد وشبهات الانتخابات، والذي مر ذكره، ليس موجهاً للحاكم ولا اعتراضاً عليه ولا انتقاداً وليس نصيحة موجهة لولي الأمر -حسب التعبير السلفي- بل موجه لنقد الجماعات الإسلامية وعلى رأسها جماعة الإخوان، التي خاطبها مؤلف الكتاب بعد ذكره لكل مفسدة من مفاسد الانتخابات وكفرها: " والإسلاميون يجعلون الناصح لهم عدواً، فما أن تأتي تبين خطأ من أخطائهم .. وتجد قادتهم مع العلمانيين أصدقاء وأحباباً،

---

(1) المصدر السابق وانظر الشبهة الثانية والأربعين (الموالاة لليهود والنصارى).

وأعني بذلك المرشحين والقاعدة لهذه الجماعات إلا من رحم الله "[1]. "فيا دعاة الأحزاب: أين المعاداة لأصحاب الشركيات والشعوذة والخرافات ؟ ألستم تدخلونهم في أحزابكم ؟ أين المعاداة لدعاة التصوف ؟ أين المعاداة لدعاة البعثية والناصرية والاشتراكية الذين ظهرت منهم القناعة بهذه الأنظمة ؟ "[2]. " ولم يتوقف الأمر عند الدفاع عن الانتخابات، بل دافعوا عن الديمقراطية نفسها.." [3]." ولعل هؤلاء الذين يحترمون الرأي – وهو رأي اشتراكي أو علماني أو قومي أو ناصري أو بعثي أو بدعي– هل يحترمون رأي إخوانهم أهل السنة ؟"[4]. "فالحزبيون علموا تلاميذهم أنهم حملة الإسلام وحدهم ، ومن عداهم ليسوا بشيء، فجعلوا التمسك بالحق الذي يخالف حزبيتهم تفرقاً .." [5]. " جمعوا السقط في الأمة والضائعين والتافهين وخلطوا بينهم وبين من بقي فيهم بقايا خير، وقالوا: سنقيم دولة الإسلام.. "[6]. وتحت مفسدة "الاهتمام بالوصول إلى القمة دون النظر إلى الفساد العقدي" يقول الشيخ السلفي: " فالأساس الصحيح مفقود الاعتناء بنشره، والدعوة إليه، عند الأحزاب الإسلامية، وهو توحيد الله رب العالمين، والأحزاب الإسلامية تركت هذا الأصل الأصيل الذي لايصح دين مسلم إلا به، فإذا كان دين الفرد غير قائم، فكيف يستقيم الحكم على ما أنزل الله عز وجل ؟ .. جعلت الأحزاب الإسلامية الوصول إلى الحكم غاية مقدمة على كل أصل من أصول التوحيد ومن أصول العقيدة، وهذه مجازفة.. والأحزاب الإسلامية

---

(1) تنوير الظلمات ، المفسدة الرابعة (تمييع الولاء والبراء) ص 49-50.

(2) تنوير الظلمات ص 58. وهذه الأحزاب قد كفرها الوادعي تكفيراً مطلقاً وقال : : " ولو لم يُخش من تفجر البلد لكانوا يستحقون القتال ، لأن الشيوعيين كافرون والبعثيين كافرون والناصريين كافرون". قمع المعاند ص128.

(3) المصدر السابق ص76.

(4) المصدر السابق ص80.

(5) المصدر السابق ص100

(6) قال الشيخ الوادعي في المقدمة التي كتبها لهذا الكتاب : " هذا الكتاب المبارك الذي ناقش فيه الحزبيين مناقشة طيبة ، ولا أعلم لهذا الكتاب نظيراً في بابه ، فجزى الله أخانا محمداً خيراً ، ووفقه للمزيد من الدفاع عن الدين وأهل السنة " ص7.

تشغل نفسها بمطالبة الحكومات بإقامة الإسلام، ويظهرون الغيرة على ذلك، فلما وصلوا هم إلى الوظائف لم يقيموا الإسلام، فكيف يقيمه غيرهم ؟! وهذا دليل على أنهم لا يحرصون على التأهيل، فليس عندهم المعتقد الصحيح، فهم على سُلم التنازلات دائماً وأبداً.. وهل حصل من الأحزاب الإسلامية ما وعدت به من إصلاح الأوضاع وإقامة الإسلام؟ هل تحقق خلال المدة التي أضاعتها الأحزاب الإسلامية في الجري وراء الانتخابات شيء يذكر مع طول المدة ؟ "[1].

وكما كتب مؤلف (تنوير الظلمات) كتاباً آخر وهو (البيان والإيضاح لما عليه جامعة الإيمان)، وشن فيه هجوماً عنيفاً على جامعة الإيمان ورئيسها ومدرسيها وطلابها ومناهجها، وكل ما يتعلق بهذه الجامعة .. وكل ذلك لأنها "تتبنى مواقف انحرافية لصالح الإخوان المسلمين وتخرج طلابها علماء في التحزب والبدع ، وقامت من أجل إيجاد جيل يعتنق فكرة الإخوان المسلمين"[2].

وجاء في الكتاب: "علماً بأن الديمقراطية نظام كفري لا يلتقي مع الإسلام في المبنى ولا في المعنى، لا في الكل ولا في الجزء! والقول بأن الديمقراطية هي الشورى الشرعية ولا اختلاف بينهما إلا في اللفظ، قول معلوم بطلانه بالضرورة، فالفرق بينهما كما بين السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع.. فتبين من هذا أن الديمقراطية إنما جيء بها لهدم الإسلام "[3].

---

(1) تنوير الظلمات ص 101-108.

(2) انظر خاتمة كتاب (البيان) لمحمد الإمام.

(3) البيان ص 80-81. والأعجب من ذلك أن نجد هذا الشيخ السلفي له قدرة في التمييز بين الإيمان والكفر؛ ليس من خلال عقله ومداركه بل من خلال أنفه ؟! فقال: " في كتاب سعيد حوى (المستخلص) كلمات عليها رائحة التكفير، فمن ذلك قوله (لقد واجهت الحركة الإسلامية المعاصرة ردة عن الإسلام تكاد تكون لخبث من الردة الأولى). ص42.

وعند الاطلاع على كتاب (رفع اللثام عن مخالفة القرضاوي لشريعة الإسلام)[1] تجد مؤلفه أحمد بن محمد بن منصور العديني يهاجم الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي هجوماً عنيفاً ويصفه بالمنحرف والضال ومتبع الهوى والفساد والزيغ والجهل .. بل ولم يترك صفة ذميمة إلا وأطلقها عليه . ومن قبل المؤلف تجد في المقدمة التي كتبها (الشيخ العلامة محدث الديار اليمنية أبو عبد الرحمن مقبل الوادعي) كما جاء في الكتاب، يقول : " .. ومن بين دُعاة الضلالة في زماننا هذا يوسف بن عبد الله القرضاوي مفتي قطر، فقد أصبح بوقاً لأعداء الإسلام ، فسخر لسانه وقلمه لمحاربة دين الإسلام"!.

كما لم ينس المؤلف العلماء والمفكرين والدعاة أثناء رده على أفكار القرضاوي العفنة وآرائه الدخنة وأباطيله واستدلالاته السخيفة –حسب تعبير المؤلف– فكان لكثير من هؤلاء العلماء المسلمين[2]نصيب وافر من التهكم والتضليل والتحذير منهم ومن جهلهم وانحرافاتهم. ثم إننا نجد أن من أهم الأسباب التي استحق بها الشيخ القرضاوي لكل ذلك هو ما قاله المؤلف: " فانظر أخي إلى هذه العبارة يتبين لك أن الرجل يحمل فكراً خبيثاً باطلاً، ألا وهو تمييع الولاء والبراء الذي هو أصل من أصول العقيدة "[3]. كما أن من القضايا الأساسية التي انتقدها على الشيخ القرضاوي قوله بأن الديمقراطية سياسة شرعية وباب واسع من أبواب الفقه الإسلامي، وإشادة القرضاوي بالديمقراطية وان فيها ضمانات

---

(1) كان عنوان هذا الكتاب (رفع اللثام عن مكر القرضاوي بدين الإسلام) ثم غُير إلى هذا العنوان ، كما قال المؤلف ص 14 ، وقد قدّم لهذا الكتاب عدد من كبار العلماء السلفيين كالشيخ مقبل الوادعي والشيخ أحمد بن يحي النجمي والشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي والشيخ عبدالعزيز ابن يحي البرعي ، كما قيلت في الثناء عليه القصائد المطولة كقصيدة (طليعة البدر السافر لإجلاء الظالم العاكر) لأحد السلفيين.

(2) ومنهم الشيخ الإمام حسن البنا والهضيبي ومحمد الغزالي وسيد قطب وحسن الترابي وعبدالمجيد الزنداني وغيرهم ، بل ومن دعاة السلفية أيضاً المخالفين لمدرسة الوادعي ، كالشيخ محمد المهدي والشيخ عبد الرحمن عبد الخالق (من سلفيي الكويت) وأغلب هؤلاء ورد ذمهم ونقدهم في المقدمة التي كتبها الشيخ عبد العزيز البرعي.

(3) رفع اللثام ص39.

للحرية وأساليب لقمع الحكام المستبدين، فيرد الشيخ السلفي على آراء القرضاوي بما يشبه ما جاء في كتاب (تنوير الظلمات) الذي سبق ذكره، واعتبار الديمقراطية كفر وطاغوت وسلب الحاكمية من الله تعالى وإعطائها لكافة أفراد الشعب من سفهاء وغوغاء، كما تأتي قضية ترشيح المرأة في المجالس النيابية ودعوة القرضاوي وموافقته لذلك، فيرد المؤلف عليه ذاكراً "الأدلة على تحريم مشاركة المرأة في الانتخابات وتحريم ترشيحها"[1]. أما قول القرضاوي: " تعدد الأحزاب في مجال السياسة أشبه شيء بتعدد المذاهب في مجال الفقه " وما يحمله من إقرار للحزبية ، فقد أنكره المؤلف أشد الإنكار، وقال: " وهذه فرية ما فيها مرية، وكبرت كلمة خرجت من فيك يا فقيه الضلال.." [2]. ثم يسوق " الأدلة من الكتاب والسنة على تحريم التحزب والتفرق" في بضع صفحات، ويختم رده بقوله:" وهناك كتب ومقالات لكثير من علماء الأمة تحذر من التحزب، فقد كتب شيخنا مقبل بن هادي الوادعي حفظه الله رسالة بعنوان (البراءة من الحزبية) وهي رسالة نافعة مطبوعة ضمن كتابه (قمع المعاند) أنصح بقراءتها"[3].

وعلى نفس المنهج والأسلوب كتبت أم سلمة السلفية، زوجة الشيخ مقبل الوادعي كتاباً أسمته (تحذير الفتاة العفيفة من تلبيسات الزنداني الخبيثة) خاضت فيه أم سلمة السلفية معركة المواجهة الفكرية لمزاعم المخالفين للفكر السلفي الوادعي، وانقضت على الشيخ الزنداني واصفة له بكل نقيصة، فقد وصفته بالمهووس والمتطاول على التأليف، وبالوهم والجهل والزيغ والضلال والانحراف، وبعدم الخوف من الله تعالى ولا من عقابه، وأنه من المفسدين ومن علماء السوء الضالين المُضلين، وبأن دعائم الإسلام أطهر من أن ينجسها

---

(1) المصدر السابق ص 96-98.

(2) السابق ص 107.

(3) السابق ص 114.

الزنداني وأصحابه -اخوان المسلمين- بأفكارهم النتنة !!!كما حملت أم سلمة السلفية على كثير من العلماء والمفكرين الإسلاميين[1] في اليمن وخارج اليمن ، لكونهم يقولون بما يقول به المنحرف الضال – حسب تعبيرها- الزنداني .

وكل ذلك الهجوم وتلك الأوصاف الشنيعة إنما استحقها الزنداني لأنه دعا إلى الانتخابات والديمقراطية ومشاركة المرأة من خلال تكوين (مجلس شورى المرأة اليمنية)!!

وفي خضم هذه المعارك وتلك الحروب الفكرية يتساءل الشباب السلفي -وتزداد حيرته واضطرابه الفكري[2]- فإذا كانت الانتخابات والديمقراطية والبرلمانات كفر وجاهلية وشرك بالله وتمييع للولاء والبراء وهدم لأهم أصل من أصول العقيدة .. وأنه لا يستقيم دين المسلم وعبوديته لله إلا إذا كفر بالديمقراطية وتبرأ من كل ما يخالف الإسلام من باطل كالحزبية ومشاركة المرأة في العمل السياسي وغير ذلك من المحرمات الشرعية، وقد استحقت الجماعات والأحزاب الإسلامية بل والعلماء والمفكرون والدعاة والقادة الإسلاميون، كل تلك المواجهات والحرب نتيجة لإقرارهم وموافقتهم على تلك القضايا ومشاركتهم ودعوتهم إليها، فحكم عليهم جماعات وأفراداً بالضلال والانحراف عن الدين والعقيدة وبكل تلك الأحكام والمواصفات الشنيعة!! فلماذا لا تُطلق نفس تلك الأحكام على الحكام وولاة الأمر الذين لم يوافقوا على الديمقراطية والانتخابات والبرلمانات فحسب بل هم الذين جاءوا بها ودعموها وأشادوا بها، بل وأعلنوا أنهم قد اكتسبوا الشرعية واستحقوا

---

(1) ومن الذين هاجمتهم الإمام محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا وأبو الأعلى المودودي والدكتور عبد الكريم زيدان والدكتور مصطفى السباعي وغيرهم ، واصفة الجميع بالزيغ والضلال والانحراف والجهل !!

(2) ومن نافلة القول أن نذكر أن هذه الحيرة والاضطراب يزداد ويتفاقم حينما يرى الشباب السلفي شيوخه ومربيه يصف بعضهم بعضاً بالكلاب والحمير ، بل تجاوز بعضهم الحدود فوصف المخالفين بالمخانيث ، فقد قال الشيخ السلفي يحيى الحجوري عن للداعية المسلم عمرو خالد (هذا داعٍ إلى الاختلاط والخنا والفساد والزنا والمغازلات) كما جاء في الأشرطة السلفية بإعداد الشيخ نعمان الوتر .

الحكم نتيجة لما قررته الانتخابات والبرلمانات ونتيجة الالتزام بالنهج الديمقراطي وترسيخ أسس الدولة على النظام والقانون وتنمية التجربة السياسية والتعددية الحزبية وتوسيع مساحة الحريات ومشاركة المرأة في بناء الدولة والتداول السلمي للسلطة وعدم احتكارها في الحاكم وحزبه .. وإلى غير ذلك من القواعد والمفاهيم التي تقوم عليها الدولة اليمنية أو تسعى لتطبيقها والأخذ بها.

وتظل قطاعات كبيرة من الشباب السلفي في حيرة شديدة لعدم قدرتهم على الحصول على إجابات مقنعة لهذه القضية، وتلك المسألة التي لو استطاع أحدهم إخفاء حيرته وإظهار قناعته برؤية مشايخه السلفيين فترة من الزمن فإنه لابد أن يأتي وقت يصعب عليه كتمانها والإغضاء عنها، ويعزم عزماً أكيداً للحصول على إجابة منطقية وشرعية، وإن لم يجد تلك الإجابة الشرعية المقنعة، فإنه سيتولى الإجابة بنفسه، وبناء على ذلك كيف سيكون موقفه وردة فعله!

وقطاعات كبيرة من هؤلاء الشباب لايمتلكون المؤهلات المعرفية التي يمكنهم من خلالها استنتاج الأحكام الشرعية حسب ضوابط الاجتهاد، وعبر منهجية في التفكير: إذ الشريعة الإسلامية هي محور كل اجتهاد ، وفيها الثوابت المجمع عليها، وفيها ما هو ظني يحتمل التنازع واختلاف الرؤى، كما أن فيها المتغيرات التي تفرض اجتهاداً مستمراً، كأحكام السياسة، والتي تتغير بتغير المكان والزمان والحال، وهي من المسائل التي يتجنب القطع فيها كما لا يصح الإنكار على رأي المخالف، فكل ما ليس قطعياً من الأحكام هو قابل للاجتهاد، وإذا كان يقبل الاجتهاد فهو يقبل الاختلاف، لكن أولئك الشباب السلفي تركزت جهود دعاتهم وعلمائهم على تعليمهم حفظ النصوص الشرعية والتأكد من صحتها، وتركوا لهم العنان في تفسير تلك النصوص.

وتبرز معضلة أخرى تزيد حيرة الشباب السلفي وربما تحوله من دائرة المعارك الفكرية إلى المعارك القتالية، وهي أن مشايخ السلفية وعلماءها يقولون: "إن الإمامة الشرعية تنعقد لصاحبها بطريقتين:

- **الطريقة الأولى: وهي اختيار أهل الحل والعقد من يكون رئيساً**، وهذه الطريقة هي الأصل، وهي ثابتة بالسنة والإجماع.
- **والطريقة الثانية: العهد أو (الاستخلاف)**، وصورتها أن يعهد الخليفة القائم بالإمامة لرجل، وهذا الاستخلاف مشروع..
- **الطريقة الثالثة: أخذها بالقوة كالثورة والانقلاب وما أشبه ذلك**، وهي طريقة محرمة في الشرع، ولكن إذا تغلب من له القوة حتى صار إماماً وجبت طاعته فيما لم يكن فيه معصية لله ورسوله ﷺ وعليه إثمه بما فعل من القهر للناس. [1]

ورغم أن هذه المسألة (مسألة الخلافة والنظريات الدستورية للخلافة) هي من أخطر المسائل التي واجهت الأمة الإسلامية منذ وفاة النبي ﷺ، وهي القضية الكبرى التي اختلف حولها العلماء، إذ أنها تمثل النظرية السياسية في الإسلام المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، لكن السلفيين المعاصرين قد صاغوها من خلال تلك السطور السابقة بحالتين: الأولى هي الطريقة الأصل، والثانية مشروعة، ثم الطريقة الثالثة المحرمة المشروعة؟؟! والتي أُدرجت كطريقة ووسيلة من وسائل الخلافة، رغم عدم اعتبارها وأصالتها، كما أفاد ذلك الشيخ السلفي في كتابه (تنوير الظلمات) بقوله: " اعلم وفقني الله وإياك، أن الإمامة

---

(1) تنوير الظلمات ، ص 171-178. ورغم أن الشيخ السلفي قد جزم بحرمة هذه الطريقة -كعادة السلفيين- لكن بعض العلماء قد أجازوا استعمال القوة والاستيلاء ، واعتبروها طريقة مشروعة للوصول إلى الخلافة ، ومن هؤلاء (الإمام الغزالي) والقاضي (الماوردي) والعلامة الشافعي (ابن جماعة) . راجع (الاقتصاد في الاعتقاد) و (الأحكام السلطانية).

الشرعية تنعقد لصاحبها بطريقتين.." [1]. ثم أدرج الطريقة الثالثة المحرمة والتي إذا حصلت اعتبرت "شرعية موجبة للطاعة"!!.

وبالنظر إلى ضحالة الفقه السياسي –السياسة الشرعية– لدى قادة الجماعات السلفية المعاصرة فضلاً عن الأتباع والمؤيدين، فإننا نجد الشباب السلفي يقف أمام مثل هذه القضايا في حيرة وتناقض، إذ أغلب حكام المسلمين اليوم قد استولوا على كراسي الحكم على الطريقة الثالثة –القوة والانقلاب – مع أنها غير شرعية ومحرمة، فكيف يقبل المسلم طاعة من أقام حكمه على ما حرمه الدين ؟!

ولهذا رأينا في صفوف الجماعة السلفية الانشقاقات المتتالية، فخرجت جماعة (الحكمة اليمانية) السلفية وكذلك جمعية الإحسان وانفصلت عن مظلة المدرسة الوادعية، وشاركوا في الانتخابات ودخلوا معترك المنافسة السياسية، وكان هذا أول تعبير قدمه السلفيون ليؤكدوا رفضهم الانسياق للفكر السلفي المتناقض حول كثير من المسائل والقضايا المعاصرة، كما كانت هذه الجماعة أول محاولة سلفية جادة لتصحيح مسار الفكر السلفي الرافض للمشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية، والعاجز عن تقديم إجابات شرعية واعية للمشكلات والقضايا بعيداً عن الشطط والتقوقع .

إن السلفيين قد وقعوا في مطبات فكرية، حين رفضوا الاشتراك في العمل السياسي عبر رفض الحزبية والانتخابات والمجالس النيابية ، واعتبروا ذلك هو الشرك والكفر الذي يناقض التوحيد ويهدم أركان الدين، وفي نفس الوقت وجهوا خطابهم وانتقاداتهم إلى الأحزاب الإسلامية وإلى علماء المسلمين الذين أباحوا تلك الوسائل، وقدموا اجتهادات ضمن الإطار المرجعي الثابت المستمد من الكتاب والسنة وتاريخ الفكر الإسلامي بما

---

(1) لكن جماعة القاعدة السلفية لم تقع في هذا التناقض حيث اعتبروا تلك الطرق الثلاث شرعية وتوجب طاعة الحاكم ما دامت قد توافرت فيه شروط الخلافة الشرعية ، كما سنرى ذلك في الصفحات القادمة .

احتواه من أفهام وآراء السلف.. فاعتبر السلفيون ذلك من الضلال والزيغ والانحراف، ولكنهم غضوا أبصارهم عن الحكام الذين شرعوا وأوجبوا الالتزام بالديمقراطية والبرلمانات والتعددية الحزبية، بل وأوجبوا طاعتهم وحرموا الخروج عليهم بأي وسيلة من الوسائل، ولو كانت وسيلة مشروعة في نظر الحاكم نفسه كالمظاهرات السلمية والانتخابات"(1) وغيرها.

لقد صارت الفوضوية وعدم إدراك الأولويات والتخبط هي الصفات البارزة التي لازمت الجماعة السلفية التي قادها الشيخ الوادعي والذي اعترف بنفسه بذلك فقال : "فمن الناس من يكونون فوضويين ولا يأتمرون بأمر معلمهم وهذا شأن كثير من أهل السنة.

---

(1) وحين أفتى الشيخ ابن باز والشيخ الألباني بجواز الانتخابات، اكتفى الوادعي وتلاميذه باعتبار ذلك من زلات العلماء التي لا توجب إهدار محاسنهم والانتقاص منهم. فتأمل ردة فعلهم مع مشايخهم وقارنها بردة فعلهم مع الآخرين؟!.

مكانة الحاكم –إمام المسلمين- عند السلفيين

قبل أن يختلف السلفيون حول مسألة جهاد الحكام ومقاتلتهم ، نجدهم مُجمعين على منح الحكام مكانة عالية وحقوقاً تجعل منهم سلطة مطلقة لاتقيدها أي سلطة رسمية أو شعبية.

فالحاكم أو ولي الأمر طاعته والانقياد لأوامره عبادة يتقرب بها المحكومون إلى الله وينالون ثوابها يوم القيامة : " السمع والطاعة لولاة الأمور عبادة، إذ طاعتهم من طاعة الله عز وجل"[1]. وهذا ما اتفقت عليه السلفية غير الجهادية مع الجهادية، وقد ذكرت ما جاء في بعض كتبهم ، حيث اعتبروا طاعة ولي الأمر عبادة وعقيدة لاخلاف حولها، كما أنها من الصفات التي يلزم السلفي أن يكون متصفاً بها.

كما اتفق الجهاديون وغير الجهاديين الذين أسسوا جماعاتهم على القاعدة السلفية، اتفقوا على وجوب طاعة الحاكم ولو كان ظالماً، إذ عدم طاعته سيؤدي إلى الفتنة والفوضى وتفاقم المشكلات: " ومن المعلوم من ديننا بالضرورة أنه لايجوز أبداً منازعة الحاكم المسلم المستقيم على دين الله المدافع عنه، ولا الحاكم المسلم الجائر، لأن هذه أو تلك المنازعة تنقض الإسلام عروة عروة، وهذه طريقة المعتزلة ومن إليها"[2]، "فليست الطاعة له واجبة فحسب، بل هي ضرورة من ضرورات إقامة الحكومة الإسلامية، وأعظم حق للراعي على الرعية"[3]. وقد أكد منهجهم تنظيم القاعدة تلك العقيدة السلفية " الطاعة واجبة وإن منع الأمير حق بعض الناس أو استأثر بشيء دونهم، السمع والطاعة حق وإن ارتكب

([1]) العمدة ص355.

([2]) (تنوير الظلمات) ص182.

([3]) السابق ص184.

الأمير بعض الأخطاء".

كما يبررون تلك الطاعة المطلقة[1] للحاكم فيقولون: " ولعل الحكمة في أمر النبي ﷺ بالسمع والطاعة للأمراء وإن منعوا الناس حقوقهم أو استأثروا بحظوظ الدنيا دونهم، هو ارتكاب أخف الضررين، فإن تضرر الرعية بهذا المنع والأثرة أخف من ضرر الخروج على الأمراء.. ".

" .. ولنعلم أن ظلمهم ابتلاء من الله عز وجل لنا بسبب ذنوبنا أو غير ذلك.. وأرى السمع والطاعة للحاكم المسلم في المعروف وإن ظلم.. وأعتقد أن مفسدة إثارة الفتن، والافتئات على ولاة الأمور أكبر من مفسدة المنكر الذي يُراد تغييره في الغالب.. "[2].

ولتحقيق تلك الطاعة وأدائها أداءً شرعياً وكاملاً، اتفقت السلفية الجهادية وغير الجهادية على قضايا هامة في هذا المجال:-

1- بقاء الحاكم على كرسي الحكم، وعدم جواز عزله بعد انقضاء مدة زمنية، ولهذا قال السلفيون الجهاديون: " المدة : بيعة الإمام دائمة لاتنقطع إلا إذا مات الإمام، أو طرأ عليه سبب يوجب العزل من نقص في الدين أو نقص في البدن"[3]. وقال غير الجهاديين: " عزل الحاكم بعد مرور مدة يحددها الدستور.. وهذا العزل محرم في دين الله، والأدلة على ذلك كثيرة منها: حديث عبادة بن الصامت في الصحيحين وغيرهما: وفيه (على أن لاننازع الأمر أهله ..) [4] وحديث عوف بن مالك في شأن أئمة الجور

([1]) لايقيدونها إلا بحال أمر الحاكم بمعصية ، فلا سمع ولا طاعة في ذلك الأمر ، ويبقى وجوب السمع والطاعة للحاكم فيما عدا ذلك الأمر .

([2]) (السراج الوهاج) ص 56.

([3]) العمدة ص139.

([4]) رأينا أن هذا الحديث نفسه استندت عليه السلفية الجهادية على كفر الحكام المسلمين ووجوب جهادهم وقتلهم .

.. وهذه الأدلة واضحة في أن إمام المسلمين لاينازع إلا بسبب ظهور الكفر منه. ولايوجد في القرآن ولا في السنة دليل على أن الحاكم المسلم بعد مضي مدة يُعزل.. وهكذا لايوجد -فيما أعلم- أن العلماء جعلوا من أسباب عزل الحاكم الوصول إلى مدة معينة نعم يُعزل إذا طرأ عليه مايوجب عزله كالجنون وغيره "[1].

2- **شرعية اغتصاب السلطة**، كوسيلة من الوسائل للوصول إلى رئاسة الدولة وحكم الأمة، وقد نقلت سابقاً عن أحد مشايخ السلفية غير الجهادية اعتبار وسيلة أخذ الرئاسة بالقوة كالثورة والانقلاب وأنها الطريقة الثالثة لانعقاد الرئاسة للرئيس، رغم اعتبارها محرمة في الشرع لكنها توجب الطاعة.

وقد كانت السلفية الجهادية أكثر دقةً ووضوحاً قالوا: " فيما يتعلق بتنصيب الإمام الذي قد يكون بالشورى أي باختيار أهل الحل والعقد أو بالعهد من الإمام السابق أو بالاستيلاء "[2] ولكن لم يقولوا إن (الاستيلاء على السلطة) طريقة شرعية وفي نفس الوقت محرمة شرعاً، بل اعتبروا هذه الطريقة شرعية لاغبار عليها قد أجازها علماء المسلمين الذين كتبوا في السياسة الشرعية ، ومنهم الإمام أبو حامد الغزالي والإمام الماوردي والعلامة ابن جماعة، الذين أجازوا استعمال القوة للحصول على البيعة والوصول إلى منصب الخلافة.

والتزام السلفية الجهادية بمنهج السلف دون مراوغة يتضح لنا من خلال التزامهم بمنهج جمهور علماء السلف في مسألة الشورى وما يتعلق بها من تفريعات، ومن ذلك:

أ) "أن اختيار أهل الشورى من حق الأمير "[3].

---

(1) (تنوير الظلمات) ص188.

(2) العمدة ص 100.

(3) السابق ص 99 وما بعدها.

ب) ليست الشورى ولجبة على الأمير بل مستحبة. ولو قالت الأغلبية وأجمعت على قضية من القضايا المعروضة على مجلس الشورى فلا يلزم الحاكم الالتزام برأي الأغلبية، بل الرأي ما يراه الحاكم، ولا اعتبار لمن يخالفه ؟!!

فجاء في منهج السلفية الجهادية : " رأى جمهور علماء السلف أن الشورى مندوبة مستحبة وليست ولجبة على الأمير". " إن علماء الأمة لم يتكلموا عن إلزام الشورى للإمام .. ويلزم الأمة وأهل الشورى النزول على رأيه وطاعته -أي الحاكم- في لجتهاده " " فمن قال بعد ذلك أن الشورى ملزمة فاعلم أنه مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف.." [1].

وكما نرى اعتماد السلفية الجهادية على آراء السلف حول مسألة عدم وجوب الشورى من حيث المبدأ ، واعتبارها مستحبة فللحاكم أن يستشير أو لايستشير "والإمام هو السلطة الآمرة العليا في الأمة المسلمة ، فلو قلنا بأن الشورى ملزمة له وبالتالي للأمة، لقلنا بجواز تعدد السلطة العليا في الأمة وبجواز تعيين خليفتين، وهذا خلاف مقتضى الشريعة"[2].

ومن آراء السلف في هذه المسائل ، والتي توافق ما قالت به السلفية الجهادية فقالوا: " ونقل النووي الإجماع على أن الشورى مستحبة غير واجبة في حق الأمة.. وقد قال الجويني وابن تيمية وابن القيم : إن حكم الشورى هو الاستحباب"[3].

وقد اعتبروا إلزام الحاكم برأي أهل الشورى ولو لجمعوا عليه ، اعتبروا ذلك مناقضاً ومعارضاً للأمر الواجب بطاعة الحاكم : " وحتى ولو أجزنا هذا الاستنباط كدليل لوجوب إلزام الشورى ، فإنه لايقوى على معارضة الأمر بطاعة الإمام الولجبة بالنصوص القطعية

([1]) السابق.

([2]) عدم جواز البيعة لخليفتين مسألة متفق عليها استناداً على الأحاديث الصحيحة كقوله ص (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما).

([3]) العمدة ص101.

والثابت بالنصوص الصريحة القطعية أن الشريعة أمرت الرعية بطاعة الأمير، ولم تأمر الأمير بطاعة الرعية ولا بطاعة أهل الشورى"[1].

ورغم أن مشايخ السلفية غير الجهادية لم يهتموا بمسألة كيفية لختيار أهل الحل والعقد: هل تختارهم الأمة أم يعينهم الحاكم، ولم يتكلموا عن الطريقة التي يمكن من خلالها إنشاء هيئة انتخابية لتطبيق مبدأ الشورى.. ولكنني أجدهم يتفقون مع ماقال به الجهاديون وخاصة أن تلك الآراء قد استندت على ما أجمع عليه علماء السلف -كما نقل منهج الجهاد-. ونزداد يقيناً على ذلك لما نجده من توافق بين آراء السلفية الجهادية وغير الجهادية حول مسألة (الأغلبية).

فقد قالت السلفية الجهادية:" الأغلبية هي أغلبية أهل العلم الذين هم أهل الشورى، لا أغلبية العامة"[2]. وقالت غير الجهادية : " فهذه الكثرة مذمومة في المسلمين في هذا المجال، أعني: لختيار حكام يحكمون الأمة ، وهذا يرجع فقط إلى أهل الحل والعقد من العلماء الناصحين الصالحين.." [3]. وقال آخر في سياق نقده للشيخ القرضاوي الذي وصفه فقال:" القرضاوي يحكم الأغلبية في كل شيء.. فتأمل لخي القارئ كيف أمر الله بالرجوع عند الاختلاف إلى كتابه وسنة رسوله وجعله من كمال الإيمان، والقرضاوي يجعل الأغلبية هي الحكم.. وكيف يُقال بتحكيم الأغلبية، ومن المعلوم أن الأغلبية من البشر متفقون على الكفر برب العالمين، ومتفقون على الفجور"[4].

وقد أفاض السلفيون في كتابتهم حول مسألة الأغلبية، فقرروا أنها تعني (أغلبية أهل

([1]) السابق ص104.

([2]) السابق ص114.

([3]) (تنوير الظلمات) ص99.

([4]) (رفع اللثام) ص87-92.

العلم والتقوى..) باعتبار أن هذه الأغلبية هي المكونة مع البقية الأخرى من وصفوا بأنهم (أهل الحل والعقد) والذين اشترطوا فيهم صفات وشروط خاصة[1]. وأما غير هؤلاء فلا اعتبار لآرائهم، ولا تؤخذ مشورتهم أصلاً.

وانطلاقاً من عدم الاعتراف برأي الأغلبية، توصل السلفيون إلى استنتاجات تؤكد اتفاقهم وتحالفهم في رفض كافة أشكال الأنظمة التي تحترم رأي الأغلبية وتجعله ملزماً للحاكم وتوجب عليه تنفيذ ما اتفقت عليه الأغلبية فوصفوا الالتزام برأي الغالبية بأنه:" تقليد النظام الديمقراطي الغربي، حيث يقضي هذا بالعمل برأي أغلبية أعضاء البرلمان، الذين ينوبون عن الأمة، تطبيقاً، لمبدأ سيادة الأمة الذي تقوم عليه الديمقراطية. والنظام الديمقراطي هو نظام وضعي بشري يعني حكم الشعب بالشعب أو حاكميه الجماهير... فالمشرع في النظام الديمقراطي هو الشعب ممثلاً في أغلبية نوابه بالبرلمان.. فالديمقراطية شرك بالله وكفر أكبر صريح..)[2]. وأما رأي السلفية غير الجهادية في هذا المجال فقد اتضح من خلال الشواهد العديدة التي نقلتها في مواضع مختلفة، ولهذا فقد اعتبر أحد مشايخهم أن (المفسدة الثانية : تأليه الأغلبية)[3] حيث يعتمد رأي الأغلبية في البرلمانات، وهذا مخالف للشرع وخروج عن قواعد الشريعة ومبادئها ، وكفر صريح وشرك بالله – حسب رأيهم–.

وأعود لتأكيد التزام السلفية الجهادية بمرجعيتها السلفية وعدم التنازل عما اعتبر جزء

---

(1) وقد التزمت جماعة الجهاد بذكر الشروط التي حددها علماء السلف في أهل الحل والعقد وهي التي ذكر لماوردي في كتابه (أدب الدين والدين) ، وهي خمس خصال ، أما السلفية غير الجهادية فقد جعلتها ثمانية شروط: (الإسلام – العقل – الرجولة – الحرية – التقوى – العلم – عدم الانتماء إلى أهل الأهواء – البلوغ).

(2) العمدة ص103.

(3) (تنوير الظلمات) ص41.

من تراث السلف، حيث يصر تنظيم القاعدة السلفي الجهادي على رفضه لرأي الأغلبية حتى لو كان ذلك هو الطريق للتخلص من جبروت الحكام وتسلطهم على شعوبهم الإسلامية، فقالوا: " الذين ينادون بإلزام الشورى للإمام ويتحايلون على الأدلة الشرعية لإثبات ذلك يعللون مذهبهم بالرغبة في الحد من استبداد الحكام.. فإذا تحدثنا عن دولة الإسلام نقول أن تقرير مبدأ إلزام الشورى بها يفتح أبواباً للشر أشد من جور الحكام، إذ أنه سيؤدي إلى تعدد السلطة الآمرة العليا في الأمة.... وهذا نراه حتى في التجمعات الإسلامية التي تعتمد مبدأ الأغلبية للبت في الأمور.."[1].

ومع الاتفاق الكامل بين السلفية الجهادية وغير الجهادية حول الانتخابات والبرلمانات والديمقراطية: " أما النواب في البرلمانات الجاهلية فهم آلهة وهم الأرباب للناس من دون الله.. فهم السلطة التشريعية في الأمة وما يصدرونه من تشريعات – أيا كانت – تصبح شرعاً ملزماً لجميع الأمة كما تقتضي بذلك الديمقراطية ذلك الدين الجديد الذي أرتد كثير من الناس باعتناقه. ولهذا فنحن نقطع بتحريم المشاركة في انتخابات هذه البرلمانات بأي شكل، سواء بالترشيح لها أو المشاركة في التصويت أو بالدعاية للمرشحين وغير ذلك"[2].

مع كل ذلك الاتفاق ، لكننا نجد السلفية الجهادية تعترف بوسيلة (الانتخابات) لاختيار (مجلس العرفاء) الذي يشكل مع (مجلس الخبراء) ما يمكن اعتباره البرلمان الإسلامي أو مجلس الشورى الإسلامي. كما ذكرت ذلك في موضع آخر. فقالوا: " ويشبه مجلس العرفاء مجلس النواب الجاهلي في وجه، وهو أن أعضاءه ممثلون لجميع الأمة ".

ورغم أنهم يرون أن مجلس الخبراء يقوم الإمام الحاكم بتعيينهم وكذلك مجلس

---

(1) العمدة ص107.

(2) السابق ص112 وهذا ما قال به السلفيون غير الجهاديين كما نقلت عنهم ذلك في عدة مواضع من هذه الدراسة .

العرفاء، لكنهم استثنوا حالة واحدة ، أقروا من خلالها حق الانتخاب – وإن كانت مع القيود السلفية المعروفة – فقالوا: " إذا تخلى الإمام عن حقه في هذا – يعني تعيين مجلس العرفاء، فيختار أحدهم إما بالقرعة أو بالانتخاب (التصويت) على ألا يشارك في الانتخاب إلا العدول.." [1]

وبالإضافة إلى هذا الاعتراف المحدود بمسألة الانتخاب واعتبار المرشحين ممثلين لجميع أفراد الشعب ، نجد السلفية الجهادية تضع رأي الأغلبية من حيث الأهمية والأخذ به، تضعه بعد رأي الإمام، فقالوا: "لا اعتبار لرأي الأغلبية إلا بشرطين: أ- في مواضع الاجتهاد حيث لا نص شرعي واضح يحسم الخلاف، ب- إذا لم يثبت الأمير في موضع الاجتهاد برأيه، وفوض الأمر إلى أهل الشورى. ففائدة الأغلبية هي الترجيح عندما لا يستطيع الأمير أن يبت في الأمر برأيه ولا نقول إنها ملزمه له " [2].

وتلك الآراء والقناعات نجدها متناسقة ولا يتناقض بعضها بعضاً. بينما قناعات وآراء السلفية غير الجهادية حول مكانة الحاكم واعتبار طاعته عبادة ووجوب السمع والطاعة له، ورفض رأي الأغلبية رفضاً مطلقاً دون استثناء.

نجد هذه القناعات تتناقض مع ما قاله الشيخ السلفي الذي حرم عزل الحاكم، حيث أعطى مجلس الشورى الإسلامي حقوقاً لا تتناسب مع تلك القناعات السابقة فقال: "ومن أعمال أهل الحل والعقد: مراقبة الولاة ومحاسبتهم بالضوابط الشرعية وخلعهم إذا دعت الحاجة الشرعية لذلك، بشرط أن لا يحدث مفسدة أكبر" [3].

([1]) العمدة ص112.

([2]) العمدة ص115 .

([3]) تنوير الظلمات ، ص175.

وسأترك السلفية الجهادية ترد على مزاعم أختها، إذ قالوا في الرد على من زعم وجوب مشاورة الحاكم للعلماء – أهل الحل والعقد: " إما إيجابهما[1] المشاورة على الولاة، فهذا معترض بما نقلته عن ابن حجر والنووي آنفاً أن المشورة مستحبة ليست واجبة". أما عزل الوالي أو الحاكم : " وأما قول ابن عطية بعزل الوالي الذي لا يستشير، فهذا لم يقل به أحد ، ويحتاج إلى دليل من كتاب أو سنة أو إجماع يؤيد الوجوب الذي قاله في العزل. فكيف حكم بالوجوب بلا دليل؟ وقد دلت النصوص على أن الحاكم ينعزل بالكفر إجماعاً، فهل ترك الشورى كفر أو حتى فسق ؟! وراجع ما ينعزل به الإمام في (الأحكام السلطانية) للماوردي ، فلن تجد فيها ترك الشورى .. "[2].

ولهذا فإن إعطاء أهل الحل والعقد الحق في عزل الحاكم – كما قال الشيخ السلفي– كان فلتةً ومحاولةً من أحد مشايخ السلفية للإسهام في تقديم حل للخروج من مشكلة الحاكم الذي ارتكب ما يقتضي خلعه وإسقاطه، لكن الشيخ السلفي زاد القضية إيهاماً والتباساً حين جعل خلع الحاكم مشروطاً بـ(إذا اقتضت الحاجة الشرعية) وحين اشترط (أن لا تحدث مفسدة أكبر) فكيف يمكن ضبط تلك الحاجة الشرعية ؟! وكيف يمكن أن يتم خلع الحاكم دون أن تحدث مفسدة أكبر من خلعه ؟!

والحال نفسه حين نجد الشيخ السلفي غير الجهادي يضع تشاور الحاكم مع أهل الحل والعقد أحد "الشروط التي لا بد من توافرها في المستخلف ليكون الاستخلاف صحيحاً. "[3] وهذا الشرط (أن يكون الإمام العاهد قد تشاور مع أهل الحل والعقد ، ووافقوا على ذلك

---

(1) المقصود بهذا عالمين من العلماء، وهما (ابن عطية) و (ابن خويز منداد) .

(2) العمدة ص101.

(3) تنوير الظلمات ص176، وهذه هي الطريقة الشرعية الثانية لاختيار الخليفة ، وذلك من خلال تعيين الحاكم القائم لشخصية الحاكم الذي يأتي بعده .

بدون إجبار أو إكراه).

وفي رد السلفية الجهادية على من زعم وجوب التشاور مع أهل الحل والعقد، ومن زعم عزل الحاكم الذي لا يستشير، في ردهم ما يغني عن الإعادة .

ويمكن أن نستخلص من خلال آراء هؤلاء وأولئك، أن منهج السلفية الجهادية أكثر ليونة وأقرب اعتدالاً من آراء السلفية غير الجهادية التي تخبَّط مشايخها في مسائل السياسة الشرعية وتناقضت آراؤهم. وهذا شيء طبيعي إذ قد انشغلوا بمسائل العبادات وعلوم الحديث واللغة وأهملوا قضايا الحكم ومتعلقاتها واكتفوا بإعلان طاعة الحاكم وتحريم الخروج عليه.

ومع ذلك فإن كلا الفريقين –الجهاد وغير الجهادي– يتفقان على وجوب إقامة الدولة الإسلامية التي تستند في شرعيتها على الوحي، ولا مجال لإعمال العقل في ذلك، باعتبارها شيء مقدس ؛ فحاولوا صياغة المبادئ السياسية لهذه الدولة في قوالب فقهية يغلب عليها التقليد لآراء علماء السلف ثم بإختيار يوافقهم، ولهذا فقد عجزوا عن وضع إجابات لكثير من المشكلات التي اعترضت واقع النظام السياسي المعاصر، وكان جُل اهتمامهم التركيز على إضفاء الشرعية على الحاكم المسلم، ورفض الاعتراف بحق المحكومين (الشعوب) في تحمل أعباء الحكم وبهذا تجاهلوا تحديد أسس الالتزام السياسي[1] وضبطها بقواعد دقيقة ؛ ولذلك أصبح من السهل إسقاط شرعية الحاكم بحجة مروقه وكفره كما هو الحال عند السلفية الجهادية، وتكفير نظام الحكم ووسائله كما هو الحال عند غير الجهادية.

---

(1) كالطاعة للحاكم وحق الخروج على الحاكم وغيرها .

الخروج على الحاكم

ذكرنا كثيراً من الشواهد التي يُصرح من خلالها السلفيون بكفر الأنظمة الحاكمة[1]، وذلك من خلال تكفير الانتخابات بكافة صورها والديمقراطية والدساتير التي تنص على إقرار الحزبية ، واعتبار الشعب هو مالك السلطة ومصدرها، واحترام حقوق الإنسان، وحرية الرأي ، وإقرار العمل بميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وميثاق الجامعة العربية ، وقواعد القانون الدولي ، وغير ذلك مما نصت عليه دساتير الدول العربية والإسلامية واتفقت عليه.

ولكن مع ذلك الاتفاق على اعتبار الحكومات الإسلامية تحكم بغير الإسلام، إلا أن السلفيين غير الجهاديين يعتبرون حكام تلك الحكومات مسلمين[2]. في حين اعتبر الجهاديون هؤلاء الحكام كفاراً لحكمهم بغير ما أنزل الله ، فما هو سر الاختلاف ؟!

يعتبر السلفيون غير الجهاديين أن من نطق بالشهادتين، وعمل بأركان الإسلام – الصلاة والصيام والزكاة والحج– فهو مسلم لايجوز تكفيره، لذلك لايقرون بكفر الحكام المسلمين . واستدلوا بأدلة عديدة منها حديث (أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن يستقبلوا قبلتنا، ويأكلوا ذبيحتنا، ويصلوا صلاتنا، فإذا فعلوا ذلك، فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم، إلا بحقها، لهم ماللمسلمين وعليهم ما على المسلمين).

فالحاكم لم يكفر كفراً اعتقادياً، والذي به يكون كافراً، بل وقع في الكفر العملي، وهذا غير مخرج من ملة الإسلام، إلا إذا كان مُستحلاً لهذا الفعل، فيصير كافراً، وهم يقيسون

---

(1) أعني السلفيين غير الجهاديين الذين ذكرت كثيراً من أقوالهم ، وكذلك السلفيين الجهاديين الذين نقلت عن منهجهم أيضاً الكثير.

(2) ما عدا حكمهم بكفر بعضهم كما سنرى.

هذا الأمر بمن سرق أو زنى أو فعل فعلاً محرماً غير مستحل له؛ فهو لايكفر إلا لو استحل ذلك الفعل استحلالاً قلبياً اعتقادياً، وهذا بإجماع المسلمين سلفاً وخلفاً، ولم يخالفه سوى الخوارج الذين يكفرون مرتكب الكبيرة.

أما الجهاديون ، فقد استدلوا بعدة أدلة[1] ، وقالوا : إن مقتضى شهادة التوحيد أن يُسلم المسلم بالحاكمية لله وحده ، فكيف لايكون الحاكم كافراً مرتداً وهو لايحكم بشريعة الله، أفلا يكون الحاكم بالكفر كافراً ؟!

فالحاكم الذي لايحكم بالإسلام، أو يحكم بالإسلام وبغيره في وقت واحد، أو يشمل حكمه أي تغيير أو تبديل للشريعة مهما قلّ، فإنه قد وقع في الكفر العملي المخرج من الملة الإسلامية ؛ لأن ذلك التغيير أو التبديل منشأه الاعتقاد القلبي، ففساد الظاهر يستلزم فساد الباطن ، ولأن مقتضى تبديل شرع الله وعدم التقيد بما أنزله الله هو تحليل لما حرمه الله، فكفر الحاكم حاصل بمجرد التبديل، سواء أكان مع الاستحلال أم كان مع عدم الاستحلال. ولذلك قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ: " أحدهما ينافي الآخر"[2]. وكما قال ابن تيمية : " والإنسان متى حلل الحرام المُجمع عليه، أو حرَّم الحلال المُجمع عليه، أو بدل الشرع المُجمع عليه، كان كافراً مرتداً باتفاق الفقهاء. وفي مثل هذا نزل قوله تعالى على أحد القولين ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحكُمْ بِمَا أَنزلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ ﴾ أي هو المستحل للحكم بغير ما أنزل الله"[3].

فالحكام الذين لايحكمون بالشريعة قد كفروا كفراً بواحاً، ولا يمنع عدم استحلالهم القلبي للحكم بغير الشريعة أن نحكم بوقوعهم في الكفر، لأن الاستحلال قد يكون صريحاً

---

(1) منها أيات قرآنية كثيرة ، وبعض الأحاديث النبوية التي ذكرنا بعضاً منها في مواضع أخرى، ولاداعي لتكرارها .

(2) رسالة تحكيم القوانين ص10.

(3) مجموع الفتاوى لابن تيمية 167/3.

من خلال تبديل الشريعة بغيرها، وقد يكون الاستحلال ضمنياً من خلال جعل غير الشريعة مصادر للتشريع مع الشريعة الإسلامية، وحكام البلدان الإسلامية منهم من وقع في الاستحلال الصريح، وآخرون في الاستحلال الضمني، فكلهم كافرون مرتدون.

ثم إن السلفيين قد أتفقوا على عدم جواز الخروج على الحاكم المسلم إلا إذا حصل منه الكفر البواح. " ولا أرى الخروج على الحكام –مادلموا مسلمين– وإن جاروا.. وأعتقد أن للخروج شرطين لابد منهما: الأول: أن نرى من الحاكم الكفر البواح الذي لنا فيه من الله برهان . والثاني: أن يكون المسلمون قادرين على عزله بدون مفسدة أكبر.." [1].لكنهم لم يجيزوا الخروج على الحاكم الذي أقام نظام حكمه بوسائل كفرية.

أما السلفية الجهادية فرغم موافقتها على تلك العقيدة السلفية وإقرار عدم الخروج على الحاكم إلا إذا حصل الكفر البواح، إلا أنهم اعتبروا الخروج على الحاكم ولجباً إذا استمد حكمه من خلال البرلمانات والانتخابات والديمقراطية، "ولهذا فنحن نقطع بتحريم المشاركة في انتخابات هذه البرلمانات بأي شكل سواء كان بالترشيح لها أو المشاركة في التصويت أو بالدعاية للمرشحين وغير ذلك، ففاعل هذا هو إما واقع في الكفر أو موالٍ للكافرين ناصر لأنظمتهم .." [2]. " ومن الصور القبيحة لتحكم الناس في الشريعة الإلهية –في زماننا هذا– استفتاء الشعب مباشرة أو عن طريق نوابه (بالبرلمان) حول تطبيق الشريعة الإسلامية باسم الديمقراطية، وهذا معناه أن تطبيق شريعة الخالق رهن بإرادة المخلوقين، وأنهم مخيرون في السماح بتطبيقها أو عدمه ، وهذا كفر أكبر صريح .." [3].

إن مسألة إثبات حصول الكفر البواح عند الحكام اليوم وإقناع هؤلاء السلفيين بذلك،

---

(1) السراج الوهاج ص 55.

(2) العمدة ص 112.

(3) العمدة ص 221.

هي من أسهل الأمور التي لا تحتاج للوصول إليها والاقتناع بها سوى مدة قصيرة من الزمن . فالسلفية الجهادية تقول: " والسلطان إذا كفر وكان ممتنعاً وجب قتاله فرض عين ويُقدم على غيره ، وهذا كشأن الحكام الذين يحكمون بغير شريعة الإسلام في كثير من بلدان المسلمين ، فهؤلاء كفار لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحكُمْ بِمَا أَنزلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ ﴾ ولقوله ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ وغيرها من الأدلة ، ومعظم هؤلاء يدّعون الإسلام فهم بالكفر صاروا مرتدين. والحق أن هؤلاء الحكام مع حكمهم بغير ما أنزل الله يُشرعون للناس ما يشاءون من أحكام فهم قد نصبوا أنفسهم أرباباً وآلهة للناس من دون الله تعالى .." [1]. "قلت: مما سبق تعلم أن واجب المسلمين تجاه هؤلاء الطواغيت مقرر بالنص الشرعي الذي لا يجوز لمسلم أن يخرج عليه، وهو (ألا ننازع الأمر أهله، قال : إلا أن تروا كفراً بولحاً عندكم من الله فيه برهان) وقد انعقد الإجماع على وجوب الخروج عليهم كما ذكرت آنفاً، ولذلك فلا يجوز الاجتهاد في كيفية مواجهة هؤلاء الطواغيت مع وجود النص والإجماع، وأن من لجتهد مع وجود النص والإجماع في هذا فقد ضل ضلالاً مبيناً، كمن يسعى لتطبيق حكم الإسلام عن طريق البرلمانات الشركية ونحو ذلك.." [2]. ولهذا فإن خطاب السلفية الجهادية في هذه القضية هو أكثر قبولاً في صفوف الشباب المسلم، في حين وقعت غير الجهادية في تناقض صريح.

وأما الشرط الثاني لجواز الخروج، وهو القدرة، فإن السلفية الجهادية تتفق فيه مع أختها غير الجهادية، " ولا يمنع المسلمين من الجهاد إلا العجز، ويجب الإعداد حينئذ، فما

---

(1) العمدة ص 276. وذكرنا أن الحكم (في كثير من البلدان الإسلامية) الذي جاء في هذا النص قد تغير ، فأصبح يشمل جميع الحكام .

(2) العمدة ص 278.

دامت بالمسلمين قوة.. وإذا عجز المسلمون وجب الاستعداد"[1]. لكنهم لايعتبرون واقع المسلمين اليوم مانعاً من أداء واجب الخروج على الحكام، إذ صار الخروج ممكناً وصار للمسلمين جماعة جهادية تسهل لهم هذا الخروج .

وعند عرض نص من أقوال وفتاوى الإمام ابن تيمية رحمه الله، فإن مسألة الاقتناع تكون أكثر سهولة ليتقبلها أي سلفي، ولنتأمل النص التالي: " فثبت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، أنه يُقاتل من خرج عن شريعة الإسلام، وإن تكلم بالشهادتين، وقد لختلف الفقهاء في الطائفة الممتنعة، ولو تركت السنة الراتبة كركعتي الفجر، هل يجوز قتالها؟ على قولين، فأما الواجبات والمحرمات الظاهرة والمستفيضة ، فيقاتل عليها بالاتفاق حتى يلتزموا أن يقيموا الصلوات المكتوبات، ويؤدوا الزكاة ويصوموا شهر رمضان، ويحجوا البيت، ويلتزموا ترك المحرمات من نكاح الأخوات وأكل الخبائث، والاعتداء على المسلمين في النفوس والأموال ونحو ذلك.. وأبلغ الجهاد الواجب للكفار والممتنعين عن بعض الشرائع كمانعي الزكاة والخوارج ونحوهم ، يجب ابتداء ودفعاً.." [2].

" فالتشريع حق للرب جل وعلا.. واعتداء سلاطين الأرض وملوكها ورؤسائها على شرعة الله بتحليل ما حرم وتحريم ما أحل عدوانُ على التوحيد وشرك بالله ومنازعة له في حقه وسلطانه جل وعلا، وأكثر سلاطين الأرض اليوم وزعمائها قد تجرؤوا على هذا الحق، وتجرؤوا على الخالق .. وشرعوا للناس بغير شرعه.. والشهادة لهؤلاء الظالمين بالإيمان عدوان على الإيمان وكفر بالله سبحانه وتعالى"[3].

---

(1) العمدة ص 276-278.

(2) السياسة الشرعية ص 135-136. وخاصة أن لبعض مشايخ السلفية قدرات خاصة في التعامل مع النصوص التي ينقلونها عن علماء السلف ، خاصة ابن تيمية .

(3) (الأصول العلمية للدعوة السلفية) للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ، ص15. ومؤلف هذه الرسالة هو أحد مؤسسي

ولا شك أن (الظالمين) هم الحكام ، الذين شرعوا للناس شرائع غير شريعة الله، وهم الذين اعتبر الشيخ السلفي عبد الرحمن عبد الخالق مجرد الشهادة لهم بالإيمان عدواناً على الإيمان وكفراً بالله عز وجل، كما رأينا في النص السابق وأكدته السلفية غير الجهادية، "ومن هنا يُعلم أن الديمقراطية تشريع من دون الله، فلا يخفى على كل مسلم أن هذا هو الكفر الأكبر والشرك الأكبر والظلم العظيم، قال الله تعالى: ﴿ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:13] وأي شرك أكبر من تعطيل عبودية الله؟"[1].

فإذا كانت كل تلك الفتاوى والأحكام –وغيرها كثير– يطلقها مشايخ السلفيين، جازمين بأنه لا يصح إسلام المسلمين حتى يكفروا بالديمقراطية، باعتبارها (الدين الجديد) الذي شرعه اليهود والنصارى، أفبعد ذلك كله يمكن أن يظل الشاب السلفي الذي تربى على تفسيق وتجريم حالق اللحية[2]، قابلاً لمسألة طاعة الحاكم واعتباره حاكماً مسلماً، طاعته من طاعة الله تعالى ؟!

ومن ذلك كله نستطيع أن ندرك الإجابة عن السؤال الذي تداوله الباحثون والمتخصصون وسعوا للحصول على إجابة شاملة ومباشرة له، وهو: لماذا مثلت التيارات السلفية أساساً وقاعدة أولية لكل الجماعات الجهادية، إننا نستطيع أن نجزم بأن مرحلة الصراعات الفكرية التي يخوضها السلفيون هي فترة إعداد وتهيئة يقطعها السلفي ليصل بعدها –لا محالة– إلى مرحلة المواجهات القتالية، فبالإضافة إلى كل ما سبق قوله، فلنتأمل

الجماعة السلفية غير الجهادية في الكويت ، وله مؤلفات عديدة ، وهو أحد كبار تلامذة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، الذي يُجمع على زعامته للسلفية كل السلفيين بشتى توجهاتهم ، وقد هاجمه بعض السلفيين التابعين لمدرسة الوادعي واعتبروه خارجاً عن المنهج السلفي –كغيره من الذين هاجموهم – نتيجة بعض آراءه المخالفة لهم .

(1) تنوير الظلمات ، ص18.

(2) قال الشيخ الوادعي في الفواكه الجنية ص 184: " نحن نعتقد أن حلق اللحية معصية وفسق وأنه جريمة" .

ما قاله دعاة السلفية ومشايخها من قصائد شعرية وما تحمله من شواهد تؤكد ما قلته، بعدما أكدته كتابات السلفيين نثراً.

وورد في كتاب (رفع اللثام) قصيدة بعنوان (طليعة البدر السافر لإجلاء الظلام العاكر) قالها الشيخ أبو عبد الله حمود بن قائد العديني في المدح والثناء على الكتاب ومؤلفه، فقال:

نلتَ العلا يوم نلتَ مفاخراً ورأيتُ سفرك سيف حقٍ باترا
كشف على الضُّلال يبلي سرهم ويبيِّن المكر الخبيث الغادرا
مكرٌ بدين الله يسري سُمه بين العقول وكم أباد بصائرا
من عالم سوء تمادى شرُه ولسوف يُصعق بالأذلة صاغرا

بهذا الاستدلال ذكر الشيخ السلفي أن مؤلف الكتاب قد بلغ أسمى منازل الفخر والاستعلاء بما كتبه في سفره ليكشف مكر وخبث وغدر الشيخ القرضاوي وغيره من العلماء المسلمين من أهل الضلال ، وفضح سرهم وأبادهم وقطع دابرهم بسيفه البتار، فصاروا أذلة صاغرين !!

يوماً إذا زحف البواسل نحوه كضراغم تفني الجبان الماكرا
بسيوفهم ورماحهم وسهامهم والحق يظهر في المعارك ظافرا
أفٍ لمن والى اليهود ومنهم قسسٌ وبوذٌ واقتدى وتفاخرا
ودعا إلى هدم البراءة منهمُ والكل أحباب لديه فياترى
أعنيه قرضاويٌ سوءة عصره وصحابه من للضلالة ناصرا
فضلال قرضاوي زاد تدفقاً قيحاً عبيطاً منتناً متكاثرا

والقصيدة طويلة ومنها :

فلعمري ما شُغل الوغى في بلدة ... عبر القرون ومنذ دهر غادرا

إلا وكان النصر خلف لواءنا ... ويسجل التاريخ فيه عباقرا

لكن لدى الإسلام من هو فارس ... ومُنازلٌ رفع اللثام الساترا

ولنتأمل في الألفاظ والمفردات التي استخدمها الشاعر في قصيدته (سيف حق) (باتر) (زحف البواسل) (كضراغم) (تفنى) (بسيوفهم) و(رماحهم) و(سهامهم) (المعارك) (النصر) (لواءنا) (فارس) .. تلك الألفاظ والمفردات تعكس الجانب النفسي والحالة الشعورية لقائلها، حيث يُخيل للقارئ بأن القصيدة قيلت في مدح بطل من الأبطال بعد أن خاض معركة ضروساً مع أعدائه ففرق شملهم وأبادهم عن بكرة أبيهم ، ولم يُبق منهم أحداً ولم يذر!! ولذلك ختمها ببيت قال فيه :

فإليك قرضاوي خذها خاسئاً ** خمسين بيتاً أسهماً وخناجراً

فالقصيدة كما وصفها الشاعر نفسه (خمسين بيتاً أسهماً وخناجرا) وقد أحسن وصفها، كما قيلت في مدح ذلك الكتاب قصائد عديدة منها قصيدة لحميدة بن قائد العتمي أحد الشعراء السلفيين ، قال فيها:

سنحيا على الدين شم الأنوف ... وإن سخط الترك[1] ثم الهنود

وننصب حرباً ضروساً لمن ... يعادي ونكسر جند الجحود

أتيتَ من الدجل بالمخزيات ... وأضحكتَ بين اللحود الجدود

تنكرت للدين عقداً له ... فكنتَ وربي كأشقى ثمود[2]

فحَجْراً على الغرِّ لا يأتنا ... بما لم يلاقه من عاد هود

نُصرت ابن منصور[1] في ردكم ... فجوزيت خيراً بدار الخلود

---

(1) أظنه لا يعلم ان الاتراك مسلمون بنسبة تزيد عن 95%.

فكممت فاهاً وألقمته حجاراً وأحكمت منه القيود
فكانت كدُرٍ بأصدافه وغارات صبحٍ بخفق البنود

إن تلك المقتطفات التي ذكرتها –ومالم نذكره أكثر واعنف– لا تحتاج إلى إمعان نظر، لنكتشف ما يحمله التيار السلفي –في اليمن خاصة– غير الجهادي في هذه المرحلة من بذور أولية للعنف ، وإن كانوا يوجهون سخطهم وعنفهم إلى غير الحكام ، لكن إشعال تلك المواجهات وتنمية الروح القتالية عند غير الجهادية سيؤهلهم للالتحاق بإخوانهم الجهاديين لامحالة.

إننا لو نظرنا فيما قدمته الجماعة السلفية – في اليمن – في مشروعها الإصلاحي، من خلال ما كتبه مؤسس الحركة السلفية المعاصرة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي –رحمه الله– فإننا سنجدها دعوة إصلاحية ركزت على العلم الشرعي والتحصيل والمثابرة لتخريج علماء متخصصين في علم الحديث النبوي وفنونه المختلفة ، للقيام بالدعوة إلى الله ومحاربة البدع ومواجهة الفرق الضالة ، التي انحرفت عن أصول الدين وقواعده الأساسية .. لكن اهتمام شيوخ ودعاة السلفية وكثرة انشغالهم بهذا الجانب – الرد على الفرق المبتدعة – جعلهم يظهرون كجماعة مناوئه ومحاربة لغيرها أكثر من كونهم جماعة إصلاحية دعوية،

---

(2) يقصد مؤلف كتاب (رفع اللثام عن مخالفة القرضاوي لشريعة الإسلام) للشيخ السلفي أحمد بن محمد بن منصور العديني. وجاء في المقدمات التي تصدرت هذا الكتاب لبعض المشايخ السلفيين عن الكتاب ومؤلفه (فألفيته كتاباً قيماً عظيم النفع) (وهذا الذي فعله الأخ أحد بن محمد بن محمد منصور هو نهج أهل السنة في كل عصر) (فدونك هذا السفر المبارك فانهل منه وارو غليلك واشف غليلك)

(2) تأمل كيف يقسم بالله العظيم أن الشيخ القرضاوي كأشقى ثمود الذي عقر الناقة ! والذي ورد في قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾ [الشمس:11-12].

فالفرق الإسلامية القديمة كالخوارج والأشاعرة والمرجئة والجهمية والمعتزلة سواء ما بقي منها أو اندثر، قد نالت من المواجهة الفكرية من علماء السلف شيئاً كثيراً ، ظلت هي المصدر الرئيس الذي انشغل به السلفيون وفرغوا أنفسهم له . بل لقد انعكس هذا الأمر وأثر في تفكيرهم حتى دفعهم نحو البحث عن أعداء جدد يحملون ما تحمله تلك الفرق من عقائد وأفكار - -حسب تقدير هؤلاء السلفيين- فلم يجدوا أمامهم سوى الجماعات الإسلامية المعاصرة التي أصبحت هدفهم الأول وغايتهم الكبرى ، ليردوا عليها ويكشفوا مثالبها وعوارها وانحرافاتها -حسب تعبيرهم- ويرووا غليلهم منها ، ثم ليكملوا المسيرة التي ابتدأها علماء السلف في الرد على المبتدعة والمنحرفين -حسب تصورهم- وبذلك يكونون هم الفرقة الناجية المنصورة والجماعة السلفية الحقة ، أما انتساب غيرهم إلى السلفية فدعوى خالية من الدليل . "إن كثيراً من الفرق المبتدعة قد تدّعي أنها على نهج السلف الصالح ولكن هذا القول لا يُقبل منهم ، ذلك أن قولهم هذا دعوى خالية من الدليل ، فلو كانت الدعوى تنفع بمفردها لنفعت اليهود والنصارى عندما ادعوا أن الجنة خاصة بهم ، كما قال الله تعالى عنهم : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة:111] ولو كانت الدعوى تنفع بمفردها لكان فرعون صادقاً فيما ادعاه.." [1]. فهم يستعيدون نفس الإشكالات وأجواء الصراع التي سادت بين علماء السلف وبين مخالفيهم في فترات سابقة من التاريخ.

وإذا كانت الجماعات والحركات السلفية تشترك في أغلب أفكارها وأساليب عملها ومواقفها ، إلا أن السلفيين في اليمن قد مثلوا حالة فريدة اختلفت عن غيرها في كون هؤلاء السلفيين يرفضون المشاركة ، ليس في الحياة السياسية فحسب ، بل حتى في أنماط الحياة

---

(1) إرشاد البرية ص 60 .

الاجتماعية ؛ فهم لا يلتحقون بالوظائف الحكومية : (ونرى أن الدعوة إلى الله أرفع من الكراسي ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت:33] يرى أصحابها أن العلم أرفع من الكراسي ﴿ يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[المجادلة:11] بل لا أزال أنصح إخواني في الله ألا يشتغلوا بالوظائف ، لماذا؟! لأنه قد وُجد من علمائنا المتقدمين من كان محدثاً كبيراً فلما شغل بالوظائف ساء حفظه ، وأصبح من قسم الضعفاء، فالمسلمون في هذه الأزمنة محتاجون إلى علماء أكثر من حاجتهم إلى إداريين ..) [1].

كما يرفضون الالتحاق بالمدارس والمعاهد والجامعات سواء الحكومية أم الخاصة، لهذا أنشئوا لأنفسهم مراكز تعليمية خاصة بهم سموها مراكز السنة وديار الحديث، كدار الحديث في دماج التي تفرعت عنها سائر مراكز السنة، وهي التي اعتبرها الشيخ الوادعي وغيره من مشايخ الدعوة السلفية تقوم بدور أفضل وأكمل من غيرها من المدارس والجامعات التي (الطالب فيها يبقى يدرس قدر ستة عشر عاماً، بعدها الماجستير قدر عامين بعدها الدكتوراه قدر ثلاث سنين، قدر عشرين وزيادة) (أنت طالب علم.. الفتاة أمامك وخلفك أو عن جانبك وتصطدم معها في الدرج وأنت شاب مترف، كيف تستطيع أن تحصل العلم ؟ هذه جناية إلى العلم وجناية إلى الدين[2] .." [3]. ويعلن الوادعي أن الفترة الزمنية القصيرة التي يقضيها طالب العلم في مركز دماج يستطيع بعدها أن يصبح مؤلفاً وكاتباً ومن أهل العلم !!

(هكذا معشر اليمنيين ، من إخوانكم -بحمد الله – الذي له قدر خمس سنين، ومنهم

---

(1) (الفواكه الجنية في الخطب والمحاضرات السنية) لمقبل بن هادي الوادعي ص 23.

(2) هكذا كُتبت ، والصيغة الأصح (جناية على العلم وجناية على الدين) .

(3) المصدر السابق ص 113-114.

من ليس له إلا قدر سنة ونصف ، وهو الآن يؤلف ..). ثم وفي نفس الخطبة يقوم الوادعي بتوجيه بعض الأسئلة إلى أحد تلاميذه بعد أن يسأله عن الفترة التي قضاها في دماج، فيجيب الطالب (محمد) قدر تسعة أشهر . ويعلن الوادعي أن تلميذه قد أوشك أن ينتهي من تحقيق كتاب (الصارم المسلول على شاتم الرسول) لشيخ الإسلام ابن تيمية! وكذلك الطالب الآخر (قاسم العديني) الذي يقوم بتحقيق كتاب (تفسير ابن كثير)، ثم يشير إلى ثالث وهو أبو موسى البيضاني[1] الذي انتهى من كتابه (المهور في الإسلام). ثم يقول " وأعرف جامعات ينفق عليها الملايين ما أنتجت كمدرستنا التي هي على أيدي أهل الخير .."[2].

ولا زال السلفيون يتفاخرون بهذه المراكز ويشيدون بها، ويعتبرون وجودها دليلاً قاطعاً على شرعية الحكومة وحبها للخير والدين. " والحمد لله أن بلادنا –اليمن– بلد إسلامي ونعيش تحت قيادة مسلمة، فلا نحتاج إلى انتخابات، والمطلوب هو التسديد والتقريب والمناصحة على وفق منهج السلف الكرام من غير انتخابات .. فالحكومة – وفقها الله – لا تمنع أحداً من الصلاة أو من إقامة الشعائر الدينية المشروعة، فمراكز أهل السنة – بحمد الله– منتشرة في أرجاء يمننا الحبيب، يُعلم القائمون عليها كتاب الله وسنة نبيه ﷺ على مختلف المستويات بكل اطمئنان، فهذا مركز الوالد الشيخ مقبل بن هادي الوادعي –رحمه الله – كم وكم من الدروس العلمية تُدرس فيه، دروس في العقيدة وفي التفسير والحديث ومصطلحه، ودروس في الفقه وأصوله، وفي النحو والصرف، وفي الفرائض وكذلك تعليم القرآن الكريم وتجويده وتعليم القراءة والكتابة وغير ذلك من علوم

---

(1) وهو أحد الذين انشقوا عن مدرسة الوادعي ، فأصبح في نظر السلفيين غير سلفي وصاحب بدعة !!

(2) المصدر السابق ص142. كانت مدرسة الشيخ الوادعي في البداية عبارة عن معهد تابع للمعاهد العلمية التي أنشأها الإخوان المسلمون في اليمن ، ثم بعد ازدياد الخلاف بينهما تم فصل عن المعاهد التي تمولها الحكومة واعتمد في تمويلها على أهل الخير وخاصة من دول الخليج العربي.

الشرع الحنيف وعلم الآلة، لذا وفد عليه طلبة العلم من أقطار الأرض ينهلون من هذا المركز العملاق ما فيه من تلكم العلوم ، ويتلقون فيه المنهج السلفي في كل أبواب العلم، ومنها الموقف من ولي الأمر المسلم ، فتخرج من هذه المركز المبارك طلبة علم أفذاذ ومشايخ علم أبرار[1] من أمثال الشيخ العلامة محمد بن عبدالوهاب الوصابي القائم بالدعوة والتعليم في مسجد السنة بالحديدة[2]، وكذلك الشيخ المحدث يحي بن علي الحجوري الذي لقبه شيخنا الوالد المحدث مقبل بن هادي الوادعي بالناصح الأمين[3]وكذلك ممن تخرجوا من هذا المركز المبارك الشيخ الفاضل المسدد محمد الإمام وفقه الله، القائم على مركز السنة بمعبر، ومنهم الشيخ أبو ذر عبد العزيز البُرعي الذي لقبه الشيخ بالناقد البصير والقائم على مركز السنة بحُبيش، وكم وكم من طلبة العلم الذين تخرجوا من مركز دمَّاج المبارك.."[4].

إن السلفيين الذين أعلنوا كفر النظام الديمقراطي وطاغوتية الأنظمة الحاكمة بالانتخابات وإن الانتخابات وسيلة كفرية محرمة، والوسيلة التي تؤدي إلى الكفر، استعمالها كفر . وإن الانتخابات لها دور كبير في هدم الأخوة الإسلامية وتمزيق وحدة المسلمين، وحرموا الخروج عليه بأي صورة من الصور لما في ذلك من نشر الفتنة.. واستدلوا بكلام الله تعالى وأحاديث النبي ﷺ لبيان كفر وشرك وإجرام الديمقراطية والانتخابات والبرلمانات، كما استدلوا بكلام الله تعالى وأحاديث النبي ﷺ لإثبات حرمة الخروج على

---

(1) تأمل وصفه (طلبة علم ، أفذاذ ، ومشايخ علم أبرار) !!

(2) والشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي من الذين درسوا في مركز دماج بل هو من السلفيين الأوائل الذين تلقوا العلم في السعودية وقت كان الوادعي نفسه طالباً في الجامعة الإسلامية ثم انتقل إلى بلدته .

(3) وهو الذي قام على المركز بعد وفاة الشيخ مقبل رحمه الله ، وهو نفسه الذي قال عنه إخونه السلفيون من أتباع مدرسة أبي الحسن المأربي بأنه : قاصر العقل وذميم الخُلق وبذيء اللسان وقليل الأدب والحياء .

(4) البيان المفهم ص 4-6.

الحاكم ووجوب طاعته ، واعتبروا طاعة الحاكم – والذي يحكم بالديمقراطية والانتخابات والبرلمانات – هي إحدى الصفات اللازمة لاعتبار السلفي سلفياً حقاً، كما أن طاعة الحاكم قربى إلى الله–كما مر بنا من قبل– كسائر العبادات التي يتقربون بها إلى الله !!

هؤلاء السلفيون لم يستطيعوا مع كل ذلك التناقض الظاهر أن يقدموا لذلك الحاكم سوى النصيحة له بأن يحكم بالإسلام وإزالة مظاهر الفساد . وتلك النصائح ليست سوى كلمات يعلنونها من المنابر مناشدين الحاكم أن يحكم بالكتاب والسنة، دون تقديم أي مساهمة عملية أو مشاركة فعلية لتحقيق ذلك والقيام به. [1]

"تنصح حكامنا فيما يتعلق بالمجتمع اليمني سواء أكان من قبل الأحزاب، أم كان من قبل الرشوة أم كان من قبل الضغط من قبل بعض المسئولين على بعض المواطنين، أم كان من قبل الضرائب والجمارك، ننصحهم، ولا نجيز الخروج عليهم، ومن خرج نعتبره باغياً، لأنهم مسلمون، وما زالوا مسلمين .." [2]. " نحن معشر أهل السنة نرى السمع والطاعة لحكومتنا، النبي ﷺ يقول (من أتاكم أمركم جميع يريد أن يفرق بينكم فاضربوا عنقه). وهناك أخطاء يمكن أن تعالج، هناك أخطاء لو أن العلماء نصحوا لتعالجت، ككثير من الأخطاء ، لسنا نبرئ حكومتنا ، ولسنا نبرئ مجتمعاتنا ، فمثلاً الضرائب والجمارك، وهكذا أيضاً القتل والقتال بين القبائل ، هذا أمر يجب أن تهتم به الحكومة وأن يهتم به العلماء .. يجب على إخواننا المسئولين أن يتعاونوا هم والعلماء على إصلاح ذات البين، ويجب علينا أيضاً أن ننصح لإخواننا المسئولين.. الواجب علينا جميعاً أن نسعى في

---

(1) وأدغ شيخاً سلفياً وهو محمد بوالنيت المراكشي يوضح ذلك بقوله مستنكراً على إخوته السلفيين الذين سمَّاهم (أدعياء السلفية) : (وانظر أين بلغ بالقوم تجزئتهم للإسلام ، ونبذهم للأمر بالمعروف والنهي عن (المنكر السياسي) وهو جزء من الجهاد بالبيان الذي يزعمون أنهم القائمون به) . من كتاب (أدعياء السلفية) ص 11.

(2) الفواكه الجنية ص 23.

إصلاح بلدنا وفي إصلاح مسئولينا، وأن نناشدهم الله ونقول: نحن أمة مسلمة، وشعبنا شعب مسلم، ولا نريد إلا الإسلام. فنحن نريد أن نحكم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، ونطالب حكومتنا بعزل الفاسد المفسد، هناك أناس فاسدون مفسدون يضغطون على القبائل من أجل الحزبية ، إما أن يكون شيوعياً أو بعثياً أو ناصرياً أو رافضياً يضغط على القبيلي ويشين معاملته إذا ذهب إليه من أجل أن يفجر القبائل على الدولة .." [1] (لاحظ الركاكة وضعف الاسلوب في الأسطر السابقة).

وبهذا الخطاب السلفي الذي يعتبر أن إصلاح الحكم يكون بعزل الفساد والمفسدين، وأن الأخطاء الكثيرة الحاصلة في البلاد يمكن معالجتها لو قام العلماء بواجب النصيحة ومناشدة الحاكم أن يحكم بالإسلام..

بهذا الخطاب يرى السلفيون أنهم قد قاموا بالواجب الذي كُلفوا به من الله تعالى ورسوله ﷺ لإصلاح الحاكم وإقامة الدولة الإسلامية وإصلاح المجتمع!

كما أن شيخ السلفيين لا تكاد تخلو خطبة من خطبه المنبرية أو محاضرة من محاضراته العامة من الدعوة إلى التخلص من الفاسدين المفسدين: " وأسأل الله العظيم أن يقطع ظهر وعنق من يريد إثارة الفتن في بلدنا الطاهرة، ونسأل الله أن يقطع دابر الشيوعيين والبعثيين والناصريين، اللهم طهر بلدنا، وطهر دوائر حكومتنا، وطهر محافظات حكومتنا من الشيوعيين والبعثيين والناصريين .. نسألك يا الله أن تطهر مجتمعنا من الأرجاس والأنجاس الذين دنسوا بلادنا وأذلوا العباد"[2]. " فنحن لسنا دعاة فتن، ومع هذا فلا نرضى بفساد في بلدنا، ونناشد المسئولين أن يزيلوا ما يحدث من التبرج والسفور

---

(1) المصدر السابق ص 140-142.

(2) المصدر السابق ص 149. وقال الوادعي في (قمع المعاند) : " من كان على مبدأ جمال عبدالناصر فهو كافر". ص121.

ومن الاختلاط ومن البنوك الربوية ومن أي شيء حتى من سب الصحابة، الحكومة وُضعت لردع الجاني المجرم.. اللهم طهر دوائرنا يا رب العالمين من الحزبيين من البعثيين ومن الناصريين، اللهم اهدهم أو اقطع دابرهم يا رب العالمين ، اللهم طهر دوائرنا يارب العالمين وحكوماتنا من الشيوعيين والبعثيين والناصريين الذين يريدون لبلدنا الخراب ويريدون لبلدنا النكبة"[1]. "الدعوة عندنا أرفع من الكراسي، فلا يسوغ لشيوعي أو لبعثي أو ناصري أن يجعل فجوة بين الدعاة إلى الله وبين حكومتهم، بل الدعاة إلى الله من حكومتهم وحكومتهم من الدعاة إلى الله، ونتعاون جميعاً على إصلاح بلدنا فإن بلدنا معرضة لأخطار، وأعظم إصلاح أن يتفقه الناس في دين الله حتى يعرفوا من عبد الله بن سبأ، ومن علي بن الفضل الرافضي .."[2].

"فعلينا معشر المسلمين أن نتوب إلى الله ثم إياك أن تغتر وتحتج بمجتمعك، فإنك تعيش في مجتمع جاهلي، ولست أقول إنه كافر، ولكنه جاهلي!! لأنه لا يحكم الكتاب والسنة، بل يحكم الأهواء، إياك إياك أيضاً أن تغتر بما تسمعه من الإذاعات، فالإذاعات ووسائل الإعلام أدخلت على المسلمين شراً مستطيراً، آلات لهو وطرب، شبهات على المسلمين، يتسلمها[3]الكثير من الأوقات أعداء الإسلام من حداثيين وبعثيين ومن ناصريين، فليكن الاقتداء بكتاب الله وسنة محمد ﷺ"[4].

إن الخطاب السلفي تميز بالتضارب والتناقض في معظم ما يطرحه من القواعد والمبادئ الكفيلة بتحقيق الغايات؛ ففي حين نجد الشيخ الوادعي يكتفي بالدعاء على من

---

(1) المصدر السابق ص 186-187.

(2) المصدر السابق ص 185.

(3) هكذا وردت الكلمة ، ويقصد أن وسائل الإعلام يشرف عليها أولئك الذين ذكرهم .

(4) المصدر السابق ص 54.

اعتبرهم أعداء الدين ووصفهم بالأرجاس والأنجاس، فنجده في مرحلة أخرى يدعو إلى قتال هؤلاء وتصفية المجتمع اليمني المسلم منهم، وذلك باعتبارهم هم الكفار الذين إذا تم التخلص منهم فستصبح اليمن دولة إسلامية .

فالشيخ الوادعي اعتبر الوحدة اليمنية بين الشطرين في اليمن كفراً وردة عن الدين، فقال: " فمن رضي بالوحدة مع الشيوعيين فهو طاغوتي، بل هو مرتد، من رضي بها وهو يعلم ما هي لأن الله عز وجل يقول في كتابه الكريم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ﴾[التوبة:23]. وقد تكلمنا في أشرطة تقدمت أن الوحدة مع الشيوعيين باب كل شر، فُتح على المسلمين اليمنيين باب كفر وردة في اليمن، ألا وهي الوحدة مع الشيوعيين، وحصلت الفتنة، فظهرت الأحزاب الملحدة على أرض يمننا الطاهر والذي أثنى عيه النبي ﷺ.. " [1].

لقد أعلن الوادعي الحرب على حكام الشطر الجنوبي واعتبر الوحدة معهم كفراً بواحاً، فقال: " أما حكام عدن فنرى قتالهم واجباً حتى يتوبوا من الإلحاد ومن الاشتراكية ومن دعوة الناس إلى عبادة لينين وماركس وغيرهما من زعماء الكفر". ودعوة الوادعي إلى وجوب قتال الاشتراكيين الذين توحدوا مع حكومة الشمال جاءت رغم اعتباره حكام الشطر الشمالي مسلمين وتجب طاعتهم ويحرم الخروج عليهم؛ ولكن الشيخ الوادعي لم يدرك أن دعوته لقتال الاشتراكيين بعد توحد الشطرين هي دعوة لقتال الحاكم المسلم والدولة الإسلامية التي أوجب طاعتها ؟!!

وبعد أن حصلت الخلافات في اليمن وانتهت بقيام حرب الانفصال في 1994م أعلن

([1]) (تحذير ذوي الفلاح من طاغوتية الإصلاح) خطبة للوادعي . انظر (قمع المعاند) ص 75.

الوادعي (وقد أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، أما الآن فالحكومة إسلامية)[1]. لكن الشيخ السلفي ظل يحكم على المجتمعات بأنها جاهلية لأنها لاتحكم كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ ، "ولسنا نعني أنها كافرة ، فعندهم بقايا من الإسلام"[2].

ونتيجة لهذه الأحكام المتناقضة، ظل أتباع الوادعي من السلفيين في حيرة من الحكم بإسلامية الدولة مع اعتبارها جاهلية لاتحكم بالكتاب والسنة في نفس الوقت. وقد أدرك الوادعي تلك الحيرة، فأخذ يهدئ الموقف، ويتعلل بعدم القدرة على الخروج على الحاكم، وعدم توافر الأسباب المطلوبة لتغيير الدولة الجاهلية، والتي أهمها عدم جاهزية المجتمع اليمني للخروج على الحاكم، ولذلك فقد أجاب عن سؤال بعض السلفيين (ماذا أعد أهل السنة لأعداء دين الله، ولرفع كلمة الله في الأرض، ولمجابهة الطغيان والكفر ؟) فأجاب الوادعي : " أهل السنة أعدوا ما يستطيعون له، فإن الله عز وجل يقول : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:60] .. فالمجتمع الإسلامي ليس مؤهلاً للاستجابة للثورات والانقلابات، فإنه انتهى ببعضهم الحال ألا يفرق بين الشيوعي والبعثي والناصري وبين العالم والجاهل، فما دامت قلوبهم معلقة بأمريكا وبدولارات أمريكا فلا يستطيعون أن يثبتوا على الشدائد .. فهل هذا المجتمع مهيأ وموجود أم ليس موجوداً ؟ هذا المجتمع ليس بموجود. فالمجتمعات ليست مهيأة للقيام على الباطل، علينا أن ندعو إلى كتاب الله وعلى سنة رسول الله ﷺ وإذا حان ذلك الوقت، فأهل السنة ينبغي أن يكونوا في المقدمة، والذي لا يكون في المقدمة ليس بسني. ليست السنة مجرد برم العمامة– وإن كانت من السنة– ولا تكثيف اللحية –وهي من السنة.. ولكن السنة أن

([1]) رسالة (هذه دعوتنا وعقيدتنا) للشيخ الوادعي .

([2]) (قمع المعاند) ص234.

يكون الشخص مجاهداً، إن كان في الساقة ففي الساقة، وإن كان في مؤخرة الجيش فهكذا، في أي موضع يضعه الأمير ، فهذا ليس بموجود وليس هذا وقته .." [1]

ولهذا فإن شيخ الجماعة السلفية ومؤسسها أخذ يدعو أتباعه إلى الاستعانة بالطرق والوسائل الشرعية حتى يحين ذلك الوقت الذي يمكن فيه أن تُواجه تلك الحكومات الإسلامية الجاهلية بالمدافع والرشاشات والقوة المسلحة ؛ ومن تلك الوسائل : نشر فقه الكتاب والسنة وتعليم الناس العلم الشرعي ، وكذلك الاستعانة بالصبر، وانتظار الفرج بعد الشدة ، والدعاء . ولكن مع دعوة الوادعي إلى تلك الوسائل الشرعية حتى يحين الوقت المناسب نجده مستمراً في الحكم على نظام الحكم بالكفر والإلحاد لأنه قائم على النظام الديمقراطي الكافر والبرلمان الكافر والانتخابات الشركية ، ولأنه قد تم تأسيس ذلك النظام على الدستور اليمني الطاغوتي الذي يبيح قيام الأحزاب الكافرة، ولأن ذلك الدستور يعتمد حرية الرأي: (واحترام الرأي، واحترام الرأي معناه كفر بالله، وهو أن تجعل القرآن والسنة رأياً من الآراء. ومن الطاغوتية التحاكم فيه إلى الأمم المتحدة والمواثيق والأعراف الدولية. والتعايش السلمي معناه إبطال الجهاد في سبيل الله.)[2].

وإضافة إلى تلك الأحكام المتناقضة التي لقنها الوادعي لتلاميذه وأتباعه؛ نجد الشيخ الوادعي يرفض الدعوة إلى نزع السلاح من الشعب اليمني ويعتبرها دعوة الحادية مرفوضة ويدعو أتباعه إلى التمسك بالسلاح واعتبارها قضية لا يمكن التنازل عنها، كما ظل الوادعي يعلن عدم ثقته بالمجتمع وعدم جاهزيته للمواجهة والثورة والانقلاب على الحاكم، لكن الشيخ أضاف إلى تناقضه في وصف المجتمع بالجاهلية حيناً ووصفه بالمجتمع الإسلامي حيناً آخر -كما رأينا- أضاف تخوفه على دعوته وجماعته من وقوعها بالفخ في

([1]) (قمع المعاند) ص 84-85.

([2]) قمع المعاند ص78 وقد ذكرت قول الوادعي (أنا لا أؤمن بالدستور من أوله إلى آخره).

حال مواجهتها للدولة، فقال: (أما إذا كانت الشعوب مسلمة، ونقول: جهاد، والذين سيجاهدون معك يمكن أن يبيعك أحدهم بألف ريال، فينبغي أن نتأنى. وربما الحكومات تريد هذا، من أجل أن تقضي على الدعوات)[1].

إن الخلط في دعوة الوادعي وعدم وضوحها في هذا الجانب جعل الآخرين يصفونها بالتخاذل والهروب من جهاد أعداء الدين؛ فقام الوادعي يرد عليهم؛ لينفي عن جماعته تلك الصفة الذميمة، لكنه أوقع نفسه وجماعته في تناقض جديد!! فقال الوادعي: (ونحن لا نثبط عن الجهاد في سبيل الله، ولا نثبط المجاهدين في سبيل الله، ولكن من نجاهد؟ نجاهد إسرائيل، ونجاهد الشيوعيين والبعثيين والناصريين أعداء الإسلام)[2].

ولقد توسعت دعوة الوادعي وأقبل عليه كثير من الشباب من كافة البلدان العربية والإسلامية، فنجد الشيخ الوادعي يذكر من تلاميذه النابغين والذين لا يزالون على خير واستقامة -كما وصفهم- والذين بلغ عددهم خمسمائة طالب وطالبة[3]؛ منهم ثلاثة عشر مصرياً، واثنا عشر جزائرياً، وخمسة عراقيين، وثلاثة وأربعون ليبياً[4] واثناعشر صومالياً، بالإضافة إلى تسعة طلاب من أندنوسيا وأعداد قليلة من المغرب وسوريا والسودان ولبنان وجزر البهامة..

ولاشك أن الوادعي كان يدرك ما تحمله نفسيات تلاميذه من السلفيين الوافدين عليه من تلك البلدان كما كان يدرك أنهم ينتظرون منه إجابات صريحة عن تساؤلاتهم حول شرعية حكومات بلدانهم، وما الموقف السلفي من حكامهم؟! لكن الوادعي لم يقدم لأتباعه

---

(1) السابق ص353.

(2) السابق ص65.

(3) 465 طالب و 35 طالبة. لكن طلبة الوادعي صاروا بعد ذلك بضعة آلاف ، فضلاً عن أنصاره.

(4) اكتفى بذكرهم بالكنية وليس بالاسم كسائر تلاميذه الآخرين انظر (ترجمة الوادعي).

هؤلاء فتاوى شرعية واضحة ومباشرة، بل اكتفى بوصف تلك الحكومات بأنها ظالمة ومعادية للدين ومحاربة للإسلام وعميلة للكفار، كما اكتفى الوادعي بتقديم النصيحة لتلاميذه بالاعتزال وعدم الانخداع بتلك الحكومات: (فلا تلعب على عقولكم الحكومات يا أيها الشباب، فالحكومات تشغل الناس بأشياء وينفذون من أسفل مخططاتهم الرهيبة التي تدل على عمالتهم لأمريكا ولروسيا وغيرها من دول الكفر، يجب أن تتنبهوا وتتزودوا من العلم النافع.. أهل السنة بحمد الله ينزوون عن الحكومات وينصحون لها.فالمسئولون عندنا، وفي جميع البلاد الإسلامية قد أصبحوا يحتقرون الإسلام وعادات الإسلام.. فأنصح كل أخ أن يقبل على حفظ القرآن الكريم وحفظ سنة رسول الله ﷺ، وأن يعد نفسه للجهاد في سبيل الله إذا دعا داعي الجهاد)[1].

وقد أجاب الشيخ الوادعي عن سؤال وجهه له أحد تلامذته (من المعروف أن الخلافة الإسلامية غير موجودة، وأن الناس في أمس الحاجة إلى خليفة مسلم يلم شعث المسلمين ويلم جماعة المسلمين. ما موقفنا من هذه الناحية أننتظر ونتواكل إلى أن يأتي الخليفة المسلم أم واجب علينا أن نسعى جاهدين كل باستطاعته لإيجاد الخلافة، وما هي الأسباب التي يجب أن نتخذها؟ فأجاب الوادعي: (الأسباب التي يجب أن تتخذ: تعليم المسلمين، وإذا فقه المسلمون فمدفع ورشاش.. لابد من مدفع ورشاش ومواجهة الكفر، لكن بعد أن يتفقه المسلمون في دين الله..)[2].

ويلاحظ أن التساؤل حول الخلافة الإسلامية وواقع المسلمين اليوم يتكرر كثيراً من تلامذة الوادعي الذين نلمح عدم اقتناعهم بالإجابات العائمة والترقيع الذي يقدمه الوادعي في إجابته عن مثل هذه الأسئلة ولذلك نجد الوادعي يضيف إلى إجاباته عن هذه الأسئلة شيئاً

([1]) انظر جمع المعاند ص463-483.

([2]) قمع المعاند ص88.

عن سخطه على الحكام وعدم التزامهم بالدين، بل ويتجاوز ذلك إلى اعتبار بعض هؤلاء الحكام قد كفروا بالإسلام، وانفضحوا نتيجة مواقفهم من بعض الأحداث التي شهدتها البلاد الإسلامية، فيقول: (وانظروا إلى خذلان حكام المسلمين، شغلوا شبابهم بالكرة، وشغلوهم بالسينما، وبالآت اللهو والطرب، وعند أن هجم صدام البعثي الكافر على الكويت أصحاب السمو يدعون أمريكا تأتي ببناتها لتحميهم، هذه فضيحة.

فحكام المسلمين أصبحوا لاشيء، ونحن نقول من زمان يا حبذا لو وفق الله حاكماً من حكام المسلمين يقوم ويلتف المسلمون حوله، فلابد من السعي الحثيث لإيجاد الدولة الإسلامية، ويكون حاكمها قرشياً، لأن الرسول ﷺ يقول: "الأئمة من قريش" ولكن هذا بعد توطئة، ست سنين، سبع سنين، عشرين سنة، ولا نتعجل ونذهب بأنفسنا هدية لأمريكا، لأنها هي المسيرة للمجتمع، فلابد من تهيئة مجتمع مستسلم للكتاب والسنة، وينبغي الإعداد، ويا حبذا لو كانت المصارعة مع أمريكا، اللهم أصرع أمريكا كما صرعت روسيا يا أرحم الرلحمين، فإنها الرأس، أما حكام المسلمين فمساكين، فياحبذا لو كانت المصارعة مع أمريكا.. خبتم وخسرتم يا هؤلاء الحكام، فالأولى أن ينتظر في أمرهم، وإن أستطيع أن تواجه أمريكا ويقضي عليها كما قضى على روسيا فالحمد لله)[1].

إن الشيخ الوادعي رغم أنه أفتى بجواز الاستعانة بالكافرين لصد عدوان صدام على البلاد الإسلامية، وعلل صحة فتواه قائلاً (لأن صداماً البعثي قتل الدين بالعراق، فلو تولى أرض الحرمين لجعل الحج مرتعاً للدعوة البعثية التي تعتبر كافرة، فأنا في نظري أن أمريكا أهون من صدام البعثي)[2]. لكنه لم ينصح أتباعه بالجهاد في صفوف الجيوش التابعة لحكام المسلمين، بل وحمل هؤلاء الحكام تبعة ما قام به صدام: (ولكن من السبب في

---

(1) السابق ص88-89.

(2) قمع المعاند ص96.

الإتيان بهم؟ هي السعودية لأجزاها الله خيراً، وإذا ذكرنا السعودية فنعني فهداً ومن سلك مسلكه الضايع المايع.. فنحن لا نتوقع من فهد أن ينصر دين الله، وإن دّجل على الناس في الإذاعة..)[1] واعتبر الوادعي أن القتال في حرب الخليج هو معركة تحت راية كفرية لا يجوز الانضمام إليها: (فماذا تنفعك الشعبية وأنت تضحك على المسلمين أن يعتقدوا خلاف الحق، وأن يتقدموا للقتال تحت راية كفرية. ولسنا نقول لهم اذهبوا وقاتلوا تحت راية بوش ولا تحت راية فهد، لكننا ننصح بالاعتزال..)[2].

ومن الحكام الذين اعتبرهم كفاراً وأعداء للدين، جمال عبد الناصر، وحافظ الأسد، ومعمر القذافي. كما وصف عمر البشير وضياء الحق بأنهما يدعوان إلى الشريعة الإسلامية بالقول ويخالفانها بالفعل، كما هاجم الشاذلي القليبي وصباح الأحمد وغيرهما ووصفهما بنشر الفساد ومعاداة الإسلام.. ومع ذلك كله ظل الشيخ الوادعي يدعوا أتباعه إلى التأني والاستعداد للمواجهة حتى يتفقه المسلمون في دينهم ويصبح المجتمع الإسلامي مسلماً ومستسلماً لدين الله، وظل يدعو على هؤلاء الحكام بالزوال والخذلان، وأن يهيئ الله للمسلمين حكاماً ملتزمين بالشريعة الإسلامية.

لقد وضع الشيخ الوادعي تلاميذه وأتباعه في حيرة وشتات فكري فيما يخص موقفه من الحكام المسلمين ، فرغم تخبط آراءه وأقواله في الحكام ، الذين اعتبر بعضهم كفاراً وآخرين عملاء للكفار ، نجده لم يؤسس لهذه الجماعة السلفية رؤية واضحة المعالم، مبنية على أحكام شرعية غير قابلة للتغيير والتبديل نتيجة لأسباب واهية ومزاعم غير مقنعة .

قضى الشيخ الوادعي أكثر من عشرين عاماً يلقن جماعته أحكامه القطعية في حكام

([1]) السابق ص96 .

([2]) السابق ص482 .

المملكة العربية السعودية ، مؤكداً بأن حكومة المملكة لاتحكم بالإسلام، وأن حكامها عملاء لأمريكا، بل كان يصف ملك المملكة بالميوعة والضياع والدجل[1]. كما هاجم المملكة وحكامها في كتابه (القول الأمين في فضائح المتذبذبين) قال الوادعي أنه كتبه في (شأن لبس الملك فهد للصليب)، وله شريط صوتي بعنوان (احذروا فتنة السعودية). ولا أرغب في تتبع كل ما قاله الوادعي في المملكة وحكامها الذين لاينكرهم إلا وهو يدعو عليهم بـــ(لاجزاهم الله خيراً) وظل على موقفه ، حتى أنه كان يرفض ما يُعرض عليه من بعض الوسطاء لزيارة المملكة لأداء الحج والعمرة، مُعللاً ذلك: " فقلت للاخوة: لاحاجة لي بذلك ، وفي نفسي أنني لا أدخل تحت الذل، وأنا مستريح في بلدي"[2].

ولكن بعد أن اشتد مرض الوادعي، ونصحه الأطباء بالسفر إلى السعودية، فسافر للعلاج. ولندع الوادعي يصف دخوله إلى المملكة فيقول: " وصلنا إلى الرياض فاستقبلنا من مسئولين تابعين لوزارة الداخلية جزاهم الله خيراً، وعجلوا في دخولنا المستشفى، وبعد أن رأيت من تكريمهم لنا الشيء الكثير.. وأننا بحمد الله لسنا ممن يقابل الحسنة بالسيئة، ولا ممن يقابل التكريم بالإساءة.. وقدمنا إلى جدة، واستُقبلنا في فندق الحمراء، فجزى الله الأمير نايف وزير الداخلية خيراً، وأكرمنا بغاية الإكرام، فجزاهم الله خيراً. وبعد ذلك طلبُت مقابلته ..". فقابل الوادعي الأمير نايفاً، الذي أحسن استقباله، ثم خيَّره في تحديد أي دولة من دول العالم يرغب بالعلاج فيها على حساب المملكة. وقد وصفت زوج الوادعي أم سلمة السفلية هذا اللقاء بقولها: " وفي يوم الأربعاء من هذه الأيام، التقى الشيخ حفظه الله

([1]) جاء في كتابه قمع المعاند ص96: (قال بعض إخواننا: إن السعودية هي عميلة لأمريكا، قلنا: هي عميلة من قبل أن تستورد هؤلاء.. وإذا ذكرنا السعودية لاجزاها الله خيراً، فنعني فهداً ومن سلك مسلكه الضايع المايع، ولولا أن الله تعالى حمى الدين بمجموعة كبيرة من الشباب ومجموعة كبيرة من العلماء ، لباع الدين بالكرسي، فنحن لانتوقع من فهد أن ينصر دين الله، وإن دجل على الناس في الإذاعة..".

([2]) مشاهداتي في المملكة للوادعي.

بالأمير نايف بن عبدالعزيز حفظه الله، في جلسة خاصة بينهما، ومما دار بينهما من الحديث، أن الأمير جزاه الله خيراً، قام بذكر بعض ما تقوم به الحكومة السعودية من الإكرام للعلماء والاستجابة لهم ، وأن ذلك لوجه الله عز وجل ، وعملاً بوصية والدهم عبد العزيز بن سعود رحمة الله عليه . ثم قال : أتحب أن نتكلم في ذلك الموضوع أم لا ؟ وهو يعني كلام الشيخ على حكام السعودية !! قال له الشيخ: أنا قد كنت مظلوماً في ترحيلي من المملكة ، وأنا الآن تحت ضيافتكم، فكما تحب، وإني إن شاء الله سأحذف ما يمكن حذفه، وأُعلق على مالايمكن حذفه، ولا يقابل الإحسان بالإساءة إلا لئيم . فقال الأمير حفظه الله: هذا الأمر بينك وبين ربك، وأنت افعل ما شئت. وقد قام الأمير جزاه الله خيراً بإكرام الشيخ غاية الإكرام وقال: نحن سنتولى جميع ما تحتاج إليه من علاج وغيره.. "[1].

وبهذا فإن الوادعي قد تراجع عن كل ما كان يدين الله به، ويعتقده في المملكة وحكامها، لستمر ما يُقارب ربع قرن من حياته الدعوية؛ ومنذ الأيام الأولى التي قدم فيها إلى المملكة ؛ وفي أول لقاء له مع الأمير، لم يستمر سوى دقائق محدودة، ولم يتكلف فيه الأمير إقناعه بتغيير آرائه في المملكة وحكامها ، ولم يُحضر العلماء والمشايخ ليناقشوا الوادعي حتى يوصلوه إلى الرضى بحكومة المملكة وإقناعه أنها دولة إسلامية مستقيمة ومتمسكة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ !!

ولعل الأعجب من ذلك ، هو ما اعتبره الوادعي سبباً وجيهاً في عدائه لحكومة المملكة أنه (أنا كنت مظلوماً في ترحيلي من المملكة) وليس أعجب منه سوى سبب تراجعه (ولايقابل الإحسان بالإساءة إلا لئيم) !

فهل مجرد إخراجه من أرض المملكة، ولو كان مظلوماً، سبب شرعي ودليل كافٍ

([1]) (الرحلة الأخيرة لإمام الجزيرة) لأم سلمة السلفية ص20-21.

على كل ما قاله في المملكة وحكامها ؟! وهل مجرد تكفل حكومة المملكة بعلاجه وإكرامه سبب شرعي ودليل كافٍ لتراجعه ؟![1] ودعوته لوجوب التعاون مع حكومة المملكة !! قال الوادعي بعد إكرامه فيها : " إنه يجب على كل مسلم في جميع الأقطار الإسلامية أن يتعاون مع هذه الحكومة ، ولو بالكلمة الطيبة، فإن أعداءها كثير من الداخل والخارج .. فيجب على كل مسلم أن يتعاون مع هذه الحكومة "[2].

وقد ظن بعض أتباع الوادعي أن تراجعه عن كلامه في حكومة المملكة نوع من المراجعة والتصحيح ، وبداية لتراجعه عن كلامه في الحكومات الإسلامية الأخرى ، فسأله بعضهم: " هل أنت قد تراجعت عن كلامك في الحكومات ؟ فقال: تراجعت عن كلامي على الحكومة السعودية جزاهم الله خيراً، أما ما عداها فلا".[3]

وقد أراد الشيخ الوادعي أن يعلل تراجعه فقال: " فإني أخشى أن أموت ولم أبرئ ذمتي في هذا "، " أننا قلنا الحامل لنا على هذه الكلمة، هو أننا نرى أنه واجب علينا أن نقول الحق، هذا هو الواجب ، وإلا فوالله لم تدفعني مادة ، ولم يدفعني أحد إلى ذلك "[4].

لا يمكننا أن نشكك في استقامة الوادعي وزهده وسلفيته، كما أننا نصدقه حين أقسم بالله أنه لم يدفعه إلى تراجعه سبب مادي أو ضغط بشري، ومع ذلك لا يمكننا أن نتقبل منهجيته تلك ، سواء في نفي إسلامية الحكومات أو في إثبات إسلاميتها ، فهشاشة الحالتين لاتحتاج إلى إمعان أو تفكير ، فعندما أحس الوادعي أن تراجعه المفاجئ سيجعله وجماعته

([1]) كان الوادعي يؤكد أن أحكامه وآرائه مبنية على الكتاب والسنة ، وقد نقلت عنه في رده عن سؤال الاستعانة بالمـشركين وغيره ما يؤكد هذا .

([2]) مشاهداتي في المملكة للوادعي . وكرر وجوب التعاون مع حكومة المملكة عدة مرات

([3]) المصدر السابق .

([4]) السابق ، وكذلك ما كان يقوله في حكومة المملكة كان يعتبره من الحق والواجب !

محل انتقاد من الآخرين ، قام بإلقاء خطبة يشرح فيها مبررات تراجعه ، ويمكن تلخيصها فيما يلي[1]:

1) الأمن والأمان الذي شاهده في المملكة، والذي لم يشاهد مثله حتى في اليمن، فقال: " أعجبت عند أن نزلت إلى مكة، كنت باليمن عند الباب نحو أربعة حراس، ومع هذا فلسنا بآمنين في بيتنا لا ليلاً ولا نهاراً.. فهذا الأمن الذي ما شاهدته في بلد، سببه الاستقامة على كتاب الله وعلى سنة رسوله ﷺ من المسئولين، ومن كثير من أهل البلد ..".

2) وجود هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال: " تمكين هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد رأينا في جريدة أن الملك فهد حفظه الله تعالى أعطى للهيئة نحو ثلاثمائة سيارة، وقال لهم: أنتم هيئة ضبط ، وأنتم المسئولون أمام الله سبحانه وتعالى، فجزاهم الله خيراً أحسنوا في هذا إلى بلدهم وإلى أنفسهم وإلى دولتهم".

3) بناء المساجد: " وبعد هذا أيضاً البناء -بناء المساجد- في البلدان الإسلامية وفي غيرها، إلا أننا نناصحهم إذا بنوا مسجداً أن يسلموه لأهل السنة.."

4) الاهتمام بالحجاج وتوسعة الحرمين الشريفين .

5) تكريم العلماء: " ومن ذلك أيضاً تكريمهم للعلماء، وقد أوصاهم والدهم عبدالعزيز رحمه الله بذلك، فهم يجلون العلماء ويقدرونهم غاية التقدير، ولكن هناك علماء سوء يتكلمون في الحكومة السعودية، وربما يكفرونها.. نعم إن

([1]) الشواهد كلها منقولة من خطبة (مشاهداتي في المملكة) التي ألقاها الوادعي في جدة في 15/ربيع أول/1422هـ وقد توفي الوادعي في 30/ربيع الآخر/ 1422هـ.

إكرامهم لأهل العلم يعتبر منقبة لهم وإحساناً إلى دولتهم.. ".

6) بناء المستشفيات: " فقد رأينا ما يسرنا في المستشفيات، وهو أن المستشفيات بحمد الله في كل دور مسجد، وربما يكون مسجد للرجال ومسجد للنساء، فيشكرون على هذا الاهتمام، وجزاهم الله خيراً.. ثم بعد ذلك أيضاً بناء المستشفيات في بلدان شتى، فقد بُني في بلادنا اليمن مستشفى كبير في صعدة اسمه (مستشفى السلام) [1].

7) ما قرأه الوادعي في الصحف : " فقد رأيت في جريدة أن الأمير نايف حفظه الله طُلب منه ترشح المرأة ، فقال: أتريدون أن يبقى الرجل في بيته وهي تخرج؟ لا هذا أمر لاتحاولوا فيه، وطُلب منه الانتخابات، فقال: رأيناها ليست ناجحة في البلدان المجاورة، فإن الذي ينجح فيها هم أهل النفوذ وأهل الأموال . وصدق" " نسينا شيئاً وهو ما جاء في بعض الجرائد أن الأمير سلمان حفظه الله أعلن وقال إنه جلد أربعة من البريطانيين وقال: سنطبق شرع الله وإن غضب من غضب. فلله دره".

ولا يجهل أحد أن انتشار الأمن في المملكة ووجود هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاهتمام بالحجيج وتكريم العلماء وبناء المستشفيات والمساجد .. كلها قضايا معروفة عن المملكة بل ويعرفها الوادعي منذ دخوله أراضي المملكة وهو الذي قضى فيها من حياته أكثر مما قضاه في اليمن[2] . فما الذي تغير ؟!

---

(1) كان الوادعي قبل ذلك يعتبر هذا المستشفى بؤرة فساد ووسيلة للتنصير .

(2) دخل الوادعي المملكة صغيراً ، فاغترب في مكة يعمل حارساً في عمارة ، وكان يقرأ بعض الكتب التي نصحه بها بعض الدعاة هناك ، وبعد مدة من الزمن عاد إلى بلده يُنكر ما يراه مخالفاً لما في تلك الكتب ، فدرس في جامع الهادي بصعدة ، لكنه وجد الكتب المقررة غير مفيدة وتصادم عقيدته ، ولما قامت الثورة اليمنية في 1962م ذهب إلى نجران،

إننا عندما نطّلع على ما تركه الوادعي -مما مرَّ ذكره- فإننا لانكاد نصدق أنها من آثار عالم من العلماء، متمكن من فقه الكتاب العزيز والسنة النبوية، وما تلك المواقف العدائية والتخبط والتناقض والانقسامات والانشقاقات إلا نتيجة طبيعية وحتمية؛ شهدها التيار السلفي، وجنى حصيلتها التابعون لهذه المدرسة السلفية الوادعية سواء اعترفوا بها أم أنكروها، بل أثمرت تلك التربية وذلك الفكر أكثر من ذلك، بما حصل من انحراف عند بعضهم عن أبسط قواعد الأخلاق والسلوك السليم، لقد ربى الوادعي تلاميذه وشجعهم على الكتابة والتأليف ، وهذا شيء مستحسن لمن نال قسطاً من العلم وخاض عمار العلوم الإسلامية وأصبح لديه ما يُقدمه للآخرين ، لكن الوادعي -كما قال- قد فتح باب التأليف لتلاميذه (الذي له قدر خمس سنين ، ومنهم من ليس إلا قدر سنة ونصف وهو الآن يؤلف)، فماذا سيكتب ويؤلف طالب العلم الذي التحق بمركز الوادعي ومدرسته بعد سنة ونصف؟! أو حتى خمس سنين أو أكثر ؟! وإذا كان ذلك الأمر تشجيعاً من الشيخ لتلاميذه وتمريناً لهم فلا مؤاخذة على ذلك في حينها ، لكن الشيخ فتح الأمر على مصراعيه ، فظن أولئك التلاميذ وطلبة العلم أنهم صاروا علماء حكماء وأنهم صاروا في مكانة تؤهلهم ليزاحموا الأئمة والعلماء والمفكرين والمصلحين الكبار ، بل وصل بهم الحال أن صاروا يعلنون أن بعض علماء المسلمين ومفكريهم ماهم إلا جهلة ومتطفلون على العلم والتأليف، وأكثر من ذلك أن أصبح مرض التأليف السلفي الطائش دافعاً لبعضهم لاتهام الآخرين -أفراداً وجماعات- بالمروق عن الدين وخدمة أعداء الإسلام وفساد العقيدة وبطلان العمل وهدم الدين ! فقد قال أحدهم : "قلت إن هذه الحركات الدعوية كحركة الإخوان المسلمين

ثم إلى الرياض ، ثم سافر إلى الجامعة الإسلامية للدراسة في المدينة المنورة ، وتخرج منها ، ثم حصل عل الماجستير في علم الحديث ، وقد كان يترحل في جميع مدن المملكة لنشر الدعوة مع شباب الإخوان الذين صاروا جماعة جهيمان وبسببها رُحّل من المملكة .

والسرورية والجهاديين والتكفير وغيرها من فرق الضلال تخدم أعداء الإسلام -شعروا بذلك أو لم يشعروا- أكثر من خدمتها للإسلام ، فهي تهدم من حيث أنها -حسب زعمها- تريد أن تبني ذلك لأن أساس بنيانها فاسد وعلى أمور مخالفة للشرع الحنيف"[1].

إن الجماعة السلفية، رغم دعوتهم السلمية والمسالمة، لا يرون المواجهة والمصادمة مع قوات الأمن ورجال الشرطة نوعاً من الخروج على الحاكم بوسيلة غير سلمية، وذلك عندما قامت مجموعة من السلفيين بمهاجمة القبور والأضرحة ليهدموها ويمحوا أثرها، فتصدى لهم بعض الناس والقائمون على تلك المواقع ، وتدخلت قوات أمنية، وانتهت المصادمات السلفية مع الدولة ، وبالتالي مع الحاكم الذي يحرمون الخروج عليه بأخذ هذه العناصر إلى السجون والمعتقلات !

ولكن الأغرب من ذلك أن يذكر مشايخ السلفيين هذه الحادثة ويتفاخرون بحصولها، ولكنهم لا يوجهون نقدهم وتجريحهم للحاكم الذي واجهوا عناصره وقوته الأمنية ، وإنما وجهوا إنكارهم ونكيرهم على جماعة الإخوان المسلمين-كعادتهم- ! " .. ولكن ماذا نقول عن أناس مرضى القلوب يسمون هدم المشاهد التي على القبور أموراً هامشية ، فقد صرحت بذلك صحيفة الصحوة الناطقة بلسان حزب الإصلاح في عددها (432) الخميس الموافق 1994/9/8م بذلك بعد أن قام بعض الاخوة السلفيين في عدن بهدم المشاهد التي كانت على بعض القبور هناك ، فقد جاء فيها : "إن التجمع اليمني للإصلاح يستنكر ويدين بشدة هذه الممارسات البعيدة عن جوهر الدين وقيم الإسلام والتي لا هدف لها سوى إثارة الفتن وشغل الناس والمجتمع بقضايا هامشية .." فانظر أخي القارئ كيف ينطق الشيطان على لسان هؤلاء الذين يزعمون أنهم سيقودون المجتمع ويعيدون للأمة مجدها، اللهم

---

(1) إرشاد البرية ص 75.

رحماك"[1].

نستطيع القول بأن أهم دور قام به السلفيون سواء في اليمن أم في مصر أو في السعودية، هو محاربة الفكر التكفيري الذي أسسه (شكري أحمد مصطفى) في مصر، وبرز كجماعة أطلق عليها جماعة (المسلمون) وعُرفت إعلامياً بـــ(جماعة التكفير والهجرة) ودعت هذه الجماعة إلى هجر المجتمع الإسلامي وإعتزاله ، وكفّرت كافة أفراد المجتمعات الإسلامية والحكومات ، وأعلنت أنه ليس في العالم اليوم من يصح أن يقال أنه مسلم سوى من آمن بفكرها وانضم تحت لوائها بزعامة إمامها وخليفة المسلمين (شكري مصطفى) . وقد استطاع شكري وأتباعه أن يجذبوا عدداً من الناس، ثم بدأ بعض هؤلاء بالهجرة إلى بعض الأقطار العربية، ليوسعوا دائرة انتشار جماعتهم خارج مصر، ولكن اجتمعت عدة عوامل فكرية واجتماعية ونفسية وسياسية استطاعت أن تعجل من القضاء على هذه الجماعة التكفيرية، وكان من أهم هذه العوامل الدور الذي قام به السلفيون حيث دخلوا مع قادة هذه الجماعة في مناظرات وجدال واسع أظهروا فيه تهافت وبلادة هذه النزعة التكفيرية المنافية للفطرة البشرية، فضلاً عن منافاتها لأصول الدين الإسلامي وقواعده، "وكان من هؤلاء شاب ينتمي لكلية أصول الدين اسمه (حسن الهلاوي) وكان ألمعياً وافر الذكاء على علم بمنهج السلف، استطاع أن يدخل في مرحلة مبكرة مع (شكري مصطفى) في نهاية جماعة التكفير"[2]. " وكان التيار السلفي (الجهادي المدرسي) له الأثر الكبير في محاصرة أفكار (شكري) وجماعته.." [3]. أما في اليمن فقد قام الشيخ مقبل الوادعي وتلاميذه بمواجهة أصحاب الفكر التكفيري الذين استطاعوا أن يستقطبوا عدداً قليلاً

---

(1) إرشاد البرية ص 196.

(2) الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعات ص 33.

(3) المصدر السابق ص 36.

من اليمنيين، حيث قدم إلى اليمن رجل اسمه (محمد البواب) وأقام في مدينة (إب) والتف حوله جماعة من عوام المسلمين، واستطاع أن يقنعهم بأفكار شكري، "وإليكم مثالاً موجوداً في كثير من البلاد الإسلامية، وسببه تقصير العلماء في القيام بما أوجب الله عليهم، ذلك المثال هي فرقة ظهرت منذ سنين، ولا يزال لها بقايا، تلكم الفرقة ظهرت بمصر وامتدت إلى السودان ثم إلى اليمن وإلى أرض الحرمين [1]، وإلى الكويت، وبحمد الله أصبحت خاملة بعد الاشتهار وهي (فرقة التكفير) ما سببها ؟ "هم أناس بهم غيرة على الدين، وبهم حماسة على الدين، وبهم شجاعة أيضاً، كما أخبر النبي ﷺ في شأن الخوارج.."[2].

إن التيار السلفي في اليمن، لم يستطع أن يرقى إلى مستوى جماعة إسلامية منظمة[3]، ونتيجة لرفض المؤسس الأول لهذا الاتجاه –الشيخ مقبل الوادعي– ولكل مقومات وشرائط العمل الجماعي المنظم بحجة أن الحزبية حرام، فقد خلت هذه الجماعة من أي ضابط لحركة قواعدها وأتباعها، فصارت جماعة تضم أفراداً يحملون نفسيات خاصة ميَّالة إلى الانقسام والعمل العشوائي، وسيطرت عليهم فكرة الإجماع وإصدار الأحكام القطعية، وتعمق لدى هؤلاء نتيجة لما تعلموه من قضايا العقيدة القائمة على القطع كونها توقيفية تأبى

---

(1) يشير إلى الدور الذي لعبه بعض المصريين في التأثير على جماعة جهيمان.

(2) انظر محاضرة الشيخ الوادعي بعنوان (جماعة التكفير) من كتابه (الفواكه الجنية والمحاضرات السنية) ص 84. وقد كان (محمد البواب) الذي أشار إليه الوادعي في خطبته يعمل مدرساً في أحد المعاهد العلمية، ولما عُرف بنشاطه في الدعوة التكفيرية تم ترحيله إلى مصر، وقيل إنه قد رجع عن أفكاره بعد أن دخل السجن مع زملائه ضمن حملة الاعتقالات التي قامت بها السلطة المصرية لهذه الجماعة.

(3) رغم وجود تحول ملموس لدى الفصائل السلفية التي انشقت عن المدرسة الوادعية، والتي حاولت تصحيح مسار التيار السلفي ليبدو أكثر اعتدالاً، خاصة في فقه الواقع وعدم الانشغال بالرد والهجوم على الجماعات الإسلامية وعلماء المسلمين، بحجة انصراف الجميع عن الدين ومنهج السلف الصالح. وقد بدأت هذه الفصائل السلفية التي حمل لواءها جماعة (الحكمة اليمانية)، والتي شهدت عملية مراجعة فكرية في إطار جمعية خيرية بدت كحركة اجتماعية إصلاحية ثقافية غير منفصلة عن الحياة السياسية ومشكلات المجتمع اليمني.

الاجتهاد، تعمق وتوسع ذلك لتشمل القضايا الأخرى الواقعية والحركية والحياتية والتي لا تتحمل القطع أو القول الواحد الذي لا يجوز خلافه، فأصبح المنظور العقدي لديهم هو المنظور المعرفي –حسب رأي الدكتور كمال حبيب في عقل المسلم الجهادي السلفي– فلم يستطيعوا التمييز بين قضايا العقيدة القطعية الثبوت، وبين قضايا الواقع التي تتطلب الاجتهاد واختلاف وجهات النظر – حسب قواعد وضوابط الاجتهاد في الإسلام– . ولذلك فالجماعة السلفية هي وعاء فكري أو دعوة تعليمية إصلاحية ، أراد دعاتها استئناف مسيرة السلف الصالح الذين هبوا لإصلاح ما ألحقته بعض الفرق الإسلامية من اعوجاج في الفكر الإسلامي ، حيث دار النزاع والجدل بين هؤلاء السلف وبين الفرق الكلامية كالمعتزلة والشيعة والمرجئة والقدرية والجهمية وغيرهم من الفرق والطوائف التي وصفها علماء السلف بالفرق المبتدعة . ولقد سلك علماء السلف[1] منهجاً قوياً عند مواجهتهم لتلك الفرق التي وصفت بالبدعة، تميز بالدقة والشمول والموضوعية والإنصاف وعدم الانتصار للنفس، بعيداً عن الوقوع فيما يوصف به الخصم من قصور أو تناقض أو هوى... وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، أنه لا يُقبل من أحد قط أن يعارض القرآن، لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه، فإنه ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول ﷺ جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم .."[2].

وقد خلَّف لنا علماء السلف تراثاً ضخماً ومكتبة هائلة عظيمة النفع، حالما قاموا بالرد

(1) والمقصود بهم أئمة السلف المشهورين المقتدى بهم كالأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المشهورة وسفيان الثوري وابن عيينة والليث بن سعد وعبد الله بن المبارك والبخاري ومسلم وأصحاب السنن . انظر : (العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية) للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي، ص 1.

(2) (الفرقان بين الحق والباطل) لابن تيمية ، ص23.

على تلك الطوائف والفرق الإسلامية وفندوا أقوال الخصوم ، وأظهروا تقصيرهم في معرفة الشريعة وعدم قدرتهم على فهم حقيقة ما بُعث به النبي ﷺ .. لكن أعلام السلف الصالح وفقهائهم لم تدفعهم تلك المخاصمات والردود نحو إلقاء الأحكام الجُزافية ، والتعسف ، والغلو، واتهام الآخرين بالمروق عن الدين ومعاداة الإسلام وموالاة أعدائه -كما يفعل سلفيو اليوم- بل كان هدفهم الأول الدفاع عن حياض الشريعة والحفاظ على العقيدة والذود عن الحق .. ثم هم قبل ذلك كله كانوا -رحمهم الله- على علم واطلاع عظيم في علوم القرآن الكريم والسنة النبوية وعلوم اللغة العربية وغير ذلك مما جعلهم أهلاً للوقوف أمام المغالين والمفرطين من سائر الفرق والطوائف التي ظهرت في أيامهم .

ومن أبرز أولئك الأعلام: الإمام بن تيمية، الذي أخذ الفقه والأصول عن والده ، وسمع وتتلمذ على أيدي جمع غفير من العلماء والفقهاء وأهل اللغة[1]، وقد سمع الكتب الستة والمسند ، وأقبل على تفسير القرآن الكريم وبرز فيه، وأحكم أصول الفقه والفرائض، وغير ذلك من العلوم، وتضلع في علوم الحديث النبوي الشريف وحفظه حتى قيل (إن كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث) [2].

إن الإمام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم الجوزية -رحمهما الله- هما محل إجماع عند السلفيين بكافة توجهاتهم الجهادية وغير الجهادية، هذان العَلَمان الجليلان هما من أشهر العلماء[3] الذين واجهوا الفرق والطوائف المبتدعة، دفاعاً عن الحق ولتنقيته مما ألحقته تلكم الفرق بالإسلام من أفكار وآراء تخالف جوهر الدين. ولا يمكننا استقصاء كل الآراء والردود التي واجه بها ابن تيمية وابن القيم تلك الطوائف والفرق، وإنما نذكر مثالاً لذلك:

---

(1) منهم الشيخ زين الدين بن المنجا والمجد بن عساكر ، وقرأ العربية على يد ابن عبد القوي صاحب عقد الفرائد .

(2) انظر (الكواشف الجلية عن معاني الواسطية) للشيخ عبد العزيز محمد السلمان .

(3) لم ينفرد ابن تيمية وابن القيم وحدهما بهذا الأمر ، بل كان هناك علماء آخرون قبلهما وبعدهما كالإمام أحمد بن حنبل وأبي الحسن الأشعري والدارمي واللالكائي وابن عقيل والخطيب البغدادي والذهبي .. وغيرهم كثير .

السلفيون والتصوف

" كان الإمام ابن تيمية ملتزماً في موقفه من التصوف والصوفية بالقواعد الأساسية في اجتهاداته، فمن حيث المنهج التاريخي يضع الأصل في البحث والاقتداء بالصحابة والتابعين، فهماً للحديث (خير القرون القرن الذي بعثت فيه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم) ومن استمسك بعدهم بالمنهج الإسلامي الصحيح عقيدة وعبادة وسلوكاً وأخلاقاً".

" وفيما يتعلق بالتصوف ، فإن ابن تيمية قرنه بالرأي وعلم الكلام كألوان من البدع لم تُعرف لدى القرون الأولى ، مرجّعاً ظهورها إلى عاملين : الأول : ظهور سلطان الموالي من غير العرب لا سيما الفرس ، والعامل الثاني : ترجمة كتب الفرس واليونان والهند .

ومع هذه النظرة التاريخية ، فإن له منهجه الموضوعي أيضاً في دراسة التصوف، فإنه يضع علم النبوة في قمة العلوم جميعاً ، لأنه العلم بالإيمان والقرآن، ثم حدث الانقسام بعد ذلك إلى دوائر الفقه والحديث وأعمال القلوب ، وأخذ علماء المسلمين يجتهدون كل في مجاله ، وما من أحد من أسمائهم إلا وله –في رأيه– من الآراء والأفعال ما لا يُتبع عليها، مع أنه لا يُذم عليها ، أي أن ضرورة الاقتداء بالطريقة النبوية هو الأصل والأساس لأنه لا عصمة إلا لرسول الله ﷺ".

" ويقسم ابن تيمية البدع إلى نوعين: نوع كان يقصد أهلها متابعة النص فأخطأ في فهم الآيات القرآنية والأحاديث، كالخوارج والشيعة المعتدلين والمرجئة، أما النوع الثاني وهو الجهمية فلم يكن أصل مذهبهم اتباع الكتاب والرسول ﷺ، إذ أنهم نفوا الصفات التي أثبتتها النصوص"[1].

---

(1) (قواعد المنهج السلفي) للدكتور مصطفى محمد حلمي ، ص 135.

كما نجد تلميذ ابن تيمية العلامة ابن القيم يفرق بين التصوف البعيد عن الشرع وبين التصوف المعتدل الموافق للشرع، وذلك في كتابه (مدارج السالكين)، حيث قام بشرح كتاب لأحد أقطاب الصوفية وعلمائهم، وهو الشيخ عبد الله بن محمد الهروي الحنبلي الصوفي، وكتابه بعنوان (منازل السائرين إلى مقامات إياك نعبد وإياك نستعين)، ولم يخف ابن القيم مشاعره تجاه الشيخ الهروي الصوفي فذكر أنه يحبه وأثنى عليه وعلى غزارة علمه، ودعا له بالرحمة في أكثر من موضع.

لكن الشيخ محمد حامد الفقي وهو أحد مشايخ السلفيين في مصر، ومؤسس جماعة (أنصار السنة المحمدية) السلفية، والذي قام بالتعليق على الكتاب[1] فقال: " فرحم الله شيخ الإسلام ابن القيم وغفر لنا وله ، فإنه حاول كثيراً أن يغسل عن وجه (منازل السائرين) ما رآه عليه وعرفه هو فيه من وضر الصوفية الجاهلية، لكنه قد أعجزه في كثير من المواضع أن يفلح في غسلها.." [2]. ويعلق على قول ابن القيم: " .. الطائفة الثانية: من تفلسفت من صوفية الإسلام.." فيقول الفقي: " ليس في الإسلام صوفية، بل كل منهما مستقل بنفسه، فللإسلام مصادره من الكتاب والسنة وعقائده وشرائعه، وللصوفية مصادرها وعقائدها وطقوسها من كتب فلاسفة الهند واليونان ثم كتب ابن عربي والسهروردي وأشباههما"[3].

---

(1) مدارج السالكين ، 96/1.

(2) والذي لم يترحم على الشيخ الهروي ولو مرة واحدة !!

(3) مقدمة الشيخ الفقي لكتاب (مدارج السالكين) ، ويقع الشيخ في التناقض أيضاً عندما يصف المؤلف الهروي بأنه على طريقة شيوخ الصوفية السالكين ما رسمه أوائلهم من صوفية الهند والفرس وأن عنايتهم أن يكونوا السادة المقدسين والشيوخ المعظمين ، ثم يعلل نفاد الطبعة الأولى من الكتاب بشدة حرص الناس عليه ، حيث عظمت الحاجة إليه في هذا العصر الذي أغرق الناس فيه في طوفان المادة ... ، ولاحظ أن ردود الفقي ونقده في الكتاب كان موجهاً إلى ماقاله ابن القيم نفسه ، ولم يشر إلى ما ذكره ابن القيم من كلام الهروي بأي تعليق !

وفي موضع آخر يقول ابن القيم: " وسأل بعض هؤلاء شيخاً عارفاً فقال: إذا أذن المؤذن وأنا في جمعيتي على الله، فإن قمت وخرجت تفرقت، وإن بقيت على حالي بقيت على جمعيتي، فما الأفضل في حقي؟ فيعلق الفقي على هذا قائلاً: " إن هذا تناقض ظاهر، فإن حقيقة الصلاة، والغرض الحقيقي منها هو الاتصال بالله.. والصوفي أجهل الناس بهذه المعرفة وأبعدهم عنها، وإنما جمعيته مع شيطانه وهواه، ثم غره الشيطان لجاهليته وتمكن سلطانه عليه وولايته فأوهمه أنه مع الله "[1].

وفي سياق حديث ابن القيم عن أفضل الأوقات التي تكون العبادة فيها أكثر ثواباً وأرجى قبولاً، فيذكر أهل التعبد المطلق، وأهل التعبد المقيد، فيقول: "وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره، بل غرضه تتبع مرضاة الله تعالى أين كانت، فمدار تعبده عليها.. فهو لا يزال متنقلاً في منازل العبودية، كلما رُفعت له منزلة عمل على سيره عليها، واشتغل بها حتى تلوح له منزلة أخرى.. فإن رأيت العلماء رأيته معهم، وإن رأيت العباد رأيته معهم، وإن رأيت المجاهدين رأيته معهم، وإن رأيت الذاكرين رأيته معهم، وإن رأيت المتصدقين المحسنين رأيته معهم، وإن رأيت أرباب الجمعية وعكوف القلب على الله رأيته معهم.." [2].

وهنا تثور سلفية الشيخ محمد حامد غفر الله له، فيصف مقالة ابن القيم شيخ السلفيين بعدم الفقه وضعف البصيرة [3]! فيرد: " عجيب أن يجعل ذلك قسماً مستقلاً[1]، مع أن

---

(1) المصدر السابق، 1/86-87.

(2) السابق، 1/90.

(3) وقد وصف ابن القيم في المقدمة التي افتتح بها الكتاب بأنه : " شيخ الإسلام والمسلمين ، القائم ببيان الحق ونصر الدين، الذاب -بما أوتي من قوة- عن سنة سيد المرسلين ، الطاعن بقلمه الحاد في نحور المبتدعين ، القاطع بسيف حقه البتار أعناق المخرفين ، ترجمان القرآن ، ذي الفنون البديعة الحسان ، الملهم من ربه القيام بالهدى والبيان ، المؤيد من الله بواضح الحجة وناصع البرهان ..".

المعقول عند الفقيه المتبصر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن عكوف القلب على الله هو الإخلاص الذي هو جزء لازم لقبول العمل أي عمل".

وفي حين نجد ابن القيم يقرر مسألة الإعذار، نجد الشيخ السلفي المعاصر يرفضها، يقول ابن القيم: ".. وكذلك من قدَّم حكم أحد على حكم الله ورسوله، فذلك المقدم عنده أحب إليه من الله ورسوله ، لكن قد يشتبه الأمر على من يقدم قول أحد أو حكمه أو طاعته أو مرضاته، ظناً منه أنه لا يأمر ولايحكم ولا يقول إلا ماقاله الرسول ، فيطيعه ، ويحاكم إليه، ويتلقى أقواله كذلك. فهذا معذور إذا لم يقدر على غير ذلك..". ويأتي تعليق الفقي: " والمتتبع لنصوص الكتاب والسنة بتدبر لا يجد فيها ما يعذر هؤلاء، بل يجد أن الله سبحانه ينعى عليهم أشد النعي، أنهم انسلخوا –بالتقليد الأعمى– من آيات الله في أنفسهم وفي الآفاق، واتبعوا الشيطان فكانوا من الغاوين.. "

إننا لا نشك –وكذلك السلفيون– أن ابن تيمية وابن القيم –رحمهما الله– هما أكثر علماً ودراية بعلوم الشريعة، وأنهما أيضاً أوسع إحاطة بحقيقة الصوفية وأحوال المتصوفين، وأنهما أيضاً أكثر حرصاً في الدفاع عن الدين وتنقيته من بدع المبتدعين.. وقد ورث السلفيون –بزعمهم – تلك الروح السلفية في الدفاع عن التوحيد وأصول الدين عن السلف الصالح ، فما بال السلفيين اليوم يرفضون الأخذ عن ابن تيمية وابن القيم ومتابعتهما في موقفهما[2] من الصوفية ، واعتبار أن في الصوفية ما يوافق الشرع، ومنها ما يضاد الدين

---

(1) يقصد القسم الأخير من قول ابن القيم : " وإن رأيت أرباب الجمعية .."

(2) كان لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه مواقف وآراء معتدلة مع سائر الفرق والطوائف ، فيميزان بين المعتدلة منها والمغالية، وبين القريبة من الحق والبعيدة عنه ، كما لم يبخسا لكل طائفة أو فرقة ما لها من صواب وصفات حسنة، فابن تيمية يعد الخوارج أول بدعة ظهرت في الإسلام ، إذ كفروا المسلمين واستحلوا دمائهم وأموالهم ، لكن ذلك لم يمنعه من الإشادة بهم خاصة عندما يقارن بينهم وبين بعض طوائف الشيعة المغالية ، فيذكر أنهم يرجعون إلى القرآن وهو حق، وإن غلطوا فيه ، وأنهم صادقون في حديثهم ، فأحاديثهم صحيحة عند علماء الحديث.

والتوحيد. وما بالهم جعلوا التصوف كله ديناً يخالف الإسلام، فأصبح لفظ الصوفي – وحده– يكفي عند إطلاقه على أحد لذمه وتحقيره، فضلاً عن تفسيقه وتضليله وتجريمه ؟!

ولنتأمل موقف ابن القيم من الصوفية حالما يخرج بها إلى ما هو محظور ومخالف للعقيدة؛ قال ابن القيم وهو يستعرض مسألة (وحدة الوجود) و(الفناء): "وقد خبط صاحب المنازل في هذا الموضع، وجاء بما يرغب عنه الكُمّل من سادات السالكين الواصلين إلى الله، فقال: " الفكرة في عين التوحيد : اقتحام بحر الجحود". وهذا بناء على أصله الذي أصله، وانتهى إليه في كتابه في أمر الفناء.. فرحمة الله على أبي إسماعيل ، فتح للزنادقة باب الكفر والإلحاد، فدخلوا منه، وأقسموا بالله جهد أيمانهم إنه لمنهم وما هو منهم، وغره سراب الفناء، فظن أنه لجة بحر المعرفة، وغاية العارفين، وبالغ في تحقيقه وإثباته، فقاده قَسْراً إلى ما ترى .. وحاشا شيخ الإسلام من إلحاد أهل الاتحاد، وإن كانت عبارته موهمة، بل مفهمة ذلك، وإنما أراد بالجحد في الشهود، لا في الوجود، أي يجحده أن يكون مشهوداً، فيجحد وجوده الشهودي العلمي، لا وجوده العيني الخارجي.." [1]. فنحن نرى كيف يحاول ابن القيم أن يفسر مراد الهروي الصوفي بأحسن تأويل، وأن يلتمس له الأعذار ليبعده عن الوقوع في الكفر والإلحاد، وتلك الطريقة هي سنة إسلامية وخلق من أخلاق علماء السلف الذين تربوا على الاقتداء بالنبي العظيم محمد ﷺ نبي الرحمة ورسول الهدى، ولهذا قال أحدهم : " الفقيه كل الفقيه الذي لا ييئس الناس من رحمة الله عز وجل، ولا يجرئهم على معاصيه"[2].

وإذا كان ابن القيم قد نفى عن الإمام الهروي أن يكون من القائلين بالاتحاد، لكن الشيخ الفقي يعلق على ذلك قائلاً : " كلامه حجة لهم على أنه منهم ، وتأويل كلامه غير

---

(1) المصدر السابق ، ص 147-149.

(2) شرح السفاريني ، ص 255.

مقبول عنهم ، ونرجو أن يكون قد تاب منه وأناب ، والله غفور رحيم"[1].

وحين ينصف ابن القيم، ويذكر ميزة للمتصوفة -أو قل بعضهم- يرفض ذلك الشيخ السلفي الفقي، فيقول ابن القيم: ".. ولهذا عظمت وصية القوم بالعلم، وحذروا من السلوك بلا علم، وأمروا بهجر من هجر العلم وأعرض عنه، وعدم القبول منه، لمعرفتهم بمآل أمره، وسوء عاقبته في سيره..". فيستنكر: " فإذا كان هذا حالهم في الحرص على العلم، فمالهم يدعون إلى وحدة الوجود، اللهم إلا إذا كان علمهم غير ما قال الله وقال الرسول "[2].

ولا يمكننا تتبع تعليقات وردود الشيخ الفقي في كل المجلدات الثلاثة من هذا الكتاب، وليس هذا مقصوداً هنا ، وإنما أردت الاستشهاد والاستدلال بما كتبه ابن القيم عن الصوفية والمتصوفة وكيف تناول مسائلهم وقضاياهم باعتدال وإنصاف، فلم يمنعه علمه بحقيقة التصوف وما عليه حال بعض أهله من انصراف وخروج عن الشريعة، أن يحسن الظن بمن اعتدل منهم وتأويل كلامه على أحسن المحامل.. فنرى ابن القيم، بعد ذكره لزلة من زلات الصوفية وأخطائهم، يقول: " ولا توجب هذه الزلة من شيخ الإسلام[3] إهدار محاسنه، وإساءة الظن به، فمحله من العلم والإمامة والمعرفة والتقدم في طريق السلوك المحل الذي لا يُجهل، وكل أحد فمأخوذ من قوله ومتروك إلا المعصوم ﷺ، والكامل من عُدّ خطؤه، ولاسيما في مثل هذا المجال الضنك، والمعترك الصعب، الذي زلت فيه أقدام، وضلت فيه أفهام، وافترقت بالسالكين فيه الطرقات، وأشرفوا إلا أقلهم على أودية المهلكات"[4].

---

(1) مدارج السالكين ، 148/1.

(2) السابق ، 158/1.

(3) يعني الإمام الهروي مؤلف المنازل.

(4) المصدر السابق ، 198/1.

أما الشيخ السلفي المعاصر محمد حامد الفقي -رحمه الله- فيقول: " وغفر الله للشيخ ابن القيم ، فإنه حسن الظن بالصوفية إلى حد بعيد "!! وإننا لنعجب حين نجد الشيخ الفقي يشتد في الرد على ابن القيم ويصف تأويله لبعض أقوال شيوخ الصوفية "إنه تمحل بعيد"[1]، "هذا الجهل جريمة لا عذر"[2]، " ومتى كانوا مسلمين، اللهم إلا مجرد الدعوى، ودليلهم على غرورهم وجاهليتهم ذلك الشطح والعجب والإدلال على الله.." [3]. ولم يدافع الشيخ الفقي عن العقيدة السلفية مما وقع فيه ابن القيم فحسب، بل اشتدت ردوده على شيخ الإسلام ابن تيمية نفسه ، حيث نجد ابن تيمية يحاول أن يتملس الأعذار ويحسن الظن فيما ورد عن الصوفية مما اعتبروه من أحوال القلوب فيقول: " ولهذا عامة ما يُحكى في هذا الباب إنما هو عن قاصري المعرفة، ولو كان هذا شرعاً أو ديناً لكان أهل المعرفة أولى به.. لكن قصور المعرفة قد يُرجى معه العفو والمغفرة ". فيعلق الفقي: " إن نصوص الكتاب والسنة صريحة بأن الجهل جريمة لاعذر!!" [4].

كما نجد الشيخ مقبل الوادعي يقول عن الصوفية ".. إن التسمية مبتدعة، ألا تنظرون إلى الشيوعية الملعونة ربما تؤيد الصوفية، لأن ملتقى التصوف والشيوعية واحد وهو الإباحية، منتهى التصوف والشيوعية واحد وهو الإباحية.."[5].

وكتب الشيخ السلفي الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في مقدمة أحد مؤلفاته "..فإني رأيت بعد طول دراسة وتدبر ان الفكر الصوفي هو أشد الأخطار جميعاً على أمة الإسلام

---

(1) السابق ، 198/2.

(2) 468/2.

(3) 468/2.

(4) (اقتضاء الصراط المستقيم) ص351.

(5) (الفواكة الجنية) من محاضرة بعنوان (الفرق) ، ص61.

وأنه الذي حوّل عز هذه الأمة ذلاً ومهانة، ولا يزال هذا دأبه على الدوام .." وعدَّد مخاطر الفكر الصوفي:

1- صرف الناس عن القرآن والحديث.

2- فتح باب التأويل الباطني.

3- إتلاف العقيدة الإسلامية.

4- الدعوة إلى الفسق والفجور والإباحية.

5- استحلال الحشيش.

وقد اعتبر الشيخ السلفي التصوف بحراً من القاذورات، معتبراً التصوف ديناً جمع كل أنواع الكفر والزندقة والإلحاد -كما قال الشيخ الفقي قبله- فقال: " فالإسلام دين محدد العقائد، محدد العبارات، محدد الشرائع، والتصوف دين لا حدود له ولا تعاريف له في عقائد أو شرائع.."[1].

فلم ينظر السلفيون المعاصرون إلى الصوفية كما نظر إليها علماء السلف الأولون كابن تيمية وابن القيم، ولم يحكموا عليها كحكمهم ، بل صارت صفة الانتساب إلى التصوف وحدها تكفي كي يُقال على شخص ما أنه على ضلال وانحراف وهدم للدين وعداوة للحق وأهله!! وقد أطلعت علي كتاب (الكشف عن حقيقة الصوفية) لمحمود قاسم – مؤلف معاصر– حين يقول في المقدمة أن الصوفية هي المستنقع الذي شربت من شواطئه جميع وثنيات التاريخ.

---

(1) (تحقيقة الصوفية) ، ص 8.

وقد وصفت إحدى السلفيات اليمنيات[1] بعض علماء المسلمين وقادتهم بقولها:"داعية صوفي.." [2]، في سياق حديثها عن الشيخ أبي الحسن الندوي، أما الشيخ حسن البنا، فهو أكثر شخصية إسلامية نالت وصف (صوفي) في كثير من كتب السلفيين، ومن ذلك: " قلت: هذا هو القائد الأكبر والمرجع الأول للزنداني، إنه حسن البنا الصوفي المتلوِّن"[3].

سلفي آخر كتب عن (شيء من خزعبلات الصوفية) ثم عقد مقارنة في آخر كتابه بين الدعوة السلفية وبين دعوة الإخوان المسلمين التي أسسها (حسن البنا الصوفي) وبين دعوة جماعة التبليغ التي أسسها (محمد إلياس الكاندهلوي الصوفي)[4]. وكتب شيخ سلفي آخر كتابه (رفع اللثام عن مخالفة القرضاوي لشريعة الإسلام) ليستكمل المسيرة التي ابتدأها شيخه الوادعي في كتاب (إسكات الكلب العاوي يوسف بن عبد الله القرضاوي) فكتب فصلاً في كتابه بعنوان (القرضاوي والصوفية) وفيه: " في هذه السطور لا أريد أن أتكلم على الصوفية منشأً ومعتقداً، لأن هذا الباب قد تكلم فيه علماء الإسلام وبينوا فضائح الصوفية ومالهم من الطامات والشركيات والبدع والخرافات قديماً وحديثاً. كأمثال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى وابن القيم ومن جاء بعدهم إلى عصرنا هذا وهم يكتبون عن الصوفية ويحذرون الأمة من شرهم وضلالهم، فمن كان جاهلاً بأمرهم وشركهم، فليقرأ ما كتبه العلماء فيهم، ومن قد قرأ وعرف ما هو عليه الفكر الصوفي من الباطل فقد عرف خيراً كثيراً، والذي أريد توضيحه هنا هو ارتباط القرضاوي بالفكر الصوفي منذ صغره.." [5].

---

(1) هي (أم سلمة السلفية) في كتابها (تحذير الفتاة العفيفة من تلبيسات الزنداني الخبيثة) وهي زوجة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي .

(2) (تحذير الفتاة العفيفة) ص 75.

(3) المصدر السابق، ص 59.

(4) (إرشاد البرية)، ص 212.

(5) (رفع اللثام) ، ص 140. وقد نال هذا لكتاب ومؤلفه الثناء والإشادة ما لم يمكن أن يصدق إلا على أحد مؤلفات ابن

وبعد نقله لما قال الشيخ القرضاوي في التصوف يقول: " ولا يخفى عليك أخي القارئ ما في الكتب التي تلقى منها القرضاوي تصوفه من الضلال والانحراف، فالإحياء قد أفتى جمع من العلماء بإحراقه وإتلافه، كالطوسي وغيره، وكذلك كتاب ابن عجيبة مليء بالضلال والانحراف ".

فلو تأملنا ما سبق ، لوجدنا حقيقة ما قلناه سابقاً ، من أن السلفيين المعاصرين يحكمون على التصوف والمتصوفة حكماً عاماً، بالكفر والضلال والانحراف، وينسبون ذلك إلى علماء السلف ، وفي مقدمتهم شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، مع أن الحقيقة تخالف ذلك -كما رأينا فيما نقلته عن ابن تيمية وابن القيم. وكذلك بالنسبة لكتاب (إحياء علوم الدين) الذي كتبه الإمام الغزالي رحمه الله، الذي وصفه الشيخ السلفي بالضلال والانحراف ، فإن ابن تيمية عندما سُئل عن (الإحياء) أجاب: "أنه تبع كتاب قوت القلوب فيما يذكره من أعمال القلوب ، مثل الصبر والشكر والحب والتوكل والتوحيد ونحو ذلك ، ولكن أبا طالب صاحب قوت القلوب أعلم بالحديث والأثر وكلام أهل علوم القلوب من الصوفية ونحوهم من أبي حامد الغزالي ، وكلامه أسدّ وأجود تحقيقاً، وأبعد عن البدعة، على أن في (قوت القلوب) أحاديث موضوعة وضعيفة وأشياء كثيرة مردودة. وأما ما في (الإحياء) فيه فوائد كثيرة لكنه فيه مواد مذمومة فاسدة من كلام الفلاسفة تتعلق بالتوحيد والنبوة، فإذا ذكر معارف الصوفية كان بمنزلة من أخذ عدواً للمسلمين ألبسه ثياب المسلمين. وقد أنكر أئمة الإسلام على أبي حامد هذا في كتبهم، وقالوا " أمرضه الشفاء" يعني شفاء ابن سيناء في

تيمية أو الإمام الشافعي ، فقد وصفه السلفيون في المقدمات التي وضعت له بأنه " قد أبان العورات وكشف الستار .. فدونك هذا السفر المبارك ، فانهل منه وارو غديرك ، واشف غليلك .." ، " فألفيته كتاباً قيماً ، عظيم النفع ، كشف فيه مؤلفه عن أمور .." ، كما كتب شاعر سلفي قصيدة طويلة قالها بعد أن اطلع على هذا الكتاب ، وهي بعنوان (طليعة البدر السافر لإجلاء الظلام العاكر).

الفلسفة وفيه أحاديث وآثار ضعيفة بل موضوعة كثيرة، وفيه أشياء من أغاليط الصوفية وترهاتهم، وفيه مع ذلك من كلام المشايخ الصوفية العارفين المستقيمين في أعمال القلوب الموافق للكتاب والسنة، ومن غير ذلك من العبادات والأدب ما هو موافق للكتاب والسنة ما هو أكثر مما يُرد منه. فلهذا اختلف فيه اجتهاد الناس وتنازعوا فيه.

لقد أبان الإمام ابن تيمية الموقف الحق الذي يجب اتباعه من كل أحد والباطل الذي يجب رده على كل أحد، أبان عن تأثر الغزالي بالفلسفة، ومحاولته التعبير عن نظرياته الصوفية باصطلاحاتهم وكأنها إشارات شيوخ المتصوفة، ورأى من الضروري التنبيه على ما في كتب الغزالي كالإحياء ومشكاة المصابيح وغيرها.[1]

ونستطيع اعتبار آراء وأقوال ابن تيمية في التصوف والصوفية من أوائل المحاولات السلفية التي سعى فيها ابن تيمية نحو تنقية الاتجاه الصوفي مما لحق به من آراء وأفكار مخالفة لحقيقة الدين . "وإذا راجعنا موقف ابن تيمية من شيوخ الصوفية نجد أنه كان رقيقاً في نقده للهروي ، وفعل بالمثل مع الغزالي في اتجاهاته الصوفية بحيث يمكن القول بأن دوره إزاء آرائه كان قاصراً على تنقيتها من الشوائب التي رآها لا تستقيم مع الكتاب والسنة "[2].

وعلى نفس منهج الاعتدال السلفي سار شيخ الإسلام ابن القيم تلميذ ابن تيمية رحمهما الله، فقد كتب عدة كتب سلفية المنهج في التصوف، ككتابه (عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين) و (روضة المحبين ونزهة المشتاقين)، وأما كتابه الضخم (مدارج السالكين) الذي مر بنا آنفاً، فإنه كشيخه كان رفيقاً في نقده للإمام الهروي، بل وأثنى عليه فيه كثيراً،

---

(1) انظر (ابن تيمية والتصوف) ، ص266.

(2) المصدر السابق ، ص 221.

وتناول أقواله التي تحتمل الخطأ أو الغلط بأحسن الظن، وفسرها بأحسن العبارت، ومن ذلك: " قال صاحب المنازل -يعني الهروي- اللطيفة الثالثة " أن مشاهدة العبد الحكم لم تدع له استحسان حسنه ، ولا استقباح سيئه ، لصعوده من جميع المعاني إلى معنى الحكم ". قال ابن القيم: " هذا الكلام إن أُخذ على ظاهره فهو من أبطل الكلام، الذي لولا إحسان الظن بصاحبه وقائله، ومعرفة قدره من الإمامة والعلم والدين، لنُسب إلى لازم هذا الكلام، ولكن من عدا المعصوم ﷺ فمأخوذ من قوله ومتروك ، ومن ذا الذي لم تزل به القدم، ولم يكب به الجواد ؟ ومعنى هذا: أن العبد ما دام .."[1].

ولنتأمل قول ابن القيم في رأس الطائفة وإمامها -كما يسميه- حيث قال: " فكلام أبي القاسم الجُنيد حق ، كلام راسخ في الصدق، عالم بتفاصيله وآفاته، ومواضع اشتباهه بالكذب)[2].

ذكرنا أن مكانة الهروي الصوفي ومحبة ابن القيم له ، لا يعني ذلك التغاضي عما وقع فيه من أخطاء وزلات، والتي تتبعها شيخ الإسلام ابن القيم بأسلوبه الراقي وعلمه الواسع دون إفراط أو تفريط، جاعلاً كتاب لله تعالى وسنة النبي ﷺ ميزانه ومرجعيته، وهدفه نصرة الحق. فنجده في أحد المواضع يقول: " وقد خبط صاحب المنازل في هذا الموضع، وجاء بما يرغب عنه الكُمّل من سادات السالكين والواصلين إلى الله ، فقال -أي الهروي- "الفكرة في عين التوحيد: اقتحام بحر الجحود"، وبعد أن يحمل ابن القيم على أهل الوحدة والاتحاد[3]، ويكشف بوارهم ويؤكد إلحادهم، يقول: " وحاشا شيخ الإسلام-أي الهروي- من إلحاد أهل الاتحاد، وإن كانت عبارته موهمة، بل مُفهمة ذلك، و إنما أراد .."

---

(1) (مدارج السالكين) 227/1.

(2) المصدر السابق ، 276/2.

(3) أي القائلين بوحدة الوجود والقائلين بأن كل من وحد الله جاحد.

.[1]

وفي موضع آخر: ".. ولا توجب هذه الزلة من شيخ الإسلام إهدار محاسنه، وإساءة الظن به، فمحله من العلم والإمامة والمعرفة والتقدم في طريق السلوك المحل الذي لايُجهل.." [2]. وفي موضع آخر: " شيخ الإسلام حبيب إلينا، والحق أحب إلينا منه، وكل من عدا المعصوم ﷺ فمأخوذ من قوله ومتروك، ونحن نحمل كلامه على أحسن محامله ثم نبين ما فيه.." [3]. وفي موضع آخر: " ياليت أن الشيخ صان كتابه عن هذا التعليل، إذ جعل نصف الإسلام والإيمان من أضعف السُبل.." وبعد التحقيق في المسألة التي تناولها الصوفية ومنهم الإمام الهروي ، يقول:" هذا غاية تقرير كلامهم ، وكسوته أحسن عبارة، لئلا يتعدى عليهم بسوء التعبير الموجب للتنفير. ونحن معنا العصمة النافعة: أن كل أحد غير المعصوم ﷺ فمأخوذ من قوله ومتروك، وكل سبيل لا يوافق سبيله فمهجور غير مسلوك"[4].

وكثيراً ما تجد ابن القيم يثني على الهروي وأمثاله ويذكر أقوالهم مستشهداً بحكمتها، ففي باب الغربة يقول معلقاً على استشهاد الهروي بقوله تعالى: (فلولا كان من القرون قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا) فيقول: "استشهاده بهذه الآية في هذا الباب ، يدل على رسوخه في العلم والمعرفة وفهم القرآن .." [5].

وإذا تأملت (مدارج السالكين) وأنت لم تعرف ابن القيم لظننته شيخاً من شيوخ

---

(1) المدارج ، 1/147-149.

(2) المدارج ، 1/198.

(3) المدارج 2/37.

(4) المدارج 2/250.

(5) المدارج 3/194.

الصوفية، وأما لو أحطت علماً بالمؤلف لقلت: قد أحسن ابن القيم وأنصف، ولتأكدت أن شيخ الإسلام هو أول من عمل على تسليف الصوفية وتصويف السلفية. وشتان بين سلفية هؤلاء الأعلام ، كابن تيمية وابن القيم وأمثالهما ، وبين سلفية اليوم.

والمتتبع لكتابات ومؤلفات التيار السلفي يجد وكأن هناك إجماع بين السلفيين المعاصرين حول قضية عدائهم للصوفية واعتبارها فكراً مرفوضاً مناقضاً لشريعة الإسلام جملة وتفصيلاً..

وأما الاستشهاد على ذلك عند عموم التيار السلفي، فكثير جداً، وسأضيف شواهد أخرى لاحقاً، لكن الأغرب أن السلفية الجهادية (جماعة القاعدة) رغم حرصهم على جمع الكلمة ووحدة الصف المسلم لمقاومة أعداء الدين من الكفار الذين خالفوا دين الإسلام من أهل الملل الأخرى، وكذلك الذين ارتدوا عن الدين من الحكام المسلمين ومن والاهم وآزرهم.. لكن ذلك الهدف الأكبر الذي أعلنته السلفية الجهادية لم يمنعهم من المجاهرة بعداوتهم التاريخية لمن سموهم أهل البدع المخالفين لمنهج الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة المتمسكين بالاعتصام بالكتاب والسنة.

في منهج القاعدة: " فالتشدد والتعمق خاصة فيما يتعلق بالمجاهدات الشديدة، والامتناع عن المباحات قد يفضي بصاحبه إلى ترك التكاليف جملة بتأويلات باطلة، فالتشدد مظنة الانقطاع ، وهذا هو حال كثير من المتصوفة "[1]. كما حمل صاحب العمدة على الذين يغالون في الدين فيفضي بهم الغلو إلى تعظيم مشايخهم مما يوصلهم إلى عبادة هؤلاء المشايخ من دون الله ، ومن ذلك عبادة المقبورين .. [2] ومن منطلق (اكتمال الشريعة) قال:

---

(1) العمدة ، ص 237.

(2) العمدة ، ص 238.

" واكتمال الشريعة وكون الرسول ﷺ قد بلغها كاملة ، معناه أنه لا يوجد في هذا الدين علم باطن خلاف الظاهر أو حقيقة[1] خلاف الشريعة ، وفي هذا إبطال لكافة المذاهب والتأويلات الباطنية ، مما يذهب إليه الملاحدة من الإسماعيلية وبعض الصوفية وغيرهم[2].

لم يكن إنكار المنهج الجهادي بنفس الاسفاف السلفي المعهود، لكنه هاجم مذهب القائلين بتقديم العقل على النقل .. " وهذا هو مذهب أهل البدع والضلالات كالجهمية والمعتزلة وغيرهم "[3]. وكذلك القائلين بتأويل النصوص الشرعية وأصحاب المجاهدات والكشف والكرامات وحديث النفس والإلهام وغير ذلك من المصطلحات الصوفية ..

كما أن السلفيين الذين يبدون أكثر اعتدالاً من إخوانهم الذين هاجموا الجماعات الإسلامية وعلماء المسلمين واعتبروا غيرهم من أهل الضلال والانحراف.. هؤلاء -أيضاً- رغم اعتدالهم النسبي، لكنهم لم يختلفوا عن بقية السلفيين في إعلان عداوتهم ورفضهم للصوفية والتصوف، على اعتبار أن ذلك من الأصول والمسائل التي لا خلاف فيها.

فقد ورد في كتاب (عقيدة أدعياء السلفية في ميزان أهل السنة و الجماعة) والذي هاجم مؤلفه الشيخ السلفي أبو عبد الله محمد بو النيت المراكشي ، كبار علماء ومشايخ السلفيين[4]، فقال : " وما كدنا نفرغ من تتبع أقوال (أدعياء السلفية) وتمحيص حججهم، حتى تبين لنا -بما

---

(1) يشير إلى مصطلح (الحقيقة) عند الصوفية .

(2) العمدة ، ص 220. وتأمل اعتدال المنهج السلفي الجهادي بقوله (وبعض الصوفية)، مقارنة بغيرهم .

(3) العمدة ، ص 223.

(4) كالشيخ الألباني والشيخ محمد إبراهيم شقرة والشيخ ربيع المدخلي والشيخ بكر أبو زيد والشيخ الأستاذ علي بن حسن عبدالحميد والذي وصفه المؤلف بانه أشد أدعياء السلفية مغالطة وأكثرهم تستراً وراء كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ، وأنه يقتطع من كلام ابن تيمية ما يظن أنه يوافق بدعته ويؤوله حسب هواه ، كما وصفه بالتلبيس والافتراء والكذب الظاهر على الحافظ ابن كثير رغبة في الانتصار لمذهبه الإرجائي المُخذل ، وغير ذلك من الأوصاف والألقاب التي يطلقها السلفيون – عادة – على مخالفيهم !!

لا مزيد عليه- أن أدعياء السلفية وإن أصموّا الآذان بدعاوى التفرد بمنهج السلف، وضلال كل من لم يدخل في طائفتهم، فإنهم خرجوا عن منهج السلف في الجم الغفير من المسائل، ودخلت عليهم البدع العظام من أقطارها، وفارقوا عقيدة الفرقة الناجية من باب عظيم من أبواب العقيدة، فاتبعوا (الجهم) وتلبسوا بالإرجاء، وهذا أمر ميسور تبينه لمن خبر عقيدة أهل السنة والجماعة ومنهجهم في الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم عاين عقيدة أدعياء السلفية ومنهجهم في الدعوة "[1]. وقال:" أما الحزبية عندهم فهي أظهر من أن يُقام عليها دليل، فهاهو (علي حسن عبد الحميد الحلبي) ينقل عن شيخه أن أدعياء السلفية هم الفرقة الناجية، وأن من عداهم معدود من أهل الضلال، وقد علمتَ من قبل قَصرَ الحق على شيوخه الثلاثة، أما ظلمهم لمخالفيهم فأسمع به وأبصر!" [2].

وقد حمل الشيخ السلفي حملة شعواء على أدعياء السلفية -كما سمَّاهم- والذين "جعلوا اسم السلفية عنواناً لهم ، فرغبوا بذلك عن الاسم الذي ارتضاه رسول الله ﷺ أهل الحق وارتضاه السلف ، وهو اسم أهل السنة والجماعة ، وأحدثوا بتمييزهم ذاك بدعة ما عُرفت في القرون الثلاثة الأولى.." [3]. ثم تساءل: " لحساب من تُشن حملات اللوم والإفك والإرجاف ضد القائمين على دفع الظلم ونصرة الحق، ووصمهم بالخارجية والضلال ؟! .. ولحساب من يُراد لشباب الإسلام أن يتربى على السكونية والاستسلام للأقدار على طريقة (أهل الجبر والتجهم) ؟! ولحساب من يُنقب عن أخطاء العاملين للإسلام بالمجهر، ويُغضُّ الطرف عن أهل الباطل والفساد ؟! لحساب من نَصَب (المدخلي) مجانيق التكفير لـــ(سيد قطب) ثم أنت بعد ذلك ترى القوم صرعى عقيدة الإرجاء، ينافحون عنها و

---

(1) (عقيدة أدعياء السلفية) ص 6.

(2) المصدر السابق ، ص10. وقد وصف هؤلاء الشيوخ السلفيين الثلاثة -شيوخ الحلبي- بأنهم (ثالوثه العلمي) .

(3) السابق، ص10.

يتعلقون بها خوفاً على سلفيتهم !"[1].

وبعد أن خاض الشيخ السلفي صراعاً مريراً ضد أدعياء السلفية، ورد على شبهاتهم ومزاعمهم، قال في الخاتمة: " أما بعد أن انتهينا من إقامة البرهان الساطع على تلبس أدعياء السلفية بالإرجاء في (باب الإيمان) وبالإرجاء الشديد في (باب الكفر) فليس من العدل والإنصاف[2] في شيء أن نضرب الذكر صفحاً عمّا لأدعياء السلفية -خصوصاً الشيخ الألباني- من فضل في نشر السنن وتصفية الحديث ومحاربة البدع، والدعوة إلى منهج السلف، ونبذ التقليد، والتنفير من الحزبية، والتضييق على الصوفية.. وهذه أصول ومسائل لا خلاف فيها.."[3].

فتأمل كيف جعل مسألة التضييق على الصوفية ومحاربتها من الأصول التي أجمع عليها السلفيون ؟! وتبدو هذه الدعوة السلفية التي عبَّر عنها الشيخ المراكشي أكثر إنصافاً وموضوعية في مواجهة الآخرين، خاصة الجماعات الإسلامية وعلماء المسلمين ودعاتهم[4]، الذين اعتبرهم السلفيون – أدعياء السلفية- على ضلال مبين وجهل بالشريعة،

---

(1) السابق، ص14-17.

(2) جاء في حاشية الكتاب تعليقاً (نقول هذا رغم كون أدعياء السلفية من أبعد الناس عن العدل والإنصاف مع مخالفيهم).

(3) المصدر السابق، ص 147.

(4) فقد دافع المراكشي عن سيد قطب ونقل عن الشيخ بكر عبد الله أبو زيد نقداً لآراء الشيخ السلفي ربيع بن هادي المدخلي في كتابه (أضواء على عقيدة سيد قطب وفكره) كقوله : " نظرت في أول صفحة منه فوجدتها عناوين قد جمعت في سيد قطب رحمه الله أصول الكفر والإلحاد والزندقة ، القول بوحدة الوجود ، القول بخلق القرآن ، يجوز لغير الله أن يشرع ، غلوه في تعطيل صفات الله تعالى ، لا يقبل الأحاديث المتواترة ، يشكك في أمور العقيدة التي يجب الجزم بها، يكفر المجتمعات .. إلى آخر تلك العناوين التي تقشعر منها جلود المؤمنين .. عند هذا أخذت بالمطابقة بين العنوان والموضوع، فوجدت الخبر يُكذبه الخبر، ونهايتها بالجملة عناوين استفزازية تجذب القارئ العادي إلى الوقيعة في سيد رحمه الله.. نظرت فوجدت هذا الكتاب يفتقد أصول البحث العلمي، الحيدة العلمية، منهج النقد، أمانة النقل والعلم، عدم هضم الحق، أما أدب الحوار وسمو الأسلوب ورصانة العرض، فلا تمت إلى الكتاب بهاجس ". ثم قال المراكشي: " ورغم هذه الشهادة إلا

ووصفوهم بأشنع الأوصاف -كما مر بنا - ولذلك اعتبرهم المراكشي السلفي أدعياء في سلفيتهم "بسبب قصور منهجهم الدعوي .. وتعنتهم على مخالفيهم من أهل الحق ، وبغيهم على غيرهم من الدعاة والعلماء والجماعات بغياً ذاع خبره واشتهر، حتى لكأنه منشأ ما أصابهم من تفرق وابتداع.." [1].

ومع ذلك ، ورغم دعوة الشيخ السلفي المراكشي إخوانه السلفيين إلى الإنصاف وعدم ظلم مخالفيهم والاعتدال في دعوتهم ، لكنه وبدافع من أصوله وتربيته السلفية تجده سلك ما نهى عنه أدعياء السلفية -كما يسميهم- فقد وصفهم بالحزبية المقيتة التي لا تحتاج إلى دليل، معتبراً ما صاروا إليه من فرقة وانقسامات جعلتهم (فرقاً وطوائف) بينها من الهجر والبغي مالم تشهد ساحة العمل الإسلامي له مثيلاً، وكل ذلك ببركة الحزبية المقيتة؛ أفلا عاقل يعتبر ومغرور يزدجر؟!" [2]. ولاشك أن ما وصفهم به يشهد به الواقع وتؤكده الحال.

لكن المراكشي غلبته التربية السلفية فقال فيهم أيضاً: "وأما العلمانية المقنعة، فانظر إلى حال القوم في بعدهم عن السياسة، وتنفيرهم منها، واشمئزازهم من الوعي بها، وكتمانهم للحق المتعلق بها، وسكوتهم عن الباطل المرتبط بها، احتذاءً بحذو أحبار أهل الكتاب، وإخلاداً إلى السكون والدعة والأمن، حتى وصل بهم الأمر في النهاية إلى اعتناق ما وضعه أساطين الكفر والفلسفة والعلمانية .." [3]. فتأمل.

وأعود إلى موقف السلفيين المعاصرين من قضية الصوفية والتصوف، لنستكمل حديثنا السابق. فقد تكونت لدى كثير من هؤلاء السلفيين عقلية الرفض للآخر، فصار لديهم

أن أدعياء السلفية فرحوا بكتاب المدخلي ورلحوا ينشرونه..". انظر (عقيدة أدعياء السلفية) ص 19.

(1) السابق، ص 147.

(2) السابق، ص 10.

(3) السابق، ص 10-11.

كل مخالف لهم مخالفاً للدين والحق، وبالتالي يصبح مستحقاً أن يوصف بالضلال والانحراف[1]، كما صار الرد على كل مخالف والتهجم والتهكم به سلوكاً يدل على حسن تفقه الفرد في أمور دينه، وعلامة على صفاء عقيدته، وجودة سلفيته! فمن صفات المسلم السلفي اللازمة[2]، أن يرد على كل مخالف، سواء أكان مسلماً أم غيره، مهما علت رتبته أو نزلت، وسواء أكانت المخالفة قصداً أم خطأً. " فالمسلم السلفي ينكر الطرق المبتدعة من صوفية وغيرها وينكر الأحزاب الهدامة التي مزقت الأمة وابتدعت في الدين وابتعدت عن سنة الرسول ﷺ ومنهج سلف الأمة.. " " بل السلف يعدون الرد على أهل البدع أفضل من نوافل الطاعات"[3].

إننا نجد السلفيين اليوم قد وقعوا فيما اعتبروه حراماً وحاربوه، وذلك هو التقليد الذي أجمع السلفيون على نبذه لمخالفته للشريعة، وأنه لابد من الالتزام بالدليل الشرعي وأخذ العلم من نصوص الكتاب والسنة الصحيحة وعدم الالتزام أو التقيد بمذهب من المذاهب الإسلامية المعروفة ، وهذا ما أكده كبار مشايخ السلفية المعاصرة ، فقد أنكر الأستاذ محمد مصطفى المقرئ على من سمَّاهم المنتسبين للسلفية، ووقوعهم في التقليد، فضلوا بعد الهدى، فقال " ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه، مثلما ضل في الحاكمية قوم منتسبون لـــ(السلفية)! ولكني أحسب أن انتسابهم لاصل المنهج السلفي، ووقوف أكثرهم معنا على

---

(1) قال حسن بن قاسم الريمي السلفي وهو يشرح (اعتبار التوحيد) : " قلت: لو نظر أصحاب الحركات الدعوية المناوئة للدعوة السلفية إلى هذه الآية نظرة تأمل وإنصاف لعلموا أن ما هم عليه يصدق عليه قول ربنا عز وجل (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً) ولتراجع الكثير إن لم يكن الكل عما هم عليه من ضياع وسراب إلى المنهج الحق المتمثل بالدعوة السلفية" . انظر (إرشاد البرية) ص36.

(2) انظر (إرشاد البرية) ص 42 "الصفات التي يستحق بموجبها العبد أن يكون سلفياً" وهي الصفة العاشرة كما ذكر الشيخ السلفي مؤلف الكتاب المشار إليه.

(3) المصدر السابق ص42-43.

قاعدة واحدة في الفهم والتلقي كفيلان بإذن الله بردهم إلى الحق، فإن غاية ما يعوزهم –لهذا العود الحميد– أن يكسروا أغلال التقليد التي هم أولى الناس بطرحها وذمها وإنكارها.

والمفترض أنهم حملة مشعل التدليل والتابع الدليل، فكيف يستقيم منهم أن ينكروا على طلبة العلم من أتباع المذاهب تقليدهم لأئمة ثقات عظام.. ثم نراهم –وياعجباً– يغرقون في تقليد من هو دون الأئمة بكثير ؟!"[1] وقال في موضع آخر: " والذي لا ينقضي منه العجب أن يلتزم هذا الجمود التنظيري حيال الواقع المستجد قوم هم أكثر الناس ضجيجاً في إنكار التقليد ورفض اتباع مدارس الرأي وعدم التقيد بمذاهب الفقه المقررة، مع أن التقليد الذين ينكرونه : قلد فيه أهلُهُ أئمةً أجلاء ثقات، ثم تراهم يبالغون في تقليد من هم دون تلامذة الأئمة بكثير "[2].

وعلى نفس الإنكار والاستنكار شن الشيخ السلفي أبو عبد الله المراكشي حملة شعواء على (أدعياء السلفية) الذين أشربت قلوبهم العصبية لشيوخهم نتيجة لما تربوا عليه من الحزبية، " وكيف يظل الراسخ في طريقهم يدعو إلى إسلاس القياد لشيوخهم؟! أوليس (الحلبي)[3] وهو مقدم فيهم، هو القائل عن (ثالوثه العلمي)[4] الذي يزعم أنه الإجماع: " إن مشايخنا الأجلة هؤلاء (الثلاثة) هم نجوم الهدى، ورُجوم العدى، من تمسك بغرزهم فهو الناجي [هكذا !!] ومن ناوأهم فهو المظلم الداجي"[5]. فإذا كان هذا قول أحد أقطابهم فما

---

(1) (ألف باء الحاكمية والإرجاء) ، ص 5.

(2) السابق، ص76.

(3) يقصد الأستاذ السلفي الشهير علي حسن عبدالحميد الحلبي الذي يكثر السلفيين من الاستشهاد بكلامه .

(4) يقصد ثلاثة من شيوخ السلفيين تقدم ذكرهم .

(5) (التحذير من فتنة التكفير) للحلبي ، ص 39 . نقلاً عن (أدعياء السلفية) .

التوسم فيما هو دونه!"[1].

كما نجد الشيخ المراكشي السلفي يصف بعض السلفيين بالبراعة في تلبيس الحق بالباطل لينتصروا لعقيدتهم الإرجائية مع أنه قد "تصح لأدعياء السلفية كثيراً بعدم التهجم على فهم النصوص، لأنهم أهل حفظ وتحقيق، وليسوا أهل فقه ونظر.."[2]. كما ذكر حادثة ليدلل بها على وقوع السلفيين في التقليد لمشايخهم: "وقد جادل الألباني تلميذه العنبري ليثبت له أن الكفر يؤول في حقيقة الأمر إلى انتفاء التصديق القلبي.. والغريب في الأمر أن التلميذ أذعن لما يقوله الشيخ وتنازل عما كان يقوله في تلك المسألة وهو الصواب الذي لا مرية فيه ، لا لشيء إلا للرغبة في عدم مخالفة الشيخ.."[3].

والحقيقة أن السلفيين لم يقلدوا مشايخهم المعاصرين فحسب بل تعصبوا وقلدوا ابن تيمية تقليداً لم يلتزموا فيه بضوابط وقواعد التقليد، حيث تابعوا ابن تيمية وكذلك ابن القيم في حملته على المبتدعة والفرق الإسلامية التي حادت عن طريق السلف، فهب الشيخ لتقويمها ولبيان مواطن الخلل في تفكيرها ومناهجها مستنكراً ما فيها من انحراف أو غلو، ومع ذلك لم تدفعه الحمية إلى عدم الإنصاف أو غمط المخالفين، بل تجده يذكر ما في تلك الاتجاهات والفرق من خير ومحامد...

وخصومة علماء السلف لمن خالف منهجهم قد ضُبطت بقواعد علمية وشرعية، بالإضافة إلى امتلاكهم الفهم العميق والدراية الكاملة والبصيرة، بعيداً عن الإفراط والتفريط. والمتأمل في كتبهم ومؤلفاتهم يتحقق من كل ذلك، لكن عداوة السلفيين المعاصرين، رغم اقتفائها لمنهج السلف الصالح -كما يزعمون- لكنها تفتقر إلى الدقة والإنصاف والاعتدال،

---

(1) (عقيدة أدعياء السلفية في ميزان أهل السنة والجماعة) ، ص 7.

(2) السابق ، ص120.

(3) السابق ، ص 63.

فتجدها عداوة تقليد دفعتهم نحو التشنيع على المخالفين فبدت كحروب ومعارك هوجاء أقرب إلى التطرف الفكري تجاوزت الحدود الشرعية والعقلية، فكل من خالفهم في الرأي فهو جاهل مبتدع ضال، وبذلك نصبوا أنفسهم كمرجعيات للحق والهدى، ومتحدثين رسميين باسم الدين دون الالتفات لما عند غيرهم من الحق والهدى.. فالقول قولهم والحق ملك لهم وحدهم!

ومما يدل على عشوائية المعارك الفكرية عند هؤلاء، أنك تجدهم قد وصفوا بعضهم بعضاً بالجهل والبدعة والانحراف عن الدين بمجرد اختلافهم في بعض المسائل الشرعية رغم لجتماعهم على قاعدة (منهج السلف)! فنرى ردودهم على بعضهم لا تقل قسوة وشناعة عن ردودهم على من خالفهم من غير السلفيين، ولهذا شهد السلفيون انقسامات فرقتهم إلى طوائف وجماعات.. وكل جماعة فيهم تدعي أنها على منهج السلف وأن الآخرين مبتدعة وضالون !! [1]

ولنرجع إلى عداوة السلفيين للصوفية والتصوف وموقف علماء السلف، إننا نجد أحد مشايخ السلفية المعاصرة يقول: " فالدعوة الشيعية والصوفية هما منبع الإشراك بالله ومنبع الخرافة.." [2]. بينما نجد موقف شيخ الإسلام ابن تيمية وأحكامه التي أطلقها على الصوفية لم تكن تأخذ طابع الحكم المطلق والتعميم–كما فعل السلفي المعاصر– فابن تيمية يذكر أن طائفة ذموا التصوف والصوفية وقالوا: إنهم مبتدعون خارجون عن السنة، وطائفة قالت وادّعت أن المتصوفة هم أفضل الخلق فقال: والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما لجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، فمنهم ظالم لنفسه، ومنه مقتصد ومنهم سابق بالخيرات

---

(1) وكتبهم طافحة بذلك .

(2) (الإيضاح والبيان لما عليه جامعة الإيمان) ، ص 144.

بإذن الله "[1].

ولذلك فإن العلماء المنصفين والباحثين بموضوعية حول الصوفية خرجوا بمفاهيم وآراء معتدلة، كما هو الحال عند الأستاذ الدكتور صلاح الصاوي الذي بحث موضوع نشأة التصوف والأطوار التي مر بها ثم خلص إلى القول: " وأياً كان الحال فإن هذا الأمر مرده إلى الاستقراء، فقد ينشأ الرجل بين صوفية الإلحاد فيعمم الحكم من خلالهم على سائر القوم، أو العكس فقد ينشأ بين فريق من صالحي الصوفية، أو من أهل البدع المخففة منهم فيعمم الحكم من خلالهم على البقية، والحكم في هذا كله هو المعايير التي تحاكم على أساسها الصوفية وغيرهم، فإذا صحت المعايير واستقامت أصبح الخلاف في الاستقراء والتقدير والتعيين هيناً ويسيراً بعد ذلك "[2].

والعجيب أن عداوة السلفيين للتصوف والمتصوفة تجده أشد وأنكى من مواجهة ابن تيمية للتصوف مع أنهم لم يعايشوا تلك الفترة الزمنية التي عاشها ابن تيمية ولم يعانوا معاناته ، فابن تيمية عاش في فترة زمنية كانت الفرق الصوفية تتمتع بنفوذ قوي عند الحكام، فضلاً عن سلطانها الواسع على جماهير المسلمين، لكنه لم يندفع تحت ذلك إلى الإنكار على المتصوفة، كما اندفع السلفيون اليوم، كما لم يندفع تحت تأثير انحراف كثير من مشايخ المتصوفة إلى تكفيرهم، بل انكب على دراسة مؤلفاتهم وتاريخهم مع ما لديه من دراية وعلم واسع بكافة العلوم الإسلامية، فيناقش ويبحث عن حقيقة الصوفية ، لينتصر للحق على بصيرة ونور . ونراه يقارن بين الطوائف الصوفية ومعتقداتها ومظاهرها وأصولها ، فيتخذ موقفاً سلفياً واعياً بين الذين ذموا الصوفية والتصوف وأدخلوه في دائرة البدع الخارجة عن الكتاب والسنة ، وبين الذين غالوا في التصوف والمتصوفة وادعوا أنهم

---

(1) انظر (مجموع فتاوى ابن تيمية) 11/7-10/82، 370.

(2) (التطرف الديني ، الرأي الآخر) ، ص 119-120.

أفضل الخلق بعد الأنبياء.

إن مؤلفات ابن تيمية ومصنفاته تؤكد بأن هذا العالم السلفي الفذ اجتهد اجتهاداً كبيراً ليفرق بين (المذموم) وبين (المشروع) من الآراء والأفكار التي دعت إليها الفرق الإسلامية العديدة التي عاصرها وفهمها على ضوء الكتاب والسنة، فابن تيمية يستخدم في مؤلفاته اصطلاح (التصوف المشروع) فيرى في الصوفية طوائف ممن لهم علم وإيمان كالداراني وإبراهيم بن أدهم والجنيد ومعروف الكرخي، كما كانت له نظرياته الخاصة في بعض الصوفية الذين يقف منهم موقف الباحث الذي لايستطيع بما تحت يده من أدلة أن يقطع برأي معين، فيدع ذلك إلى الترجيحات، ومن هؤلاء الصوفية أصحاب الأحوال التي تزول فيها العقول، كالبسطامي والشبلي والنوري، فابن تيمية يدافع عنهم ويسميهم (عقلاء المجانين) و (المولهين) أو أنهم مغلوبون[1]. " وهاهي مؤلفاته تتضمن كثيراً من الآراء والأفكار التي استقاها من أئمة الفقهاء والمتكلمين وشيوخ الصوفية، بل والفلاسفة أيضاً، مثل رأي ابن رشد في الإلهيات، ما دامت نظرياتهم مع الكتاب والسنة وما اتبعه السلف الصالح"[2].

ولم يكتف شيخ الإسلام بالانكباب على التراث الضخم يدرسه ويحققه ويتأمله، بل نلمح تذوقه للتجربة التي يمر بها السالكون نحو الله ومعرفته لأسرارها، "ونستطيع أن نرى ذلك من واقع النصوص التي أوردها، مثل قوله: "وهذه الأمور لها أسرار وحقائق لا يشهدها إلا أهل البصائر الإيمانية والمشاهد الإيمانية"[3].

وكما أنصف ابن تيمية المعتدلين في التصوف، فإنه هاجم الطوائف المغالية، حيث

---

(1) انظر (ابن تيمية والتصوف) ، ص 60.

(2) السابق، ص42.

(3) انظر (مجموع الرسائل الكبرى) لابن تيمية ، ص 324. نقلاً عن (ابن تيمية والتصوف)

يسمي بعض المتصوفة بـــ(موسوية المحمدية) أو (عيسوية المحمدية) لبيان تأثر أصولهم باليهودية والمسيحية، كما رأى بعضهم من العباد الذين يتكلفون المشقة والعُسر في عباداتهم شبهاً مع (زهاد الصابئة والهنود)، كما كشف عن الأصول الفلسفية التي أقام عليها بعضهم تصوفهم وهم الذين دعوا إلى (وحدة الوجود) فسماهم (صوفية الملاحدة) كابن عربي والحلاج وأمثالهما.

وقد أحسن الدكتور مصطفى حلمي حينما قال ناصحاً: ".. أن نحذو حذو ابن تيمية الذي كان له دور كبير في الكشف عن المضمون الروحي في التراث الإسلامي ووضعه في الصيغة الملائمة مع منهج السلف، فقد اختار -عن عمد- بعض الزهاد والصوفية بعد دراسة أحوالهم والتنقيب عن أفكارهم ونظرياتهم، لكي يعلن تأييده لطرقهم السلوكية، لا لسبب ، إلا أنهم اقتدوا بالسلف الصالح، وتابعوا الخط الذي وضعه الكتاب والسنة .."[1].

وليت إخواننا السلفيين اتبعوا ابن تيمية وابن القيم اللذين كانت آراؤهم مبنية على علم وإنصاف، فاستطاعا أن يميزا بين الخبيث وبين الطيب، وبين ما يستحق الإنكار والرفض وبين مالا يستحق ذلك.. ليتهم فعلوا.

ولكن الواقع أن هؤلاء حصروا الحق على فهمهم، وحكموا على غيرهم بالبدعة والانحراف عن الدين.. أولعوا بذلك، فأصبحت كل الجماعات الإسلامية والفرق -عندهم- بل والعلماء والمفكرون والمصلحون والدعاة على ضلال وسراب!! فلا دين إلا دينهم ولا علم إلا علمهم ولا دعوة إلا دعوتهم!

وتحت حجة الرد على أهل البدع والأهواء شن السلفيون حرباً شعواء على كثير من علماء المسلمين ومفكريهم -كما ذكرنا آنفاً- ومن هؤلاء الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي،

---

(1) (ابن تيمية والتصوف) ، ص89.

الذي شبهه الشيخ مقبل الوادعي بالكلب العاوي في أحد مؤلفاته، ووصفه بأنه (قرض نصف الدين) [1] واعتبره تلاميذ الوادعي مناصراً لأعداء الدين وهادماً لمبدأ أو عقيدة الولاء والبراء[2] ، وقال عنه أحد كبار دعاة السلفية (وللقرضاوي كتاب بعنوان "فتاوى معاصرة" فر منه فرارك من المجذوم"[3]. وكذلك الحال بالنسبة للأستاذ سيد قطب رحمه الله ، حيث طعن غلاة السلفيين في عقيدته وفكره في كتبهم[4] وخطبهم ..

والحقيقة أن الردود السلفية على هذين الشيخين فيها من التكلف والقصور عن فهم المراد مالا يخفى على المطلع عليها ، فضلاً عن سوء الظن والخلفية العدائية التي يحملها كثير من هؤلاء السلفيين لكل مخالف لهم ، بحجة أنهم مبتدعة ومخالفون لمنهج السلف الصالح، مع كوننا لانبرئ القرضاوي وسيد قطب وغيرهما من العلماء والدعاة من الوقوع في الخطأ فلا عصمة إلا لمن عصمه الله .

ثم تأمل ما قاله الشيخ عبد الله بن محمد الدويش في كتابه (المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال) حيث ذكر أنه بعد قراءته لتفسير الظلال "فوجدت فيه أخطاء في مواضع خصوصاً ما يتعلق بعقيدة أهل السنة والجماعة وعلم السلوك.."[5].

وعندما تطالع هذا الكتاب الذي أجهد فيه المؤلف نفسه ليستخرج الأخطاء التي وقع فيها سيد قطب ، تجد دليل ما سبق من مغايرة منهج السلفيين المعاصرين لمنهج علماء

---

(1) انظر كتاب (البيان) ص 101.

(2) انظر (رفع اللثام عن مخالفة القرضاوي لشريعة الإسلام) اقترحوا أن يطلق عليه لقب (سفيه الزمان ومفسد الأنام) .

(3) (البيان ..) ، ص 101.

(4) مثل (القطبية هي الفتنة فاعرفوها) و (أضواء على عقيدة سيد قطب وفكره) و (مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ) وغيرها .

(5) المورد الزلال ، ص 5. وهو من الكتب التي يتفاخر بها تلاميذ الوادعي.

وشيوخ السلف الأوائل ، فلقد تتبع الشيخ الدويش لأخطاء الظلال كما قال ، لكنه لم يترك في سبيل إثبات وقوع سيد قطب في الخطأ ، حتى الأخطاء المطبعية التي وصفها بأنها تصحيف ، كقوله (أقول : قوله شعبة تصحيف من المؤلف أو من الكاتب وإنما هو (سعيه) كما ذكره في الإصابة.."[1]. بل تراه ينبه على الخطأ الذي اعتبره الشيخ الدويش نفسه لا يحتاج إلى التنبيه! فعندما ذكر سيد قطب أن عدد القتلى في غزوة أحد من المشركين هو سبعون رجلاً فقال: أقول: قوله قتل منهم سبعون وهمٌ منه المقتول منهم أقل من هذا بكثير"[2]. ونحو ذلك من الأخطاء. مع الإشارة إلى أن الدويش نفسه وفي نفس كتابه وقعت له عدة أخطاء من جنس ما انتقدها على سيد قطب، والتي يدركها ويعلم خطأها أقل القراء علماً واطلاعاً، ومن ذلك (الوجه الثالث: أنه ثبت أن عيسى يموت في أخِ الزمان فهي عبد الله بن سلام..) [3] وتصحيحها (آخر) ولفظة (فهي) والصحيح (فهذا) ومن هذا الجنس الكثير، بل لقد وقعت أخطاء في ألفاظ القرآن الكريم نفسه، كما جاء في قوله تعالى (يسألونك ماذا ينفقون قل العفو) جاءت في الكتاب (..قل العبو) [4] وقوله تعالى (متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين) فجاءت في الكتاب (.. على المسحنين)[5]. وغير ذلك.

ولا شك أن تلك الأخطاء المطبعية لا تنقص من قيمة الكتاب وقد لايخلو منها كتاب إلا القرآن الكريم ، ولا هي مراد كاتبها ، لكن الشاهد في ذلك أن مجرد ورودها في كتاب لا تحتاج إلى إفرادها في مؤلف واعتبارها من النقائص والأخطاء التي تحتاج إلى أن يهب لتصحيحها شيوخ السلفيين ويرهقوا أنفسهم بتعدادها وحصرها، وهم أنفسهم لم يسلموا منها.

---

(1) السابق، ص 44.

(2) السابق، ص 45..

(3) السابق، ص 60.

(4) السابق، ص 26.

(5) السابق، ص 31.

ومن تلك الأخطاء التي أغضبت الشيخ السلفي فاعتبرها مما يجب إنكاره وتصحيحه دفاعاً عن العقيدة والشريعة الإسلامية ما أورده في قوله (أقول : قوله طريق التيمم، لو قال صفة التيمم لكان أولى لأن هذا هو الذي يُعبر به الفقهاء في كتب الفقه كما لا يخفى على من طالع كلامهم . وقوله "خبطة" لو قال ضربة لكان أولى لأن هذا هو الذي ورد في الحديث وصرح به العلماء .." [1]. بل نجد الشيخ السلفي يصف الرجل الذي قام بتفسير كتاب الله تعالى قدر لستطاعته، يصفه بإساءة الأدب في أكثر من موضع، وذلك لمجرد تعبيره بألفاظ يريد بها توضيح المعنى، فقال (قال: وعلى عادة البدو في إكرام الضيف راح إبراهيم.. اقول: لقد أخطأ وأساء الأدب من ثلاثة أوجه، الأول: جعله هذا من عادة البدو ويوهم أن هذا لم يكن عادة لإبراهيم ولا من خلقه وإنما فعل فعلهم، وهذا باطل.." [2].

ومن جنس تلك الأخطاء التي قام بتصحيحها الشيخ الدويش ما جاء في قول صاحب الظلال في أول سورة الرعد واصفاً تلك الألفاظ والعبارات القرآنية بأنها: " ليست ألفاظاً وعبارات، وإنما هي مطارق وإيقاعات صورها ظلالها مشاهدها موسيقاها لمساتها الوجدانية .. اقول: هذا الإطلاق مردود وقد بُسط رده في الكلام على سورة النجم"[3].

وشرح ذلك في الموضع السادس والثلاثين بعد المائة، بعد أن ذكر قول سيد قطب (هذه السورة في عمومها كأنها منظومة موسيقية علوية منغمة يسري التنغيم في بنائها اللفظي كما يسري في إيقاع فواصلها الموزونة المقفاة..) فقال الدويش: "أقول هذا التشبيه باطل على كل حال لثلاثة أسباب: السبب الأول: ان القرآن كلام الله نزل بلغة العرب كما

---

(1) السابق، ص 48.

(2) السابق، ص 98، 99.

(3) السابق، ص 102.

قال الله تعالى (إنا جعلنا قرآناً عربياً ..) والآيات في هذا كثيرة ولم يرد ذكر تشبيهه بالموسيقى في موضع واحد . السبب الثاني: أن الله سبحانه وتعالى نفى كونه قول شاعر وكاهن.. السبب الثالث: أن الموسيقى يدعو إلى الفسق والمجون، والقرآن يدعو إلى الإيمان وخشية الله وصلاح القلوب، فكيف يشبه القرآن بنظم الموسيقى. السبب الرابع: أن الموسيقى لا تعرفه العرب، وإنما هو من علوم الفلاسفة فأخذ عنهم "[1].

لقد ثار الشيخ السلفي غضباً نتيجة استخدام سيد قطب لتعبير الموسيقى، والإيقاع الموسيقي، واعتبر ذلك حراماً ، لأن الموسيقى محرمة تحريماً قطعياً عنده، وذلك ظناً منه أن الموسيقى هي آلات الطرب كالطبل والعود وغيرها، ولم يلتمس للمؤلف عذراً ، بل لم يكلف نفسه الاطلاع على المراد من ذلك التعبير عند قائله حيث قال سيد قطب: " الإيقاع الموسيقي في القرآن يتألف من عناصر شتى، من مخارج الحروف في الكلمة الواحدة، ومن تناسق الإيقاعات بين كلمات الفقرة، ومن اتجاهات المد في الكلمات ، ثم من اتجاهات المد في نهاية الفاصلة المطردة في الآيات، ومن حرف الفاصلة ذاته، وقد تكلمت في هذا بتوسع في كتاب (التصوير الفني في القرآن الكريم) وجميع العناصر التي يتألف منها الإيقاع في هذه السورة واحدة ، فيما عدا اتجاه المد وحرف الفاصلة في القسم الأول .." [2].

ولعل أهم من ذلك كله، هو ما كشف عنه الشيخ عبد الله الدويش حول موقفه السلفي

---

(1) السابق، ص 222-223.

(2) (في ظلال القرآن) ، 4/ 2039. وعلى أقل الأحوال هو مصطلح مبتكر ، والمهم هو المعنى في (لامشاحة في الاصطلاح). وتأمل ما قاله سيد قطب –أيضاً– في مقدمة سورة الرعد: "كثيراً ما أقف أمام النصوص القرآنية وقفة المتهيب أن ألمسها بأسلوبي البشري القاصر ، وهذه السورة كلها –شأنها شأن سورة الأنعام قبلها– من بين هذه النصوص التي لا أكاد أجرؤ على مسها بتفسير أو إيضاح ، ولكن ماذا أصنع ونحن في جيل لابد أن يقدم له القرآن مع الكثير من الإيضاح لطبيعته .. إن إيقاع هذا القرآن المباشر في حسي مُحال أن أترجمه في ألفاظي وتعبيراتي، ومن ثم أحس دائماً بالفجوة الهائلة بين ما أستشعره منه وما أترجمه للناس في هذه (الظلال)..".

الرافض لكثير من علوم ونظريات العلم الحديث والتي وصل بعضها إلى مستوى الحقائق والمسلمات العلمية التي أجمعت عليها العقول وأثبتتها التجارب،، وهي على كل الأحوال من المسائل الدنيوية الخاضعة للتجربة والمعاينة والعقل، وليست من مسائل الدين ، لكن الغريب أنهم جعلوا فهمهم وآرائهم لهذه الأمور من مسائل العقيدة ، بحيث تعتبر خروجاً عن الدين وكفراً بالله ورسوله وكتابه . ولهذا فقد احتلت مسألة (دوران الأرض وحركتها وكونها (كوكب تابع للمجموعة الشمسية) وكون الشمس نجماً... ونحو ذلك من القضايا، احتلت أكثر من ثلث كتاب الشيخ الدويش ، ليثبت فيه مخالفة العلوم الحديثة للقرآن والسنة والإجماع والعقل ..

ولست هنا في صدد التعرض لكل ما جاء في كتاب الشيخ السلفي، ولكني أردت ذكر شواهد لما قلته من ولع السلفيين المعاصرين بتتبع أخطاء الآخرين، حتى لو لم تكن أخطاء، وتهويلها وتكبيرها وجعلها معاقد للموالاة والمعاداة والحق والباطل والإيمان والفسق، والانشغال بمعارك فكرية لا خير فيها ولا منفعة منها. وسوف أذكر بعض الشواهد دون التعليق عليها –كونها مفهومة– :

- "الوجه الثالث: قوله (والنجوم متناثرة في فضاء الكون) [1] خلال ما أخبر الله به من أنه جعلها زينة للسماء وأنه جعل في السماء بروجاً ولم يذكر أنه جعل النجوم متناثرة في فضاء الكون.. قوله (والشمس تدور حول نفسها) كلام باطل مخالف للكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى (قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) فلو كانت ثابتة تدور حول نفسها لما قال (يأتي بالشمس من المشرق) والذي لا يجري لا يؤتى به من المشرق إلى المغرب، فمن زعم أن الشمس ثابتة تدور حول نفسها فهو مكذب

---

(1) يعني قول سيد قطب، وهكذا كل ما يأتي بكلمة (قوله) يعني به مؤلف الظلال.

لكتاب الله عز وجل.."[1].

- "قوله (وهذه الشمس واحدة من مائة مليون في المجرة الواحدة التي تتبعها شمسنا)، كلام باطل، والقرآن والسنة لم يذكرا إلا شمساً واحدة، فعُلم أن المدعي لتعدد ذلك مُبطل.قوله (كمدار الأرض حول الشمس) كلام باطل من وجوه، الأول: قوله كمدار الأرض لا يصح بل الأرض ثابتة، كما دل على ذلك الكتاب و السنة والإجماع.. قوله (السابحة في الفضاء الوسيع)، إن كان قصده الأرض فهذا باطل، فإنها ليست سابحة بل هي ثابتة مرساة بالجبال.." [2].

" قوله (هذه الأرض التي نحيا عليها تابع صغير من توابع الشمس)، كلام لا دليل عليه فلا يُلتفت إليه لأنه من الظن، والظن لا يغني من الحق شيئاً.. قوله (فالمسافة بيننا وبين الشمس نحو ثلاثة وتسعين مليون الخ كلامه)، يقال: كل هذا هذيان وظن ومن[3] الذين وصل إلى الشمس حتى قاس الذي بيننا وبينها.." [4].

" قوله (وجرت الأرض في مدارها حول الشمس في دائرة الشمس مركزها)، كلام باطل، بل الأرض هي المركز، كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الرسالة العرشية"[5].

"قوله (ثم جاء زمان يقال لهم الآن: إن أرضهم هذه إن هي إلا كرة صغيرة سابحة في فضاء مطلق)، يقال: هذا باطل لأسباب، السبب الأول: أن هذا قول مُحدث خارج عن

---

(1) المورد الزلال ، ص 164-166.

(2) السابق، ص 172-173. ولم يقل سيد قطب أن الشمس ثابتة بل قال تدور حول نفسها كما تدور مع المجموعة الشمسية.

(3) أنقل كلامه كما هو، مع ما فيه من أخطاء.

(4) السابق، ص 191.

(5) السابق ، ص 197.

قول سلف الأمة وأئمتها وإجماع المسلمين.." [1] .

" قوله (وتسبح –أي الأرض– مع هذا حول الشمس بسرعة ثابتة، ولا تطلع وتغرب إلا بدوران الأرض حولها)، وهذا كفر وتكذيب لصريح القرآن والسنة.." [2].

وعند قوله تعالى (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً) من سورة تبارك، فإن المؤلف السلفي يذكر الآيات القرآنية الدالة على ثبوت الأرض وأقوال المفسرين من علماء السلف فيها بما يدل على ثبوت الأرض[3]، ثم يقول: " قلت: قد زعم أهل الهيئة الجديدة ومن يقلدهم ويحذو حذوهم من المسلمين أن الأرض تسير في الثانية أكثر من ثلاثين كيلو متراً، وأنها تقطع في اليوم الواحد أكثر من خمسمائة ألف فرسخ، ولو كان الأمر على ما زعموه من سير الأرض بهذه السرعة الهائلة لما كانت ذلولاً للخلائق ولا فراشاً ولا مهداً، ولما استقر على ظهرها شيء من البناء والشجر فضلاً عن الحيوانات، وذلك لشدة مخرها للهواء وبشدة صدم الهواء لوجهها، واعتبر ذلك بالطائرة النفاثة التي لا تبلغ في سرعة سيرها عشر العشر مما زعموه في سرعة سير الأرض، هل يقول عاقل أنه يمكن أن يستقر حيوان على ظهر الطائرة النفاثة وهي سائرة ؟ كلا، لا يقول ذلك عاقل أبداً، وإذا كان استقرار الحيوانات على ظهر الطائرة في حال سيرها مستحيلاً فكذلك الاستقرار على ظهر الأرض لو كانت تسير بالسرعة الهائلة التي زعموها بطريق الأولى، ولما كانت الأرض ذلولاً للخلائق وفراشاً ومهداً لهم، دل ذلك على أنها ثابتة ساكنة، فهذه الآية

---

(1) المورد الزلال ، ص 200.

(2) السابق ، ص 224-228.

(3) وكل الآيات القرآنية وما استدل به في تفسيرها من كلام المفسرين كالقرطبي وابن كثير والبغوي والشوكاني وغيرهم ، لا تدل إلا على كون الأرض ثابتة من الاضطراب والحركة وكونها قراراً للأحياء البشرية ، وليس فيها ما يفيد نفي حركة الأرض ككتلة في الفضاء ، كما يزعم الشيخ/ السلفي الذي اعتبر ذلك كفراً وتكذيباً لصريح الكتاب والسنة.

والآيات الخمس قبلها من أوضح الأدلة على سكون الأرض وثباتها"[1].

ثم ذكر ستة عشر حديثاً نبوياً ليدلل على عدم حركة الأرض وعدم دورانها، فيقول: " وأما الأحاديث الدالة على استقرار الأرض وسكونها، فالأول منها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت) الحديث رواه الإمام أحمد والترمذي وهذا الحديث نص في استقرار الأرض وسكونها"[2].

ثم في فصل كامل يذكر الإجماع على وقوف الأرض وسكونها فيقول: "..وقد قرر ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه مفتاح دار السعادة أن الأرض واقفة ساكنة، وقرر غيره من أكابر العلماء، ولا أعلم عن أحد من سلف الأمة وأئمتها خلافاً في ذلك، وإنما خالف في ذلك أهل الهيئة الجديدة من فلاسفة الإفرنج كونبريك البولوني وهرشل الإنجليزي وأتباعها ومن نحا نحوها من العصريين، فهؤلاء هم المخالفون في ثبوت الأرض واستقرارها من المتأخرين، وأما المخالفون في ذلك من المتقدمين فهم الدهرية وفيثاغورس وأتباعه من اليونان ، ولا عبرة بخلف هؤلاء الذين أشرنا إليهم من المتقدمين والمتأخرين ، ولا ينبغي للمسلم أن يغتر بأقوال أعداء الله، ولا يصغي إلى تخرصاتهم وظنونهم الكاذبة، ولا يعتد بأقوالهم الفاسدة وتوهماتهم الخاطئة ولا ينبغي أن يصغي إلى أقوال الذين يقلدونهم ويحذون حذوهم من المسلمين"[3].

ثم ذكر فصلاً مستقلاً (في ذكر أدلة عقلية على ثبات الأرض واستقرارها): فقال "

---

(1) السابق ، ص 259.

(2) السابق ، ص 264 وليس في الأحاديث التي أوردها ما يدل على عدم حركة الأرض ودورانها، بل تدل على عدم اضطراب الأرض على القشرة الأرضية، وكما تفيد الأحاديث النبوية تذليلها لتسهل حركة المخلوقات فوقها.

(3) السابق، ص 276

من ذلك ما هو شاهد من سير السحاب المسخر بين السماء والأرض، فإنا نراه عندنا في البلاد النجدية [1] في فصلي الشتاء والربيع وأكثر فصل الخريف يأتي في الغالب من المغرب ويذهب نحو المشرق وفي بعض الأحيان من جهة الشمال ويذهب نحو الجنوب ويأتي أيضاً من جهة الجنوب ويذهب نحو الشمال وربما أتى من ناحية المشرق وذهب نحو المغرب، وفي فصل الصيف، وهو الذي تسميه العامة القيظ، ليس له اتجاه معتاد بل يأتي من المشرق ومن المغرب ومن الجنوب ومن الشمال، وفي نواحي الحجاز يأتي في الغالب من جهة القطب الجنوبي ويذهب نحو القطب الشمالي، وربما أتى من جهة المشرق وذهب نحو المغرب وبالعكس، وربما أتى من جهة الجنوب وذهب نحو الشمال وبالعكس، وسيره من جميع الجهات متقارب لا يختلف بعضه عن بعض بالسرعة إلا بسبب ريح شديدة تسوقه ولو كانت الأرض تسير كما يزعمه أهل الهيئة الجديدة لاختلف سير السحاب بسبب سير الأرض ولكان اتجاهه دائماً إلى جهة المغرب بعكس سير الأرض ولم يذهب إلى جهة المشرق أبداً لأن الأرض تفوته بسرعة سيرها، فقد زعم المتأخرون من أهل الهيئة الجديدة أنها تسير في الثانية أكثر من ثلاثين كيلو متر وأنها تقطع في اليوم الواحد.. ومن ذلك ما يسره الله في زماننا من وجود المراكب الجوية التي تخترق الهواء في جميع أرجاء الأرض، فإن سيرها من المشرق إلى المغرب مثل سيرها من المغرب إلى المشرق.. ومثل ذلك الطائرات فإنها تطير من المطارات وتذهب نحو المشرق و المغرب

---

(1) المؤلف سعودي الجنسية من بلاد نجد ، وكتابه هذا طبع سنة 1987م الموافق 1407هـ من مطبوعات مكتبة العليان، منطقة بريدة، وما قاله من آراء وأفكار ليست قاصرة عليه ، بل قال بها كثير من المشايخ والدعاة السلفيين، وتفاخروا بها، فقد جاء في كتاب (البيان والإيضاح لما عليه جامعة الإيمان) : (قلت : وما أدراك ماذا في (الظلال) من الضلال، فقد احتوى على أمور تخالف معتقد أهل السنة والجماعة، وقد ألف الشيخ عبد الله بن محمد الدويش رحمه الله تعالى كتاباً بعنوان " المورد الزلال في التنبيه على أخطاء تفسير الظلال" ومن هذه الأخطاء أخطاء عقائدية.. أضف إلى ذلك أخطاء العبادة أضف إلى ذلك أخطاء في مجالات الأخلاق والحكم والسياسة..) ص 90.

والجنوب والشمال .. ولو كانت الأرض تسير كما يزعمه أهل الهيئة الجديدة لما رجعت الطائرات إلى مطاراتها أبداً لأن الأرض تفوتها بسرعة سيرها. فإن قيل: إن الهواء تابع للأرض يسير بسيرها فلا تفوت الأرض إذا شيئاً مما يكون في الهواء فوقها، فالجواب أن يقال هذا من أبطل الباطل، لأن الهواء مستقل بنفسه وليس تابعاً للأرض، قال الله تعالى في سورة ألم تنزيل السجدة (الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) وقال تعالى.. [ويسوق آيات عديدة ثم يقول]: إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الهواء مستقل بنفسه وليس تابعاً للأرض، وكما أن كلاً من السماء والأرض مستقلة بنفسها وليست تابعة للأخرى، فكذلك الهواء مستقل بنفسه وليس تابعاً للسماء ولا للأرض، ولا يتصور أن يكون الهواء تابعاً لغيره إلا فيما يكون محجوزاً بالسقوف والجدران.." [1].

تلك المقتطفات السابقة[2] التي تبين بجلاء مستوى التفكير لدى هؤلاء السلفيين، والذين لم يكتفوا برفض قبول الحقائق العلمية، بل تجاوزا إلى ادعائهم مناقضتها للقرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع والعقل، حيث يقول: "فهذا ما يسره الله تعالى من الآيات والأحاديث الدالة على أن الشمس تسير وتدور على الأرض، وأن الأرض قارة ثابتة بخلاف ما يزعمه أهل الهيئة الجديدة من أن الشمس قارة ثابتة[3]، وأن الأرض تدور عليها، وحقيقة قولهم تكذيب الآيات والأحاديث التي ذكرناها واطِّراحها بالكلية وذلك هو الضلال البعيد ، وقد قال الله تعالى : (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق

---

(1) السابق، ص 277-280.

(2) وهناك نصوص كثيرة في كتاب (المورد الزلال) يرفض فيها المؤلف كثيراً من الحقائق والعلوم الحديثة، واقتصرت على ما ذكرته اختصاراً.

(3) لم يقل أحد من علماء العالم بعدم حركة الشمس ، وإنما كان ذلك في الأزمان السابقة ، وضمن تعاليم وعقائد رجال الكنيسة اللاهوتية التي أعدمت جاليليو وغيره من العلماء .

لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين) [1]. وقول أهل الهيئة الجديدة في الشمس والأرض دائر بين افتراء الكذب والتكذيب بالحق" [2].

والأعجب من ذلك أنك تجد السلفيين يطالبون بالدليل والبرهان، ويرفضون القول بغير علم وبمجرد الظن والخرص، ويرفضون في نفس الوقت الأدلة والبراهين العلمية المشاهدة لمجرد عدم ذكرها في القرآن والسنة، ويعللون رفضهم بكون تلك العلوم الطبيعية عُرفت واكتشفت من قبل علماء غير مسلمين –أعداء الدين– وبذلك يتجاهلون حقيقة أن الإسلام قد أكد أن العلوم الدنيوية حق مشاع وثروة مشتركة لجميع الأمم والشعوب والأجناس وليس فيها أي احتكار لأمة أو عرق أو نسل .. وكل تلكم الحقائق العلمية التي أثبتتها العقول البشرية إنما جاءت نتيجة سلوك المنهج العلمي القائم على البحث والملاحظة والتجربة ، فلا مجال لرفضها لكونها جاءت من غير المسلمين.

إن الدهشة والحيرة تسيطران على قارئ كتاب يرى فيه مؤلفه أن القول بدوران الأرض كفر وإلحاد ، وأن القول بوجود شموس أخرى في الفضاء يخالف الكتاب والسنة وأن إطلاق اسم الكوكب على الأرض ضلال ، وأن دوران الشمس حول نفسها كلام باطل، وأن المجموعة الشمسية دعوى باطلة لا دليل عليها، وغير ذلك من الأحكام والفتاوى التي يعلنها طوائف من السلفيين على لسان مشايخهم ، فكثير ما يشيد سلفية اليمن بهذا الكتاب وبمؤلفه في كتبهم ويتفاخرون بما فيه من علم على منهج السلف [3].

فالسلفيون في معاركهم الفكرية يرفضون الاعتراف بغير منهجهم وأساليبهم وتفكيرهم، فالكل سواهم ضال مبتدع منحرف، وهم وحدهم على الحق المبين الذي كان

---

(1) كُتبت الآية –حسب ورودها في الكتاب– (ومن أظلم من افترى ..) والصحيح ما أثبته [العنكبوت : 68] .

(2) المورد الزلال ، ص 274.

(3) وهذا هو السبب في استطرادي في ذكر منهج كتاب المورد الزلال .

عليه النبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح ! كما أن اختلافهم مع غيرهم هو لختلاف عقدي -حسب رؤيتهم- لا يمكن التحاور فيه أو الجدل حوله.. وأخشى ما أخشاه أن يكون هذا هو المنهج المتبع في حال انخراط هؤلاء في المعارك القتالية الجهادية .. فمسألة الاقتناع بالانخراط في جماعة جهادية للدفاع عن العقيدة وحفظ شعائر الدين قضية سهلة لا تحتاج إلى طول تفكير أو تردد، وإذا كانت مسألة الموقف السلفي من الحاكم المسلم وطاعته الواجبة وعدم الخروج عليه[1] تشكل مانعاً أمام الشباب السلفي وحاجزاً من الانتقال إلى ساحات القتال، فإن السلفيين الجهاديين كفيلون بما يمتلكونه من الأدلة ونصوص الكتاب و السنة وتاريخ الفكر السلفي ورجاله، لمحو أي تردد أو شك بأن المواجهة والقتال هو من صُلب العقيدة السلفية، وتأكيد أن القائلين بعكس ذلك قد خالفوا حقيقة السلفية، وانقلبوا إلى فرق مبتدعة منحرفة.

لقد قام السلفيون الجهاديون ببيان انحراف الفكر السلفي المسالم، ووصفوا أصحابه بالسكوت عن الباطل، ومداهنة الحكام وتجزيئهم للإسلام والانحراف عن العقيدة السلفية الصحيحة، فأصبحوا (طائفة من المرجئة) وليسوا سلفيين. فقال قائلهم: " وانظر أين بلغ الهوى والإرجاء بأصحابه، وانظر أين بلغ بالقوم تجزيئهم للإسلام، ونبذهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر السياسي ، وهو جزء من (الجهاد بالبيان) الذي يزعمون أنهم القائمون به!!

أما تعطيل الجهاد .. فيما وضعوه للجهاد من شروط معجزة وباطلة ليست في كتاب الله، وقد ضموا فيه صوتهم المُخذل إلى صوت المخالفين إمعاناً في اللوم والإرجاف

---

(1) تحدثنا سابقاً عن موقف السلفية من ذلك، وأنهم يرون السمع والطاعة للحاكم وعدم الخروج عليه، بل اعتبرها بعضهم جزءاً من العقيدة السلفية، رغم أن مسألة الحكم لا تخرج عن كونها إدارة بشرية لأمور الدولة، والأساليب الإدارية ليست ديناً ولا عقيدة.

والتشغيب على الطائفة المنصورة "[1].

ثم يسخر السلفيون الجهاديون من شيوخ السلفية الذين أخلدوا إلى السكون والدعة وسكتوا عن الباطل، عندما قال أحدهم: " ولك أن تستقرئ الآيات التي جاءت مكملة لآية الأمر بالإعداد وموضحة، لتعلم أن أفضل الجهاد اليوم -في وهننا الذي نحن فيه- هو الإمساك عن الجهاد"[2]. ويأتي الرد على هذا التلبيس السلفي: " لكن ، لعل شيخ القوم[3]، نسي النصوص الناطقة بدوام الجهاد، وعدم انقطاعه، فهو على ذلك يؤمن -على الأقل- بوجوب الإعداد!! ويقطع الشيخ تعجبنا، ويذهب بأملنا فيهم، كاشفاً حقيقة أدعياء السلفية بقوله عقب (آية الإعداد)، ومن أنعم النظر في هذا النص يرى أنه ينطق بوجوب الإمساك عن الجهاد حتى يكون الإعداد على تمامه[4]، وقد يكون الإعداد في ترك الإعداد، إذ الإعداد يقصد به إرهاب أعداء الله.. هذه هي السلفية! [5]

ولقد طالب السلفيون الجهاديون إخوانهم من أتباع السلفية المسالمة أن يعترفوا بأن هذا الأمر من أمور الاجتهاد، ليكفوا بذلك عن تضليل أهل الجهاد، وإلا فهم أحق بالضلال لسببين:

أ- تلبسهم بالإرجاء والعلمانية المقنعة والحزبية المقيتة .

ب-تعطيلهم للجهاد بأنواعه، وقياسهم واقع اليوم على واقع السلف، مع أن الفارق بين

---

(1) (عقيدة أدعياء السلفية) ، ص 11-12.

(2) (هي السلفية) ، ص 204 . لمؤلفه الشيخ محمد ابراهيم شقرة .

(3) يقصد محمد شقرة .

(4) جاء في حاشية الكتاب تعليقاً : " تأمل قول هذا الدعي ، ثم استمع إلى قول الحافظ ابن كثير في تفسير آية الإعداد (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) أي مهما أمكنكم ، فلا تعجب بعد هذا أن يكون أدعياء السلفية حرباً حتى على من يجاهد لدفع اليهود والضرب عن بلاد المسلمين.

(5) المصدر السابق، ص 13.

الواقعين لا يغيب إلا عن جاهل أو متلبس بالإرجاء، والحمد لله رب العالمين.[1]

" فإن حاجك أحد أدعياء السلفية بأن السلف كانوا لا يرون النهي عن المنكر باليد!! ويعتبرون فاعل ذلك من الخوارج! فقل له: هب أن ذلك صحيح بالنسبة لزمن واقع السلف، فهل يصح بالنسبة للواقع الذي أُعلنت فيه الحرب على شرع الله، وبُغي فيه على القائمين بالحق تقتيلاً وتشريداً ؟ ثم هل ما يزعمه أدعياء السلفية عن السلف صحيح ؟ أجب أولئك الأدعياء بما يلي، فسيُبهتون، ولن يحيروا جواباً لما يزعمون.

إننا نجد في كتابات السلفية الجهادية وردودها على السلفية المسالمة نفس الأسلوب والاستدلالات التي استخدمها السلفيون غير الجهاديين لإثبات ضلال وانحراف غير السلفيين عن العقيدة وأصول الدين. فالجهاديون يرون أن هؤلاء الذين يزعمون أنهم سلفيون ؛ هم في الحقيقة مخالفين لعقيدة أهل السنة والجماعة فعقيدتهم عقيدة (المرجئة) في باب الإيمان ، كما أنهم في باب الكفر يخالفون أهل السنة فعقيدتهم عقيدة الجهمية".

والحقيقة أن أصل الخلاف وأساسه الواقع بين الفريقين هو مسألة (الحاكمية)، و لهذا نجد أحدهم يقول: " والأدهى والأمر أنهم بدلاً من أن يكون لهم موقف إنكار انحرافات هؤلاء الحكام المعاصرين الظاهرة، التي لا يخطئ مسلم –من عالم ولا عامي– في الحكم بحرمتها وخروجها عن نهج الإسلام.. بدلاً من هذا نراهم لاشغل لهم (أو على الأقل أكبر شواغلهم) إلا المنافحة عن هؤلاء الحكام والمجادلة عنهم، ومخاصمة من يُخطئهم واللدد في الخصام !![2]

فتؤكد السلفية الجهادية أن لا عصمة للحكام: "لازلنا نجيب على سؤال السائل

---

(1) السابق ، ص 15.

(2) (ألف باء الحاكمية والإرجاء) للشيخ محمد مصطفى المقرئ، ص 5.

المستنكر تكفير الحكام .. إنه لا عصمة إلا للأنبياء عليهم السلام، وأن الكفر وارد حصوله ممن سواهم ، إلا من شُهد لهم بالجنة . فاستفهام المستفهم في قوله (لماذا تكفرون الحكام؟) إن قصد به الإنكار المطلق ، فهو غلط.. وقد سمعت من بعضهم ذلك بصيغة الإخبار لا الإنشاء، حيث يقول لا يجوز تكفير الحكام، وتلك مغالاة لا تصح إلا في حق الأنبياء.. فنفى احتمال صدور الكفر من الحكام، والمنع من ورود التكفير عليهم بإطلاق ، فاق فيه أصحابه غلاة الرافضة والصوفية، والذين أفرطوا في إطراء أئمتهم وتقديس شيوخهم حتى جعلوهم معصومين، بل هؤلاء زادوا عليهم، حيث جعلوا الحكام فوق المؤاخذة والإنكار.. وراجع كتاباتهم ضد الإسلاميين.

وإذا كنا نذم في المبتدعة مغالاتهم في أئمتهم، رغم أن فيهم صالحين، بل فيهم من هو من أتقى المؤمنين كالامام محمد الباقر وولده الإمام جعفر الصادق وغيرهم، فقد غالى متعصبة الحكام في أئمتهم، وعصموا من الكفر ولاتهم، مع ظهور خروجهم على الشرع، واستبدالهم للتشريع، وتلبسهم بأنواع من الكفر الغليظ، فوالذي نفسي بيده لو كان مثل هؤلاء المنتحلين لإمامة المسلمين في زمن الأئمة من السلف؛ لحظر الأئمة على الناس أن يدفنوهم في مقابر المسلمين، ولا حتى في مقابر الذميين، والله المستعان وعليه التكلان.."[1].

ويتهم السلفيون الجهاديون أتباع السلفية المسالمة للحكام بقصور النظر والجهل في فهم النصوص الشرعية بالإضافة إلى عدم امتلاك المنهج الفكري والتربوي الشامل، مما أوقعهم فيما وقعوا فيه من الانحراف عن العقيدة السلفية الصحيحة؛ كما أنهم يتهمونهم بالتلبيس والمغالطة عند نقل كلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهما من علماء السلف وذلك لتدعيم أباطيلهم وتأييد بدعهم، ثم إنهم بعد ذلك كله قد خالفوا الأخلاق الإسلامية نتيجة نبزهم

---

(1) السابق، ص 10-12. وبهذا ترى أن السلفية الجهادية ترى أن هؤلاء الحكام أكفر من اليهود والنصارى ، وهذا ما أكده منهج جماعة القاعدة المسمى (العمدة في إعداد العدة).

للمخالفين بألفاظ تجرح القارئ وتخل بالأدب.

"ولا خلاف في وجوب البدء بالتربية، ولكن الخلاف في نوع التربية، أهي التربية الشمولية القائمة على عقيدة أهل السنة ومنهج الأنبياء في المدافعة والصدع بالحق ؟ أم هي التربية القائمة على عقيدة الإرجاء والتخذيل ؟!"[1]. " لقد نُصح أدعياء السلفية كثيراً بعدم التهجم على فهم النصوص، لأنهم أهل حفظ وتحقيق، وليسوا أهل فقه ونظر.."[2]. "هؤلاء الذين يتعاملون مع تراثنا الفقهي بانتقائية جائرة، وهم إن كانوا ينتصرون بذلك لآراء معظمين فيهم، فهي نصرة تصب في نهاية الأمر بروافد الطواغيت الآسن النجس، بل منهم من ينتصر للطواغيت رأساً، وإنا لله وإنا إليه راجعون"[3].

ويبدو الخطاب السلفي الجهادي أكثر سهولة في فهمه وتقبله لدى القاعدة العريضة من السلفيين لملامسته للرغبات الدفينة في نفوس الشباب، ولقوة حجته وبليغ استشهاده بالنصوص الشرعية وأقوال العلماء السلفيين وعدم معاداته للآخرين من الجماعات الإسلامية وعلماء المسلمين ومفكريهم[4]، حيث تجد في الكتابات السلفية الجهادية دفاعاً

---

(1) (عقيدة أدعياء السلفية) ، ص 14. عقيدة الإرجاء تتلخص في أنها تعني أنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وأن الأعمال ليست داخلة في مسمى الإيمان ، وأن الإيمان لا يتبعض وأن مرتكب الكبيرة كامل الإيمان غير معرض للوعيد ، لأن العمل عند المرجئة لا يدخل فيما يصح به الإيمان وإنما يدخل فيما يكمّل به فقط ، أو بمعنى آخر : إن العمل عند المرجئة ليس شرطاً في صحة الإيمان ، بل العمل شرط كمال الإيمان وليس من لوازم الإيمان. وقد ظهر الفكر الإرجائي كردة فعل لما قاله الخوارج بكفر مرتكب الكبائر ، ولهذا لجأ الخوارج إلى العنف في معارضتهم للحكام ، لكن المرجئة رفضوا اعتبار مخالفة الحكام للشريعة سبباً شرعياً يسوغ الخروج على الحكام وإبطال بيعتهم .

(2) السابق، ص 120.

(3) (ألف باء الحاكمية والإرجاء) ، ص 76.

(4) بخلاف الخطاب السلفي غير الجهادي ، حيث أعلنوا عداوتهم للجماعات الإسلامية وعلماء المسلمين وانشغلوا بالرد عليهم وتضليلهم ، كما سبق وأشرنا.

شديداً عن العلماء والكتاب الإسلاميين، بل والاستشهاد بأقوالهم وآرائهم لتأييد الفكر الجهادي[1]. ولا شك أن تلك مزية استطاع السلفيون الجهاديون أن يظهروا بها أكثر اعتدالاً من غيرهم الذين عادوا واستعدوا الجميع، وبهذا -أيضاً- ضمنت السلفية الجهادية (القاعدة) استمرارية تغذيتها بالإتباع والأنصار الذين سيوسعون قاعدتها البشرية التي ستكون المواجهة بهم في المستقبل؛ فلا تفنى كما فنيت غيرها من الجماعات الجهادية. ومن المعلوم بأن السلفيين جميعهم يحاربون البدع ويرفضون المحدثات في الدين، وتلك من أهم القضايا التي يناضل في سبيلها كل سلفي! ولهذا فإن الخطاب السلفي الجهادي نجده يستثير العاطفة السلفية تلك لإثبات منطقية كفر الحكام، " وإذا كنا نحكم بالبدعة على من يحدث في الشعائر ونحوها أمراً و لو قليلاً، فكيف يتفق أن نهون من انحراف من يحدث في شرائع الله كل هذا الهول الذي نراه من تغيير وتبديل، بل وتنحية كاملة للشرع وإحلال للقوانين الوضعية محله !" [2].

وكما أن الجهمية مذهب عقائدي متفق على بطلانه ومخالفته للعقيدة السلفية[3]، ولذلك فإن السلفيين غير الجهاديين يلجون من خلال تلك القناعة فيعلنون عداءهم لهذا الفكر المذموم والبغيض لدى كل سلفي، مما يسهل الاقتناع بأحقية السلفية الجهادية بأن توصف بأنها (الطائفة الناجية)، " وأما موافقتهم الباطل، فلأن لازم قولهم: موافقة جهم وأصحابه

---

(1) ومن هؤلاء الشيخ سيد قطب والشيخ محمد بن سرور زين العابدين بالإضافة إلى قادة الإخوان المسلمين كالشيخ سعيد حوى والشيخ يوسف العظم والأستاذ عبد القادر عودة وغيرهم ممن لايذكر السلفيون غير الجهاديين أقوالهم إلا للاستشهاد على ضلالهم وانحرافهم .

(2) (ألف باء الحاكمية والإرجاء) ، ص 91.

(3) وهي المذهب المنسوب للجهم بن صفوان ، ويسمى أيضاً (الجبرية) لأنهم يرون أن الإنسان مجبور على فعله وحركاته ، وأن أفعاله اضطرارية ، وأن إضافة هذه الأفعال والحركات إلى الإنسان إنما هو من باب المجاز ؛ لأن الله تعالى هو الفاعل لتلك الأفعال والإنسان ليس له قدرة ولا إرادة ، كما أن الإيمان عند الجهمية هو مجرد تصديق بالقلب مع العلم فقط.

الذين جعلوا الإيمان مجرد تصديق وعلم فقط، فإنه –والله– لشر من قول جهم وأصحابه قول من لا يحكم على أمثال هؤلاء بالكفر في الدنيا أيضاً متذرعاً بأنهم مؤمنون في الباطن ما داموا قد نطقوا بالشهادتين، وإن فعلوا أضعاف ما فعله من أشار إليهم ابن تيمية، وأعجب أمرهم أنهم ينقضون غزلهم الوهن حين يجعلون النطق بالشهادتين دليلهم على إيمان الباطن الذي يزعمونه، فيسقطون اعتبار ما يصدر عنهم من أقوال وأفعال كفرية ظاهرة، ويعتبرون ما يصدر عنهم من أركان الإيمان وشعبه الظاهرة على الرغم من وجود ما ينقضها!" [1]." والغريب المستغرب في زماننا هذا، أن يُثبت أناسٌ الإيمان لقوم ما يتمثلون خُلة واحدة من خلاله، ولا يتصفون بخصلة واحدة من خصال أهله، وإن تعجب فعجب قولهم (لا نكفر من شهد الشهادتين) ولو كان ذلك الشاهد لم يدع خلة من خلال الكفر ولا ضلالة من ضلالات أهلها إلا أتاها!

أفيكون الإيمان مجرد دعوى يدعيها من يشاء، وإن لم يقم بحقها ولم يؤد ما عليه فيها ؟ بل هؤلاء جعلوا الشهادتين حصانة لمتكلفها، يحتمي بها في الإسلام و هو يهدمه !! [2] " الذين يحصرون وجوه تكفير الحاكم المستبدل في الجحود، وقعوا في أكثر من خطأ علمي فاحش .. أن قولهم هذا من شأنه أن يفتح باب التهاون والاجتراء على الشرع على مصراعيه ليلج منه كل متلاعب أو زنديق، حاملاً حصانة لا تكلفه إلا الإقرار بالأحكام، ثم ليعبث بها كيف يشاء، وفي حالتنا هذه (على مذهب هؤلاء) [3] لا يُطالب الحاكم إلا بعدم جحد فرضية الشريعة ثم ليحكم بما شاء من علمانية أو شيوعية أو أي ملة شيطانية.

أولم يكفهم تنحية هؤلاء الحكام لشريعة الله، وإحلالهم قوانين الضلال محلها، وهذه

---

(1) السابق، ص 19.

(2) (ألف باء الحاكمية والإرجاء) ، ص 31-32. تأمل كيف عبروا من باب إبطال عقيدة الجهمية إلى تأكيد كفر الحكام .

(3) يقصد السلفيين المسالمين . المقتنعين بعدم كفر الحكام.

الحرب المعلنة والخفية على الشريعة ودعاتها التي لا تتوقف رحاها، أليس ذلك أشنع من الجحد المحض الذي هو مجرد اعتقاد قلبي لا يتبعه عمل ولا غيره ؟ قلت: ألا يدل حال حكامنا المعاصرين على أنهم أكثر من جاحدين؟!" [1].

"ولا يخالفنا المخالف في أن من استحل محرماً واحداً مُجمعاً عليه كان كفره مُجمعاً عليه كذلك، فكيف بمن استحل المحرمات جميعها.. إما من جهة رفع الحظر عنها وعدم العقوبة عليها كالخمر والميسر والزنا والربا والتبرج وكترك الواجبات كأداء الصلاة بل إقامتها ، وإيتاء الزكاة وصيام رمضان و تنفيذ الحدود.. الخ ، وإما من جهة أنه لم يُحرم القليل المُحرم إن وُجد كالمخدرات والسرقة، على سبيل التعبد واتباع التشريع المنزل، وإنما لموافقته لهواه ، أو لكونه لا يبالي أصلاً و افق التشريع أو خالفه"[2].

ويكشف السلفيون الجهاديون عن سر الاختلاف بينهم وبين إخوانهم الذين أعلنوا شرعية ولاية الحكام وعدم جواز الخروج عليهم بأنه " اضطرار أدعياء السلفية إلى اعتناق مذهب كالجهمية حتى يتمكنوا من إضفاء الشرعية على الواقع وعلى أسلوب دعوتهم الذي ينحصر في العلم والتعلم ، ويتمكنوا من نزع الشرعية عن مخالفيهم ، وتضليلهم ووصفهم بأنهم خوارج !" [3].

وقد ذكرت أن جماعة القاعدة السلفية ابتعدت عن استعداء ومعاداة الجماعات الإسلامية وعلماء المسلمين، بل والشارع الإسلامي عموماً، فبدت أكثر ليونة واعتدالاً من التيار السلفي التقليدي الذي انشغل بمهاجمة غيره من المسلمين مما أدى إلى انقسام واختلافات بين السلفيين أنفسهم فأصبحوا جماعات وفرقاً يعادي بعضهم بعضاً، كما

---

(1) السابق، ص 60-62.

(2) السابق، ص69.

(3) (عقيدة أدعياء السلفية في ميزان أهل السنة والجماعة) ، ص 87.

استطاع السلفيون الجهاديون أن يتخلصوا من العقدة التي اشتهر بها السلفيون، وهي رفضهم للأخذ باجتهادات علماء المذاهب الأربعة المشهورة[1]، بحجة رفضهم للتقليد، فيعلن السلفيون أن أولئك العلماء رجال ونحن رجال[2]. وأنهم لا يأخذون الدين إلا من الكتاب والسنة الصحيحة ولا يلزمهم تقليد الآخرين وإن كانوا أئمة وأهل علم، ولذلك لا تجدهم يستشهدون بأقوالهم وآرائهم إلا قليلاً ؛ وفيما يوافق ما يقولون به ويدعون إليه، أما السلفية الجهادية فقد امتلأت مؤلفاتهم بأقوال علماء الأحناف والشافعية والمالكية والحنابلة.

وفي حين يرى السلفيون غير الجهاديين أن (البيعة) بدعة مرفوضة، نجد السلفية الجهادية تحكم بشرعيتها بل وضرورتها لإقامة الجماعة المدافعة عن الدين، فجاء في منهج القاعدة " فعلى المسلمين أن يختاروا أحدهم للإمارة ولا يصح أن يعملوا بدون إمارة .." [3]. وقد عقد العمدة فصلاً كاملاً للرد على شبهات السلفيين القائلين بعدم جواز البيعة والإمارة [4]، كما جاء " السمع والطاعة حق وإن ارتكب الأمير بعض الأخطاء الشرعية.. إن ارتكاب الأمير لبعض الأخطاء ليس مبرراً للخروج عليه والسعي في خلعه عن إمرته .." [5]. وتلك عقدة سلفية أخرى استطاعت القاعدة تجاوزها.

كما قدمت السلفية الجهادية اجتهادات سلفية تخالف أختها؛ إذ ترى وجوب الإعداد للجهاد وفرضيته، وعدم جواز تأجيله. فقالوا: " إذا اكتمل للمسلمين الإعداد الإيماني -قدر الاستطاعة- مع مظنة الظفر فيجب الشروع في الجهاد، ولا يؤجل من أجل الإعداد

---

(1) وجاء في العمدة (والتقليد المذهبي جائز وليس بواجب على كل أحد) ، ص 347.

(2) هذه المقولة (هم رجال ونحن رجال) مشهورة عند السلفيين غير الجهادين.

(3) العمدة، ص46.

(4) تحت عنوان (الرد على شبهة متعلقة بالإمارة) يرد أحد مشايخ السلفية وهو الأستاذ علي حسن بن عبد الحميد ، وكذلك للرد على ما قاله الشيخ الوادعي ، وقد ذكرت ذلك في موضع آخر بالتفصيل .

(5) العمدة، ص 360.

الإيماني . وهذا معناه أنه عند العجز عن الجهاد يجب السعي في الإعداد المادي والإيماني معاً ". " إذا عجز المسلمون عن ذلك وجب الاستعداد .."، " ولا يمنع المسلمين من الجهاد إلا العذر، ويجب الإعداد حينئذ.." ولهذا فهم يقررون أن الأمة المسلمة أمة مجاهدة، و"أن التدريب العسكري واجب وتجب المواظبة عليه، "والتدريب العسكري واجب على كل مسلم، وجوبه على كل مسلم من غير ذوي الأعذار الشرعية.. ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب، كذلك فإن التدريب جزء من الإعداد الواجب بقوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة). " والخلاصة أن أهمية التدريب العسكري تأتي من كونه أحد صور الأعداد للجهاد ، والجهاد هو طريق الخلاص للمسلمين من غضب الرب سبحانه وتعالى، ومن حياة الذل والمهانة التي يحيونها في هذا الزمان"[1].

ونوجز ما سبق أخيراً بالقول إن السلفية الجهادية استطاعت الاستفادة من المسائل والقضايا الفقهية وتسخيرها لتوسيع قاعدتها البشرية ومواردها المالية ووسائلها الإعلامية. فعندما ناقشوا مسألة (أصحاب الأعذار الشرعية) قرروا أن (عدم وجود النفقة) أي العجز عن الخروج للجهاد بسبب العجز من جهة المال، وهي مسألة متفق عليها في الفقه الإسلامي . لكن طريقة عرض هذه القضية لم تكن بالأسلوب الفقهي المجرد -كما هو في كتب الفقه- فنجدهم بعد أن ذكروا " من كان ذا رغبة صادقة في التدريب والجهاد، وعجز عن الوصول إلى ساحات الجهاد بسبب أحد الأعذار الشرعية المذكورة سابقاً، أو بسبب إكراه أو حبس ، فإني أرجو أن يكتب الله عز وجل له أجر الجهاد كاملاً ..". ولكن استحقاق الثواب العظيم الذي يناله المجاهد لابد له من: " شروط رفع الحرج واستحقاق الثواب لأصحاب الأعذار"، وهذه الشروط حسب الآية الكريمة من قوله تعالى (ليس على

---

(1) بل لقد أوجبوا التدريب على المرأة أيضاً، " إنه إذا وجب الجهاد على المرأة في حالة معينة، فقد وجب الاستعداد لذلك بالتدريب على استعمال السلاح..".

الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لايجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم) [التوبة: 91] . فالآية ذكرت النصح لله ورسوله والإحسان ؛ فليس على أصحاب الأعذار حرج – أي إثم ومؤاخذة – إذا قعدوا ونصحوا في حال قعودهم ، وهم محسنون في حالهم هذا –كما جاء في تفسير الأية.

ولنتأمل كيف تناولوا ذلك: " ويمكن ترجمة هذا عملياً في أمر الجهاد، بأن الواجب على أصحاب الأعذار هو ما يلي:

1) **إخلاص النية وصدقها:** بأن تكون نفسه توّاقة حقاً للجهاد.. والحق أن المعذور الذي لا يغزو إن لم تحدثه نفسه بالغزو فإنه يُخشى عليه من النفاق.. والنية عمل فهي من أعمال القلب، والعمل الصحيح لابد أن يسبقه العلم الصحيح، والعلم المقصود هنا هو أن يعلم المعذور –أولى منه الغازي– لماذا يجاهد المجاهدون، وأحقية قضيتهم وبطلان قضية خصومهم، وهذا لازم..

2) **الدعاء:** من أعظم ما يعين به المعذورون إخوانهم الغزاة هو الدعاء لهم بالنصر ولعدوهم بالخذلان..

3) **النفقة في سبيل الله:** أصحاب الأعذار غير الفقراء يجب عليهم الجهاد بالمال، بتجهيز الغزاة وإمدادهم بالمال والسلاح والمؤن، وبرعاية أسر المجاهدين والشهداء والأسرى..

الدعاية لقضية الجهاد: ببيان الحق الذي يقاتل عليه المجاهدون ووجوب نصرتهم على المسلمين، وببيان الباطل الذي عليه المشركون، و ما يرتكبونه من فضائح ضد المسلمين، وببيان المخططات الشيطانية لصرف المسلمين عن دينهم وكيفية التصدي لها. وهذه الدعاية ممكنة ليستطيعها كل مسلم خاصة أصحاب الأعذار والمرض

والضعفاء، وهي جهاد باللسان

تحريض المؤمنين على الجهاد: وهذا واجب على القادر والعاجز، وعلى كل مسلم أن يحرض إخوانه على قتال المشركين، ونحن في زمننا هذا أحوج ما نكون للعمل بهذه الآيات، وفي هذا أجر عظيم..

4) **النصح للمسلمين والمجاهدين:** وله صور لا تُعد ولا تُحصى، فمنها نقل أخبار المشركين ومخططاتهم إلى المسلمين ليحذروها.. ومن النصح للمجاهد أن تعينه على التخفي من عدوه، وتساعده في ذلك ما استطعت، إذا احتاج إلى ذلك، ومنها تزويد المسلمين بكل ما يعينهم على قتال عدوهم من معلومات وخبرات، مع كتمان أسرار المسلمين.

5) **تخذيل المشركين:** من خالط المشركين من المؤمنين لعذر شرعي عليه أن يُخذل المشركين عن إيذاء المسلمين وقتالهم ما أمكنه ذلك .. وتخذيل المشركين يقتضي بالضرورة عدم إعانتهم بأي كيفية على المسلمين، فإن فاعل هذا قد يؤول به فعله إلى الكفر ..".

فتأمل هذا العرض الذكي البارع، وكيف جعلوا من شروط استحقاق الثواب واجبات لازمة، لا عذر في تركها، وكيف جعلوا من عدم الحرص على فعل تلك الواجبات وتركها نفاقاً وكفراً، وإذا أمعنا النظر في تلك الشروط والواجبات لوجدنا أن تنظيم القاعدة استطاع- وبذكاء فائق- أن يوجد جيشاً احتياطياً يمده ويُغذيه ويدعمه، وإذا كان الذين يمارسون الجهاد الميداني مئات أو ألوفاً، فإن هذا الجيش الاحتياطي لا يمكن أن يُحصى عدده، وأدوار منتسبيه لا تقل أهمية وخطورة عن دور المجاهد في الميدان، فإليهم أوكلت مهام النفقة والاستطلاع والتجسس وإعداد الراغبين للالتحاق بالمقاتلين، بالإضافة إلى الدور الإعلامي

الهام الذي لايمكن الاستغناء عنه. وكل جيش يريد ضمان تحقيق النصر على عدوه لابد أن يحتوي على تنظيمات إدارية، والتي منها إنشاء إدارة خاصة لتوفير المعلومات اللازمة لأي نجاح عسكري، وتُسمى في العُرف العسكري (إدارة الاستطلاع) وهذه هي التي استطاع تنظيم القاعدة أن ينشئها من خلال (أصحاب الأعذار) والذين سيقومون بمهام التموين والإمداد، فيؤمنون الاحتياجات المادية اللازمة لاستمرارية المواجهة.

إن تنظيم القاعدة استطاع – من خلال هذه القضية وغيرها- أن يوكل مهمة الأعمال اللوجستية إلى مئات الملايين من المسلمين ليقوموا بها، وهذه المهام اللوجستية يُخصص لها عشرات الملايين من الأعداد ما يتراوح إلى النصف أو الثلاثة أرباع من مجموع القوى المقاتلة المتحركة ، ويُخصص الباقون للقتال[1].. وبهذه النظرة فإن تنظيم القاعدة فاق كثيراً من جيوش العالم لوجستياً ، بما في ذلك الجيش الأمريكي والبريطاني .

ومن المسائل والقضايا الفقهية التي اهتمت بها السلفية الجهادية وقدّمت فيها قراءات واجتهادات تدعمها ، مسألة (النفقة في سبيل الله).

إنهم يدركون أهمية المال في عملية المواجهة، "والمال هو عصب الحرب، وهو مدد الجيش، وهو أهم من الجهاد بالسلاح، فبالمال يُشترى السلاح، وقد يُستأجر الرجال، كما يحصل في الجيوش الحديثة من الفرق الأجنبية.. وكذلك من جانب آخر قد يُجاهد بالمال من لا يستطيع بالسلاح كالنساء والضعفاء.. وإذا تأملت آية الأمر بالإعداد وهي قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) تجدها قد خُتمت بالنفقة، مما يدل على أهمية المال للإعداد للجهاد.." [2]. ولذلك فـــ"هذا يعني باختصار أنه إذا كان لا مال فلاجهاد، ويعني

---

(1) وقد ذكر بعض الخبراء العسكريين أن الجيش الأمريكي خُصص رُبعه للقتال وثلاثة أرباعه لمهام وأعمال غير قتالية.

(2) والعمدة ص 36-37.

أيضاً. أن حبس الأغنياء أموالهم عن المجاهدين معناه الصد عن سبيل الله تعالى، وإعلاء سلطان الكافرين، وحبس الأموال عن أهل الإيمان والجهاد هو من صفة المنافقين"[1]. ثم تأمل كيف يقرر الوجوب بقوله: "يجب على المسلمين تجهيز كل من يريد قصد ميادين التدريب والجهاد بالمال والسلاح، و يجب على المسلمين كفالة أسر المجاهدين خاصة أسر الشهداء والأسرى والجرحى والمعوقين وكل من أُوذي في سبيل الله لإيذاء منعه من التكسب لعياله ، فإن قعود المسلمين عن معاونة هؤلاء هو من أعظم أسباب الصد عن سبيل الله، فإن الرجل إذا تيقن ضياع عياله من بعده صده ذلك عن الجهاد في سبيل الله ، وترك إعانة المجاهدين هو من صفات المنافقين .." [2].

ولكن الأهم في موضوع (المال والنفقة) هو أن السلفية الجهادية تؤكد على جواز أخذ المال الحرام لإنفاقه لدعم قضية الجهاد . وهذا ما أكده منهجهم عند الإجابة عن سؤال: "وكان أحد الاخوة قد سألني عن رجل أصاب مالاً حراماً ، أو يغلب على كسبه الحرام، هل يقبل منه تبرعات للجهاد مع العلم بهذا ؟ "[3].

وتأتي الإجابة القاطعة: " وهو أنه يجوز أن يُقبل المال الحرام للنفقة في سبيل الله"، وقد استدلوا بما قرره ابن تيمية، " وقد قرر شيخ الإسلام الأصل السابق في أكثر من موضع في فتاويه، أن المال الحرام أو الذي لا يُعرف صاحبه يتصدق به ويصرف في مصالح المسلمين ، وتقرأ في المجلد التاسع والعشرين في صـ 376 المال الغُلُول من الغنيمة، وفي صـ 363 عن ما أُخذ ظلماً، وفي صـ 350 عن اللقطة ، وفي صـ 376 المال المغصوب، صـ 391 ربح البيع المنهي عنه، صـ 307 مال الربا ، صـ 308

---

(1) المصدر السابق نفسه.

(2) العمدة، ص 38.

(3) السابق، ص 38.

مال الغنيمة، صــ 309 مال البغي (المومسة) والخمار وغيرها من المواضع صــ 360، 363، 310، 331، 360، 363, وذكر أن هذا هو قول جمهور الفقهاء "[1].

ورغم ذلك الاستدلال الذي اعتمدوا عليه من أقوال ابن تيمية وغيره، لكننا عند العودة إلى كل تلك المواضع المشار إليها ، فإننا نجد أن المقصود بجواز إنفاقه من ذلك المال الحرام -بمختلف صوره- هو المال الذي تمَّ تحصيله ، وقد تملكه الحاصل عليه وصار تحت تصرفه ، ورغب في التخلص منه ، وإبراء ذمته من الإثم الحاصل له نتيجة حصوله عليه بطرق غير شرعية. [2] وليس المقصود به ما يمكن الحصول عليه من المال الحرام[3]، والفرق بين الأمرين واضح ، ولا يحتاج إلى مزيد شرح .

إن السلفية الجهادية قد شابهت في فتواها تلك المذهب النفعي، الذي يعتبر فائدة فعلٍ ما هي المعيار لأخلاقيته، حيث اعتبروا أولوية نصرة الجهاد ودعم المجاهدين مبرراً شرعياً لقبول مالا يجوز قبوله، ولذلك فإن مبدأ النفعية الذي قرروه في هذه القضية أدى إلى ظهور كثير من الأفعال العملية المخالفة لمعتقداتهم المعرفية. وبهذا يبررون سقوط كثير من الأبرياء عند قيامهم بعمليات جهادية ميدانية، وأصبحت النفعية ذريعة شرعية لتحقيق النصر على الأعداء. وهم يدركون أن العالم العربي والإسلامي مشحون بمصادر الأموال غير الشرعية، كالربا في معاملات البنوك، والذي تُقدر أمواله بالمليارات، وكذلك القمار والرشوة والفساد المالي في معاملات الأفراد و الشركات والدول.. كل ذلك لا يمكن حرمان قضية الجهاد منه ورفضه ؛ فالغاية الكبرى تبرر الوسائل.

---

(1) السابق، ص 39. أي أن تلك الطرق المختلفة والتي تم تحصيل المال بواسطتها وإن كانت محرمة لكن إنفاقها فـي دعـم الجهاد والمجاهدين جائز شرعاً.

(2) مع كون بعض أهل العلم لم يروا جواز التصدق به، والمسألة خلافية فيها أقوال.

(3) كما يفيد منطوق السؤال المذكور (أو يغلب على كسبه الحرام ..) .

قضايا ساخنة

سأتناول بعض القضايا الهامة، محاولاً عرض ما تعينه تلكم القضايا من معانٍ ودلالات لدى تنظيم القاعدة، ومقارنة ذلك بالنظرة السلفية التقليدية لتلك المسائل والقضايا.

1- الكذب :

لاشك أن الكذب خُلُق مذموم وخصلة شائنة، لذلك فإن الإسلام حض على الصدق وحرَّم الكذب، وتلك حقيقة معلومة، لكن الإسلام أيضاً قد أباح الكذب في بعض الحالات بعد أن جعل القاعدة العامة: وجوب الصدق ، وتحريم الكذب.

ولقد جعل الإسلام إباحة الكذب استثناء في أحوال الضرورة مراعاةً لضغوط الواقع ومقتضيات الظروف وتحقيقاً لما هو أصلح وأنفع، إذ أصل الحكم هو تحريم الكذب. ولذلك وضع علماء المسلمين ضوابط لتلك الأحوال الاستثنائية التي يجوز فيها الكذب، وذكروا من تلك الحالات: حالة الحرب، وقد قرر الحديث النبوي أن (الحرب خدعة).

ومن هذا المنطلق فإن تنظيم القاعدة قد استدل بذلك الحديث المتفق على صحته لتأكيد أن أساس الحرب وأهم أركانها هو خداع العدو ، فقالوا : " اتفق الناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم على أن أصلين من أصول الحرب ، وهم السرية والخداع ، على تباين في الفهم .. والخداع له صور فنية يعرفها المختصون كالإخفاء والتمويه والحيل الحربية والتوقيت وغير ذلك ..".

وقد أورد منهج القاعدة مسألة الكذب ولم يقيدها بحالة الحرب –كما هي عند غيرهم- بل قال : الكذب على الأعداء .. ولم يقل الكذب في الحرب لأنه يجوز الكذب على العدو في الحرب وغير الحرب.. " فإذا كانت حالة الحرب معلومة، فإننا سنركز على الكذب في

حالة غير الحرب، فقالوا: " وأما الكذب على العدو في غير حالة الحرب فيجوز لأسباب منها ما فيه مصلحة دينية أو مصلحة دنيوية للمؤمن أو تخليص من أذى الكافرين..

وقد استدلوا على عموم جواز الكذب على الأعداء في غير الحرب بالأدلة الشرعية وشروح علماء السلف وتعليقاتهم عليها، واعتبروا كل ذلك يدخل في مشروعية مخادعة الأعداء وتحقيق مصلحة المسلمين ودفع الضرر عنهم. ومع ذلك فإن منهج القاعدة لم يجعل تحقيق المصالح طريقاً شرعياً يُباح معه الخداع بشكل مطلق ، بل استثنى حالات العهود والمعاهدات التي تحصل بين المسلمين وبين أعدائهم حيث تحرم الخيانة ونقض العهد، "فالخداع في الحرب لايجوز فيه الغدر ونقض العهود .."

ونحن نعلم أن مدلول كلمة (أعداء) عند تنظيم القاعدة لا يقتصر على المحاربين من غير المسلمين بل يشمل الذين يدعمون المحاربين بأي صورة من صور التأييد كالدعم الإعلامي، كما أن حكام العرب وحكام المسلمين عامة يدخلون في إطار الأعداء دخولاً أولياً باعتبارهم يحكمون المسلمين بالشرائع المبُدلة ويشيعون الكفر والفواحش في المجتمعات الإسلامية ويوالون أعداء الإسلام – حسب مفهوم القاعدة– ولهذا الاعتقاد بعدم شرعية الأعداء وحكوماتهم وقوانينهم نستطيع أن نتفهم حالة عدم الانضباط والالتزام من الذين تتم محاورتهم في السجون والمعتقلات من أعداء تنظيم القاعدة، ويتم بناء على تراجعهم عن أفكارهم وآرائهم السابقة إطلاق سراحهم. لكنهم سرعان ما ينقلب كثير منهم ويصطدمون بتلك الحكومات التي حاورتهم!! فالكذب على الأعداء جائز ولا إثم فيه ولا حرج، ثم إن ذلك لايدخل ضمن العهود والعقود اللازم الوفاء بها، حيث لم يكن الطرفان المتعاهدان على مستوى متعادل متكافئ، فأخذت العهود إكراهاً لا عن اقتناع ورضى ولهذا لايلزم الوفاء بها.. وهذا قول طائفة منهم. أما الذين رأوا شرعية الالتزام بتلك العهود التي أخذت عليهم فإنهم –أيضاً– يجدون في حملات الاعتقالات التي تلجأ إليها قوات الأمن في

تلك الحكومات تحت مبررات شتى، فيجدون المبرر الكافي في نقض عهودهم مع الحكومات؛ لكونها هي التي بادرت بنقضها قبلهم فصاروا بذلك في حل من الوفاء بها.

2- الأمـــوال:

تعتقد جماعة القاعدة عدم حُرمة أخذ أموال الأعداء. "كما يجب على المسلمين السعي في الاستيلاء على أموال الكافرين بالقهر (وهي الغنيمة) وبالحيلة ونحوها (وهو الفيء)".

والقاعدة ترى أن تجريد الأعداء من أموالهم مسألة عادلة، إذ أن أعداء الإسلام سلبوا المسلمين أموالهم وحقوقهم وثرواتهم وضيقوا عليهم معايشهم فوجب على هؤلاء المسلمين المظلومين أن يستردوا تلك الأموال والحقوق المسلوبة. "وكما أخرج هؤلاء الطواغيت المتمسكين بدينهم من أموالهم وحاصروهم وضيقوا عليهم معايشهم، فكذلك يجب على المتمسكين بدينهم إخراج الطواغيت من الأموال التي يجندون بها الجيوش لمحاربة الله ورسوله ﷺ".

كما تحكم القاعدة بتحريم المساهمة في دفع الأموال للأعداء، "فيحرم على كل مسلم دفع الأموال لهؤلاء الطواغيت في أي صورة من جمارك وضرائب ونحوها إلا مضطراً أو مكرهاً. قال تعالى: ﴿ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:2] وقال تعالى: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ﴾ [النساء:5] وهي مسألة يتفق عليها السلفيون جميعاً، وأكدها الوادعي في كثير من كتبه أيضاً.

3- النظـــام المــالــي:

لم يُعرف لهذا التنظيم نظام مالي محدد المعالم في بدايات تكوينه ، فقد كان النظام المالي عند هذه الجماعة محوره قائم على ما يمتلكه ابن لادن من قدرات مالية هائلة ، فكان ابن لادن هو مصدر الأموال، وهو الذي ينفقها بنفسه أو بواسطة من يعينهم لذلك، فالإنفاق قائم حيث يرى الأمير الحاجة إليه، وليس هناك اشتراكات تُجمع من الأعضاء ، وبهذا لم يكن لديهم الهيكل التنظيمي المالي الذي تمتلكه غيرهم من الجماعات الأكثر تنظيماً كجماعة الإخوان المسلمين. ولعل ذلك جاء نتيجة لطبيعة الأحوال التي نشأت فيها الجماعة والظروف المحيطة بها، ثم لأن امتلاك ابن لادن قدرات مالية كافية أغنت عن التفكير في أي نظام مالي يحافظ على كيان الجماعة مما يصيبها من احتياجات تعترضها كغيرها. وهذا باعتبار الدعم والمساندة للمجاهدين واجب على كل المسلمين ويجب عدم التقصير فيه.

لقد كان للمقدرة المالية الهائلة لابن لادن دورها في جذب الكثيرين، فالمعونات أو الإعانات الشهرية لها جاذبيتها، وما يُعطى لنشر الفكر الجهادي من أموال له جاذبيته، وما يُعطى لشئون الدعوة العامة أو الاستقطاب، وما يعطى للمتفرغين، وما يُعطى للتفويج – السفر إلى أفغانستان– وغير ذلك من صور الإنفاق ، بيد قائد التنظيم الذي عُرف بالسخاء والكرم.

هذه السياسة المالية، التي كانت أشبه بالباب المفتوح ومافيها من إغراءات لكثير من الناس، أدت إلى ازدياد الإقبال وتوسيع قاعدة الأتباع[1]، الذين ستتم غربلتهم وتمحيص

([1]) قيل : وقد سُئل ابن لادن عن ذلك ، وما فيه من المخاطر ؟ فذكر أنه سوف يأتيهم الصادق والطامع، فأما الصادق فإيمانه سيغنيه، وأما الطامع فلعل الله يصلح حاله أو ستكفينا الأحداث والتجارب طمعه. ثم إن الإسلام جعل المال سبباً

إخلاصهم من خلال مواقع التمحيص وميادين الابتلاء.

وجماعة ابن لادن ترى أن أخذ العطاء -أي المعاش المالي- جائز للعضو خاصة إذا كان هذا العطاء للمجاهد المنقطع للجهاد لينفق على من يعول[1].

وترى جماعة القاعدة أن للمال أهمية كبرى في إقامة الجهاد ، ويكفي للاستدلال على ذلك (أن الجهاد يسقط عن فاقد النفقة) مما يعني أنه (إذا كان لامال فلا جهاد). ولذلك فإن من الأسرار اللطيفة في آيات الجهاد في القرآن: تقديم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس في جميع الآيات التي جمعت بينهما إلا آية بيعة الجهاد في سورة التوبة. والمال هو عصب الحرب، وهو مدد الجيش، وهو أهم من الجهاد بالسلاح، فبالمال يُشترى السلاح، وتجهز الجيوش..

ولكن في الفترة التي حوصر فيها إبن لادن في المملكة ومُنع من الخروج، قام بإنشاء مشاريع تجارية متنوعة وأوكل إدارتها لأهم عناصره الذين يثق فيهم فأسسو تلك المشاريع في بلدانهم، وبواسطتها يتم إمداد الجماعة بما يلزمها في المستقبل.

3- الاغتيـــالات

نتيجة للقاعدة السلفية لجماعة ابن لادن، فهي لم تتبن الأخذ بوسيلة الاغتيالات للتخلص من الخصوم والأعداء في البداية، فمنهج القاعدة قد تناول تلك القضية تحت عنوان (جواز اغتيال الكافر المحارب) فهم يرون جواز الاغتيال، لكنه مقيد بوصف الكافر، إذ أن الجماعة ترى عدم جواز نكث العهود ولو كانت مع الكفار، ولأن الغدر حرام في كل عهد بين المسلم وغيره ، ولو كان المعاهد كافراً، أما الكافر المحارب فيجوز اغتياله.

في تثبيت الإيمان في قلوب المؤلفة قلوبهم كما هو معلوم من السيرة النبوية.

(1) ولذلك كان في بيانات العضوية التي يملؤها العضو ذكره لمن يعوله من النساء والأولاد ..

(قلت: فمن وصف اغتيال الكافرين المحاربين لله ورسوله ﷺ بأنه غدر ونحو ذلك، أو إن الإسلام يحرم ذلك فهو ضال مكذب بالكتاب والسنة).

وقد ظلت هذه القناعة مسيطرة وضابطة لفكر القاعدة فترة من الزمان، ثم لما تطور مفهوم المواجهة توسعت القناعة، فاعتبر كل كافر محارباً وإن لم يحمل السلاح؛ لكنه يدفع الضرائب ويدعم حاملي السلاح، فبذلك يأخذ حكمهم. وجاءت هذه القناعة بعد الإعلان عن قيام (الجبهة الإسلامية العالمية) في فبراير 1998م وتحولت القناعة إلى عمل وواقع بعد أن صارت قيادات الجهاد المصرية وجماعاتها جزءاً من القاعدة وانصهرت في دائرتها الجهادية. وقد رأينا في الواقع ما يؤكد أن القاعدة لاترى جواز اغتيال الكافر المحارب فحسب بل من يدعمه بأي صورة من الصور، ولعلنا لم ننس تلك الفتوى التي اعتبرت القاعدة فيها من يصد عن الجهاد بنشر الشبهات وترويجها بين المسلمين ممالأة ومجاملة للحاكم الكافر ولو كان من العلماء فهو كافر مرتد.. وبهذا فإن الاغتيالات قد اتسعت دائرتها لتشمل المحاربين والداعمين والمؤيد لهم ولو كانوا مسلمين !!!

ورغم قولنا بتطور مفهوم المواجهة وتأخر التوسع في مسألة الاغتيالات عند القاعدة، لكن مسألة التوسع في الاغتيالات قضية لن يجد المقاتلون صعوبة للوصول إليها والاقتناع بها إذا كانوا من ذوي الاتجاه السلفي –خاصة– ! ولنتأمل ما قاله أحد العلماء السلفيين وهو الشيخ عبد الرحمن الدوسري رحمه الله عند ذكره لمراتب العبودية في تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ : قال ثم إن إعداد القوة حسب المستطاع من واجبات الدين ولوازم إقامته ، فالعابد الصحيح لله لايعتوره التسويف في هذا فضلاً عن تركه أو التساهل فيه ، وأيضاً فالعابد لله المصمم على الجهاد في ذاته يكون منفذاً للغيلة من أئمة الكفر ومن دعاة الإلحاد والإباحية ، وكل طاعن في وحي الله أو مسخر قلمه أو دعايته ضد الدين الحنيف، لأن هذا مؤذٍ لله ورسوله ﷺ ، ولايجوز للمسلمين في بقاع الأرض من

خصوص وعموم أن يدعوه على قيد الحياة، لأنه أضر من ابن الحقيق[1] وغيره ممن ندب رسول الله ﷺ إلى اغتيالهم، فترك اغتيال ورثتهم في هذا الزمان تعطيل لوصية المصطفى ﷺ وإخلال فظيع بعبودية الله، وسماح صارخ شنيع للمعاول الهدامة في دين الله، ولايُفسر وجوده إلا من عدم الغيرة لدين الله والغضب لوجهه الكريم، وذلك نقص عظيم في حب الله ورسوله وتعظيمهما، لايصدر من محقق لعبودية الله بمعناها الصحيح ". [صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم].

ولا نبالغ في القول بأن كثيراً من الشباب المسلم المتحمس، إذا قرأ تلك السطور السابقة ولم يجد من العلماء من يدرك حقيقة النصوص الشرعية ليضبط ردة فعله التي ستنجم عن المعاني المستخلصة من تلكم العبارات ، فإن كارثة ستقع لامحالة !!

إن تنظيم القاعدة قد اعتبر قيام العضو باغتيال من اعتبرهم كافرين ومرتدين، اعتبر ذلك نوعاً من الجهاد الفردي الذي يجب فعله كلما سنحت الفرصة.. فقالوا: للمرء أن يفعله وحده إن أراد، خاصة إذا أمكنته الفرصة من أحد هؤلاء، ولايجب عليه التصدي لجمع عظيم من الكافرين بل يجوز له الفرار للتفاوت العددي، فإن ثبت وكان له غرض في الشهادة جاز له ذلك وهو حسن. ثم استدلوا على جواز العمليات الاستشهادية والاغتيالات، وكونها أكثر جدوى وأعظم نفعاً في بعض الأحايين، استدلوا بقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ﴾ [البقرة:207]

---

(1) أحد زعماء اليهود الذين تمادوا في معاداة النبي ﷺ والمسلمين في المدينة .

4 – المرأة:

يرفض تنظيم القاعدة ما اتفق عليه كثير من العلماء والمجتهدين الذين قالوا بوجوب الجهاد على المرأة في حالات الجهاد العيني[1]، وذلك إذا عمَّ النفير وهجم العدو على بلاد المسلمين. لكن فقه القاعدة يقول: " فالذين أخذوا بوجوب الجهاد على المرأة في كل مواضع الجهاد العيني أخذوا هذه القاعدة الفقهية القاضية بأن فروض العين تجب على كل مسلم مكلف بالغ عاقل بلا تفريق بين الذكر والأنثى، إلا أن النصوص الشرعية الخاصة بجهاد النساء تخالف هذه القاعدة ويجب الأخذ بها ". ولذلك فإنهم يرون عدم وجوب الجهاد على المرأة إلا في حالة واحدة و هي إذا ما دخل العدو إلى بلد إسلامي وخلص إلى البيوت والنساء، فهذه الحالة الوحيدة المقيدة باقتحام العدو للبيوت وملاقاته للنساء ، فيجب عندها أن تقاتله المرأة دفاعاً عن نفسها.

كما أنهم يقيدون ما اتفق على جوازه بأن تخرج المرأة متطوعة في الجهاد لتقديم الخدمات الطبية وإعانة المجاهدين وتحريضهم على الإقدام والاستبسال في المعارك ، قيدوا ذلك الجواز بالمرأة الكبيرة والطاعنة في السن وبغير الجميلة ، فلا يجوز للشابة الخروج متطوعة للجهاد وكذلك الحسناء الجميلة .

ومع كل تلك القيود المفروضة على جهاد المرأة، لكن تنظيم القاعدة يرى وجوب استعداد المرأة للجهاد من خلال التدريب على استعمال السلاح، رغم أن هذا الحكم بالوجوب لم يستند على نص شرعي من الكتاب والسنة يقتضي إلزام المرأة المسلمة بالتدريب على الأسلحة، لكن هذه الجماعة استندت على ذلك بالقاعدة الشرعية القائلة: (مالايتم الواجب إلا به فهو واجب) . وما يهمنا هنا أن هذه الجماعة السلفية الجهادية

([1]) كابن قدامة الحنبلي والإمام الرملي الشافعي وعلاء الدين الكاساني الحنفي وغيرهم .

(القاعدة) قد بنت مخالفاتها لجمهور من العلماء والفقهاء في مسألة جهاد المرأة وقيدته بقيود -كما رأينا- وزعمت أن ذلك بسبب التزامها بالنصوص الشرعية الخاصة بجهاد النساء والتي تخالف مااقتضته قاعدة شرعية أخرى متفق عليها بين علماء المسلمين ، لكنها استندت على قاعدة شرعية -أيضاً- للحكم بوجوب تدريب المرأة رغم عدم وجود نص شرعي يدل على ذلك!

ولهذا فإنه يمكن أن يحصل تحول في مسألة جهاد المرأة وقتالها واشتراكها في عمليات فدائية، وتتغير القناعات السابقة ، ويصبح للمرأة دور في صفوف القاعدة.. من باب مالايتم الواجب إلا به فهو واجب .

وأما فيما عدا ذلك ، فإن جماعة القاعدة ستظل تحافظ على قاعدتها السلفية القائمة على رفض اشتغال المرأة بغير شئون بيتها وواجباتها الزوجية وتربية الأبناء، وتحريم اشتغال النساء بالسياسة والحكم . ولهذا فإن منهج القاعدة النظري حين قدم مقترحاً لشكل مجلس الشورى الإسلامي والذي يرون أنه يتألف من شقين: مجلس الخبراء ومجلس العرفاء ، وكلاهما لانصيب للمرأة فيه ، إذ هذان المجلسان يشكلان بمجموعهما أهل الحل والعقد، ولايكون إلا من الرجال العدول ، ويحرم على المرأة المشاركة في ذلك تحريماً قطعياً ، بل إن مجرد أخذ المشورة من النساء في القضايا العامة وشئون إدارة البلاد، كذلك هو من المحرمات الشرعية .

ولم يمنعوا مشاورة المرأة واستشارتها في الأمور العامة من خلال عضويتها في المجالس البرلمانية فحسب، بل اعتبروا مجرد أخذ مشورتها خيانة للأمانة. "والذي أنبه عليه خاصة في هذا الشأن ليس منع النساء من الإمارة و الولاية الظاهرة ، فهذا واضح، ولكن أنبه على ضرورة منعها من الولاية الخفية، وهذه تكون بأن يُفضي الأمير إلى نسائه

بأسرار عمله ويستشيرهن فيه، فيشرن عليه فيعمل بمشورتهن، فتكون لهن ولاية خفية على المسلمين، وهذا شائع ومنتشر، والناظر في سير الحكام قديماً وحديثاً يرى أمثلة لهذا، فليُحذر منه ، وهذا من جهة الأمير يُعد خيانة للأمانة التي تولاها.."[1].

5- جهاز التوجيه المعنوي:

لم يهمل ابن لادن مسألة التوجيه والإرشاد ورفع المعنويات، فكوَّن جهازاً متكاملاً للتوجيه المعنوي، ودعمه دعماً مادياً سخياً، وجنَّد له أعداداً كافية من الموجهين والمثقفين ثقافة إسلامية عالية.

وعمل هذا الجهاز من خلال الدعوة العامة للجهاد ونشر الفكر الجهادي بكافة الوسائل الممكنة، فالكتب الجهادية والأشرطة والمطويات، وكذلك تبني مجموعة من الدعاة والعلماء والدفع بهم نحو نشر الفكر الجهادي -بمايوافق فكر القاعدة- وكافة حركتهم وتفرغهم لهذا الدور؛ أمور اهتم بها ابن لادن منذ البداية ، وقد أثمرت هذه الجهود ثماراً كبيرة استفادت منها القاعدة فوائد جمة لايمكن إغفالها ، فقد كانت بمثابة الوقود الذي يمد الجماعة بمايلزمها للاستمرار والانتشار.

كما أقام ابن لادن جهازاً للتوجيه المعنوي في جميع معسكراته الستة بإشراف بعض المتخصصين الخلّص من أتباعه، و من مهام هذا الجهاز الخاص:

1- تنظيم المحاضرات والندوات لغرس ثقافة الجهاد وغرس العقيدة القتالية في أعضاء المعسكرات، ليدرك كل مجاهد حقيقة الصراع مع الأعداء والغاية من الجهاد والقتال.

([1]) وبهذا قالت السلفية غير الجهادية أيضاً.

2-تقويم إيمان المقاتلين المجاهدين بأنهم على الحق وأن عدوهم الكافر على الباطل، فيجب أن يقاتلوه ويخلصوا المسلمين من شروره وكفره وأباطيله التي يسعى لنشرها بين المسلمين كنشر المبادئ الكفرية والقوانين الملحدة.

3-تهيئة بعض العناصر للقيام بمهام التوجيه العام خارج أفغانستان أو تحمل أعباء مهام خاصة داخل المعسكرات وميادين المواجهة ورفع مايتوصلون إليه من خبرات وتجارب إلى أمراء المعسكرات ليتم فرز عناصر وأعضاء المعسكر ليحسن التعامل معهم وتحديد المستويات المناسبة لكل واحد منهم,

أهم مبادئ التوجيه المعنوي :

يتم التركيز على مايلي:

1- غرس العقيدة الصحيحة في النفوس.

2- تأكيد وجوب الجهاد وضرورته الشرعية والعقلية.

3- غرس حب الاستشهاد وتمني الشهادة والحرص عليها باعتبار ذلك من أعظم وأهم مايدفع بالأعضاء إلى الإقدام على القتال . ومن القواعد المتفق عليها: "الشهادة والسعي لتحقيقها هي ورقة النصر ووثيقة دخول الجنة" "والكافرون أشد الناس حرصاً على الحياة" " احرص على الموت توهب لك الحياة". وهذا الاهتمام بمسألة الحرص على الشهادة يعوّض مشكلة نقص العدد وضعف العدة المادية ويرفع المعنويات[1].

---

(1) وقالوا: " ينبغي التنبيه على أن حب الاستشهاد هو جزء من سياسة الردع الذي هو مبدأ من أهــم مبــادئ الجهــاد عنــد المسلمين".

4-تقوية مفهوم الإعداد الإيماني من خلال دراسة السيرة النبوية وسيرة الصحابة والسلف الصالح في الغزوات .

5- الدعوة إلى نبذ الترف وتأكيد ضرورة التعود على الخشونة في العيش لما لها من أثر في الصبر على القتال وتحمل أعباء الجهاد.

6-حل المشكلات الفقهية التي قد تعترض الأعضاء كعدم التفريق بين الشجاعة وبين التهور، ومعرفة الحالات التي يجوز فيها الفرار إلا منحرفاً لقتال من المعركة والفرق بينها وبين الحالات التي اعتبرها الشرع من أكبر الكبائر وسماها فراراً من الزحف.

7- التأكيد على المقاصد المعتبرة للجهاد، كمقصد إظهار الدين ومقصد المحافظة على القوة الإسلامية، وعدم تعرض المجاهدين للهلاك دون جدوى عسكرية من تحقيق النكاية في العدو.

8-التأكيد على لزوم الإعداد الإيماني والمادي كشرط لاستحقاق النصر على الأعداء، وهذا يستلزم الجهاد والبذل و الدعوة والصبر.

6- العمل الفردي:

سبق أن قلنا إن الجماعة تعتبر المحافظة على القوة الإسلامية والمتمثلة بحياة المجاهدين وعدم تعريضهم للهلاك هي من المقاصد الأصيلة لدى تنظيم القاعدة ، إلا أن ذلك لايعني عدم إقرار العمل الجهادي الفردي واعتباره من الجهاد في سبيل الله وعدم احتسابه من باب الوقوع في التهلكة المنهي عنها بقوله تعالى ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:195]

وقد جاء في العمدة: (ومن الناحية العملية يمكنني القول بأن للمسلم أن يُقدم على المشاركة في أي عمل قتالي بغض النظر عما يصيبه في نفسه، وبغض النظر عن نتيجة هذا العمل القتالي.." [1] .

فالعمل الفردي استشهادي تقره هذه الجماعة ولاتعتبره محظوراً إذا توافرت شروطه الأربعة وهي:

الأول: المشروعية: وتعني معرفة حكم هذا الجهاد، ويكون ذلك بمعرفة حال العدو وحكم الله فيه. أي يكفي لإثبات المشروعية معرفة كفر العدو ليستحق القتال.

الثاني: الراية: إذا كان الفرد سيقاتل عدواً كافراً مع طائفة فيجب عليه أن يتأكد من هوية هذه الطائفة وهل رايتها إسلامية أم لا.

الثالث: الجدوى العسكرية: " .. وقد يكون العمل العسكري فرعياً وجدواه قليلة إلا أنه يصب في الخطة العسكرية العامة.." .

وهنا يمكننا أن نفسر حقيقة الأعمال والتفجيرات التي شهدتها كثير من دول العالم العربي والإسلامي ، فما دام الفرد أو الأفراد قد قرروا تحصيل الجدوى العسكرية والنكاية في العدو فلابأس من تحصيل وقيام هذه الأعمال مهما كانت نتائجها . والجدوى العسكرية لاتعني وقوع الخسائر المادية في العدو فقط ، بل قد تكون الجدوى سياسية محضة كإرهاب العدو.

فإذا رأى الأمير تحصيل الجدوى سواء عسكرياً أم سياسياً أم اقتصادياً فالعمل الميداني يكون مشروعاً لأن الأمير هو المرجع المختص في تقدير الجدوى وليس الأعضاء وعموم

---

(1) العمدة ص 317.

الأفراد ، والأمير ليس المقصود به الأمير العام للجماعة فحسب بل يمكن أن يكون أمير المعسكر أو أمير الخلية أو الشخص المكلف بالإمارة المؤقتة على مجموعة من الأعضاء لأداء مهام فرعية .

الرابع: الأخذ بإجراءات السلامة والأمن للحفاظ على حياة المجاهدين:

فإذا توافرت هذه الشروط الأربعة –وهي غالباً متوافرة وحاصلة– فالعمل الفردي العملي مأذون به ويصح أن يقدم عليه العضو بغض النظر عن أي نتيجة يمكن أن تحدث بسبب ذلك العمل القتالي الميداني الفردي .. وبهذه الفتوى فإن الباب أصبح مفتوحاً على مصراعيه أمام أعضاء التنظيم لمواجهة العدو وإيقاع النكاية فيه، فكل ذلك جهاد في سبيل الله.

" فهذه الشروط الأربعة : (المشروعية – الراية – الجدوى العسكرية – إجراءات السلامة والأمن) إذا أخذتَ بها وروعيت في القتال فأقدم وتوكل على الله تعالى ، ولاتعبأ بما أصابك ولا بما تجنيه من هذا القتال ، فهذا متروك لله تعالى".

ورغم أن لتنظيم القاعدة جهازه المنظم والمختص في التوجيه المعنوي، إلا أن أسلوب ابن لادن في هذا الجانب لم يتقصر في الاعتماد على جهاز يضم عناصر معدودة بل اتجه لجعل قضية التوجيه والدعوة مهمة عامة يُكلف بها كل عضو في جماعته ، فابن لادن جعل مسألة الاستقطاب للأعضاء مهة عامة لكل افراد الجماعة، وسعى من خلال ذلك نحو التوسعة العددية ، التي يعتبرها من أهم وسائل النصر ومن أهم أسبابه المادية الداخلة ضمن ما دعت إليه الآية الكريمة ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ وقد سموا هذا الانتشار العددي (المحور الأفقي) أو (محور الكم) الذي سيحقق (وسيلة القوة). ومفردات القوة هي: المال والرجال والسلاح.

فالتنظيم يسير على محورين لتحقيق (مبدأ الردع):

أ) **المحور الأفقي**:ويعنون به الانتشار وكسب العناصر الجديدة، كما أشرت إليه سابقاً.

ب) **المحور الرأسي** : ويسمونه "محور الكيف" أو "النوعية" ويعني رفع كفاءات ومقدرات الأعضاء ، الكفاءة الدعوية والخبرات المادية، وأهمها (الكفاءة القتالية)، كما يتم الاهتمام برفع الكفاءة المعنوية من خلال تعميق الإيمان وتقوى الله وفعل الطاعات وترك المعاصي، والصبر والمصابرة، بالإضافة إلى تعميق المفاهيم الأخلاقية الإسلامية. وهم يسمون كل ذلك (المحور الأفقي والرأسي بمفرداتهما): سياسة الردع اللازمة لتحقيق النصر وتمكين دين الله في الأرض.

إن تنظيم القاعدة لايعتمد على الدعوى العامة فقط أو الدعوة الفردية فقط، بل يرى أن المطلوب هو القيام بالدعوة العامة والدعوة الفردية معاً دون تفريق بينهما، ولهذا لقي من الانتشار والسعة ما لمسناه في الواقع، كما أنه -أي التنظيم- لايركز على دعوى الصالحين والطيبين كما هي العادة عند الجماعات الأخرى، بل لايفرق عند دعوته بين الصالح والفاسق ولا بين الملتزم والعاصي. " في حين أن كل فرد من العامة مُخاطب بنفس الفريضة مادام مسلماً وإن كان فاسقاً مرتكباً للموبقات، فإن الفسق لايُسقط الخطاب الشرعي بالجهاد".[1]

لقد دعا ابن لادن وجماعته إلى ما يشبه التعبئة العامة بين المسلمين لمواجهة أعدائهم الكفار وأعلن ابن لادن في المساجد وفي كل مكان إلى تحويل قضية الجهاد إلى قضية عامة واستنكر حصرها بين الملتزمين والصالحين وطلبة العلم أو الجماعات الإسلامية، ورفض أن تكون قضية الجهاد قضية الصفوة التي تنتهي غالباً بالفشل والتفكك، كما هو

---

(1) وقد تحدثنا عن هذا سابقاً.

حاصل في كثير من الجماعات الإسلامية التي ما إن يتنبه لها الطواغيت –حسب تعبيرهم- حتى يسعوا إلى عزلها وضربها ومحاصرتها، فلا تقوم لها قائمة، ومن بقي من هذه الجماعات أصبح تحت عباءة الطواغيت وهيمنتهم ، فيهملون قضية الجهاد ولايجعلونها من أولوياتهم التي يسعون لتحقيقها، وهم الذين سموهم الزائغين".. أولئك الزائغين الذين يتصدرون للعمل الإسلامي في هذا الزمان ولايسلكون سبيل الجهاد المتعين ولايأخذون بالأسباب التي شرعها الله لنصرة الدين ". وكما سموهم " الغافلين القاعدين الكسالى الذين يتمنون على الله الأماني ويرجون نصر الله وهم لم ينصروا دينه بشيء "[1].

وبالجملة يجب تحويل قضية الجهاد من قضية للخاصة إلى قضية للعامة، كما يجب أن يكون للعامة من المسلمين – الذين لم يستطعيوا الانخراط في الجماعة – دور إيجابي في دعم الجهاد والمجاهدين، ومن لم يستطع أن يكون له دور إيجابي في مولجهة الطواغيت، فلا أقل من أن يكون له دور سلبي يتمثل في عدم معاونة الطواغيت. وبتصعيد المواجهة مع الطواغيت يتصاعد بطشهم وإيذاؤهم للمؤمنين، وبذلك تدخل قضية الجهاد كل يوم بيتاً جديداً من بيوت المسلمين، وتكسب الجماعة أنصاراً جدداً. تلك خلاصة التعبئة العامة التي أكدها زعيم التنظيم في كل نشاطاته الدعوية.

إن الدعوة إلى إحياء فريضة الجهاد، والتي لن تأخذ حقها ولن تتحقق إلا في ظل قيام جماعة مجاهدة قوية !!! وهي الجماعة الجديرة بأن ينتصر لها المسلمون كافة، حيث أمر الله تعالى المسلمين بقوله ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[المائدة:2]. فكل مسلم ومسلمة عليهم حق النُصرة لدين الله بما يملكون من قدرة مستطاعة كالإمداد بالمال ورعاية أسر المجاهدين ومن يعولهم المجاهدون الذين يفرغوا لنصرة شريعة الله بأنفسهم وضحوا

---

(1) وفي هذه القضايا يشتد إستنكار تنظيم القاعدة.

بأرواحهم ... فإن كان من المسلمين من يعتبرون (أصحاب الأعذار الشرعية) وهم الذين سقطت عنهم فريضة الجهاد نتيجة عجز من جهة القوة كالأعمى والأعرج والمريض مرضاً يقعده عن القتال وكذلك العجزة من كبار السن ، فإنهم لن يعجزوا عن نصرة الجهاد والمجاهدين بوسائل لُخرى لا تقل أهمية عن القتال في الميدان كالدعاء المستمر للمجاهدين بالنصر والتمكين لدين الله وشرعه، وخذل الكافرين وأعداء الدين والطواغيت .. فهذا نصر للجهاد ودعم لإخوانهم المجاهدين . كما عليهم النفقة ودعم المجاهدين بالمال وتجهيز الغزاة وإمدادهم بالمؤن والسلاح ورعاية أسر المجاهدين وكفالة أسر الشهداء والأسرى. كما يلزمهم القيام بالتعريف على الجهاد والإشادة بدور المجاهدين في نصرة الدين، وطرائق التعريف والدعم المعنوي كثيرة جداً ، سواء بالخطابة أو الصحافة والإعلام المشاهد والمسموع ، ومن ذلك الدعاية بشتى الوسائل الحديثة المستخدمة عبر أجهزة الكمبيوتر... فأصحاب الأعذار لهم ثواب عظيم وليس عليهم حرج أو مؤاخذة شرعية إذا نصحوا لله ورسوله ، وأحسنوا ، وذلك بمقتضى قوله تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [التوبة:91] .

إن هذه الواجبات المفروضة على أصحاب الأعذار جعلتهم يشكلون جيشاً يؤدي مهاماً لا يمكن الاستغناء عنها أوتجاهلها، فهم يقومون بالدور الإعلامي ومهام التموين والإمداد بل لقد أوكل إلى عامة المسلمين بعض المهام تحت بند (النصح) كمهام الاستطلاع والتجسس والحماية، وهي مع ماسبق – تعد الأعمال اللوجستية التي يخصص لها من القوة البشرية ما يفوق أعداد القوات المقاتلة أو (القوى المتحركة) – بلغة العسكرية – ويقال أن الجيش الأمريكي ربعه للقتال وثلاثة أرباعه لأعمال غير قتالية.

إننا نستطيع أن نفهم سر الانتشار العددي لهذا التنظيم من خلال منهجيته تلك. ولقد

ذكر ابن لادن أن (الأخوة غير الثابتين) وهم الذين جاءوا للتعرف أو التدريب المؤقت – في الإجازات الصيفية والإجازات السنوية – أو لتقديم المساعدة الطبية أو التعليمية أو الفنية والإدارية أو غير ذلك، فهم أعداد كبيرة، والغالب أنهم لم يعطوا البيعة للأمير ابن لادن، ولكن لا يمنع أن يكون قد عاد بعضهم مرة أخرى واقتنع بمتابعة التنظيم مع بقاءه على ما هو عليه في بلده عاملاً أو موظفاً أو مدرساً أو طالباً أو طبيباً أو داعية أوغير ذلك، ويُكلف بأعمال ومهام الاستقطاب ونشر مبادئ التنظيم ولربما شُكل من هؤلاء خلايا دعوية أو تغييرية تقوم بما تؤمر به في الوقت المناسب .. ولكن لابد من تأكيد أنه ليس كل من ذهب إلى أفغانستان، وحتى لو التحق بمعسكرات القادة الأفغان أو معسكرات ابن لادن، ليس بالضرورة أن يكون ضمن تنظيم القاعدة وبايع أسامة على السمع والطاعة . وكذلك العكس من ذلك ، فإنه ربما وجدت أعداد كبيرة من أعضاء التنظيم ومن أقرب المقربين إلى الامير ومع ذلك لم يذهبوا إلى أفغانستان ولم يشاركوا في ميادين القتال، ولم يكلفوا بأعمال تنظيمية، كالتفويج وحشد الشباب إلى ميادين القتال والتحريض والتجييش وغيرها من المهام التي اعتبرها ابن لادن جهاداً في سبيل الله، وقيل أن بعضهم يكلفون – حسب تخصصاتهم – بالتعرف على واقع الأرض التي يُحتمل أن تكون هي ميدان المعركة المستقبلية، وكذلك الاطلاع على مسالك العدو والتغلغل في بعض مصالحه، وجمع المعلومات المفيدة عن العدو الكافر[1] لتسهيل مواجهته وبما يمكن القيادة من وضع الخطط وتنفيذها مستقبلاً. كما تقوم هذه الخلايا بتدريب أفرادها على الكتمان والسرية واختبار قدراتهم على الطاعة. وربما كُلف بعض هذه العناصر بتدريب الآخرين من الذين لا يمكنكم الالتحاق بأفغانستان أو فاتتهم فرصة الالتحاق، كما أن بعض هؤلاء الأتباع هم من العسكريين النظاميين في بلدانهم؟!!

---

(1) مفهوم العدو الكافر عند القاعدة واضح فيما ذكرته في مواضع كثيرة من هذه الدراسة .

وعموماً فإن الانضمام إلى القاعدة لا يعني امتلاك الخبرات القتالية والقدرات العسكرية ، فإن أعداداً من الاتباع لهذه الجماعة فكراً ومنهجاً وولاءً، لم يُطلب منهم أكثر من ذلك ، ولم يُكلفوا بمهام لإثبات صدقهم للتنظيم، كالشخصيات الاجتماعية والسياسية وزعماء القبائل وأساتذة الجامعات وغيرهم من الذين يكتفي ابن لادن بتوثيق علاقته معهم – وربما دعمهم مادياً – فلربما قاموا بأدوار في المستقبل ؟!!. وقد أثبتت الأيام بعد ذلك قدرة هذه النوعيات على القيام بمساهمات – غير مباشرة – في دعم ابن لادن وجماعته، بما يمتلكون من وجاهة ومكانة في بلدانهم كمساعدة أعضاء التنظيم على الهرب أو الاختفاء حال انكشافهم بعد القيام بأعمال تغييرية ميدانية[1] . ولهذا (ومن النصح للمجاهد أن تعينه على التخفي من عدوه، وتساعده في ذلك ما استطعت إذا احتاج إلى ذلك، ومنها تزويد المسلمين بكل ما يعينهم على قتال عدوهم من معلومات وخبرات، مع كتمان أسرارهم).

فالتوسع العددي، والانتشار جاء لكون هذا التنظيم لم يضع شروطاً جامدة للعضوية، بل جعل العضوية درجات، والالتحاق منازل ومستويات، وكل ذلك مطلوب. وقد قيل إنه كان يُطلب من الملتحقين بالتنظيم إملاء بطاقة مبايعة، تّذكر فيها بعض المعلومات عن العضو كالاسم والمهنة والبلد، ثم التوقيع على صيغة البيعة وهي: أنا فلان أبايع أبا عبدالله أسامة بن لادن أمير المجاهدين على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة عليَّ .. الخ[2]. ثم بعد أن حصلت بعض الأحداث والمواجهات –بعد خروج

---

(1) وشواهد إيواء الهاربين كثيرة.

(2) وهذه البيعة هي التي تؤخذ في غير معسكرات التدريب ، حيث تشمل البيعة في المعسكرات على صيغة أكثر تفصيلاً يشتمل العهد بين الأمير والأعضا على أمور واجبة بالشرع ابتداء لتوكيدها كالجهاد وطاعة الأمير وحفظ الأسرار وأداء الأمانات والنصح للمسلمين، وأمور لم تجب بالشرع ابتداءً ليلتزمها الأعضاء بالعهد مثل أن يشترط الأمير عليهم عملاً معيناً أو عدم مغادرة المعسكر إلا في مدد معلومة أو تحديد مواعيد للنوم واليقظة والطعام والتدريبات . وقد ذكر أيضاً أن هذه الشروط التي تشترط في العهد تشكل أساس اللائحة الداخلية للمعسكر ونظامه . كما أن هذا العهد كان يؤخذ

الروس من أفغانستان- وباقتراح من بعض المقربين لابن لادن، تم إلغاء كتابة هذا العهد وأصبحت البيعة تؤخذ مشافهة يقولها العضو أمام الأمير أو من يوكله الأمير بذلك.

ويمكن تلخيص الأدوار التي يلعبها أعضاء القاعدة، الذين لايلتحقون بالمعسكرات بمايلي:

1- تقديم المعونات المادية لعناصر الجهاد، خاصة لمن يتم تفريغهم، وقد قيل أن ابن لادن كان يغدق بالأموال الطائلة المرسلة إلى عناصره النشطاء في مجال الاستقطاب ، خاصة في مرحلة ما بعد خروج الروس من أفغانستان.

2- تكوين خلايا أو سرايا سرية للقيام بأعمال جهادية، ورفع جاهزيتها لتكون مستعدة للتنفيذ حين يُطلب منها ذلك.

3-تنشيط معسكرات التدريب التي تستقبل المجاهدين الذين لم يتم حصولهم على التدريبات الكافية من قبل.

4- التواصل مع بعض الزعامات القبلية والوجاهات الاجتماعية والسياسية والتنسيق معهم بما يفيد وينفع الشباب من التسهيلات والوساطات التي قد يحتاجونها.

مشافهة أيضاً ، ويؤكد صحة هذه العهود أو البيعات بدون كتابة وبدون إشهاد ، كما يجوز أخذها كتابة والإشهاد عليها ، وأن لاحرج في الحالتين .

7- السريّة:

إن تنظيم القاعدة كجماعة إسلامية لم يهمل مسألة السرية ولم يُلغها من حسبانه كما تفعل الجماعة السلفية التقليدية، والتي اعتبرت السرية مسألة غير مشروعة وحكمت عليها بأنها من بدع الجماعات الإسلامية المعاصرة. واعتبر السلفيون أن السرية ليست من الإسلام في شيء، إذ الإسلام دين لا سرية فيه لأنه دعوة للعالمين، وقد حمل السلفيون على جماعة الإخوان المسلمين – خاصة – لقيام دعوتهم على السرية، فقد ذكر (البيان الإيضاح ما عليه جامعة الإيمان) وهو يعدد مخالفة جماعة الإخوان في أصولهم للكتاب والسنة والإجماع (نأتي إلي الإخوان المسلمين ونذكر أمثلة تدل على أن عندهم أصولاً خالفوا فيها القرآن والسنة والإجماع، ومن هذه الأصول على سبيل المثال التنظيم السري، وهو مأخوذ من الباطنية ، وحقيقة هذا التنظيم أنه يقوم على الكذب والخداع والمكر والتلبيس والتزوير، فأصحابه يظهرون للناس خلاف ما يبطنون، فهو أشبه بطريقة الباطنية، وفيه افتئات على الولاة ، ومخالفة لمنهج أهل السنة الذين يصبرون على الأذى ولا يقومون بهذه التكتلات التي أضرت بالإسلام منذ بداية عهد الإخوان إلى الآن، فليس لسريتهم يوماً أبيض من تاريخ الدعوة ، فدعوة الإخوان المسلمين لا تقوم إلا على العمل السري سواء كانت في مجال العمل والتعلم أو السياسية أو الاقتصاد أو الثورة والانقلاب أو.... فهذا أصل فاسد ...)[1] وفي موضع آخر (قيادة الإخوان المسلمين حالها كالآتي: إنها سياسة تنطلق من القاعدة الأساسية علانية العمل وسرية التنظيم[2] وبهذا فإن السلفيين يرون السرية وسيلة غير شرعية وطريقة أصحاب البدع والضلال قديماً وحديثاً، ومنهج الحزبيين المخالفين

([1]) (البيان ...) ص 108.

([2]) السابق ص 158.

لأصول وقواعد الكتاب والسنة النبوية وإجماع المسلمين.

كما نجد السلفيين الذين انفصلوا عن إخوانهم السلفيين من أتباع مدرسة الوادعى ودخلوا معهم في معارك ضارية[1]، نجدهم أيضاً ينكرون ويرفضون العمل السري، فقد جاء في (السراج والوهاج) عند الحديث عن مسألة العمل الجماعي... ولا يكون تعاون مع الاعتزال والتفرد أو التخبط، أما إن كان المراد منه أن كل رجل يطلب من أتباعه البيعة ، أو يقومون بعمل تكتلات سرية عنقودية أو هرمية – كما يسمونها – ويتبع ذلك ولاء وبراء ، فمن وافقهم على ذلك فله مالهم وعليه ماعليهم، ومن خالفهم – وإن كان مُصيباً– تنقصوه وآذوهُ – وإن كان من أهل العلم والفضل – فإن كان هذا هو المقصود – بلسان الحال أو المقال – في العمل الجماعي ، فهذا من التعاون على الأثم والعدوان وهو منهي عنه..)[2].

إلا أن هؤلاء لم ينكروا السرية مطلقاً كما فعل إخوانهم(3)بل أقروا السرية إذا لم تتجاوز الحد الشرعي . (وأرى ما يسمونه بـــ(السرية) عند الجماعات المعاصرة قد زاد عن حده الشرعي، حتى صار فتنة لهم ولغيرهم، ولأن السرية منها ما أمر به الشرع أو استحبه أو أجازه، ومنها ما حرمه الشرع...) [4].

إما السلفية الجهادية فإنها رأت ضرورة السرية ومشروعيتها كوسيلة معتبرة من الوسائل الشرعية، وجعلتها أصلاً من الأصول الواجبة خاصة سرية الأعمال العسكرية (أما الأعمال العسكرية فالأصل فيها السرية وكيفما أمكن إخفاء المعلومات والأسرار والتحركات فهو واجب،

---

(1) ذكر ذلك في موضع آخر من هذه الدراسة .

(2) (السراج الوهاج) لأبي الحسن المأربي ص 99.

(3) أعني السلفيين غير المجاهدين وجاء في (إرشاد البرية)قلت : كذلك من الأمور المحدثة عند أصحاب الحركات الدعوية المبتدعة ما يُسمى بـــ(البيعة) الخاصة (العهد) والسرية ...) ص78.

(4) السراج الوهاج ص100.

وهذا كله بهدف تحقيق عنصر المباغتة ومفاجأة الخصم، وهو من أهم أسباب النصر)[1].

لم ينكر السلفيون الجهاديون ما قاله السلفيون غير الجهاديين في أن الأصل في دعوة الإسلام أنها قامت على الجهر والعلن، لأنها دعوة لعموم الخلق ورسالة للعالمين، لكنهم قرروا كتمان الإيمان عند الخوف من الأعداء أو سرية الأعمال العسكرية والتي هي من الواجبات الضرورية.

واستدلوا بالأدلة الشرعية وأقوال السلف – خاصة ابن تيمية- على مشروعية السرية في الإسلام . أما سرية الدعوة فقد استدلوا عليها من السيرة النبوية حيث ظل الرسول ﷺ مُخفياً دعوته في مكة حتى أذن الله له.

وأما سرية الإعمال العسكرية فإنهم أطالوا في الاستدلال على صحتها وإثبات وجوبها – ومن ذلك:-

1. ما رواه البخاري عن كعب بن مالك في قصة تخلفه عن غزوة تبوك . قال: (ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى بغيرها) وهذا يدل على أن الأصل في الأعمال العسكرية أن تكون سرية.
2. حديث (الحرب خدعة).
3. أن بيعة العقبة مع الأنصار كانت سرية (البداية والنهاية 160/3).
4. إن هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة كانت سرية.

([1]) تأمل الحكم عليها بالوجوب الذي تحرم مخالفته.

5.ما صنعه الرسول ﷺ مع سرية عبد الله بن جحش. وقصة (نعيم بن مسعود) وسريته التي أوقع بعدها الأعداء من الأحزاب وبني قريظة ببعضهم وسلم المسلمون من شرهم.

ثم قالوا: هذا فيما يتعلق بالسرية في الإسلام مؤيداً بالأدلة الشرعية، ومنه تعلم خطأ من يقول إن الإسلام لا يقر العمل السري، فمما يؤسف له أن بعض من يتصدون للدعوة الإسلامية ينكرون على غيرهم الأخذ بالسرية، وهذا الإنكار يدل على أن الإعداد للجهاد في سبيل الله لم يخطر ببال هؤلاء المنكرين، وإلا لعلموا معنى السرية).[1]

8. الاستعانة بغير المسلمين للدفاع عن البلدان الإسلامية:

بعد أن عاد أسامة ابن لادن إلى المملكة العربية السعودية حين انسحبت القوات العسكرية السوفيتية من أفغانستان عام 1989م، وكانت هذه العودة هي الأخيرة، وفي تقديره أنها كإحدى زياراته لبلدة التي ستعقبها عودة إلى أفغانستان فظل يمارس نشاطه الدعوي للجهاد ورفض انقطاعه حتى لو انسحب الكافرون من بلاد الأفغان، بل لقد أعلن ابن لادن أن مرحلة الجهاد الحقيقي قد بدأت الآن.

وقد تركز نشاط ابن لادن في هذه الفترة على قضية جهاد العدو الأقرب إلى ديار المسلمين، فبدأ يخطط للقيام بأعمال جهادية ميدانية للقيام بعمليات اغتيالات لقادة الحزب الاشتراكي اليمني وتفجير الأماكن التي يتواجد فيه الأمريكان في عدن"[2] ومن جهة

([1]) الأشارة إلى السلفيين غير الجهاديين.

([2]) وقد فشلت محاولات الاغتيال والتي كان أبرزها عملية اغتيال علي صالح عباد (مقبل) كما فشلت عملية تفجير الفنادق في عدن وتم القبض على عناصر الجهاد التابعين لابن لادن ، وقد استطاع بعضهم الهروب من سجن المنصورة في محافظة عدن ، كما تم إطلاق الآخرين بعد سقوط عدن بأيدي المقاتلين الذين عرفوا بقوات الشرعية التي أعادت كيان الوحدة بين شطري اليمن ، وهروب قيادات الحزب الاشتراكي .

أخرى انشغل ابن لادن في مسألة التحذير من غزو عراقي لأرض الحرمين، لكن حكومة المملكة تنبهت للنشاط المتزايد والحماس الكبير لابن لادن وازدياد توافد أنصاره عليه في (جُدة)، فطلبت منه الامتناع عن القيام بأي نشاط علني، كما تم توجيه أمر بصورة تحذير شديد اللهجة، وأنه سوف يتم اعتقاله أو الإقامة الجبرية إن خالف هذه الأوامر الحكومية.

تحققت نبوة ابن لادن ، فغزت القوات العراقية دولة الكويت، فاعتبرها أسامة منحة سماوية، وفرصة لإعلان الجهاد ضد عدو كافر لايشك في كفره وارتداده عن الإسلام فعرض على حكام المملكة وجهة نظره حول كيفية حماية البلاد من الغزو العراقي وذلك من خلال رسالة بعث بها موضحاً كيفية تعبئة الأمة الإسلامية لجهاد العدو الصائل على بلاد المسلمين.

وفي هذا الوقت جاء قرار استدعاء القوات الأمريكية للاستعانة بهم لمواجهة الغزو العراقي وأطماعه في دول الخليج العربي، ونزل هذا الخبر على ابن لادن نزول الصاعقة، واعتبره أكبر صدمة له في حياته. وبرزت مسألة الاستعانة بالمشركين في القتال.

واحتدم خلاف كبير بين السلفيين حول هذه المسألة، فأما هيئة العلماء في المملكة العربية السعودية فقد أفتوا بجواز استقدام غير المسلمين والاستعانة بهم، وعلى رأس هؤلاء الشيخ عبد العزيز بن باز العالم السلفي الذي أجمع السلفيون على إمامته وريادته، في حين اعتبر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني أن الاستعانة بالمشركين محرمة تحريماً قطعياً، ولكنه مع ذلك نظر إلى قضية اعتداء العراق على الكويت باعتبارها من الفتن التي تدخل إلى كل بيت من بيوت المسلمين كما أفادت الأحاديث النبوية التي تحدثت عن الفتن في آخر الزمان . ولهذا فإن الشيخ الألباني أعتبر قضية الاعتداء يمكن حلها في إطار الحل الإسلامي الداخلي، واقترح أن تقوم المملكة العربية السعودية بحل النزاع بين الدولة الباغية

(العراق) وبين الدولة المعتدي عليها (الكويت)، وذلك تطبيقاً لقوله تعالى:(وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفئ إلى أمر الله ...) لكن الشيخ السلفي تفاجأ باستعانة المملكة بالكفار وجلبهم إلى بلاد الإسلام، وذلك – حسب رأيه– لا يجوز مطلقاً لأنه يخالف القاعدة الشرعية التي جاءت في الحديث النبوي: (إنا لا نستعين بمشرك)، وليس هناك استعانة أخطر من هذه الاستعانة ، والتي أدخلت الصليبيين الكفار بلاد الإسلام دون ثمن، بل بثمن دفعه هؤلاء المستعينون بالكفار، وهذا ما لم يقع في التاريخ الإسلامي من قبل[1] ويمكننا أن نضيف رأياً سلفياً ثالثاً في هذه القضية، فعند ما سُئل الشيخ مقبل الوادعي:(فضيلة الشيخ سبق وأن سمعنا لك فتوى بجواز الاستعانة بالكفار إذا كانت تحت قيادة إسلامية واتضح أن القوات التي استعانت بها السعودية ودول الخليج ليست تحت قيادة إسلامية، بل تحت قيادة أمريكية، وهم يمارسون كل الخلاعات من شرب الخمور وتبرج النساء وغيرها. وكما هو معلوم أن الكفار لم يأتوا لحماية الأراضي السعودية بل هدفهم الوحيد ضرب الإسلام والمسلمين؟

فأجاب الشيخ عن تساؤل تلاميذه: (أنا تكلمت بآية قرآنية أو بأحاديث نبوية، لأن صداماً البعثي قتل الدين بالعراق، فلو تولى أرض الحرمين لجعل الحج مرتعاً للدعوة البعثية التي تعتبر كافرة ، فأنا في نظري أن أمريكا أهون من صدام البعثي، وهناك دعاة في أمريكا يدعون إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ.

والفتوى كما قلت قبل مأخوذة من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ وتقدم أن قلنا إن الإتيان بهم يدل على سقوط حكام المسلمين وإنهم ليسوا بشيء فالمسألة خلافية بين أهل العلم: هل يجوز أن يُستعان بالكافر أم لا يجوز ؟ فالذي أراه واعتقده وأدين الله به أن يجوز

---

[1] من شريط (حول الأحداث) للشيخ الألباني. ومن المفارقات أن الشيخ لم يعتبر النظام البعثي في العـراق خارجـاً عـن الإسلام، في حين اعتبر النظام البعثي في سورية نظاماً كفرياً، واستنكر على المملكة الاستعانة بالدولة السورية.

أن يُستعان بالكافر لمصلحة الإسلام والمسلمين، هذه الفتوى قال بعض إخواننا: إن السعودية هي عميلة لأمريكا ؟ قلنا: هي عملية من قبل أن تستورد هؤلاء، ونحن لا نقر ما وقع من المنكرات.... ولكن من السبب في كل هذا؟ هو صدام صدمه الله بالبلاء، ومن السبب في الإتيان بهم؟ هي السعودية لاجزاها الله خيراً، وإذا ذكرنا السعودية فنعني فهداً ومن سلك مسلكه الضايع المايع ...)[1].

وبهذا فإننا نجد ثلاثة أشكال من الفتاوى السلفية في الحكم على حادثة واحدة، الأولى أجازت الاستعانة واعتبرتها شرعية، والثانية حرمت الاستعانة واعتبرتها مخالفة للقواعد الشرعية وحذرت من خطورتها، والثالثة أجازت الاستعانة وأكدت أنها مأخوذة من الكتاب والسنة النبوية، إلا أن هذه الأخيرة أضافت الحكم على صدام ونظامه بأنه كافر، وخطورته أعظم من خطورة الأمريكان ورئيسهم، في حين اعتبرت الفتوى الأولى والثانية النظام العراقي نظاماً إسلامياً.

لقد أدركت جماعة القاعدة تلك الفتاوى المتناقضة، واعتبرتها نوعاً من الاختلاف الحاصل نتيجة لتعارض الأدلة الشرعية في مسألة الاستعانة بالمشركين، ولذا فإن علماء المسلمين اختلفوا ما بين قائل بمنع الاستعانة منعاً مطلقاً، وآخر يرى أن هذا المنع كان قائماً ثم نُسخ، بينما قال آخر بأن الإباحة هي الأصل, لكن ابن لادن وجماعته قدموا حلاً لهذه المسألة يجمع بين تلك الفتاوى المختلفة، فقد اعتبروا أنه لا تناقض بين الأدلة الشرعية

([1]) قمع المعاند ص 95-96 . والجدير بالإشارة أن الوادعي قد غير رأيه في حكمه على حكام المملكة ، بعد أن قام بالسفر للعلاج في المملكة بناء على دعوة من وزارة الداخلية السعودية ، وقد وصفت زوجته لم سلمة استقبال الشيخ أنه (كان استقبال الأمراء ، وترحيبهم له ترحيب الأمراء ، ثم انتقل على سيارة خاصة من مطار الرياض إلى فندق المربع ، وأعطي كل ما يحتاج إليه ..) كما تم نقله للعلاج في أمريكا على حساب المملكة ثم عاد إلى السعودية ، ثم استكمل علاجه في ألمانيا، وعودته إلى المملكة ، وتوفي في جدة ودفن في مكة في ربيع الآخر عام 1422هـ وقد كتب الوادعي قبل وفاته رسالة (مشاهداتي في المملكة) وتراجع عن كل ما قاله في المملكة وحكامها .

الواردة في هذه القضية، فالحديث النبوي الذي جاء فيه المنع (لن أستعين بمشرك) حديث عام يفيد منع الاستعانة بأي كيفية من الكيفيات سواء في القتال أم في الإعداد للقتال, لكن الحديث النبوي الذي أجاز الاستعانة بصفوان المشرك لم يفد جواز الاستعانة مطلقاً بل أفاد جواز نوع معين من الاستعانة . ولذلك لخصت القاعدة حكمها في المسألة بما يلي:-

1. جواز الاستعانة بالمشركين في حالات خاصة، كالاستعانة بخبرات غير المسلمين وعلومهم، وكذلك الاستعانة بسلاحهم من خلال الشراء أو الاستعارة.

2. عدم جواز الاستعانة في القتال نفسه، بحيث يكون غير المسلم مقاتلاً في صفوف المسلمين، أو يكون مخططاً للمعارك أو مشرفاً على أي أمر من أمور القتال.

تلك كانت رؤية ابن لادن النظرية الاعتقادية، لكنه لم ينشغل في التأصيل النظري والرد على مخالفيه، إذ مسألة مواجهة الدولة البعثية قضية لا تحتاج إلى نقاش، فالمعتدي في نظر هذه الجماعة كافر وقتاله واجب إسلامي لكن الذي شغل ابن لادن في هذه الفترة كان قدوم الأمريكان إلى جزيرة العرب فسعى نحو الدعوة إلى تكوين مؤسسة شرعية مستقلة تضم عدداً من العلماء لتكون بديلة عن هيئة كبار العلماء التابعة للدولة السعودية، والتي صارت في نظره أداة مطيعة للحكام، ولكن مساعيه في هذا المجال لم تنجح. ومع ذلك لم ييأس فاتجه إلى وسيلة أخرى؛ حيث استطاع الحصول على فتوى شرعية من الشيخ محمد صالح بن عثيمين والذي يحتل مكانة كبيرة لاتقل عن مكانة الشيخ عبدالعزيز بن باز المفتي العام في المملكة ورئيس هيئة كبار العلماء، وكانت الفتوى تؤكد وجوب الاستعداد للقتال ورفع الجاهزية على كل مسلم للدفاع عن بلاد المسلمين، وقد كانت تلك الفتوى هي العصا السحرية التي استطاع ابن لادن بواسطتها أن يدفع بأعداد كبيرة نحو التوجه إلى أفغانستان، وتقاطر المجاهدون إلى بلاد الأفغان التي قد كان كثير منهم غادروها

بعد خروج الروس منها، فتلملم شمل القاعدة وازدادت قوة وتماسكاً بفضل أعدائها الذين كانوا في غفلة عنها، حيث انشغل العرب والعجم بصدام وقواته الغازية، فتجمعوا وتحالفوا لمواجهته، وتجمعت القاعدة وأنصارها في بلاد الأفغان. ورغم عدم قدرة ابن لادن من التوجه إلى أفغانستان، لكنه كان قد استطاع أن يبني لهؤلاء المعسكرات الستة ومتطلباتها المادية والمعنوية التي كانت كفيلة بعدم تشتتهم وتفرقهم؛ وانتظر الجميع قدوم الأمير القائد، والذي لم يغب عنهم طويلاً.

ميثاق جماعة القاعدة

لا تمتلك جماعة القاعدة مشروعاً سياسياً متكاملاً -كغيرهامن جماعات الجهاد السلفية - لكننا نستطيع أن نستخلص من مجمل كتابات قادتها وخطاباتهم ما يمكن اعتباره ميثاقاً للجماعة . ويمكن استخلاص تلكم المنطلقات الفكرية والأهداف والوسائل الاستراتيجيات والمواقف من خلال نظرة فاحصة للمنهج العام لتنظيم القاعدة بما يلي :

1- **البنية الأساسية** لهذه الجماعة تتكون من الأعضاء الذين أعطوا البيعة والطاعة للأمير وعرفوا واجباتهم وحقوقهم ، ورفعوا راية الجهاد في وجه الأعداء من الكفار بشتى أنواعهم واختلاف راياتهم . "فهذه طائفة قائمة بأمر الدين تقاتل عليه، موعودة بالنصر والظهور مبشرة بأنها لا يضرها من خالفها".

2- لا تمانع الجماعة من انتساب أي مسلم إليها ، يعتقد عقيدتها ويلتزم بمنهجها وقواعدها، فهي جماعة إسلامية عالمية، استمدت عالميتها من عالمية الدين الذي تسعى لنصرته وتثبت دعائمه.

3- **البعد الزماني** لهذه الجماعة استمدته من كونها اعتمدت الإسلام منهج حياة لها، فهو ممتد إلى أكثر من ألف وأربعمائة سنة. أما البعد المكاني فإنها تعتبر حيثما وجد مسلمون في أي شبر من الأرض عمقاً لها وامتداداً مكانياً لها.

4- **وهي جماعة متميزة مستقلة** لا تتبع تنظيماً أو جماعة من الجماعات، بل لها كيان خاص مستقل. وهذا البند يمكن فهمه من خلال (الطائفة الناجية المنصورة) " قلت: ولذلك يمكن القول بأن الطائفة المنصورة هي الطائفة المجاهدة المتبعة

للمنهج الشرعي المستقيم، منهج أهل السنة والجماعة.

5- "والمقصد من هذا أن يسعى كل مسلم لأن يكون من هذه الطائفة المنصورة القائمة بنصرة الدين بالعلم والدعوة والجهاد..".

6- **الموقف من غير المسلمين**: " والله جل شأنه يأمر المؤمنين شرعاً بدفع الكافرين المسلطين قدراً على المؤمنين ..". "أولاً: بالدعوة إلى الإسلام.. ثانياً: التبرؤ من الكافرين أحياءً وأمواتاً وكرهاً بإظهار العدواة والبغضاء لهم ولكفرهم، وعدم اتباع أهوائهم ومناهجهم واعتزالهم وعدم مخالطتهم .. ثالثاً: الاعتزال والهجرة.. رابعاً: الجهاد في سبيل الله " .

فالجماعة ترى أنه في ظل الأوضاع الحالية لا يمكن التعايش مع أصحاب الديانات الأخرى -خاصة اليهود والنصارى- الذين اعتدوا على الأرض والمال والأنفس وسلبوا المسلمين حقوقهم ، فانتشر الظلم والفساد في ظل غياب شريعة الإسلام ، ولا يمكن أن يسود الأمن والأمان إلا بالجهاد في سبيل الله واستئصال الكفر .

7- **ولا يوجد للجماعة شعار خاص بها** يميزها عن غيرها، ولكن يمكن اتخاذ كلمة للسرية في الوقت المناسب، ليتفاهم بواسطتها العاملون في نصرة الدين، فقد ورد استخدام كلمة السر في غزوات النبي ﷺ.

8- **الأهداف والبواعث**: "إن الجهاد في سبيل الله هو طريق العزة والسيادة في الدنيا وهو طريق السعادة في الآخرة.. والجهاد هو وسيلة إظهار الدين..".

فالأهداف هي تحكيم شرع الله وإزالة حكم الطواغيت وإقامة الدولة الإسلامية القائمة على الكتاب والسنة، ولن يتم ذلك إلا إذا قامت لتحقيقه طائفة

من المسلمين "فإنه في غياب الحكم الإسلامي والخلافة لو اجتمعت طائفة من المسلمين على القيام بواجبات الدين ، فهذا واجب بحد ذاته ".

9- **الاستراتيجيات والوسائل:** ذكرت أن الجماعة اتخذت الاجتهاد والجهاد استراتيجية أساسية منذ قيامها، " فإن الجهاد لا ينبغي أن يقتصر على الخاصة وعلى جماعات الصفوة.. " " وكذلك فإن راية الجهاد ينبغي أن تكون إسلامية خالصة غير مختلطة بأي من الأهواء والآراء البشرية.." . "والقوة الإسلامية هي رجال ومال وسلاح.." " ونرى أن الاجتهاد ماض لاينقطع ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجة..".

فالجماعة تعتقد أن كل بلد إسلامي لا يجوز التفريط فيه، وأنه يجب أن يسوده الحكم الإسلامي الحقيقي والمستمد من الكتاب والسنة النبوية وعلى هدي السلف الصالح، ولهذا فإنه لابد من إزالة كل العوائق والموانع عن تحقيق هذه العقيدة "والجهاد هو وسيلة إظهار الدين، كما قال تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله).

وتعتقد الجماعة أن العبودية التي أمر الإسلام بها واتفقت عليها الرسل عليهم السلام، لا تكون إلا لله وحده، فهي لن تتحقق إلا بالجهاد. "إن الجهاد هو ذروة سنام الإسلام، وهو من أعلى مراتب العبودية لله عز وجل.. فأي شيء فوق هذا؟ وأي عبودية للرب بعد هذا؟ وهو دفاع عن ألوهية الله تعالى المعتدى عليها في الأرض، حتى تكون لا إله إلا الله ، وحتى لا تكون هناك آلهة أخرى تُعبد في الأرض من دون الله..".

وأهم بنود استراتيجية الجماعة ترتكز على أحقية كل مسلم للدفاع عن ألوهية

الله تعالى المعتدى عليها في الأرض، فالجماعة تسعى لإحقاق الحق الإلهي وإبطال الباطل. "والله سبحانه وتعالى يختار لنصرة دينه من يشاء من خلقه، فلما كفر أهل مكة بالنبي ﷺ، اختار الله تعالى له أهل يثرب ليكونوا أنصاره.." فالجماعة هي اختيار إلهي لتحقيق العبودية لله تعالى وحده.

10- وتسعى الجماعة لاكتساب صفة العالمية لتصبح تنظيماً دولياً وكياناً تحسب له القوى الدولية حساباً قبل أن تقرر الإقدام على أي اعتداء لشبر من أراضي المسلمين. ".. رغم قلتهم وضعفهم في المجال الإقليمي الضيق إلى المجال العالمي الدولي، ليتنبه المسلمون إلى القوى العالمية المعاصرة لهم: موازين قوتها وصراعاتها وتحالفاتها، وذلك لأن هذا الدين دين عالمي وليس محلياً ولا إقليمياً ولا بد له من جولة مع هذه القوى العالمية..".

11- لا تعتمد الجماعة في سياستها المالية إلا على مصادرها الخاصة التابعة لها مباشرة، فهي لا تعتمد على جماعة أو طائفة أخرى أو على دولة من الدول، لأن ذلك يؤدي إلى تفكيك التنظيم وتحويل مسار الجهاد والتخلي عن مبادئه. "وكما أن المال خير عظيم للجهاد، فقد يكون شراً مستطيراً عليه، ذلك عندما يستخدم المال لشراء الذمم وبيع القضايا الإسلامية وتحويل مسار الجهاد أو التخلي عن بعض المبادئ..".

وترفض الجماعة التبعية المالية إذ أنها " من الأساليب الشيطانية لشراء الحركات الجهادية واحتوائها، سياسة الإغراق المالي، فتغدق الجهة أو الدولة التي تريد شراء الحركة الأموال على الحركة بلا حساب وبلا شروط، حتى إذا تضخمت أنشطة الحركة الجهادية وكثر أتباعها وصارت لا تستغني عن أموال هذه الجهة،

أخذت هذه الجهة في فرض شروطها مقابل استمرار الدعم المـــالي، فـــإذا قبلـــت الحركة الجهادية هذا، معناه أنها تحولت تلقائياً إلى العمالة، ويتحول المجاهدون إلى عملاء لا يفعلون إلا ما تسمح به الجهة الممولة وما يتفق مـــع سياســـتها، وتُـــشل الأعمال القتالية للحركة ..".

" ولهذا فإن الاعتماد على الموارد الذاتية يحمي المجاهدين من الـسقوط فـــي أغلال التبعية لجهات التمويل والضغط، ويكفل لهم حرية استقلال القرار".

12- **الموقف من واقع المسلمين:** " نحن نزيد عن مليار مسلم, وبلاد المسلمين هي أغنى بلاد العالم بالثروة، وتمتد من مشارق الأرض إلى مغاربها، وتتحكم في أغلب الممرات والمضايق البحرية، فما هو حال هؤلاء المليـــار؟! ومـــا هـــو مركزهم وتأثيرهم في هذه الدنيا؟!".

" وكيف يتسلط شعب لا يزيد عن المليونين، ضربت عليهم الذلـــة والمـــسكنة والغضب واللعنة قدراً وهو الشعب اليهودي؟! كيف يتسلط على مليار مسلم؟! وكيف يوجد لنفسه دولة من العدم في قلب بلاد المسلمين –ولا أقول ديار الإسلام؟!"

"فالكافرون من الكفار الأصليين ومن الحكام المرتدين يسومون المسلمين سوء العذاب، يقتلون الرجال ويغيبونهم في السجون ويعذبونهم، ويأسرون نساء المسلمين ويرتكبون معهن الفاحشة في سجون الطواغيت، أضف إلـــى ذلـــك قطـــع الأرزاق ونهب الثروات وتبديل الدين وإشاعة الفتن والفواحش، لينشأ النشء على غير صلة بدينه"..

"ونرى إعلاماً ونشاطاً علمياً إسلامياً واسعاً، بلا أثر في واقع المسلمين، فكثير من هذا العلم والإعلام لا يُبتغى به وجه الله تعالى بل إما طلب رياسة أو مـــال أو

وظيفة أو تأييد أباطيل السلاطين وتثبيت أوتـاد الكـافرين.. انظـر إلـى حجـم المطبوعات الإسلامية الآن والأشرطة المسموعة والمرئية والـصحف والمجـلات والدرجات العلمية التي تعطى بحق أو بباطل، والمؤتمرات الإسلامية والمـسابقات والجامعات والمعاهد الإسلامية والإذاعات والنشرات، حجم وتنوع لم يسبق له مثيل، فما العائد من كل هذا ؟!".

13- ولا ترى الجماعة أيضاً فائدة ترجى من المؤتمرات وما يُعرف بالحلول السلمية لأنها لا تعيد الحقوق ولا تنصف المظلوم، فلا تسترد الحقوق إلا بالقوة والجهاد في سبيل الله.

14- **فلسفة الجهاد:** ترى الجماعة أن جهادها وحربها مع أعدائها، قـضية دينيـة، وهي -في هذا الزمان- فرض عين على كل مسلم توافرت فيه شروط الجهاد. "إذا كان الاعتصام بالكتاب والسنة يحفظ هذا الدين علـى أصـوله المـستقرة ويحميه من عبث بعض المنتسبين إليه، فإن الجهاد يدفع عن هذا الدين وأهلـه بأس المحاربين له والخارجين عليه..".

"إن الله جل شأنه خلق الخلق، وأمرهم جميعاً بعبادته أمراً شرعياً علـى ألـسنة رسله، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، وهكذا شاء الله سبحانه قدراً أن ينقسم خلقه إلى مؤمن به وكافر، ثم سلط الله سبحانه الفريقين بعضهم علـى بعـض، قـال تعـالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: 20] فسلط الله سبحانه الكـافرين على المؤمنين بالأمر القدري يفتنونهم أو يقاتلونهم، وسلط سـبحانه المـؤمنين علـى الكافرين بالأمر الشرعي يدعونهم إلى الهدى، فمن أبى قوتل على هذا لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله، وحتى لا يُعبد في الأرض إلا الله وحده لا شريك له..".

فالاقتتال يدخل ضمن سُنن الله الكونية التي لا مهرب للبشر منها، ما اختلفت أديانهم ومعتقداتهم وآرائهم، بل هي من حكم الله وسننه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود :118-119] أي خلقهم سبحانه للاختلاف في أديانهم واعتقاداتهم وآرائهم.. فشاء الله جل وعلا أن ينقسم خلقه إلى مؤمن به وكافر، مشيئة كونية قدرية لا تتخلف.. ".

وبانقسام البشر إلى مؤمن وكافر حصلت العداوة بينهم والاختلافات والاقتتال كسنة كونية لا مهرب منها، لأنها مشيئة الخالق. والكافر يعادي المؤمن لإيمانه، ولو لم يكن المؤمن مؤمناً لما عاداه الكفار، "وما ينبغي إدراكه أنهم يحاربون المؤمن بسبب إيمانه.. "، "فمعاداة الكافرين للمؤمنين لا تنقطع بالكلية طالما كان المؤمنون على إيمانهم ولو مع التقصير.. ".

15- **الموقف من الأحزاب الإسلامية والجماعات العاملة للدين:** قد تحدثت عنها في موضع سابق، وملخص ذلك:

أ) ترى الجماعة أن المسلمين أمة واحدة، وأن المسلم أخو المسلم وإن تباعدت ديارهما ولكل حق النصرة، ولا تفاضل إلا بالتقوى والعمل الصالح.

ب) الواجب في هذا الزمان هو العمل الجماعي لنصرة الدين وليس الاعتزال.

ج) الواجب على المسلم أن ينصر الجماعة التي تجاهد في سبيل الله.

د) الجماعات التي لا تنشغل بالجهاد -غير الجهادية- لا بأس من قيامها وتعددها في البلاد الإسلامية.

هـ) الجماعات الجهادية لا يجوز تعددها في البلد الواحد لأن ذلك تشتيت لشمل المسلمين وإهدار للطاقات الجهادية، أما إذا تعددت البلدان فقد يكون هناك متسع لتعدد الجماعات الجهادية العاملة بقدر هذه البلدان، فإذا تعددت الجماعات بتعدد البلدان ثم غلبت إحداها على بلد وصار منها إمام للمسلمين، فيجب على كافة الجماعات الجهادية الأخرى الدخول في طاعة هذا الإمام والهجرة إلى ذلك البلد لنصرته وشد أزره.

و) لا نقر التشدد والغلو خاصة فيما يتعلق بالمجاهدات الشديدة وترك المباحات، كما هو حال الفرق الصوفية.

ز) لا نقر الغلو عند الشيعة والذي هو أساس مذهبهم وتأويلاتهم الباطلة.

16- **الموقف من الأحزاب غير الإسلامية والروابط الوطنية والقومية:** "إذا تأملنا حال المسلمين الذين لا يميزون بين الحق والباطل في هذا الزمان، نرى أحدهم يزعم أنه مسلم، ثم ينادي بالمبادئ الكفرية كالاشتراكية والديمقراطية والقومية، فلا هو تبرأ منها ولا هو من أهلها، وترى أحدهم عضواً في حزب من الأحزاب السياسية التي تنادي بهذا الكفر دون حياء ..".

فالجماعة تعتقد أن هذه الجماعات والأحزاب قامت لإضعاف الروابط الشرعية التي أمر الله بها المسلمين وأهمها رابطة الدين. " واوجد الكافرون روابط بديلة: كرابطة الأرض (الوطن) وهي تسمى بالرابطة الوطنية، وتقضي بانتماء الناس لبلدهم وعدم التفريق بينهم على أساس دياناتهم، وتقضي هذه الرابطة بأن مصلحة الوطن مقدمة على كل شيء، وهذا باطل شرعاً، ولا ينبغي أن يكون انتماء المسلم وولاؤه لقطعة أرض، لأنه قد يجب عليه في

وقت ما هجرة هذه الأرض في سبيل الله.. كما تقضي الرابطة الوطنية بأن المسلم من غير أبناء البلد أجنبي عن المسلم فيه، وهذا من أنكر المنكرات.. ومن الروابط الجاهلية: رابطة القومية خاصة إذا جعلت العلمانية قاعدتها.. " ومن الروابط الجاهلية: رابطة اللغة الواحدة أو اللون أو المصالح المشتركة.. كل هذه الروابط لا اعتبار لها خاصة عندما تتعارض مع ما تقتضيه أحكام الشريعة. وما أبرزت هذه الروابط إلا بأيد الكافرين لتفريق المسلمين وإشعال العداوات بينهم..".

فالجماعة تعتقد أن جميع الأحزاب التي التقت والتفت حول مبادئ غير إسلامية هي أحزاب جاهلية كافرة لا يجوز الاشتراك فيها أو دعمها بأي صورة من الصور أو بمعنى آخر: لا تؤمن الجماعة بالتعددية الحزبية، ولا تقر قيام حزب على غير شريعة الإسلام، وكل رابطة سوى رابطة الانتماء للدين باطلة ومحرمة ، وقد بذرها أعداء الدين لأغراض خبيثة.

17- **أولويات القتال:** يجب البدء بقتال العدو الأقرب، لأنه أكثر ضرراً، وفي قتاله دفع لضرره عن المقابِل له وعمَّن وراءه.

وقتال المرتدين الممتنعين -أي حكام العرب والمسلمين- مُقدَّم على قتال الكفار.. إن هؤلاء الحكام مع حكمهم بغير ما أنزل الله يُشرعون للناس ما يشاؤون من أحكام ، فهم قد نصبوا أنفسهم أرباباً وآلهة للناس من دون الله تعالى.. ".

- " وإن كان الحاكم المرتد ممتنعاً بطائفة تقاتل دونه، وجب قتالهم، وكل من قاتل دونه فهو كافر مثله..".

- " ولا يقتصر جواز القتل لمناصري الحاكم المرتد والمدافعين عنه بالسلاح

والقوة، بل يقاتل كل من ساند الحاكم المرتد بالقول أو بالفعل، لأنه كافر، وإن كان ينطق بالشهادتين ويظهر بعض شعائر الإسلام. "فكل من نصر الكافر بالقول أو بالفعل لنصرة كفره فهو كافر مثله، وهذا هو حكمه الظاهر في الدنيا كممتنع عن أهل الإيمان والجهاد، وقد يكون مسلماً في الباطن لوجود مانع من التكفير في حقه أو شبهة ونحوه، إلا أن هذا لا يمنع من الحكم بكفره لقيام المقتضى في حقه..".

- " وقتال الحكام المرتدين واجب شرعي مقرر بالنص الشرعي والإجماع، "لذلك لا يجوز الاجتهاد في كيفية مواجهة الطواغيت مع وجود النص والإجماع، وأن من اجتهد مع وجود النص والإجماع في هذا المورد فقد ضل ضلالاً مبيناً.." .

18- **لا حُرمة لأموال الأعداء الكافرين المرتدين**: تعتقد الجماعة بأنه لا حرمة لدم الكافر ولا لماله ، ولأن حكومات هؤلاء الحكام غير شرعية وكذلك قوانينها غير شرعية ، لذلك فإن أموالهم لا حرمة لها، بل يجب أخذها والاستيلاء عليها حسب رؤيتها " كما يجب على المسلمين السعي في الاستيلاء على أموال الكافرين بالقهر (وهي الغنيمة) وبالحيلة ونحوها (وهو الفيء) ..".

19- **قضية الجهاد قضية عامة** لأبناء الشعوب الإسلامية وليست قضية خاصة.

20- **ما يجب على الشعوب الإسلامية فعله حيال حكامهم المرتدين الكفار**: "ليس معنى هذا أنه يجب أن يشارك مجموع الشعب في بلد ما في هذه القضية -قتال الحاكم- فهذا مستبعد، ولكن المطلوب هو أن تشارك نسبة معينة من الشعب تتكون بها الشوكة القادرة على فرض النظام الإسلامي، ثم حمايته من أعدائه في الداخل والخارج، أما بقية الشعب فيكفي أن تكون متعاطفة أو على الأقل محايدة حتى يتبين لهم الحق ، كذلك يجب توعية العامة بأنه من لم

يستطع منهم أن يكون له دور إيجابي في مواجهة الطواغيت فلا يدعم بطشهم وإيذاؤهم للمؤمنين ..".

21- **أما قتال الكفار الأصليين،** فقضية لا تحتاج إلى أدلة، حيث استحقوا القتال لمجرد كفرهم وعداوتهم للمسلمين، فكيف لو أضيف إلى ذلك كونهم اعتدوا على بلاد المسلمين، واحتلوا بعض البلدان الإسلامية، فوجب قتالهم وجوباً عينياً، دون تمييز بين كافر وكافر، فالكفر ملة واحدة، واليهود والنصارى والوثنيين لافرق بينهم في وجوب مقاتلهم ومواجهتهم.

ويدخل في حكم الكافر الذي يجب قتاله، الحكام العرب وحكام البلدان الإسلامية، "إن هؤلاء الحكام المرتدين قد قامت بهم جميع الأوصاف المغلظة كالردة والمحاربة والقرب.. "، ولا فرق بين كفر العربي وكفر الأجنبي، "فالذي يقول بالتفريق بين الكافر الأجنبي والكافر الوطني في الأحكام هو كالذي يقول بالتفريق بين الخمر المستوردة والخمر المحلي..".

22- **الموقف من القوانين والتشريعات في البلدان الإسلامية:** تعتقد الجماعة أن هذه القوانين الوضعية هي قوانين طاغوتية، وأنها كفر أكبر مخرج من الملة الإسلامية ، فالكفر يشمل من وضع هذه القوانين أو اقتبسها من قوانين الدول الكافرة، وكذلك يكفر من حكم بها، أو تحاكم بها راضياً مختاراً.[1] فتحاكم المسلمين إلى الشريعة بعيداً عن المحاكم الكافرة واجب عليهم، ونحن ندعو الناس إليه بقوة.. ".

"يجب إخراج الزكاة وإن عطلها الحكام، وأداء الديات وأُروش الجراحات

---

(1) وقالوا : " .. وإن أتى بأركان الإسلام الخمسة وغيرها " أي يكفر أيضاً.

والكفارات وإن لم تحكم بها المحاكم الكافرة، وحُرمة الربا، ومما يتعلق بهـذا مراعاة القيمة في القروض وفي البيع بالأجل، وذلك لأن قيمة الأوراق المالية تتغير كثيراً بالزمن.. ". ولا يجوز الالتزام بهـذه التـشريعات والقـوانين إلا اضطراراً أو كرهاً "ويحرم على كل مسلم دفع الأموال لهؤلاء الطواغيت فـي أي صورة، من جمارك وضرائب ونحوها إلا مضطراً أو مكرهاً ". لأنـه لا شرعية لهذه الحكومات ولا لقوانينها.[1]

23- **وفي مسألة التترس:** إذا تترس الكفار المقاتلون بمسلمين فلابد من قتالهم ولو أدى ذلك لقتل المسلمين " ولا شك أن الضرر النازل بالمـسلمين مـن تـسلط الحكام والمرتدين عليهم، و ما إلى ذلك من الفتنة العظيمة، هذا الضرر يفـوق أضعافاً مضاعفة قتل بعض المسلمين المكرهين في صف العدو أو المخالطين له عن غير قصد.. فيجب دفع المفسدة العظمى (فتنة الكفر والـردة) بتحمـل المفسدة الأخف (وهو ما يترتب على الجهاد من قتل وغيره..).

لأن منع القتال بحجة وجود بعض المسلمين، فيه تعطيل للجهاد، "وكما لايخفى، فهذا القول يفضي إلى تعطيل الجهاد بنوعيه (قتال الطلب وقتال الدفع) فما من بلـد الآن إلا به مسلمون مخالطون للكفار بنسب مختلفة، يوجد مسلمون بالصين والهنـد وروسيا وأمريكا وغيرها وكلها ديار كفر، أفيمنع هذا من جهادهم عند الاسـتطاعة ؟!"[2].

---

(1) وعدم شرعية الضرائب والجمارك يشاركهم فيها السلفيون المسالمون إلا أنهم لايعزونها إلى عدم شرعية الحكومات .

(2) تأمل في هذه المسألة وقارنها بالنسبة للمسلمين الذين كانوا في برجي مركز التجارة العالمي.

24- **تعتقد الجماعة بأنه يلزم للتغيير والإصلاح أمور ثلاثة:** منهج صواب، وصدق في اتباع هذا المنهج ، وإخلاص النية في هذا كله.

25- **العلم والتربية مطلبان أساسيان يجب أن يسعى إليهما كل مسلم ومسلمة،** إلا أنهما –العلم والتربية– ليسا من شروط وجوب الجهاد، "بمعنى أنه لا يصح أن ننهى أحداً عن الجهاد حتى يتعلم دينه أو يزكي نفسه، اللهم إلا العلم العيني الخاص بالجهاد كعلم مشروعية الجهاد ومعرفة الراية التي يقاتل تحتها".

26- **العلماء المسلمون والدعاة إلى الدين:** تحترم الجماعة علماء المسلمين سلفاً وخلفاً، وتشد على أيدي الدعاة إلى الله على بصيرة، لكنها نعتقد في هذا الشأن بعض التفصيلات منها:

أ- أن الأقوال المرجوحة في المذاهب الفقهية أياً كان قائلها، ورغم كون المجتهد مأجوراً فإنه لايُعمل بها طالما ثبت الدليل بخلافها، ويدخل في هذا العقود والشروط والمصالحات التي تقع بين الناس، ما خالف الشريعة منها فهو مردود مرفوض.

ب-لا أحد معصوم من هذه الأمة بعد النبي ﷺ، إذ أمر الله بالرد عند التنازع إلى الله ورسوله ﷺ، ولم يأمر بالرد إلى فلان من العلماء مهما بلغ علمه وشأنه، وفي هذا إبطال لمسألة العصمة للأئمة عند الشيعة، كما فيه إنكار ونقض للتعصب المذهبي عند مقلدة المذاهب.

ج- "تحذر الاخوة المسلمين من صنفين من المنتسبين إلى العلم الشرعي: الصنف الأول: العلماء الذين انكبوا على الكتب وانقطعت صلتهم بواقع الناس.. الصنف الثاني: الذين اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً من مال أو

منصب ونحوه.. فنحذر من هذين الصنفين من أهل العلم من انقطعت صلته بالواقع ومن آثر الدنيا، خاصة في المسائل المتعلقة بالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل ما فيه مساس بسلطان الطواغيت..".

د- "وما يقال للمسلمين على ألسنة بعض الدعاة كثير منه كذب متعمد فيما يتعلق بنصرة الطواغيت وأنظمتهم بتحريف الكلم عن مواضعه ولبْس الحق بالباطل، ومن هؤلاء الدعاة من تسلط عليه الأضواء وتُضفى عليه الألقاب وتُفرد له الصفحات ليقوم بمهمته الشيطانية ".

ه- " إن كثيراً من الدعاة تُكذب أفعالُهم أقوالَهم، وإذا أردت أن تختبر صدق داعية في هذا الزمان فاسأله عن الطواغيت وحكم جهادهم، فإن صدقك القول فانظر في فعله وسيرته هل تصدق قوله أم لا ؟ لقد أصبحت هذه المسألة في هذا الزمان فرقاناً بين الحق والضلال" ، " والعجب من أناس ينتسبون إلى العلم والدين ومذهب السلف فرغوا أقلامهم في هذا الزمان لمهاجمة الطواغيت الميتة ونسوا أو تناسوا الطواغيت الاحياء.." .

و- " وكذلك فإن هناك أعمالاً تقدم للناس على أنها إسلامية وحقيقتها ليست كذلك ، بل منها ما يهدف إلى نهب صدقات المسلمين أو يهدف لتحقيق مآرب شخصية أو حزبية ، ومنها -وهو أشرها- ما هو حقيقة مراكز تجسس تعمل لحساب الطواغيت ولنشر دعاياتهم وكفرهم تحت غطاء إسلامي .. ".

ز- " كذلك فإن هناك أعمالاً إسلامية تصبغ بصفة العالمية، ويُنفق عليها بسخاء، والهدف معروف وهو أن تمتد أيدي الأخطبوط إلى جميع البلدان

تحت ستار العالمية، تتحسس وتُمسك بأي حركة إسلامية وليدة فيما يُسمى بسياسة الاحتواء فيلزم الحذر منها وتحذير المسلمين".

27- **للمرأة المسلمة مكانة خاصة وتقدير لدورها في بناء الرجال،** ودورها في توعية النشء وتربيتهم تربية صالحة لينهضوا بأدوارهم في الحياة، والمرأة سواء كانت أماً أم زوجة أم أختاً لها دور هام في نفوس الأبناء ليستعدوا للقيام بدور جهادي في المستقبل. وبيت المرأة هو مملكتها التي حاول أعداء الإسلام إبعادها عنه وإخراجها لتعاقر الرجال وتُداس كرامتها وتُسلب عفتها.

وللمرأة أن تقوم بأدوار إيجابية في دفع عجلة الحياة، فهي المعلمة الحكيمة والمربية البصيرة، والطبيبة، على أن يكون ذلك مع الالتزام بأحكام الشريعة وروح الإسلام، فلا اختلاط ولا سفور ولا تبرج.. الخ.

ومع ذلك فإن للمرأة أحكاماً ورؤى شرعية خاصة منها:

1- المرأة ليست مخاطبة ولا مكلفة بالجهاد ، بنوعيه (الكفائي والعيني).

2- أما إذا داهم العدو بلداً إسلامياً وخلص إلى البيوت والنساء، فللمرأة أن تقاتل دفاعاً عن نفسها وعمن معها.

3- للمرأة أن تقوم بدور في التطوع للخروج إلى الجهاد لتقوم بمداواة الجرحى وسقاية المجاهدين، بشرط أن تكون كبيرة في السن وغير جميلة، ولا تخرج إلا مع ذي محرم. ولذلك يجب على المرأة التدرب على الأسلحة الخفيفة بما يمكنها من الدفاع عن نفسها في مثل هذه الحالة.

4- لا تشارك المرأة في العضوية والانتساب إلى مجلس الشورى بشقيه (مجلس العرفاء ومجلس الخبراء) وكذلك ليس لها الحق بالمشاركة في التصويت والانتخاب، فذلك حق خاص بالرجال العدول. وغني عن الذكر أن المرأة لا تتولى الولاية العامة –الخلافة والرئاسة- مطلقاً، إذ ليس للنساء نصيب في الإمارة أو الولاية الظاهرة.

5- كما لا تستشار المرأة من الخليفة – ولو كانت زوجته – لأن تلك ولاية خفية للمرأة على شئون البلاد.

28- النصر والهزيمة:

أ- تعتقد جماعة الجهاد بأن الله قد وعدهم بالنصر على عدوهم في الدنيا وعداً صادقاً لا ريب فيه، وأنها سنة قدرية لا تتخلف. ومقتضى هذا الوعد القدري بالنصر هو التمكين للمؤمنين في الأرض والتمكين هو (الاستخلاف).

ب-وأن هذا الوعد بالنصر إنما هو لأهل الإيمان الكامل، فعلى قدر إيمان العبد يكون نصيبه من النصر.

ج-والنصر معلق على شرطين: عام وخاص، فالشرط العام: هو الإعداد الإيماني باستزادة العبد من شعب الإيمان القلبية والظاهرة، العلمية والعملية، ليصبح من أهل الوعد بالنصر. والشرط الخاص: الإعداد المادي: لجمع السلاح وتحريض المؤمنين والبذل والنفقة والتدريب العسكري بكل أنواعه، وتوحيد صفوف المسلمين لمواجهة الأعداء.

د- (أسباب فشل المسلمين أساساً هي أسباب ذاتية داخلية) " ومن هنا نعلم

خطأ من يعزو فشل المسلمين وضعفهم إلى كيد الكافرين ومخططاتهم، كما هو شأن بعض الكُتاب الذين يهولون من شأن اليهود ومخططاتهم الشيطانية، و ينسبون كل شر وفساد إليهم..".

هـ- إذا تخلف الوعد بالنصر، فلا يصير العبد مستحقاً له إلا إذا غير حاله ليستكمل شروط هذا الوعد. قال الله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد:11].

29- **رفض الأخذ عن الأعداء والتشبه بهم،** سواء كانوا من أهل الكتاب أم من المشركين " ومما يدعو إلى الأسف في هذا الزمان تعلم المسلمين دينهم على أيد اليهود والنصارى في جامعات الغرب.. وكثير من شيوخ الأزهر الذين تعاقبوا بعد الشيخ محمود شلتوت حصلوا على درجاتهم العلمية من جامعات النصارى كالسوربون بفرنسا ونحوها ". ولهذا كانت لكثير منهم مواقف مريبة.

أما فيما يخص دراسة المواد العلمية كالفيزياء والكيمياء والهندسة وعلوم الصناعة فيجوز للمسلم تعلمها من الكافر إذا أمنت فتنة المسلم في دينه وتعتبر كبقية فروض الكفاية- حتى يستغني المسلمون عن الاحتياج إلى الكفار في كل المجالات ".

30- **الموسيقى والفنون:** ليس للفن بالمعنى المتعارف عليه بين الناس، والمجلوب من الشرق والغرب، إلا تسمية واحدة وهي (الفن الجاهلي) ولا يؤدي إلا إلى الفساد، وذلك نوع من الغزو الفكري للمسلمين والذي ابتكره الأعداء، "لتقليدهم في الفنون والملاهي والمسرح والسينما وغيرها من وسائل الإفساد ". وكذلك

الأغاني والألحان بحجة الترويح عن النفس وتجديد النشاط، وكل تلك الفنـــون بأنواعها وسائل لإفساد أبناء المسلمين، والأمة المجاهدة أمة جد وعزيمـــة لا تعرف اللهو والهزل والعبث.

أما فن الكلمة الهادفة، كالقصيدة الشعرية، والخطابة، والمقالـــة، والأنـــشودة، وغير ذلك من الفنون التي لا تعارض الشريعة وتنضبط بأحكام الدين، فلا بأس بها، لتكون من الوسائل المساعدة على التعبئة الفكرية لمواصلة مسيرة الجهاد الإسلامي وتأييده ونصره.

31- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم معالم منهج القاعدة**- منهج أهل السنة والجماعة – وهو بمثابة السياج الذي يحفظ الأصول الثمانيـــة، أصـــول الاعتصام بالكتاب والسنة، ويمنع عنها الشوائب أولاً بـــأول، فتظـــل خالـــصة محفوظة من العبث والخلل.

والأمر والنهي يتخذان صوراً منها:

أ- الجهاد في سبيل الله بقتال الكفار والمرتدين المحاربين لله ورسوله ﷺ.

ب-الجرح والتعديل: وهو العلم الذي اختص الله به تعالى المسلمين وهـــداهم إليه ليحفظوا سنة نبيهم ﷺ وبالتالي الشريعة ككل.. ونحن في هذا الزمان أحوج ما نكون إلى أداء هذا الواجب لتفشي الشبهات والضلالات.

ج- القيام على أهل البدع: فالفساد الذي يهدد الدين إما أن يأتي من خارج الأمة وهذا يُدفع بالجهاد، وإما أن يأتي من داخلها من المنتسبين إلى هذا الدين، وهذا يُدفع بالجرح والتعديل ويدفع بالقيام على أهل البدع، وكل هذا واجب

تلك كانت أهم بنود الميثاق أو الدستور الإسلامي الجهادي – إن صح التعبير– وهي رغم محدوديتها لكنها شكلت أبرز القضايا والأمور المتفق عليها اتفاقاً نهائيـــاً بين أتباع القاعدة، من القيادة إلى الأتباع .

جماعة الحرم المكي

لهذه الجماعة أهمية واعتبار وصلة مباشرة لاستكمال دراستنا حول السلفية وجماعات الجهاد والقاعدة، وهذا لكونها ذات قاعدة سلفية وأعلنت ذلك للجميع، ثم إنها نشأت في الجزيرة العربية وفي أكرم الأمكنة (مكة والمدينة) الواقعتين ضمن أراضي المملكة التي انطلقت منها الجماعة السلفية الجهادية (القاعدة)، كما تحولت هذه الجماعة السلفية إلى جماعة جهادية وقامت بالمواجهة المسلحة.

ومن أهميتها كون أعضائها من مختلف الجنسيات في البلدان الإسلامية، وكذلك فإن قائدي الجماعتين سعوديان سلفيان، كما لم تستغرق وقتاً طويلاً -مقارنة بالجماعات الأخرى- في عملية الإعداد الإيماني والاهتمام بالتربية وتزكية الأنفس كما هو الحال عند جماعة بن لادن، التي لم تجعل الإعداد الإيماني شرطاً للانتساب إليها. وكذلك لأن ما قامت به هذه الجماعة كان ناتجاً عن اجتهاد في النصوص الشرعية، الأمر الذي ألزمهم القيام بالمواجهة ومحاولة التغيير عن طريق العنف والقتال، وكذلك جماعة القاعدة، حيث استمدت الشرعية في أعمالها من خلال الاجتهاد [بغض النظر عن صحة ذلك الاجتهاد أم لا].

ومع كل ذلك، فلا أرى صحة ما ذكره الدكتور رفعت السيد في كتابه (رسائل جهيمان العتيبي) حيث قال: " هؤلاء الشباب هم (التلامذة) الذين تتلمذوا على فكر جيهمان العتيبي". ولن أذكر الأسباب التي حملتني على عدم اعتبار جماعة بن لادن تلامذة على فكر جهيمان، لكني سأتحدث عن نشأة جماعة جهيمان والمراحل والظروف التي أحاطت بهذه الجماعة، مستعرضاً اجتهادهم ودوافعهم المؤدية إلى ما قاموا به من حركة ومواجهة، وهنالك تتضح الأسباب.

نشأة الجماعة

لقد نشأت هذه الجماعة في المدينة المنورة، وعُرفت بـ(جماعة الإخوان)، وهكذا كان يطلق عليها أتباعها ومن عرفهم في ذلك الوقت، ومن نافلة القول أن أذكر أن هذه الجماعة ليست تابعة لجماعة الإخوان المسلمين من أي وجه من الوجوه ، وهذه التسمية بـ(الإخوان) هي امتداد لما كان يطلق على المجموعات المتدينة والعلماء وطلاب العلم المنتمين لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، ولكنها تسمية عرضية وليست مقصودة بمعنى يُراد[1]، ولهذا عندما قامت هذه الجماعة بالدخول إلى الحرم والاعتصام داخله رأينا اختلاف تسمية هذه الجماعة من مصدر لآخر، فمن قائل: جماعة الحرم، أو جماعة جهيمان -نسبة لقائد الجماعة- أو جماعة المدينة وغير ذلك.

أما على المستوى الرسمي السعودي فقد أصدر النظام السعودي كتاباً فيما بعد حول الحادث كان أقرب إلى الدعاية غير الموضوعية منه إلى الرصد والتحليل العلمي الأمين، ويكفي أنه طيلة سطور الكتاب يصف الذين اقتحموا الحرم أو اعتصموا به بمعنى أدق بأنهم (شرذمة من الخوارج ..) [ص20 من رسائل جهيمان]. كما وُصفوا بأنهم (زمرة) و (طغمة) أيضاً.

وقد اتفق بعض أعضائها على تسمية جماعتهم باسم (جماعة الدعوة المحتسبة) لكن اسم (جماعة الإخوان) كان هو الغالب لهذه التسميات، كما أن اسم (جماعة جهيمان) كان الغالب إعلامياً وبه عُرفت هذه الجماعة.

---

(1) أي أنها جاءت نتيجة لتعارف أتباعها ولتميزهم عن الآخرين، وليست تسمية حددها قادة الجماعة.

لا يمكن تحديد وقت نشأة هذه الجماعة بدقة، كونها لم تعتمد بيعة مُلزمة للطاعة للأمير ، بمعنى أنها لم تكن تنظيماً سياسياً ليتم الإعلان عن مولده في عام مُحدد ، ولكن منذ عام 1390هـ بدأت علاقات الارتباط والالتقاء على أفكار محددة بين مجاميع شبابية مختلفة الجنسيات، لكن الجنسية الغالبة كانت من السعوديين ثم اليمنيين ثم أعداد قليلة من الجنسيات الأخرى. "فالذين اقتحموا الكعبة انتموا من حيث الجنسية إلى أقطار عربية وإسلامية (السعودية – باكستان– إيران–مصر– تركيا– الأردن–تونس وغيرها)[ص49] [1]. ولا أدري لماذا أهمل الدكتور رفعت العنصر اليمني الذي كان لا يقل عدداً وأهمية في هذه الجماعة، بل إن في جماعة الإخوان من هو أهم علمياً وتأثيراً من جهيمان نفسه، وعندما نراجع رسائل جهيمان يتضح ذلك بجلاء.

وأستغرب كيف جعل الدكتور رفعت من جهيمان مفكراً كبيراً عند ذكره لحياة قائد جماعة الحرم بقوله: " وكانت العلوم الدينية حكراً على زمرة من الفقهاء انبثق العتيبي مفكراً إسلامياً كتب أربعة عشر كتاباً سياسياً إسلامياً عميقة الفكر قوية الطرح .. " [ص15–16] والحقيقة أن العلوم الدينية لم تكن حكراً على طائفة دون غيرها، كما أن جهيمان لم يكن بمستوى مفكر إسلامي كما وصفه الدكتور رفعت، والذي شهد على ذلك حين قال في موضع آخر: " جدير بالذكر أننا تعمدنا أن نترك الرسائل – الوثائق التي كتبها جهيمان على حالها دون تعديل يُذكر وفي أضيق نطاق ، بل إننا تعمدنا أن نتركها في بعض الأحيان بأخطائها اللغوية رغم الجهد الضخم الذي بذلناه في تنقيتها فقهياً ولغوياً وعلمياً.." [ص50] .

---

(1) رسائل جهيمان للدكتور رفعت السيد .

فمن أين اكتسبت رسائل جهيمان عمق الفكر وقوة الطرح إذا كان الدكتور قد بذل جهداً ضخماً في تنقيتها فقهياً ولغوياً وعلمياً ؟!! والمطلع على رسائل جهيمان سيجد شواهد على ضعف الأسلوب وركاكة التعابير وتكرار الفكرة وغير ذلك من المآخذ التي بمجموعها تمنع أن يوصف جهيمان بأنه مفكر عميق الفكرة قوي الطرح. وإني لست أتحامل على الرجل، فقد أفضى إلى ما قدم، ولكن لابد أن لا نبالغ فتضيع الحقيقة.

لقد اكتسب جهيمان هذه المكانة وتصدر الجماعة لأسباب غير مقدرته العلمية، فمنها: كونه سعودي الجنسية، وينتسب إلى أصول قبلية عريقة، حيث (نشأ في كنف والد حكيم في الأعراف القبلية، أما جده فقد قتل في معركة السبلة عام 1929م" " وهو متزوج من ابنة أمير ساجر[1]، ثم أنه لديه الخبرة العسكرية، " وقد عمل جهيمان فترة طويلة في الحرس الوطني تقدر بثمانية عشر عاماً "، ولأنه كذلك أكثر أفراد الجماعة حماساً وله شخصية قوية مؤثرة ولتفرغه لهذه الجماعة ودعوتها ولكونه أول من ترك الوظائف الحكومية والوظائف التي أجمعت الجماعة على وجوب هجرها وعدم جواز الالتحاق بها.

لقد كان أغلب شباب هذه الجماعة من طلاب (الجامعة الإسلامية) بالمدينة المنورة، ومن طلاب (قسم الحديث) خصوصاً. وأخذت هذه الجماعة بالظهور الفعلي حين تعاهد مجموعة من الشباب على الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأعلنوا تمسكهم بالكتاب والسنة النبوية تمسكاً كاملاً وإعراضهم عن بقية الأصول الأخرى كالإجماع والقياس والاستحسان وغيرها من الأصول التي ذكرها

(1) منطقة تقع بالقرب من العاصمة السعودية (الرياض).

الفقهاء والأصوليون في كتب علم أصول الفقه الإسلامي. واستدلوا على ذلك بقول الله تعالى : {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ} [الأعراف: 3] . وقد وصف الوادعي هذه الجماعة بأنها قامت بدعوة كبيرة ملأت الدنيا في ست سنوات ، وتقوم برحلات إلى جميع مدن المملكة، وكان دوره تعليم شباب الإخوان.

هذه الجماعة كغيرها من الجماعات السلفية –غير الجهادية– لا تؤمن ولا تأخذ بمبدأ البيعة، وقد ذكر الشيخ الوادعي جوابه لمن سأله عن مبايعة الجماعات فقال: " أما على السمع والطاعة فلا، وأما إن تعاهدهم ويعاهدوك على الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلا أرى مانعاً "، وهذا العهد هو عين ما قامت عليه دعوة الإخوان في المدينة. ولتأكيد ما للشيخ مقبل من مكانة أذكر نصاً من رسالة (الميزان لحياة الإنسان) وهي من رسائل جهيمان إذ قال: " فهذا الأخ الذي قد قابله في شقراء قد طلب علم الحديث هو وعدد من الإخوان على يد الأخ مقبل حفظه الله لمدة أسبق، ثم قال لهم –أي الشيخ مقبل– ابحثوا عن غيري فقد أخذتم ما عندي..".

كما تظهر أهمية الوادعي حين نجد السلطة السعودية تلقي القبض عليه مباشرة بعد ظهور رسائل جهيمان متهمة له بأنه كاتبها الحقيقي، وتم سجنه ثلاثة أشهر ثم ترحيله إلى اليمن.

وبعد العهد والتعاهد على ما ذُكر سابقاً، اتجه كبار أعضاء الجماعة إلى البحث عن زعيم أو قائد روحي وموجه عام للجماعة ، فوقع اختيارهم على الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز – رحمه الله – فأطلعوه على رغبتهم فوافقهم على ذلك، لكنه كان مشغولاً جداً بالقضايا الإسلامية محلياً وعالمياً ، كما كان له ارتباطات

حكومية فهو مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء ، ولهذا قام الشيخ عبد العزيز بتعيين رجل من العلماء المشهورين -لم أعرف اسمه- ليكون أميراً مباشراً على جماعة الإخوان، لكن الجماعة رأت فيه شيئاً من الشدة والتي ربما أوقعتهم في أمور لا تحمد عقباها، فعادوا إلى الشيخ بن باز ليطلبوا تعيين رجل آخر فوقع اختياره على الشيخ أبي بكر الجزائري، وهو عالم مشهور وأحد مدرسي الجامعة الإسلامية، فوافقوه على ذلك، فصار بذلك الشيخ الجزائري[1] أميراً على الجماعة، بينما الشيخ عبد العزيز ظل رئيساً للجماعة.

وهذا يعني أن الجماعة لم تكن قد دخلت في مرحلة الاقتناع بالمواجهة بالعنف إذ رفضوا الشدة التي كانت موجودة عند الشيخ السابق الذي عينه الشيخ عبدالعزيز بن باز أميراً لهم ، ثم لأنهم قبلوا إمارة الجزائري المدرس في الجامعة إذ لم يكونوا يرون حُرمة الالتحاق بالجامعات والمعاهد والوظائف في ذلك الوقت، كما يعني ذلك أن شخصية جهيمان لم تبرز في المراحل الأولى للجماعة كقائد لهم.

وقد كانت هذه الجماعة تقوم بنشاط منقطع النظير في الدعوة والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعُرف شبابها بالإقبال على العلم والمطالعة ومجالسة العلماء والالتزام بالسلوك الإسلامي على هدي الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح، فانتشرت انتشاراً واسعاً في مدن المملكة وصار أتباعها يزيدون

---

(1) والشيخ أبو بكر الجزائري عالم سلفي معروف ، ويتضح ذلك من خلال كتابه (منهاج المسلم)، فقد ذكر في المقدمة أنه لم يخرج في باب العقيدة عن عقائد السلف لإجماع المسلمين على سلامتها ولأنها عقيدة الرسول ﷺ وأصحابه ، أما في العبادات والمعاملات فقد تحرى أخذ الأصح مما دونه الأئمة الأعلام كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد..

عاماً بعد عام، وصارت لهم هيبة في نفوس عامة الناس، إذ كانوا لا يتوانون في النهي عن المنكرات، ومن ذلك إزالة الصور وما كان مُجسماً منها أو فتوغرافياً، ولعل من تنقل بين نواحي المملكة ومدنها في تلك الفترة يذكر اللوحات الدعائية المطموسة الوجوه بأنواع الرنج (الطلاء) كونها منهياً عنها.. وغير ذلك من آثار أفكار جماعة الإخوان والتي لم تكن قد تطورت بعد إلى ما صارت عليه.

كانت الدعوة إلى الاجتهاد وضرورة إحياء وفتح باب الاجتهاد وذم التقليد والتعصب المذهبي، وكون إعادة فتح باب الاجتهاد يعني قدرة الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان وبراءته من شبهات العجز والجمود التي يرميه بها أعداؤه، وهذه الدعوة حملها بعض العلماء في المدينة المنورة، فتلقفها أولئك الشباب وتعصبوا لها وأظهروا من الحماس لها ما كان يتعجب منه حتى أولئك العلماء الذين يدعون لنفس الفكرة ، ولكن العلماء كانوا يدركون أبعاد هذه الدعوة وما يعنون بها وأن ذلك ممكن ضمن التقيد بشروط الاجتهاد وأصوله وضوابطه، ويدركون أن الدعوة لفتح باب الاجتهاد تعني تقديم الإجابات والحلول لقضايا المسلمين ومشكلاتهم وأزماتهم المعاصرة، وأنها محاولات فكرية جادة ومنضبطة لمعالجة الواقع الإسلامي وقضايا العصر.

لقد تلقف شباب الإخوان هذه الفكرة وتعصبوا لها وذهبوا بها كل مذهب فأصبح في نظرهم لكل واحد منهم الحق في النظر والاستدلال واستنباط الأحكام الشرعية دون الرجوع إلى من سبقه من أهل العلم وأقوالهم وآراءهم ، فصاروا يقطعون بصحة ما توصلوا إليه من الأحكام والاستنباطات الفقهية ، فأنكر عليهم بعض العلماء وحاولوا مراجعتهم وإقناعهم بخطأ ما ذهبوا إليه، لكنهم لم يستجيبوا واستمروا في اجتهادهم المطلق، فزادت الفجوة بينهم وبين بعض علماء المملكة

حينها.

وفي ظل مسيرة اجتهاداتهم توصلوا إلى أحكام في قضايا كانت هي البوادر الأولى لتوجههم نحو العنف والمواجهة القتالية، فجاء اجتهادهم القائل بوجوب ترك الدراسة في المدارس والمعاهد والجامعات، حتى الجامعة الإسلامية نفسها، فترك كثير منهم الدراسة النظامية والتحقوا بحلقات العلم في المساجد والتي يقيها كبار العلماء وأبرز دعاتهم ، ثم جاء الاجتهاد الآخر بضرورة ترك الوظائف الحكومية بكافة أشكالها العسكرية والمدنية ، وصاروا يطلقون على التاركين للدراسة النظامية والوظائف الحكومية (أصحاب البصيرة) أما الرافضين لذلك فهم عندهم (ناقصوا البصيرة).

ورغم أن اجتهاداتهم لم تكن شاملة لجميع قضايا الفكر الإسلامي وجوانبه بل كانت في مسائل محددة وقضايا معينة ، كان أغلبها متفق عليه بين أتباع التيار السلفي، كوجوب إعفاء اللحية وتحريم الصور وحرمة إسبال الإزار ونحوها من المسائل الفقهية التي ترك فيها العلماء والفقهاء ثروة فقهية ضخمة .. لكن مع ذلك زادوا من تقرير أحكام قطعية في هذه القضايا ، فحلق اللحية حرام وحالقها فاسق، وكذا مسبل الإزار ، ونحو ذلك مما سأذكره لاحقاً . ولم يوجد ذلك جفاءً بينهم وبين العلماء فحسب، لكنه تعدى إلى كثير من عامة الناس من الذين كانوا يؤيدونهم ويشيدون بدعوتهم كطلبة علم نشطين ومتميزين، وبذلك ظل يتعمق لدى أفراد هذه الجماعة البغض والعداء لكل مخالف لهم، كونه مخالف لشرع الله، ويزداد الكره والعداء إذا كان المخالف من الذين يوالون الحكومة السعودية ونظامها.

جاء في رسالة (الميزان): " فوالله إن وقتاً قليلاً يقضى في طلب العلم مع أهل

الحديث خير من علم يأخذ وقتاً طويلاً مع أهل المذاهب "، "وأصبحت أقوال الرجال المجردة عن الأدلة تروى كما يروى القرآن والحديث .. " ، فكانت دعوة أو حملة على المذاهب والمتذهبين، وكذلك الأمر أشد وأعنف على أصحاب البدع والأهواء ومنحرفي العقيدة كالمتصوفة و الشيعة، " بل نرى المشركين من الشيعة وأمثالهم يملئون مكة والمدينة ويجاهرون بشركهم " [رسالة بيان الشرك وخطره].

لقد أصبح هؤلاء يعانون من "غربة الدين، التي يعانيها المسلمون، وجهل أكثر المسلمين بحقيقة دين الإسلام ووقوع أكثر من يدعى التوحيد في أنواع من الشرك" [رسالة بيان الشرك وخطره].

ومما زاد الطين بلة والوضع شدة، أن وصل إلى هؤلاء الشباب بعض القادمين من مصر والذين يحملون أفكاراً أشد تشدداً من التي يحملها الإخوان، وكان هؤلاء المصريون من أتباع جماعة التكفير والهجرة التي أسسها شكري مصطفى وأطلق عليها (جماعة المسلمين) عُرفت إعلامياً بـ (جماعة التكفير والهجرة) خاصة بعد قيامها باختطاف الشيخ محمد حسين الذهبي وزير الأوقاف المصري واغتياله.. وهذه المرحلة في حياة جماعة جهيمان من أهم المراحل وأخطرها، إذ استطاع أتباع جماعة التكفير إقناع بعض الشخصيات الرائدة في جماعة الإخوان بضرورة مواجهة هذا النظام الحاكم الكافر كونه يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويوالي الكافرين[1] .. وغير ذلك من الأفكار التي يروج لها أتباع جماعة الهجرة، والمعروف أن جماعة شكري قائمة على تكفير الحكام والأنظمة السياسية وكذلك

---

(١) كانت الجماعة في تلك المرحلة تستنكر مواجهة الحكام بالقتال لإقامة حكم إسلامي، إذ قال جهيمان في رسائله: " وهؤلاء الذين يريدون الحكم كلهم لايهتمون بعقائد الناس وإزالة بدعهم وإنما همهم الأول الحكم وتقتيل الحكام".

تكفير المجتمعات الإسلامية بحجة أنها مجتمعات فاسدة لم تنهض لمقاومة الكافرين ورضيت بالفساد والمنكرات فيها، وتحت قاعدة (مَنْ لم يكفِّر الكافر فهو كافر) فأصبح كل أفراد المجتمع كافرين، ولا أُريد الدخول في تفاصيل أفكار هذه الجماعة لكن أردت أن أذكر الأثر الذي استطاع أعضاء جماعة التكفير تركه في بعض أفراد جماعة الإخوان.

ويجب هنا أن لا يفوتنا أن نذكر أن جماعة الإخوان هم طلاب علم وفيهم حملة شهادات جامعية من دار الحديث في المدينة، وليس بينهم وبين السلطة الحاكمة أي تجارب سيئة لتترك في أنفسهم الأثر الذي تركته سنوات الاعتقال والتعذيب في السجون المصرية على أفكار جماعة التكفير والهجرة، ولذلك لم يكن التأثر بهذه الجماعة كبيراً في البداية، متمثلاً بهجرة المجتمع الذي لا يرى ما تراه الجماعة (وهذا من صُلب أفكار جماعة التكفير)، ثم ارتفعت طرائق الاستنكار واحتدت مع ازدياد مظاهر العداء والكراهية للمخالفين ، خاصة الحكام الذين إذا صلحوا صلح المجتمع وإذا فسدوا فسد المجتمع، وعليهم تقع أعباء وتكاليف ليست على غيرهم، فهم –أي الحكام– المطالبون بتحكيم شرع الله وإقامة العدل ومحاربة الفساد والرذائل التي انتشرت في المجتمع. وقد انتشرت هذه الأفكار بين شباب جماعة الإخوان وأصبحت قناعات وعقيدة تؤذن بانفجار محتوم.

وإذا أنعمنا النظر في رسائل جهيمان والتدرج الفكري الحاصل سنجد هذه الأفكار ازدادت حدتها من وقت لآخر لتؤكد أنها لم تحصل فجأة بل شيئاً فشيئاً. ففي رسالته التي يشرح فيها شروط الخليفة والإمام الذي تجب بيعته وطاعته قال: " وبهذا تعرف عدم وجوب بيعتهم وطاعتهم ، وأما طاعتهم في غير معصية فجائز، ولا دليل على أنها تحرم في غير معصية، لأن الأمر جبري وليس محرماً شرعاً،

مع أن الأولى الذي دل عليه الشرع هو اعتزالهم "، "وأما اليوم فالمسلمون غير مجتمعين على إمام واحد ، بل كل دولة عليها والٍ، ولا تستطيع أن تحكم لهم بغير الإسلام حتى يفعل الواحد منهم ما يرتد به عن دينه فيُحكم له بالكفر، أما من لم يظهر فيه ذلك فيحكم له بالإسلام..".

ونلاحظ هنا عدم تكفيره للحاكم، كونه لم يأتِ بما يستوجب معه صفة الكفر، فالحكام مسلمون، ثم عقيدته في جواز بيعة هؤلاء الحكام والمقتضية وجوب طاعتهم في غير معصية، ثم تأمل قوله " مع أن الأولى والذي عليه الشرع هو اعتزالهم". فالأولى لا يعني عدم جواز ما هو أولى منه، ثم تأمل كيف بدأت تتسرب إليه عقيدة الهجرة كونه رأى ذلك الأولى والذي عليه ا لشرع ، فالاعتزال هو هجرة أولية تعني المفاصلة الشعورية للمخالفين، وهذه الفكرة كان أبرز دعاتها الأستاذ سيد قطب في كتابه (معالم في الطريق).

يقول جهيمان في رسائله: " ومع ذلك لا يلزم من هذا كله تكفيرهم، بل من أظهر منهم -أي الحكام - الإسلام حكمنا له به حتى تثبت ردته فنحكم عليه بالكفر". ويقول: " وأما مسالة التكفير فهي مسألة خطيرة، وأكثر من يخوض فيها ممن لاحظ له من العلم والتجرد إلا القليل، فهو يجعل الحكام الذين يظهرون الإسلام كفرعون والدجال..". ويظهر مراد جهيمان جلياً حين يذكر أن مسألة التكفير أكثر من يخوض فيها من لاحظ له من العلم والتجرد إلا القليل، وأنهم يجعلون الحكام كفاراً ككفر فرعون .. وهذا ما كانت جماعة شكري تسعى لإقناع شباب الأخوان به، ولكن -كما ذكرت- الحصانة العلمية حالت دون تحقيق ذلك ولكن بقيت القناعة بضرورة تغيير النظام الجاهلي والتي تستوجب المواجهة القتالية ، فكانت فكرة المهدي هي الباب الذي حققت جماعة التكفير نجاحاً كاملاً فيه.

وجاء في رسالة (الموقف الصحيح في بيان الحق الصريح): " أما إذا كان المسلم بين مجتمع كفار والشوكة للكفار فهذا الحق فيه أن يقوم ويتكلم بما يستطيع عليه، ولا يختفي ، وإذا شددوا عليه وعزموا على قتله فله أن يخرج كما فعل رسول الله ﷺ ، وهذا هو الذي حملنا على أن نبين للمسلمين الحق حتى لا يلتبس عليهم، ولولا هذا لفررنا إلى شعف الجبال لو كان المجتمع كافراً ، ولكن مجتمعنا مسلمون ملبس عليهم ..".

وظلت هذه العقيدة: (عدم تكفير المجتمع وإنما الحكم لهم بأنهم مسلمون مُلبَّس عليهم) فلم تتغير لدى جماعة الإخوان، ولم يستطع أصحاب شكري تغييرها بفكرهم التكفيري لكنهم نجحوا في إقناع جماعة الإخوان بشرعية مواجهتهم للحاكم.

وتظهر في رسائل جهيمان تلك الرغبة الجامحة والنية الخالصة للوصول إلى الحق وتحقيق مقاصد الخير –رغم أنه أخطأه– حين تراه يدعو على نفسه وأصحابه بالخزي والفضيحة على رؤوس الأشهاد إن كان مقصدهم من دعوتهم غير وجه الله تعالى ، فيقول في خاتمة خلاصة ما يعتقدونه في حكام المسلمين: "ولكن نسأل الله إن كان لنا هوى أو مقصدنا غير وجهه الله الكريم أن يخزينا ويبين باطلنا على رؤوس الأشهاد ، وأن يفسد مساعينا ولا يسددها ، وإن كنا على الحق متبعين لسنة نبيه ﷺ ، نبتغي وجهه أن يزيد أهل الحق بنا ثقة ومحبة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل".

وازدادت جماعة الإخوان انتشاراً، وازدادت مجاهرتهم بآراء واجتهادات يخالفون بها كثيراً من الاجتهادات الإسلامية الشهيرة وبدءوا ينكرون المنكر ويغيرونه بالأيدي إن لم يغيره اللسان و النصيحة، فاشتهروا بذلك وبالغوا فيه. وبعد

أن كانت الأمور لا تتجاوز الاحتساب والدعوة والنصيحة، بدأت ملامح منهجية جديدة تطرأ على شباب الإخوان، وهي ما سماها جهيمان في رسائله (منهاج نصر الدين) وحدد خطواتها فقال تعليقاً على إحدى قصائده: " وفي هذه القصيدة بيان منهاج نصر الدين:

1- الصدع بالحق مع الصبر على الأذى.

2- الإخراج والتمييز.

3- القتال والجهاد، عسى الله أن يحقق ذلك قريباً ".

وهذه خطوة ثالثة لم تكن من قبل، فقد بدأت الجماعة تضع خطوات منهجية لنصرة الدين، ولهذا أثر يختلف عن الحال والآثار السابقة ولا شك.

في نهاية الشهر الرابع من عام 1398هـ دعا الشيخ الجزائري إلى اجتماع عام بعدما رأى أن الأمور قد خرجت عن السيطرة، وأعلن عدم مسئوليته عن الجماعة وتخليه عن الحق في إمارتها، ولم يحضر هذا الاجتماع كثير من الشباب خاصة الذين التفوا حول جهيمان، واعتزلوا المجتمع وأعلنوا قناعات شاذة وآراء وأحكام لم يقل بها العلماء ، بل شطحات شباب ألزموا أنفسهم وغيرهم بالأخذ بها وهي مسائل في المباحات أخذوها مأخذ المندوبات، ومندوبات جعلوها واجبات، أو مكروهات رأوا أنها في حكم المحرمات ، مع القطع بصحة ما ذهبوا إليه ورفض الرأي الآخر.

ثم حصلت حوادث عمقت تلك القناعات ووسعتها وأججت مشاعر السخط والكراهية للحكومة، كما تنبهت السلطات الأمنية السعودية لخطورة هذه الجماعة ولفت انتباهها قوة حركتهم وشدة حماسهم فألقت القبض على عدد منهم –أربعين

شاب تقريباً- للتحقيق معهم والتأكد مما لديهم من الأفكار، وذلك في منتصف عـام 1398هـ ، ومكثوا في السجون ما يقارب شهراً ونصف[1]، وقد أفلت جهيمان من حملة الاعتقالات وظلت السلطات تطارده، وبعد التحقيقات لم تستطع السلطات أن تثبت عليهم إدانات مادية تدينهم بها فتم إطلاق سراحهم وخاصة بعد أن تدخل بعض العلماء وشفعوا لهم باعتبارهم طلاب علم فخرجوا ولكنهم لـم يـردعهم الاعتقـال والسجون بل اعتبروها بلاء واحتسبوا الأجر عند الله واستمروا بالدعوة والمجاهرة بأفكارهم دون تباطؤ أو مهادنة.

وظل جهيمان عاكفاً على التأليف وإصدار الرسائل التي كان معظمها دعـوة للعلماء إلى الجهر بالحق وعدم المداهنة للحكام ، وضرورة نبذ الدولـة السعودية وتغييرها بدولة تحكم بشرع الله.. كما ازدادت فكرة المهدي بـالتعمق لديـه وقـد أظهرها بشكل فيه إضافات، بحيث لم يكتف بالعلم بها ومعرفتها ولكنه دعـا إلـى ربطها بالواقع، وأعلن عدم قدرة العلماء السابقين على التوفيق والربط بين الدلالات والتطبيق على الواقع ، فجاء في رسالة الفتن وأخبار المهدي: "وقد سبق إلى الجمع والتأليف في هذا الموضوع -أعني موضوع الفتن وأشراط الساعة- كثير من أهل العلم، و لكنني لاحظت فيما كتبوا أمرين هامين:

الأمر الأول: عدم الاقتصار على الصحيح من ذلك، بل جمعـوا بـين الـصحيح والضعيف، ومعلوم أن ديننا لابد أن يصح ثبوته لنعتقده ونعمل به.

---

(1) قال الشيخ الوادعي: " وكانت تحدث سقطات من بعض الاخوة المبتدئين ، فما شـعرنا ذات ليلة إلا بالقبض علينا ، فقبضوا على نحو 150 وهرب من هرب وارتجت الدنيا بين منكـر ومؤيد.." [ترجمة الوادعي].

الأمر الثاني: عدم التوفيق والربط بين دلالتها وتطبيقها على الواقع الـذي وردت فيه، لذلك تجد القارئ في تلك الكتب يجد فيها شيئاً من التعارض بل في بعض المواضع لا يكاد أن يفقه ما دلت عليه، مع أنهم يعذرون في عدم معرفة ذلك لأنهم لم يروا ما رأينا ".

فأصبحت هذه الأمور هي شغله الشاغل، فيجمع الأحاديث الصحيحة الواردة في الفتن والملاحم ونزول عيسى عليه السلام وأخبار المهدي وصفاته وما سيقوم به من تغيير وتبديل للواقع، وكذلك يقوم بالاستنتاجات والشرح لهذه الأحاديث، فيذكر ما وقع من المغيبات التي أخبر بها النبي ﷺ ويُنتظر وقوع شطره الآخر.. ولولا أن الأمر سيطول، لذكرت هذه الأحاديث النبوية واستنتاجاته ولكن لأهمية ذلك فيما سيكون سبباً في وقوع المصير المحتوم لهذه الجماعة، فسوف أذكر شيئاً من ذلك. " وأما الفتنة التي لم تدع بيتاً من البيوت إلا دخلته فقد وردت مجملة في هذا الحديث، وإذا تأملت واقعك اليوم رأيت أنه لم يبق بيت من بيوت العرب إلا دخلته هذه الفتنة في الدين، ومن ذلك فتنة الصور الموجودة في النقد وغيره".

لقد استنتج من حديث الفتن أن الفتنة التي لا تدع بيتاً من بيوت العرب إلا دخلته أنها فتنة التصوير والصور الفوتوغرافية -والمجسمة من باب أولى- وأشار إلى وجودها بالنقد (يعني العملات الورقية)، وغيره (يعني بذلك الصور الموجودة في البطائق الشخصية والجوازات وغيرها من الوثائق الرسمية) والتي كانت الجماعة -بعد هذا الاجتهاد ، تقوم بتقطيعها أو على الأقل بطمسها أي طمس الوجه منها لأن حملها حرام. [1]

---

(1) وقد ألقت السلطات السعودية القبض على بعضهم نتيجة لطمسهم الصور في العملات ثم

ومن ذلك تفسيره لفتنة السراء أنها وقعت في زمن الشريف حسين بن علي الذي كان يحكم الحجاز قبل الملك عبد العزيز حيث قال " فلا أراه إلا الشريف حسين.. وكان في عصره يطاف بالقباب كما يطاف بالكعبة وينقلون عنه أنه كان يتهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أنه فرق بين الناس.." . وأما الرجل الذي يصطلح الناس عليه فيظهر لي أنه الملك الباطل يخرجون علينا كل يوم بفتنة جديدة فيبسطونها في أول الأمر، ثم يتمادون فيها كمثل الإذاعة أول ما أُنشئت كانت لا تبث إلا القرآن والأخبار ولا يُسمع فيها صوت امرأة، ثم تطور الأمر حتى أصبحت المرأة هي التي تذيع البرامج مع الرجال وتغني الأغاني الخليعة، ثم أخرجوها سافرة على شاشة التلفزيون ، وهكذا الصور وغيرها ".

وهذا الأمر وتلك الاستنتاجات أوصلته إلى قناعة بأن زمن المهدي الذي سيملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلئت جوراً وظلماً قد حان. فقيل إن كثيراً من الأخوان قد رأوا رؤيا منامية تواترت عندهم وفيها يُشار إلى أحد الإخوان منهم وهو (محمد بن عبد الله القحطاني) أنه هو المهدي المنظر (وهو صهر جهيمان العتيبي). وعند التحقق من ذلك تجد أن الرؤيا المنامية وقعت عند بعض الإخوان لكن أغلب الذين جزموا بحصولها عندهم اعتبروها فرصة في إحداث مواجهة مع السلطات مدعومة بحكم شرعي ووعد نبوي بالنصر للمهدي وأتباعه ، فتأكد لدى جهيمان وجماعته هذا الأمر وأصبح في حكم اليقين ، فبدءوا الإعداد لاقتحام الحرم.

وفي صباح يوم الثلاثاء أول يوم من محرم عام 1400هـ الموافق 1979/11/20م دخلت مجاميع كبيرة من الإخوان إلى الحرم المكي وأغلقوا

أطلقت سراحهم بعد شفاعة بعض المشايخ.

الأبواب وتحصنوا بأسوار الحرم وحصلت المواجهات وإطلاق النار، فقتل عدد من الإخوان وكذلك من الأمن السعودي، وبعد 22 يوماً -حسب كتاب الدكتور رفعت- أو 15 يوماً -في قول آخر، استسلم من بقي من الإخوان وعلى رأسهم جهيمان ومحمد بن عبد الله القحطاني، وتم إعدامهم جميعاً. وانتهت تلك الجماعة، وقامت السلطات السعودية بتعقب أنصار هذه الجماعة وجميع من له أدنى صلة بها ولو بالتأييد اللفظي أو الجلوس في حلقات العلم التي كان يقيمها بعض رموز هذه الجماعة، بل وصل الحال (كما أخبرني شاهد عيان) أنه تمت الاعتقالات بمجرد الاشتباه، فإطلاق اللحية دون الأخذ منها-كما يرى الإخوان- أو تقصير الثوب إلى نصف الساق ونحوها من المظاهر الشكلية، كل ذلك كان يكفي ليكون سبباً في الاعتقال ودخول السجون.

أما حال الشيخ الوادعي، فإنه بعد أن تم إطلاق سراحه ومن معه من شباب الإخوان في المرة الأولى التي مكثوا فيها في السجن شهراً ونصف الشهر تقريباً، فإنه يصفها بقوله: " ثم بعد هذا خرجت بعض رسائل جهيمان، فقُبض على مجموعة منا، وعند التحقيق قالوا لي: أنت الذي كتبتها، جهيمان لايستطيع أن يكتب؟! فنفيتُ هذا، والله يعلم أني لم أكتبها ولم أشارك فيها. وبعد سجن ثلاثة أشهر أُمر بترحيل الغرباء". فتم ترحيل الوادعي قبيل دخول الجماعة إلى الحرم.

ورغم عدم موافقة الوادعي لما قامت به الجماعة في دخولها الحرم، لكنه ظل وفياً للجماعة التي أسسها ورعاها، فقال:" ومثل قصة أصحاب الحرم وما حصل منهم، فقد انزلقت أقدامهم وأخطأوا في هذا، فقد عاملتهم الحكومة السعودية معاملة غير إسلامية"(1).

---

(1) قمع المعاند ص353.

المقارنة بين جماعة القاعدة وجماعة جهيمان

عند المقارنة بين جماعة بن لادن وبين جماعة جهيمان من خلال ما ذكرناه عن كلا الجماعتين، تبرز وجوه الشبه ووجوه الاختلاف بينهما .

إن الجماعتين اعتمدتا على الاجتهاد، لكن اجتهاد جماعة ابن لادن أكثر شمولية وأكثر نضجاً بالمقارنة مع جماعة جهيمان، فلم يعتمد اجتهاد جماعة الجهاد على التركيز على فرعيات وجزئيات ويعتبرها غايات لا يمكن الحوار فيها أو التنازل عنها ، أما فجماعة جهيمان ناضلت فكرياً في سبيل مسائل خلافية .. مثلاً:

- مسألة (التثويب) وهي قول المؤذن (الصلاة خير من النوم) في أذان الفجر، رأت جماعة الإخوان أنها تقال في الأذان الأول ، وقام أعضاؤها بتطبيق ذلك في مسجد من مساجد المدينة المنورة، مما أحدث مصادمات وخلافات عنيفة بين الجماعة وبين عامة الناس الذين لم يعرفوا ذلك من قبل، وأنه جعلهم يصلون صلاة الفجر قبل دخول الوقت، خاصة النساء في المنازل، وكذلك أمسك بعضهم عن الطعام والشراب ظناً أنه قد دخل الفجر وهم ينوون الصيام وغير ذلك ، بل أنكر عليهم بعض العلماء ومنهم الشيخ الجزائري قائدهم السابق ، ومن تلك الاجتهادات الفرعية التي تحمسوا لها غير عابئين بمخالفة غيرهم.

- مسألة تحريم التصوير والصور بكافة أشكالها، مجسمة أم غير مجسمة، حيث سبق الإشارة إلى أن جهيمان اعتبر الصور والإذاعة والتلفزيون تدخل في تفسير ما عناه الرسول ﷺ بفتنة الدهيماء التي لا تترك بيتاً من بيوت العرب إلا دخلته، بل لقد ذهب أعضاء هذه الجماعة -كما اشتهر عنهم - إلى أبعد من ذلك إذ قام بعضهم بطمس الصور الموجودة على النقود مما أدى إلى اعتقالهم ، فهم يرون

عدم جواز حمل هذه النقود، وكذلك تخلصوا من الوثائق الرسمية، ودخلوا في مواجهة مع المجتمع والسلطة معاً غير مبالين بالنتائج، بل يعدون ذلك احتساباً لوجه الله، ففي رسالة (النصيحة) يقول: " ومن ذلك أنه ثبت لدينا أنه ذهب إلى أحدهم – يعني المسئولين– واحد من العلماء بشأن الصور التي في النقد، فوعدوا بتغييرها وأنها وقعت خطأ من غير قصد منهم، وإذا بهم يثبتونها في فئات أخرى من العملة على النقيض من وعدهم ".

– مثال آخر: ما جاء في السنة النبوية من الصلاة في النعال، فتحمسوا لتطبيقها في المساجد، دون مراعاة لتغير الحال، والحكم المناسب لذلك، فثار الناس عليهم.

– ومن ذلك: أنهم يجزمون بوجوب جلسة الاستراحة، فقد جاء في رسالة (البيان والتفصيل في وجوب معرفة الدليل): " وهذه الجلسة واجبة لأنها من صلاته (صلى الله عليه وسلم)"[1].

ومما سبق من أمثلة يتضح لنا أنهم ينظرون إلى الدليل الشرعي (الآية أو الحديث) ويأخذون بظاهره دون اعتبار للمقاصد أو العلل أو الحِكم ونحو ذلك مما له اعتبار في عملية الاجتهاد، والواحد منهم يجعل من نفسه مجتهداً مطلقاً، ومع ذلك الاجتهاد المطلق، لا اعتبار عندهم سوى لظاهر اللفظ، فلا يأخذون بالإجماع أو القياس أو المصالح المرسلة أو الاستحسان. إن الاجتهاد لدى هؤلاء غير منضبط بمنهج المعرفة وأصولها، ولقد وضع أهل العلم منهج المعرفة الإسلامية وحددوا

---

(1) جلسة الاستراحة هي جلسة يسيرة يجلسها المصلي قبل قيامه للركعة التي بعدها، ولم يقل بوجوبها الفقهاء، ومن قال بها قال إنا مسنونة مستحبة.

طرائق الانضباط والالتزام بمبادئه وأحكامه حتى لا تحصل فوضى ولا يلتبس الحق بالباطل وتتلاعب بنا الأهواء.

ولهذا ترى جهيمان يرفض النظر في المذاهب الفقهية ويعتبرها نوعاً من تضييع الوقت لافائدة منه، "فوالله إن وقتاً قليلاً يُقضى في طلب العلم مع أهل الحديث خير من طلب علم وقتاً طويلاً مع أهل المذاهب " [رسالة الميزان]. ونتيجة لتحكم الأهواء بهذه الجماعة صاروا يغالطون أنفسهم وذلك في أخطر مسألة أدت إلى القضاء عليهم عن بكرة أبيهم، تلك هي مسألة المهدي، فجاء في رسالة (الفتن وأخبار المهدي): " اعلم أن النبي ﷺ أخبر بخروج رجل صالح في أمته يملأ الأرض عدلاً بعد ما مُلئت جوراً وظلماً، وقد سماه النبي ﷺ باسمه وسمى قبيلته، فقال إنه من قريش من ولد فاطمة رضي الله عنها وأن اسمه كاسمه (محمد بن عبدالله) وأخبر أنه يمكث في الأرض سبع سنين، وأخبر أنه يصلحه الله في ليلة ثم يلوذ بالبيت هرباً من الناس، ثم تبايعه طائفة قليلة..".

فاقتنع جهيمان ونفر من الجماعة بعد تعدد الرؤى والأحلام بأن صهره محمد إبن عبد الله القحطاني هو المهدي بل وأقنعوه هو نفسه بذلك ، ولم يكن موافقاً في البداية ورغم عدم تطابق بعض الأوصاف المذكورة في الحديث النبوي مع الأوصاف الموجودة في القحطاني ، حيث تنبه لذلك بعضهم ولم يقبلوا المشاركة في الاقتحام للحرم . بل إن أحد الأخوان من هذه الجماعة – هو شاعر الإخوان- كان متواجداً في الكويت وحين علم بنية الاقتحام أرسل رسالة ينصح جهيمان ومن معه بأن لا يقبلوا على ذلك الخطأ ، لكن قيادات الإخوان الذين وصلتهم الرسالة أخفوها عن بقية الأعضاء، حيث سبق السيف العذل، وقد شُدت الرحال.

من الظلم أن نجعل جماعة ابن لادن تلامذة لجماعة جهيمان فكراً، إذ لامقارنة رغم سلفيتهما، فلم تعلن جماعة القاعدة مقاطعتها للمجتمع وهجرها لدور العلم الرسمية كما فعلت جماعة جهيمان ، حيث دعت إلى ترك الدراسة ولأسباب عجيبة، فتأمل قول جهيمان: " ولابد لنا هنا من التنبيه على فساد طلب العلم في هذه المدارس والمعاهد والكليات التي انخدع بها الكثير، ووجوه بطلانها كثيرة قد تحتمل رسالة مستقلة، و لكنها يكفي أنها تقوم أولاً على معصية الله بالصور المحرمة ، وفيها يجد الدارس جلساء السوء ولا يتعلم فيها الدارس الكتاب والسنة إلا على طريقة التقليد المذموم ثم لا تخلو من المنكرات..". [رسالة البيان والتفصيل في وجوب معرفة الدليل]. أما القاعدة فقد حصرت رفضها للتعليم النظامي في كليات الحقوق التي تدرس ما يخالف الكتاب والسنة وتعظيم شأن القوانين الوضعية. كما رفضت جماعة جيهمان الالتحاق بالوظائف الحكومية وحرمت ذلك بعكس جماعة القاعدة التي لم تحرم ذلك.

إن المتأمل في منهج جماعة ابن لادن ، يجد فروقاً كبيرة جداً بينها وبين مجموع الآراء والاجتهادات المتأرجحة التي اعتبرت كمنهج لجماعة جهيمان.

إن قائد جماعة الحرم نصب نفسه مجتهداً اجتهاداً مطلقاً، وهو الذي قضى ما يقارب عقدين من حياته في الجندية والعسكرية، فهو يقرر حكماً في رسالة نتيجة قراءته لحديث ثم يقرر حكماً مناقضاً له بعد أن يتبين له عدم صحة الحديث، وكان يكفيه أن ينظر ما قاله أهل العلم في الحديث وصحته ليعلم ضعفه من صحته.

فمثلاً كان يرى أن من بايع الحكام فإن بيعته لهم توجب عليه السمع والطاعة لهم، واستدل بحديث رواه مسلم (سيكون من بعدي ائمة لايهتدون بهداي ولا يستنون

بسنتي ، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس. قال حذيفة: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك ؟ قال: تسمع وتطيع الأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع).

فيقول جهيمان بعد سرده للحديث: " إن الحديث رواه مسلم، ولكن فيه انقطاع، لأنه من رواية سلام ممطور الحبشي الدمشقي عن حذيفة، وهو لم يسمع من حذيفة، فحديثه عنه مرسل . قال ابن حجر في تهذيب التهذيب: (وأرسل عن حذيفة وأبي ذر وغيرهما) وقال محمد فؤاد عبد الباقي في التعليق (لم يسمع من حذيفة، قاله الدار قطني، وقال النووي في شرح مسلم: (إنه مرسل وإن المتن صحيح لوروده من الطريق الأولى) [1].

ثم يقول: " وبهذا لا يصح الاستدلال بهذا الحديث لأنه غير صحيح. واعلم أننا كنا نعتقد صحته فاستدللنا به في الرسالة الصغيرة (نصيحة الإخوان إلى المسلمين والحكام) لأننا وجدناه رواه مسلم، وبينا على ذلك وجوب طاعتهم على من بايعهم، ولكن اليوم حينما تبين لنا ضعفه بالبرهان وجب علينا الرجوع إلى الحق.." .

ورغم أن رجوعه إلى الحق أمر محمود، لكن ربما ظهر له حديث آخر، فيعود إلى تقرير الحكم الأول ثم يظهر له ضعفه وهكذا.. ألم يكن بمقدوره أن ينظر في كلام النووي وابن حجر وغيرهما ليعلم ضعف الحديث قبل الاستدلال به استدلالاً ظاهرياً.. إن تلك النهاية كانت نتيجة هذا الأسلوب الطائش والفردي.

إن هناك حقيقة لابد من قولها وهي أن عملية اقتحام الحرم من قبل جهيمان

---

(1) والغريب أن جهيمان لم يقتنع بكلام الإمام النووي فقال : " قلت : إن هذه الزيادة ضعيفة لأنها ليس لها ما يعضدها ويشهد لها ويقويها ..".

وجماعته كانت عملاً طائشاً وتهوراً سلفياً ، ولا يجوز اعتبارها إحدى حركات الإحياء الإسلامي[1]، بل إن جماعة الحرم ليست جماعة جهادية ، وإن اعتبار شباب جماعة القاعدة تلامذة على فكر جهيمان العتيبي خطأ فادح ورؤية قاصرة لم تقم على فهم صحيح لهؤلاء وأولئك .

إنني لا أنكر الصلات غير المباشرة بين الجماعتين والتي ذكرتها في بداية حديثي عن (جماعة الحرم المكي) لكنها صلات عامة لا تعني الامتداد أو التلمذة، أو غير ذلك من العلائق الحقيقية والمباشرة ، إنها صلات يمكن أن تُذكر بين أي جماعتين إسلاميتين سلفيتين. [2]

ولا داعي هنا لإعادة ما قلناه حول جماعة ابن لادن ومنهجها الجهادي، لكنني سأكتفي بذكر معالم أساسية في جماعة جهيمان ليتضح لنا الأمر أكثر:

كان اقتحام الحرم والاعتصام فيه لأجل عقيدة راسخة عند الجماعة وقائدها بأن المهدي الذي سيملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلئت جوراً وظلماً قد ظهر وعُرف من هو، " واعلم أن النبي ﷺ أخبر بخروج رجل صالح في أمته يملأ الأرض عدلاً بعدما ملئت جوراً وظلماً ، وقد سماه باسمه وسمى قبيلته ، فقال إنه من قريش من

---

(1) جاء في كتاب الدكتور رفعت: " .. كأحد أبرز مظاهر الجانب الثوري للإحياء الإسلامي في الجزيرة العربية قاطبة خلال حقبة السبعينات" [ص36] .

(2) ومن ذلك اتفاقهما في رفض التشيع والتصوف والاستهجان من جماعة الإخوان المسلمين فقد أشار جهيمان في رسائله إلى هذه الجماعة التي قضت ستين عاماً تركض وراء الحكم (فدعوة لاتقوم على التوحيد وتجريده لله ، والحب في ذلك .. ومحاربة البدع والخرافات وتعليم السنن.. إنما هي دعوة جاهلية ضررها أكبر من نفعها ولو ملأ أتباعها الدنيا) رسالة مداخل الشيطان لإفساد القلوب.

ولد فاطمة رضي الله عنها، وأن اسمه كاسمه ﷺ (محمد بن عبد الله) وأخبـــر أنـــه سيمكث في الأرض سبع سنين، وأخبر أنه يصلحه الله في ليلة ثم يلوذ بالبيت هرباً من الناس ثم تبايعه طائفة قليلة بين الركن ومقام إبراهيم عليه الـــسلام بمكـــة، ثـــم يغزوه جيش يمر بالمدينة فيخسف الله بهم ببيداء المدينة، وبعد ذلك يحـــصل غـــدر النصارى بالمسلمين بعد أن هادن بعضهم بعضاً فيقتتلون، ويخرج إليهم هذا الرجل من مكة ويمر بالمدينة بمن معه، وهم خير من تحت أديم السماء يومذاك.. " [الفتن وظهور المهدي].

الجماعة رأت في مبايعتها لمهديهم (القحطاني) تحقيقاً لكل ما أخبر به النبيﷺ في الأحاديث الواردة حول المهدي ، فهم (الطائفة القليلة) التي بايعته بين الـــركن والمقام، وهم الذين سيخرج بهم المهدي من مكة والمدينة، وهم (خير من تحت أديم السماء يومذاك) بل هم الذين سيواجه بهم المهدي مع آخرين مـــن أتباعـــه جـــيش النصارى وسينتصرون عليه ويفتحوا (القسطنطينية) بالتكبير. [كما جاء في رســـالة أخبار المهدي لجهيمان] .. وبالتالي هم جماعة منصورة لا محالة، وبمقتضى ســـنة الله التي لا تتبدل، ولهذا لم يأخذوا بمسألة الإعداد والتدريب والقتال والتي لا يختلف على ضرورتها وأهميتها قبل أي مواجهة، ثم إنه ليس من الضروري أن يبايعه كل الناس، لأنه ستبايعه (طائفة قليلة)، ولهذا لم يلزموا غيرهم بذلك بعد إغلاقهم لأبواب الحرم.

إن أي جماعة جهادية تجعل من أولوياتها الأخذ بالأسباب اللازمـــة للنـــصر، ومن ذلك تكثير العدد، كما رأينا في جماعة القاعدة التي تنوعت طرائقها في جذب الأعضاء وكسب الأنصار، الأمر الذي لم يكن عند جماعة جهيمان وجماعته.

وهذا الأمر جعل الدكتور رفعت في كتابه المذكور يعتبره مأخذاً على أي جماعة إذ أنها لن تنجح لأنها منفردة ، حيث ذكر تحت عنوان (الدلالة الثانية): " التي يبرزها حادث الحرم فتتبدى في أن أي معارضة أو محاولة لتغيير النظام السياسي السعودي لن تنجح إلا إذا كانت "حركة إسلامية – عربية" بمعنى أن حجم القوى المناوئة للحكومة في المملكة من التعدد والكثرة ، الأمر الذي يستوجب وحدتها ، وإجهاض محاولة اقتحام الحرم التي قامت بها ، كما رأينا جماعة تسمى بجماعة الإخوان تنتمي إلى عدة قبائل منها "عتيبة ويام وقحطان" وغيرها .. لم تنجح لأنها لعبت منفردة في الساحة وتناست قوى أخرى هامة مثل (حزب صوت الطليعة والحزب الشيوعي والحزب الديمقراطي الناصري .. وتنظيمات الشيعة المنتشرة في مدن وقبائل المنطقة الشرقية ..)" .. إن نجاح أية قوة مناوئة لحكم آل سعود مرهون بالتحالف الحقيقي بين القوى الراديكالية إسلامياً والراديكالية عربياً داخل المملكة) [ص48]

لقد فات الدكتور أن الجماعات السلفية لا يمكن أن يقبلوا بالتحالف مع من ذكر من التنظيمات والأحزاب.. إنهم يعتبرون هؤلاء كفاراً وأعداء للدين أكثر من الحكومة فكيف يتحالفون معهم .. بل إنهم –والسلفيين جميعاً– يحكمون بردة من يوالي ويناصر هذه الأحزاب والتنظيمات، فكيف يمكن أن يقبلوا التحالف معهم ؟!!

إن الأمر الذي أذهل الرأي العام وفاجأ العالم –كما يرى الدكتور رفعت– هو: "كون العملية قد وقعت في بيت الله الحرام ، وهو أقدس بقعة على وجه الأرض، ولا شك أن الأمر الثاني فاجأ العالم أكثر ، .. فهل هناك خطأ في الاختيار ؟!"[ص21].

ولا شك أن الإجابة في غاية السهولة والبساطة، إذ ليس هناك خطأ بل الجماعة اختارت المكان الذي هي موعودة فيه بمبايعة المهدي المنتصر على أعدائه، فليس الأمر إذن يستدعي ذهول الرأي العام ومفاجئة العالم بأسره.

إلا أن في اختيار الجماعة لهذا المكان –الحرم المكي– دليل آخر على عدم إمكان أن تعتبر جماعة الحرم جماعة جهاد ، فليس في اختيار هذا المكان دلالة على خبرة عسكرية أو دراية بأمور القتال ، بل إنها تعني الجهل بحقيقة قوة الخصم وسيطرته على هذا المكان ، ثم ما سينال هذه الجماعة من سخط واستنكار من كل مسلم في العالم نتيجة الاعتداء على المقدسات.

وكل جماعة من جماعات الجهاد لا تشرع في مواجهة خصومها إلا بعد أن تحكم بكفرهم أو ردتهم عن الدين الإسلامي لتكتسب المشروعية الدينية وتستميل قلوب المسلمين لنصرتها.. تلك قضية مُسلَّم بها، لكن جماعة الحرم لم تعلن كفر الحكام أو ردتهم عن الدين حتى بعد دخولهم الحرم، وقد نقلت من رسائل جهيمان حول عقيدته في الحكام ، بل إن الخطاب الذي ألقاه أحد أعضاء الجماعة بعد دخول الحرم ، ويقال إنه جهيمان نفسه – كما ذكر الدكتور رفعت– ليس فيه مايدل على تكفير الحكام أو ردتهم عن الدين.

" وقد دار مجمل الخطاب حول:

1- إنهاء الحكم السعودي، وأن لا بيعة للأمراء السعوديين لأن بيعتهم وحكمهم قائمان على الجبر والقهر.

2- المطالبة بقطع الروابط مع حكومات النصارى وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية، وإخراج الأجانب (النصارى) من مدرسين وأساتذة

وخبراء عسكريين ومستشارين وجواسيس.

3- القضاء على الفساد والانحراف في المجتمع والتشدد في تطبيق الأحكام الشرعية وإدانة النظام الحاكم على إهماله لها" [ص24-25].

وبهذا لم تخرج هذه المطالب عما كرره جهيمان في رسائله، وما يعتقده في حكام المملكة فقد قال جهيمان: (إنهم ليس لهم على المسلمين بيعة ولا تجب طاعتهم ومع ذلك لايلزم من هذا كله تكفيرهم، بل من أظهر منهم الإسلام حكمنا له به حتى تثبت ردته فنحكم عليه بالكفر، مع اعتقادنا اليوم بأن بقاءهم اليوم هدم لدين الله عز وجل ولو كانوا يدّعون الإسلام). وفي رسالة أخرى يعتبر جهيمان حكام المسلمين منافقين في الدرك الأسفل من النار لأنهم يوالون الكفار والمشركين.

وختاماً: سأذكر حديثاً نبوياً من أحاديث المهدي ، ثم تعليقاً لجهيمان على هذا الحديث: (وأخرج مسلم عن عبد الله بن صفوان عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (سيعوذ بهذا البيت –يعني الكعبة– قوم ليست لهم منعة ولا عدد ولا عدة، يبعث إليهم جيش حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم). فقال **جهيمان**: " ونقف عند هذا الحديث لنلفت نظر القارئ والسامع إلى فائدة هامة وهي أن النصر الإسلامي ليس بكثرة عدد ولا عُدة كما فُتن بذلك أهل هذا العصر المادي.." [رسالة الفتن وأخبار المهدي] .

لاشك جماعة جهيمان لم تستعد عدداً ولا عدة ولم تختر مكان المواجهة ولم تحكم بكفر وردة من ستواجهه ، ومع ذلك فانتصارها في اعتقادها أمر حتمي عقدي، فهل هذه جماعة جهاد ؟!!

إن السلفية لم تعن عند القاعدة رفض مبدأ (القياس) في الفقه الإسلامي، بينما

سلفية جماعة الإخوان/ جهيمان، لا ترى للقياس أهمية أو مكانة في معرفة الأحكام الشرعية والتعامل معها. إن القياس استخدمه العلماء المسلمون في اجتهاداتهم ودراساتهم لأنهم كانوا يحللون الجزئيات على أساس المبادئ العامة للقرآن والسنة، وفي حال انعدام نص شرعي مباشر في المسألة، وأهمية ذلك تكمن في مساعدة الأجيال المتعاقبة لوضع تفسيرات وإجابات للقضايا المتجددة وتحديد الطرق المناسبة للوصول إلى ما يحقق ويؤكد حيوية الفكر الإسلامي وقدرته على حل الأزمات، وهو يعالج الواقع وقضايا العصر التي تواجه المسلمين.

في [صـ69 من العمدة] جاء: " أما الوجه الثاني: وهو قياس إمارة الجماعات على إمارة السفر هو قياس صحيح للعلة المشتركة، فنقول القياس هو إثبات حكم مثل حكم الأصل في الفرع بعلة متحدة، والأصل هو الواقعة..".

وتجده يبحث هذه المسألة معتمداً القياس بأركانه التي حددها علماء أصول الفقه (الأصل–الفرع– العلة) ثم الوصول إلى (الحكم) ثم يذكر "وأما الوجه الثالث: وهو أن هذا القياس قد صححه أكثر من مجتهد.." [ص72].

أما جهيمان وجماعته فقد عُرف عن سلفيتهم رفضها المطلق لمبدأ القياس، ثم انظر إلى أكثر من ذلك : حيث جاء في (العمدة): " الوجه الثاني: وهو الذي ننبه عليه باستمرار أن الأحكام الشرعية لا تؤخذ من نص واحد ، إلا إذا لم يكن هناك غيره ، ولكن تؤخذ من مجموع أدلة المسألة بالجمع بينها بالتخصيص أو التقييد أو النسخ أو غير ذلك من أساليب جمع الأدلة .." [ص 74] .

أما في رسائل جهيمان فقد نقلنا – سابقاً– ما يدل على رفض المذاهب والظاهرية في التعامل مع النصوص مثل قوله: " فوالله إن وقتاً قليلاً في طلب العلم

مع أهل الحديث خير من طلب علم وقتاً طويلاً مع أهل المذاهب" [رسالة النصيحة].
ويذكر في رسالة [البيان والتفصيل] [1]: " وتأمل كيف لم يقل النبي ﷺ صلوا كما رأيتم العلماء يصلون أو المشائخ، بل ولا حتى الصحابة، وهو الذي نبه على فضل العلماء في أحاديث كثيرة، وإنما قال (كما رأيتموني) لئلا يتملص أحد من تعلم هدي النبي ﷺ بفتوى فلان وقول فلان، وما قاله الجمهور وذهب إليه الأكثر..". وهو بذلك يشير إلى القياس والإجماع وغيره من طرائق علم أصول الفقه.

وإنما أطلتُ الحديثَ عن جماعة الحرم لما لفهم طبيعة منشأ هذا الفكر من أهمية لاستكمال الدراسة حول الفكر السلفي ، ولكي لا تختلط الأوراق وتغيب الرؤية الصحيحة ، ثم لإبراز سطحية التفكير ونتائج الاغترار بالأفكار وادعاء امتلاك الحق والاجتهاد المطلق وعدم احترام الآخر وتجهيله وشطحات الاستنباط عند البعض ممن ينتسبون إلى المدرسة السلفية.. جماعة اجتهد قادتها فاستنتجوا أحكاماً جزموا بقطعيتها وألزموا أنفسهم وأتباعهم بها، واعتبروها وحدها أساساً للتغيير وتحقيق الغايات، فأريقت الدماء وأزهقت الأنفس وهدمت الجهود.. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

إن سائر الجماعات الإسلامية والجهادية خاصة تنادي بضرورة تطبيق شرع الله، واختلفت وتعددت أساليبها ووسائلها.. إلا أن جماعة جهيمان تجاوزت الجميع وسارت لتحقيق الهدف بوسيلة غير مسبوقة، وتجربة هذه الجماعة أثبتت أن العاطفة الدينية والإيمان بالمغيبات قادرة على التحريك وخلق المواجهة، لكنها إذا خلت عن

---

(1) وفي هذه الرسالة يسخر جهيمان من الفقهاء وفرضياتهم (لذا تبدو فرضيات الفقهاء أكبر شاهد على أن كتب الفقهاء وطريقتهم ليست على شيء ..).

إعمال العقل والبصيرة فستكون عاقبتها الفشل كما حصل، فالمواجهة تتطلب تعبئة إيمانية وفهماً للواقع معاً، ورفع راية الإسلام هو الحل لا يعني بحال من الأحوال أن نغفل عن ضرورة الحساب الدقيق وترتيب الأولويات ودراسة الواقع الراهن بكل أبعاده ، كما أن مناصرة المهدي -حالما يظهر حقيقة- لا تعني أن الأمر أصبح سهلاً.

أستغرب كثيراً وقوع تلك الغفلة في جماعة سلفية تدرك تماماً كيف أقام النبي ﷺ المجتمع الإسلامي وحقق مراد الله بين الناس في تطبيق شريعته ودينه، وكونه ﷺ لم يغفل عن الأخذ بالأسباب المباشرة والسير فيما تقتضيه الطبيعة البشرية، فلم يأته النصر إلا بعد جهد جهيد وتضحيات جسام، رغم أن الله قد وعده بالنصر وإقامة الدين ، لكنه لم يجعل من هذا الوعد ذريعة للاتكالية.. ولهذا يجب ألا تكون هنالك أية أوهام بحلول سهلة ونصر سريع حين يصار إلى الالتزام بالإسلام في مواجهة التحدي دون الفهم السليم وصواب الرأي وتقدير الأمور تقديراً واعياً دون حماس مفرط أو اندفاع عاطفي مجلوب من قراءة سطحية لا تجمع بين العلم والوعي، ولا بين دلالة النصوص الشرعية وبين الفقه السليم لتنزيلهما على الواقع.

وجماعة الحرم المكي أو جماعة جهيمان ما إن انتهت بتلك الخاتمة التي شهد أحداثها العالم كله، لم يبق لها من الأثر ما يدل على استمراريتها، إذ لم نشهد جماعة أو دعوة تتبنى تلك الأفكار التي قامت عليها هذه الجماعة، وأعني الأفكار المبنية على عقيدة خروج المهدي وكونه هو (محمد بن عبد الله القحطاني)، أما بقية الأفكار والرؤى التي قالت بها هذه الجماعة، فإن التيار السلفي بعمومه لا زال يتبناها، كالاهتمام بالعقيدة وضوابطها التي حددها السلف الصالح، والعناية بعلم الحديث النبوي ومصطلحه، وعلم الجرح والتعديل، ونحوها من الأمور المتفق عليها بين

السلفيين، حتى ما كانت جماعة الحرم تُعرف به بين الناس من خلال الشكل والزي التقليدي للسلفيين الذي يستطيع الرائي لأحدهم أن يميزه عن غيره -حتى من المتدينين الآخرين-، وهو الثوب القصير الذي يصل إلى نصف الساق مع غطاء الرأس وهي العمامة ذات الذؤابة المتوسطة الطول، وكذلك اللحية التي تظهر بصورة تدل على عدم المساس بها أو الأخذ منها، إضافة إلى قضية تحريم التصوير والصور بكافة أنواعها، وكذلك العداء للجماعات الإسلامية وغير ذلك من الأفكار والمظاهر التي ورثها السلفيون عن بعضهم البعض.

لكن ما أن انطوت صفحات جماعة جهيمان في وقت قصير جداً، مقارنة بغيرها من الجماعات، حتى كاد أن ينساها الناس، ولم يعد الحديث عنها إلا من قبيل الذكريات والسرد التاريخي، كما أن الجماعات الإسلامية بمختلف توجهاتها لم تعتن بدراسة هذه الجماعة وأفكارها كما حصل مع غيرها، حتى أن الباحث لا يكاد يجد ما يكفي من المراجع والوثائق حول هذه الجماعة، ورأيت أن أغلب العلماء يتحاشون الحديث عن هذه الجماعة والحكم عليها بخير أو شر، باستثناء بعض العلماء الذين يوصفون بقربهم من الحكام، أما الشخصيات التي كانت معروفة بانتمائها إلى هذه الجماعة[1]، كالشيخ مقبل بن هادي الوادعي مؤسس السلفية المعاصرة في اليمن ومرجعيتها، وقد ذكره جهيمان في بعض رسائله كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، وأشاد به وبعلمه وإن ملازمته أياماً معدودة أكثر فائدة من الالتحاق

(1) أعني بالانتماء الموالاة والاجتماع على القاعدة السلفية بأفكارها المعلومة، وليس الانتماء بمعنى البيعة الموجبة للسمع والطاعة ، إذ السلفيون يرفضون مبدأ البيعة ويعتبرونه من البدع العصرية ، ما عدا السلفية الجهادية التي دافعت عن مبدأ البيعة والإمارة.

بالدراسة النظامية والجامعات[1]. وكان الشيخ مقبل الوادعي معروفاً بأنه أحد دعـــاة الحركة السلفية في المدينة المنورة والتي كانت تعرف بـــ(جماعة الإخوان)، وقـــد ثبت عدم تورطه بأي نوع من أنواع الدعم المادي لهذه الجماعة، وقد عُرف عـــن الشيخ الوادعي ومن خلال لقاءات تمت معه بأنه رغم تخطئته لجماعة الحرم وعدم إقراره لما فعلوه، لكنه لم يتهجم عليهم كما فعل السلفيون التابعون لمدرسته، بل كان يثني على بعضهم ويذكر أنهم طلبة علم وأنهم كانوا يحرصون على طلـــب العلـــم والالتزام بالسنة النبوية، وقد أعلن الوادعي موقفه من جماعة الحرم في أكثر مـــن موقف، ومن ذلك ما قاله في شريط مسموع بعنوان (حاطب ليل)، حيث أخذ الشيخ مقبل يذكر حُطّاب الليل، وهم العلماء والدعاة والمشايخ الذين وصف بعضهم بالزيغ في العقيدة كالأستاذ محمد الغزالي، والشيخ حسن الترابي، والـــشيخ محمـــد عبـــده والشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد الشعراوي، وغيرهم، كما حكـــم علـــى آخرين بالزيغ في العقيدة والحزبية كالأستاذ سعيد حوى.. وذكر الوادعي من جملة (حطاب الليل) الذي لا يعتمد عليهم الشيخ عبد الحميد كشك، الذي أثنى على طريقته وبراعته في الخطابة ، لكنه حاطب ليل ويتحامل على (جماعـــة الحـــرم)، فيقـــول الوادعي: " وعبد الحميد كشك سمعت له شريطاً يتحامل فيه على (جماعة الحـــرم) ويقول –أي كشك– يا مهدي موسكو"، فأنكر الـــوادعي واســـتنكر علـــى الـــشيخ عبدالحميد كشك تحامله الشديد على جماعة الحرم، ودعا إلى عدم التحامل علـــيهم وأنه "يكفي أن تقول أنهم بُغاة خرجوا على دولة مسلمة، والدولة المسلمة أيضاً مـــا أرادت الحق ولا أرادت أن يُحكم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهي المعتدية علـــيهم والسابقة في تطريدهم وتشريدهم.."

---

(1) والامتناع عن الدراسة النظامية أو الوظائف الحكومية لازالت من مبادئ الوادعي وجماعته.

فالشيخ مقبل بهذا النص وغيره[1]، لا يرى أن يُقال على جهيمان وجماعته سوى أنهم (بغاة) وليس أكثر من ذلك، وهذا الوصف (بغاة) يشبه ما يعتقده الوادعي في مسألة الاقتتال والحرب التي حصلت بين الصحابة الكرام، حين تقاتل الإمام علي ومن معه مع معاوية بن أبي سفيان ومن معه، فقد قال الوادعي إن علياً على الحق وإن معاوية ورهطه يعتبرون (بغاة) مستدلاً بحديث النبي ﷺ الذي قال فيه (تقتل عمار الفئة الباغية).

أما السلفيون التابعون لمدرسة الوادعي فإنهم تجاهلوا نصيحته بعدم التحامل على جماعة الحرم، ودعوته إلى الاكتفاء بوصفهم بالبغي، فذهبوا إلى أكثر مما ذهب إليه المتحاملون –كما سماهم الوادعي–. فقد جاء في كتاب (إرشاد البرية) لمؤلفه حسن بن قاسم الريمي السلفي: " ومن أمثلة الإرهاب ما قام به بعض طوائف أهل البدع، وهم المعروفون بجماعة الحرم بقيادة جهيمان. قال الشيخ زيد بن محمد بن هادي المدخلي – حفظه الله –:" وما الحركة الإرهابية المشؤومة التي قامت بها عصابة شر غالية متطرفة أصحاب منامات سخيفة وأماني كاذبات إلا صورة واضحة من صور الإرهاب الذي حاق بأهله سوء العذاب، وكان من خبر هذه الزمرة أنهم دخلوا البيت الحرام يوم الثلاثاء أول يوم من شهر الله المحرم عام 1400هـ ومعهم مهديهم المدعو محمد بن عبد الله القحطاني، يرافقه ويشجعه وينطق بلسانه جهيمان بن سيف العتيبي، ومعهم أسلحة وذخيرة، فطالبوا المسلمين بمبايعة المهدي المزعوم تحت وطأة الضغط والقتل والترويع للمسلمين عموماً

---

(1) وظهور المغالاة في فكر هذه الجماعة ظهر والشيخ الوادعي لايزال في المدينة المنورة، ونُسبت تلك المغالاة للوادعي ، ومما يؤكد ذلك أن الوادعي ظل بعد عودته إلى اليمن متمسكاً بكثير من أفكار جماعية جهيمان وعليها سارت جماعته.

ولأهل الحرم خصوصاً[1]، ويالله كم سفكوا من الدماء ظلماً وعدواناً، وناداهم العلماء لينزلوا على حكم شريعة الله فيهم ، فأبوا إلا مواصلة السير في الشر والفساد والفسوق والعصيان ..".[الإرهاب وأثره على الفرد والمجتمع ص15-16].

ثم يختم السلفي اليمني (مؤلف إرشاد البرية) الحديث عن جماعة الحرم بقوله: " قلتُ: ثم قيض الله من الرجال الأبطال من يتصدى لهم بالقوة حتى أراح الله الإسلام والمسلمين من شرهم والحمد لله، قال تعالى (ومن يرد فيه بإلحاد نذقه من عذاب أليم).

والغريب أن الشيخ مقبل الوادعي الذي يستنكر التحامل على جماعة الحرم مؤكداً بأنهم بغاة خرجوا على دولة إسلامية ما أرادت الحق ولا أرادت تحكيم الكتاب والسنة وهي المعتدية على جهيمان وأصحابه! الغريب أن يكون هو نفسه – أي الوادعي- الذي كتب المقدمة لكتاب (إرشاد البرية) وقال فيها: ".. فقد اطلعت على مواضيع من كتاب أخينا الشيخ الفاضل حسن بن قاسم الريمي (إرشاد البرية إلى شرعية الانتساب للسلفية) فوجدته -حفظه الله- قد أجاد وأفاد وأحسن بهذا الكتاب العظيم الرد على المبتدعة الذين يزعمون أنه لا يجوز الانتساب إلى

---

(1) لم يثبت أن جماعة جهيمان قد طالبت المسلمين ، سواء الذين كانوا في الحرم عند اقتحامه أم غيرهم ، بمبايعة القحطاني تحت ضغط السلاح والقتل كما زعم الشيخ المدخلي ، وقد ذكر الدكتور رفعت سيد في كتابه (رسائل جهيمان العتيبي): " وفي ختام الخطاب قـدَّم جهيمان محمد بن عبد الله القحطاني على أساس أنه المهدي وإمام المسلمين ، موضحاً الصفات التي تدل عليه ، وطالب المصلين التعرف عليه ومبايعته إن شاءوا .." [ص25] . بل إن الفتوى التي أصدرها بعض العلماء وأُعلن عنها لم تذكر شيئاً عن إجبار المسلمين على مبايعة المهدي تحت الضغط والقتل، انظر نص فتوى العلماء في شأن جماعة الحرم من كتاب الدكتور رفعت سيد، ص33.

السلفية.." [1].

وكذلك الحال بالنسبة للسلفيين الأوائل الذين كانوا جزءاً من جماعة الحرم التي كانت معروفة بـــ(جماعة الإخوان) كالأستاذ الشيخ أحمد بن حسن المعلم، الذي كان معروفاً بين (جماعة الأخوان) بأنه شاعر الإخـــوان أو شـــاعر الـــدعوة الـــسلفية، واستشهد بشعره جهيمان في خاتمة بعض رسائله المشهورة.. وقد تمَّ استبعاده مـــن أراضي المملكة بعد أن تم سجنه إثر حادث الحرم، فبعد أن ثبت للسلطات السعودية عدم تورطه في حادث الحرم –كالوادعي– بل ونصحه لجهيمان بعدم الإقدام علـــى هذا العمل (اقتحام الحرم) وبعدم الاعتماد على مجموعة رؤى مناميـــة واعتبارهـــا دليلاً شرعياً على صحة ما سيقدمون عليه.. وذلك من خلال رسالة خطيـــة كتبهـــا الأستاذ أحمد المعلم ووجهها إلى جهيمان من الكويت حيث كان في زيارة لـــبعض إخوانه في تلك الأثناء، وعندما عُثر على تلك الرسالة اقتنعـــت الأجهـــزة الأمنيـــة السعودية بأنه غير متورط مع جهيمان.. لكن رغم ذلك تم تسفيره إلى بلاده الـــيمن لكونه من أصحاب جهيمان ومن جماعة الإخوان، مثلـــه مثـــل الـــشيخ الـــوادعي وغيرهما..

---

(1) ولعل الشيخ الوادعي لم يطلع على ما كتبه المؤلف الريمي صاحب الكتاب في جماعة الحرم، خاصة أنه قال أنه اطلع على مواضيع من الكتاب، وهذا ماأكدته كلمة المؤلف عنـــدما شـــكر الوادعي فقال: " .. وأخص من هؤلاء والدنا وشيخنا العلامة المحدث / مقبـــل بـــن هـــادي الوادعي –حفظه الله ورعاه – فمع كثرة مشاغله ومرضه إلا أنه – رعاه الله– اطلـــع علـــى مواضيع من هذا البحث وكتب مقدمة له وأرسلها إليَّ من مكة الذي توفي على أثره.والـــسبب الأرجح لتفسير هذا التناقض هو أن الوادعي في هذه الفترة قد تراجع عما قاله فـــي حكومـــة المملكة ومن ذلك هذا الموضوع.

والحقيقة أن الأفكار والآراء التي تمحورت عليها جماعة الحرم لا تبتعد كثيراً عن الواقع الذي يعيشه السلفيون التابعون لمدرسة الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله، فعند المقارنة بين الجماعتين نجد وجوهاً عديدة من التشابه والتطابق فكراً وسلوكاً، إذ أن الإعجاب بالرأي وغمط الآخرين قاعدة مشتركة لدى الفريقين، كما أن اتهام العلماء بالجهل والمداهنة صفة مشتركة بينهما، مع تفوق السلفيين المعاصرين على جهيمان وأصحابه بتجاوزهم اتهام العلماء بالجهل أو المداهنة إلى اتهامهم بالزيغ والضلال والإضلال والمكر بالإسلام وغيرها من الصفات التي أطلقها بعض رؤوس الجماعة السلفية المقبلية -كما مر بنا- بل تجاوزوا إلى السب والشتم والتحقير لبعض العلماء. [1]

والحقيقة إن اتباع الهوى لم يكن موجوداً في جماعة جهيمان منذ البداية ولكن حصلت تلك الصفة بعد أن طغى الحماس فيهم وزادت شقة الخلاف بينهم وبين العلماء والحكام مما أدى إلى حصول أفعال وردود أفعال، فأدى ذلك إلى وقوع السلفيين الأوائل -جماعة الحرم- في الهوى، فوقعوا فيما وقعوا. أما السلفيون المعاصرون من اتباع مدرسة الوادعي فقد وقعوا في الهوى في أول طريقهم، وليس كما حصل للأولين الذين لم يتملكهم الهوى إلا في آخر الطريق. [2]

---

(1) قلت (تجاوزوا ذلك) رغم أن الاتهام بالزيغ والإضلال أشد من السب والشتم ، مع اعتبار أن مسألة السب والشتم وإطلاق الألفاظ البذيئة يتنزه عنها المسلم العامي فضلاً عن المسلم العالم بأحكام الشريعة بل ويتنزه عنها غير المسلم.

(2) (الطريق) أي طريق الالتزام والتدين.

THIS BOOK

The researcher in this book discusses the Salafi ideology, through which the Salafi groups have come out and later on the Jihadi groups have emerged from, and how its espousers believe on the radical changes and absolute solutions in order to regain the political Islamic theocracy. These espousers refuse progressing and superficial solutions and consider them a kind of intellectual and practical retreat/delinquency followed by other Islamic organizations and groups in our time, in which ONLY powerful people are recognized.

The book came as a serious attempt to understand the Jihadist vision and find out the intellectual base that yielded violence and clash. Perhaps one of the most serious mistakes of the opponents of Jihad groups, in general and Al Qaeda in particular, is their widely refuge to clash against these groups in battle field, while failed in the field of thought and concepts. Later on, that military clashes has been used by these groups to gain supporters, partisans and the numerical expansion of Islamic Jihad's followers.

In the introduction of the study, the researcher states: (*Talking about Islamic Jihad organizations is considered one of the most difficult and important issues to be discussed recently, because of the secrecy and obscurity that surrounds it as well as the lack of sources and references on this subject. Yet, as these Jihadist organizations have preoccupied the local and international public opinions, it has become very important to reveal facts*

about them for many people of different faiths, cultures, and countries, who need to understand the reality behind these organizations).

In this study, there is an attempt to highlight the most important Islamic group at the time (Al-Qaeda). Yet, this importance is not of a historical seniority, manpower, scientific or legal standing, but for the fact that this group has emerged and influenced the whole world, in such a way that has not been preceded by any Islamic group, despite of the very short period since its establishment in comparison with other Islamic groups and organizations.

This group has encountered, at the same time, both internal enemy (Muslim rulers) and the external enemy (the infidels and idolaters as they like to call), without taking any considerations and priorities like those were taken by other organizations or groups during their collision with their opponents as a kind of guarantee to achieve their desired results and goals.)

The researcher in the study has been keen to focus on the theoretical system of Al Qaeda group, as he relies on direct meetings with the holders of Jihadist ideology and those who lived the stages of Jihad's development in Afghanistan. He says: (*I have been keen to make the information of this study accurate without any exaggeration, decrease, aggrandizement or contempt, and to be objective study, away from any influence or personal whim, and impartial of any sentimentality or subjected to any pressure of any kind, psychologically or physically.. etc.. It is impartial study of the phenomenon that interests everyone and affects everybody. At the same time, it doesn't reflect any personal attitude. I wanted to introduce modern Jihadist thoughts*

*through: reading the texts that has become method and intellectual basis for this kind of organization as declared by its leaders. And through the real vision of its founder and leader, Osama bin Laden, who declared the method that he adopted to be an intellectual foundation and basis for his platform and strategies in his letter under the title of (**The Pillar In Preparing For Jihad In The Name Of God**).*

The researcher also has compared between intellectual methodology of Al Qaeda and other methodologies of other Islamic groups to clarify the agreed and disagreed points between these groups, where he says: (*In case of Al Qaeda group, in spite of being not much different from other Islamic groups; however, we can refer to some aspects of differences*)... He mentions some aspects of differences such as (the difference in the nature of origin and appearance) as well as (the difference in means and devices used to achieve their goals).

In the study, he answers many questions that are raised about the difference between the intellectual methodology of Al-Qaida and other methodology of other groups. He considers these differences are not of incompatibility or contradiction, since other Islamic groups do not neglect the issue of Jihad, and do not delete it from their programs, and never deny that it is one of their greatest devices. However, Al Qaeda makes the Islamic Jihad their first and last mean of change and the only access to the Islamic Caliphate regime; while, other groups have announced the possibility of gradual progress to reach the same aim that is agreed upon. The researcher also talks about what he thinks the most significant difference between Al-Qaida methodology and the methodology of the first Islamic group, Muslim Brotherhood Group, from which other Islamic groups started. He says: (*that*

was the most important difference that provided Al- Qaeda with the coherence, continuity and vigor that could not be achieved by other preceded group). He considers this difference a kind of flexibility and immunity that distinguishes Al-Qaida methodology, and through the following:

1. Controlling the meaning of obedience to the organization's leader.
2. Prevention of controversy, doubt, disagreement, and separation inside the organization.
3. Use of arbitration to solve any disputes that may happen inside the organization.

He also talks about the ability of Al-Qaeda in using rules of legitimate texts, which are agreed upon by all Muslim scholars, for its own benefits to establish and support Jihadist ideology. These Islamic legitimate issues have become an excuse to attract others to join the ranks of Jihad directly (in case of possibility) and indirectly (in the case of disability.)

Although al-Qaeda has been emerged from the strict Salafi ideology, yet it has managed to exceed some of the points of isolationism and receding those other traditional Salafi organizations fell in. Therefore, in this study, the researcher considers the Salafi ideology is represented by one of the following two movements:

1. Jihadi-Salafi: has adopted confrontation and violence.
2. Non-Jihadi Salafi: has refused to use arms.

The researcher also makes a comparison between both Salafi movements, stressing that non-Jihadi-Salafi is the cradle of the Jihadi-Salafi.

While non-Jihadi-Salafi rejects confronting Muslim rulers in the Islamic countries, its leaders agree with Jihadi-Salafi on the

necessity of using arms to confront Non-Muslims. Moreover, the intellectual writings & contributions made by non-Jihadi Salafi scholars in Yemen confirms that being away from the battlefields, for both Salafis movements, is only a matter of time, specially because of their unreadiness and disability and their fear of being ended if confronted. At the same time, the Salafi is not considered as a real Salafi until he believes in fighting and confronting against the enemies of Islam and Muslims. That is obvious in the declaration of the founder of Salafi group in both Yemen and Saudi Arabia " Shaikh Mokbel bin Hadi Alouadei" where he considers the governmental calling for disarmament in Yemen is a call to state of ignorance and infidelity that must be condemned, rejected and disobeyed.

On the other hand, the Sheikh confirms obedience towards the President, considering the disobedience is forbidden. Furthermore, the Salafis exaggerate in the point of obedience towards the Muslim ruler and refuse to use any means of opposition or condemnation against the ruler, even if the ruler himself agrees upon this means. According to that, elections, parliaments, political pluralism (parties), civil society institutions and peaceful demonstrations, all are forbidden in ideology of Non–Jihadi Salafi, because they lead to toppling the Muslim ruler and detract him away from his position.

In the study, the researcher also discusses (Reasons and factors behind the emergence of Jihad groups), where he states some direct and indirect reasons, and some internal (local/Muslim's countries), and external factors (global role).

Under the title (***The Beginnings***), the researcher talks about the first participations in Jihad since its inception, whether it was by individuals or by group's movements, which later on transformed

into an organized movement and collective behavior. The beginnings started as a kind of service and incorporeal support by supporters; then evolved into variety forms of supports and aids, until it has become indispensable convictions. The author outlines these beginnings in six points and discusses them in details. Later on, in another chapter, he deals with the beginnings and the developments in details. Perhaps the most important and detailed chapter in this study is (***the strategies and the platforms***), because the ideas and beliefs adopted by Al-Qaida at their start and depended on during its establishment are the real devices used by the ideologists of this organization, who could through them to guarantee the continuity of this organization. In their regards, these rules are more important than the weapons used by Al-Qaida and are considered most important than explosives, machine guns and rockets. No doubt that thought is the condition of the act, as the act also requires the existence of thoughts. Therefore, the researcher summed up the Jihadist ideology in ten main points made by Al-Qaeda as main base for its platforms and strategies.

The researcher also discusses multiple issues through out Al-Qaida intellectual methodology, such as: Is it necessary, as a Muslim, to be prepared for faith before starting Jihad? Is it a condition for every Muslim to have a full military training to be Jihad-bound? Is the purpose of faithfulness education is to access the legitimacy justice or to a higher level? Is it necessary for the Muslim to be fair before being Jihadist? Does the lecher Muslim have to be Jihadist or not or must he be, whether he is negligent in required worships or not?

Al-Qaeda has also focused on the disastrous consequences that may fall on the individual and communities, if they don't carry

weapons. Its leaders say: (*To postpone Jihad until ending the collection of educational and fiducial issues will lead to damage and corruption and great sedition..*) Al-Qaeda's leaders have also denounced other Islamic organizations, who say that the collection of education and progress is necessary before waging wars against the enemies of religion, and they have argued with them in detailed discussion, so that these convictions may not be pretext for Jihad's inaction in the Cause of Allah or a threat against the entity of global Jihad organization.

Al-Qaida has not only argued with the militant groups, but has also attacked the Salafis, whom have not joined the Jihadist groups. Moreover, their argument with the global Salfi leaders, whom their points of view are agreed on by all Salafis, has been longer and harder. That is because being silent towards those Salfi justifications, will lead to the end of Al-Qaida organization and to prevent its numerical spread, with which Bin Laden depends on to feed his direct or indirect Jihad cells, whom their loyalty and support is the reason behind being belonging to the Islamic Jihad.

Therefore, as we may find it completely discussed in this study, a large area about (the defending convictions and Jihadist platforms) has been taken in the Jihad ideology. In the chapter (***Al-Qaida's Jihadist Philosophy***), the researcher talks about the Jihadist philosophy from the point of view of Al-Qaida, in which they state that Jihad is the main purpose of human beings' existence and a heavenly inborn thing, where no life without it.

Then he discusses the infidel methods and techniques that are adopted by infidel countries in their war against Muslims in order to control them and their countries. And under the title of (***The Egyptian Jihadi Salafi***) he talks briefly about Egyptian Jihadi

movements, their scopes and diversity, and how Bin Laden could use them finally as basis and foundations of his global organization (Al-Qaida).

In the chapter (***Defensive and Offensive Jihad***) he talks about Al-Qaida convictions, where they believe Jihad in Islam to be offensive firstly rather than defensive. Then he discusses the real meaning of words like (defensive Jihad) and (demandable Jihad). Later on, he talks about (offensive Jihad and world peace), and (how Al-Qaida organization understands the meaning of peace), where he states: (*it is the faith of getting people from darkness into lightness*) but not (*the truce and appeasement to the enemies of religion*).

As Al-Qaida ideology takes into care the notion of the (dead and live tyrants), using it as pretext in his reprobation against the Salafi movements that neglect Jihad and spend their time in facing dead tyrant rather than fighting the live tyrants (Islamic rulers), whom Al-Qaeda considers more dangerous than the dead ones.

The researcher, hence, talks about the disagreement of Jihadists about the meaning of Salafi, and what is the true meaning of Salafi from the point of view of the Jihadist Salafi.

In the chapter (***Legitimacy Of Islamic Groups And Their Pluralism***), he talks about Al-Qaida's attitude towards that and what they mean by (Al-Najia or Al-Mansourah sects); and what are the conditions mainly made by Al-Qaida to make any Islamic group an ideal that should be joined and followed by others. He also talks about how Al-Qaida, with the help of their Salafi talents, could make the idea of joining them a legitimate necessity and indispensable destination in accordance with the legitimate texts and getting benefits from the mistakes committed

by other groups.

In the study, the researcher also refers to the syllabuses and documents of Salafi groups in Yemen, their contradictions, and how their methodology contains direct and indirect motives that could be used as an ideological and methodical support to Al-Qaida; although the leaders of this group disagree with Bin Laden. They consider his group to be (corrupted group), because by using illegitimate ways, it aims to overthrow the rule of the Yemeni president.

In the chapter (***Al-Qaida: Beginnings and Developments***) the researcher has traced the two stages of Al-Qaida's formation:

- The public invitation and the constitution's beginnings.
- The formative stages, through the life of its founder and leader Osama bin Laden.

Then he discusses the circumstances and events that have contributed in creating Al-Qaida in its new form.

In another chapter (***Salafis between Intellectual and Hostile Battles***), the researcher talks about divisions and splits that have occurred inside the Salafi groups in Yemen. Yet, in another chapter he discusses (***The Status of Governor in Salafi***) and the points of agreement and disagreement between the Jihadi Salafi and the Non-Jihadi Salafi in this regard. He mentions also the important issue of (***Revolution against the Leader***) and the religious justifications adopted by Al-Qaeda's leaders in their judgment against the Islamic rulers, whom they consider to be infidels. They believe those rulers must be necessarily overthrown by using all means in order to topple their governments that are based on infidel systems. Later on, he discusses the (***Salafi Contradictions In Case Of Disobeying the Ruler***) through the disagreements about the concept of

(blasphemy) and the conflicts around its connotations.
He also explains how a Salafi groups founder (the Salafi Sheikh) has reconsidered his ideas towards some of the Islamic regimes, whom he has believed to be (Non-Muslims) and agents of the enemies of Islam, later on, and after his visit to these regimes, he announces that they have become (Islamic regimes) and that it is the Muslims' duty to obey and support them. Yet, he insists that other Islamic regimes are infidel and out of Islamic methodology.
As a result of the position of Sheikh (Ibn Taymiyya) in the Arab World as the first founder for the Salafi ideology, the researcher discusses Ibn Taymiyya's view point of the Mysticism), because both Jihadi Salafi and Non-Jihadi Salafi agree that Mysticism is not an Islamic ideology & that it has to be fought. However, Ibn Taymiyya and his student Ibn Al-Qaim both disagree with the opinion of the modern Salafis, at lest; their opinions are fair and more equitable.
In the same chapter, the researcher deals with examples of inflexibility of some of modern Salafi leaders and their views toward some scientific facts, which are agreed upon by both Muslims and Non-Muslims scientists. For instance, he talks about one of these leaders, who considers believing in the movement of the earth, its sphericity, the existence of another suns rather than the ONLY sun that we see and other universal facts, is infidelity and against the Holy Quran texts.
He also talks about the issues of (supplication, expenditure, propaganda, and incitement for Jihad and advising Jihadists and discouraging infidels) and how Al-Qaida used these terms as a means to gain more supporters and more sympathizers.
He discussed also other hot issues like:

1. Lying.

2. Funds.
3. The financial system.
4. Assassinations.
5. Women.
6. The counseling.
7. Individual work.
8. Confidentiality.
9. The use of Non-Muslims to defend Islamic countries.

In the chapter (***The Covenant of Al Qaeda Group***), the researcher has been able to state specific items, which summarize the Jihadi ideological project for this group, through the convictions and announcements of its leaders. In the last chapter he talks about the emergence, thoughts and aims of (***Groups in the Holy Mosque in Mecca***), and how they have been finished after their attack to the Sacred Mosque in Mecca. Then comparing their groups with Bin Laden's group and declaring the agreements and disagreements points.

قائمة المصادر

1- العمدة في إعداد العدة – للشيخ عبد القادر بن عبد العزيز.

2- التبيان في كفر من أعان الأمريكان- للشيخ ناصر الفهد.

3- رسالة في الطواغيت- للشيخ أبي عبد الرحمن الأثري.

4- الإرهاب من الإسلام، ومن أنكر ذلك فقد كفر-عبدالقادر بن عبد العزيز.

5- الجهاد والاجتهاد، تأملات في المنهج – أبو قتادة الفلسطيني.

6- نصح الأمة في اجتناب فتوى الشيخ بن باز في مجلس الأمة- ضمن سلسلة نشرات المجاهدين في مصر – للدكتور أيمن الظواهري.

7- أفغانستان مقبرة الغزاة – أم القعقاع.

8- الفريضة الغائبة – محمد عبد السلام فرج.

9- كلمة حق – الدكتور عمر عبد الرحمن.

10- معالم العمل الثوري – صادر عن جماعة الجهاد المصرية 1988م.

11- الديمقراطية دين – أبو محمد المقدسي.

12- ألف باء الحاكمية- محمد مصطفى المقرئ.

13- عقيدة أدعياء السلفية في ميزان أهل السنة والجماعة – محمد بو النيت المراكشي.

14- مجموعة من الأشرطة الصوتية والمرئية وهي المحاضرات والدروس والخطب التي ألقاها قادة المجادهدين، سواء منا ما ألقيت قبل خروج القوات

الروسية من أفغانستان أو ما كان منها بعد عام 1989م، ومن أهمها:

أ- الجهاد هو الطريق – ندوة لأسامة بن لادن بمدينة جدة.

ب-الطريق إلى القدس – ندوة لابن لادن في مدينة أبها.

ج- واقعنا المعاصر – ندوة لابن لادن في الحرس الوطني بجدة.

د- معركة جلال أباد – ندوة لابن لادن في أفغانستان.

ه- لقاء مع شباب الجهاد – لقاء خاص لأسامة بن لادن ومشاركة أيمن الظواهري في معسكر خالد في أفغانستان.

و- أشرطة فيديو: (قمة المجد وصناعة التاريخ).

15- روايات عدد ممن عايشوا أسامة بن لادن من خلال مقابلات شخصية مباشرة سواء من العلماء أو الأتباع أو المناصرين.

16- البيان لإيضاح ما عليه جامعة الإيمان – للشيخ محمد بن عبدالله الإمام.

17- تحذير الفتاة العفيفة من تلبيسات الزنداني الخبيثة – أم سلمة السلفية.

18- تنوير الظلمات لكشف مفاسد وشبهات الانتخابات- محمد بن عبدالله الإمام.

19- رفع اللثام عن مخالفة القرضاوي لشريعة الإسلام – أحمد بن محمد منصور العديني.

20- الفواكه الجنية في الخطب والمحاضرات السنية- للشيخ مقبل بن هادي الوادعي .

21- رسالة البيان المفهم بالموقف السلفي من ولي الأمر – حسن بن قاسم الريمي.

22- قمع المعاند وزجر الحاقد الحاسد – للشيخ مقبل بن هادي الوادعي .

23- السراج الوهاج بصحيح المنهاج – للشيخ أبي الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني.

24- ترجمة أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي – الشيخ مقبل بن هادي الوادعي.

25- الرحلة الأخيرة لإمام الجزيرة – أم سلمة السلفية.

26- إرشاد البرية إلى شرعية الانتساب للسلفية- حسن بن قاسم الريمي السلفي.

27- الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية- للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي.

28- الأصول العلمية للدعوة السلفية – عبد الرحمن عبد الخالق.

29- رسائل جهيمان العتيبي – للدكتور رفعت سيد أحمد.

30- الإسلام الممتحن – للشيخ محمد الحسني.

31- الجهاد في الإسلام- الباحث النمساوي ليوبولد فايس (محمد شديد، بعد إسلامه).

32- السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية – للشيخ عبد الوهاب خلاف.

33- منهاج الإسلام في الحروب والسلام- عثمان جمعة.

34- (الإصلاح) – التجمع اليمني للإصلاح، الأمانة العامة، ط2003م.

35- الجهاد في سبيل الله في القرآن والسنة – محمد عزة دروزة.

36- المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال- الشيخ عبدالله بن محمد الدويش.

37- مجموعة رسائل وكتيبات صادرة عن مجموعة من تلاميذ الشيخ الوادعي.

38- مقابلات شخصية مع عدد من أتباع الجماعة السلفية في اليمن ومن الذين عايشوا الوادعي.

39- إبن تيمية والتصوف- قواعد المنهج السلفي للدكتور مصطفى محمد حلمي.

40- فقه الدعوة- الدكتور علي عبدالحليم محمود

41- بعض مؤلفات الأستاذ فتحي يكف (مذكورة في حواشي الكتاب).

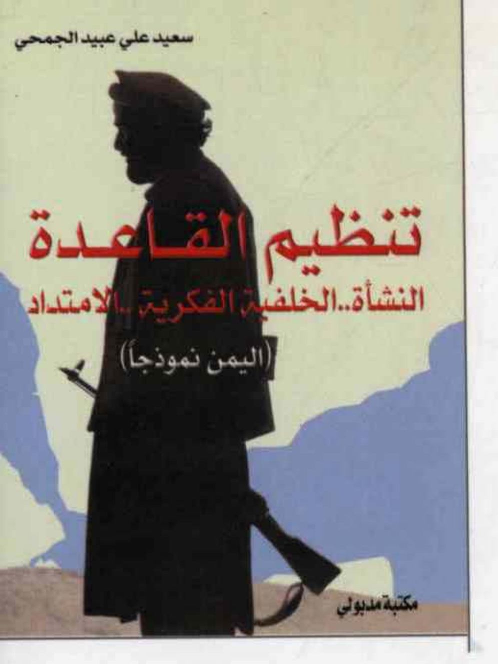
42- بعض مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (مذكورة في حواشي الكتاب).

43- بعض مؤلفات ابن القيم الجوزية (مذكورة في حواشي الكتاب).

44- مؤلفات أخرى مذكورة في حواشي الكتاب.

SaeedObaid@Yahoo.com

[1] أشرنا إلى بعض المواضيع التي يأتي ذكرها أثناء السياق بهذه العلامة (*).



Al-Qaeda

Establishment.. Ideological Background.. Contiguity

By/ Saeed Ali Obaid Al-Jamhi

هذا الكتاب الذي بين أيدينا يشرح هذه الظاهرة في أصولها الفكرية ، ويقدم رؤية موضوعية تعتمد على المصادر الأساسية والنصوص التأسيسية المرجعية لهذا التنظيم .

وتأتي أهمية هذه الدراسة كونها الوحيدة تقريباً التي حاولت أن تقدم الأصول النظرية والمعالم الفكرية لجماعة القاعدة بأسلوب هادئ وعرض تحليلي مستند على واقع هذا التنظيم وتاريخه منذ البداية حتى الآن ..

وسوف يجد القارئ إجابات عديدة لكثير من الإشكالات والأسئلة سواء في فهم بعض الأحداث والوقائع أو الاتجاهات والتصورات التي ترافقت مع نشوء تنظيم القاعدة ومسيرته القصيرة في الزمن المؤثر في التاريخ المعاصر .

كما أن أهمية هذه الدراسة تظهر أيضاً في طبيعة المرحلة التي شهدت هذا الظهور القوي لجماعة القاعدة مع خلو المكتبة من أي دراسة موضوعية فكرية عن هذا التنظيم .

وربما يستغرب القارئ عندما يجد المؤلف قد تناول بتوسع واستطراد التيار السلفي وخصوصاً في اليمن ، لكن سرعان مايتلاشى الاستغراب من خلال تأكيد المؤلف في هذه الدراسة على أن جماعة القاعدة هي جماعة سلفية في أصولها ومصادرها ، غير أنه يفرق بين السلفية الجهادية والسلفية غير الجهادية، فالثانية هي مصدر الأولى وأساسها ، مع بيان أن هناك اختلافات أخرى خصوصاً فيما يتعلق بالموقف من الحكام وفي وسائل تحقيق الأهداف . وهكذا فإن الكتاب لم يقم بتحليل ودراسة لتنظيم القاعدة فقط بل لفكر وواقع الجماعات السلفية في اليمن.

د. فارس السقاف